
نيكولاس بينج
مجرفة الذّكريات
DISSOLUTION
رواية
نقلتها إلى العربية:
ثروت عبدالساتر
دار جلسة للنشر والتوزيع

مجرفة الذكريات

DISSOLUTION

للمزيد من الترجمات

t.me/wadistreambooks

تُرجم هذا الكتاب بدعم من مبادرة ترجم

مبادرة ترجم

Tarjim Initiative

هيئة الأدب والنشر والترجمة

Literature, Publishing & Translation Commission

Translation funded by the Tarjim Initiative

نيكولاس بينج

NICHOLAS BING

مجرفة الذكريات

DISSOLUTION

جولييت: لقد نسيتُ لِمَ ناديتك لتعود.

روميو: دعينا أقفُ ههنا حتى تتذكري.

جولييت: سأنسى، كي تظلَّ واقفاً هناك... متذكّرةً كم أهوى رفقتك.

روميو: وأنا سأظلُّ باقياً، لكي تظلّي ناسية... ناسياً أيَّ موطنٍ آخر سواكِ.

— مسرحية روميو وجولييت، الفصل الثاني، المشهد الثاني

١

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
١١ ساعة، ٠ دقيقة، و٠ ثانية حتى الزوال

قال المتحدث:

— «أمامكِ إحدى عشرة ساعة حتى "إعادة الضبط". عليكِ أن تخبريني بما حدث بالضبط.»

تساءلت مارغريت:

— «أين أنا؟»

أجاب:

— «لقد تجاوزنا هذا الأمر يا ماغي. إنه ليس مهمًا. الشيء الوحيد المهم هو أن تركّزي معي.»

ردت بنبرة حادة:

— «ماذا تعني بعبارة "إنه ليس مهمًا"؟ أنا لا أعرف أين أنا. ولا أعرف من أنت. كيف يُعقل أن يكون هذا غير مهم؟»

قال:

— «أنا حسن. هل تتذكرينني؟»

تمتمت بتردد:

— «لا... أعني، نعم. أعتقد ذلك. الاسم يبدو مألوفًا.»

قال بنبرة مهدئة:

– «خذي وقتك. تنفّسي. أنتِ في حالة ذهول.»

سألت:

– «هل...؟ هل تقابلنا من قبل، أليس كذلك؟»

أجاب:

– «بلى، تقابلنا.»

سألت بلهفة:

– «أين ستانلي؟ هل هو بخير؟»

قال:

– «هذا بالضبط ما نحاول اكتشافه.»

تسارعت أنفاسها وهي تقول:

– «ماذا تعني؟ يا إلهي، هل حدث له مكروه؟ هل هو في أمان؟»

قاطعها بحزم:

– «اهدئي. ليس لدينا وقت. أحتاج منكِ أن تركّزي—أن تتذكري ما يجري. لنبدأ بالتركيز على الحاضر. أخبريني عن محيطك. الحديث عما حولك سيساعدك. قولي لي أين نحن.»

نظرت حولها وقالت:

– «نحن في... هل هذا حوض سباحة فارغ؟»

قال:

– «شيء من هذا القبيل. صفيه لي.»

هتفت بغضب:

– «ما الذي يحدث بحق الجحيم؟»

قال:

– «أنتِ مشوشة. عقلكِ يتعافى من أثر الانتقال. صفي لي ما يدور

حولك—التفاصيل الصغيرة. ماذا ترين؟ وكيف تبدو الأصوات؟ وفي أي وقت من اليوم نحن؟»

قالت وهي تحاول التركيز:

– «أنا... نحن في الداخل. أهذا صحيح؟ الإضاءة اصطناعية، ولا توجد نوافذ، وكأننا تحت الأرض. المسبح فارغ—مُصفّى تمامًا من الماء—وبدأتُ أشك إن كان مسبحًا أصلاً. إنه أجوف جدًا، وشديد التعقيم. يبدو أشبه بحوض استحمام عملاق.»

سأل:

– «أين مكاننا، نحن الاثنين؟»

ردت بتهكم:

– «بالتأكيد يمكنك رؤية ذلك كما أراه أنا. يا إلهي، تلك النظارات الشمسية. هل أنت أعمى؟»

أجاب:

– «لستُ أعمى. نحن فقط نؤسس "خط أساس إدراكي". اعتبري هذا كاختبار للرصانة؛ أحتاج للتأكد من أن تركيزك سليم، تمامًا كأن أطلب منكِ عدَّ أصابع يدي.»

تنهدت وقالت:

– «حسنًا. نحن نجلس عند هذا المكتب في منتصف الحوض تمامًا. أنت وأنا، ولا أحد غيرنا، وجهًا لوجه. المكان مهجور. ذراعي موصولة بمحلول وريدي. لماذا؟ هل أنا مريضة؟»

سأل:

– «ماذا تسمعين؟»

قالت:

– «الآن؟ الصوت الوحيد هو صدى أصواتنا يتردد في الغرفة.»

قال مشجعًا:

— «جيد. هذا جيد جدًا يا ماغي. المزيد. ماذا يوجد على الطاولة؟»

أجابت:

— «هناك... حاوية أسطوانية صغيرة، تشبه علبة الدواء، بالإضافة إلى كوب من الماء. وهناك ورقة وقلم وجهاز تسجيل، وكأنني في نوع من غرف التحقيق. لكنني لست كذلك. أنا في مسبح. لماذا أنا في مسبح؟ ولماذا أنا موصولة بهذا الشيء في كيس المحلول الوريدي؟»

قال ببرود:

— «السبب ليس مهمًا. لا داعي للقلق بشأن ذلك الآن.»

ردت بسخرية:

— «حقًا؟ حسنًا أيها الشاب، ما الذي عليَّ أن أقلق بشأنه إذن؟»

قال بجدية:

— «نحتاج أن نعرف بالضبط ما الذي حدث وقادكِ إلى هنا. إنه أمر حيوي للغاية، لنا جميعًا، أن نعرف هذا. عليكِ أن تخبريني، بأكبر قدر ممكن من التفصيل، عن المرة الأولى التي رأيتني فيها.»

قالت بصوت خافت:

— «لا أستطيع... أن أتذكر. لا أستطيع تذكر أي شيء. ماذا تفعل بتلك الحاوية؟»

قال وهو يناولها شيئًا:

— «هذه الحبة ستساعد في تنشيط ذاكرتك.»

تراجعت وقالت:

— «لم آخذ حبوبًا من غرباء منذ عدة عقود.»

ألحَّ عليها قائلاً:

— «إذا لم تبدئي بالتذكر قريبًا، سينفد الوقت منا، وسيذهب كل هذا سدى. الحبة ليست خطيرة، أعدكِ. ستساعد فقط في قشع الضباب عن عقلك.

أرجوكِ. من المهم جدًا أن نفهم ما حدث. ليس لدينا الكثير من الوقت. يجب أن نجد ستانلي.»

قالت باستسلام:

— «حسنًا، حسنًا. فهمت. تمهّل قليلاً.بحق يسوع المسيح. لو لم أكن في الثالثة والثمانين لظننتُ أنك تدبر مكيدة ما.»

ثم ابتلعت الحبة، وتجهم وجهها:

— «آخ، هذا فظيع. أستطيع الشعور بها في حلقي تمامًا. إنها تلسع. ما هذا بحق الجحيم؟ ومخاطرةً بتكرار نفسي، ما الذي يحدث هنا؟»

قال:

— «ستانلي ليس في أمان. لا أحد منا في أمان. شيء ما حدث، وأحتاج مساعدتك لمعرفة ما هو بالضبط. عودي بذاكرتك إلى الوراء: متى كانت المرة الأولى التي رأيتني فيها؟»

سألت:

— «ماذا؟»

أجاب:

— «علينا أن نبدأ من البداية. يجب أن نرى كل لحظة. إنها الطريقة الوحيدة لنعرف بيقين. أغمضي عينيكِ. دعي ذكرياتك تعود. اذهبي إلى المرة الأولى التي ترينني فيها.»

أغمضت عينيها وقالت:

— «حسنًا، سأحاول، لكن لا أعرف ما الذي تتوقع أن... مهلاً. ما هذا بحق السماء؟»

سأل بترقب:

— «ما الأمر؟»

قالت بدهشة:

– «أستطيع رؤية ذلك. الأمر وكأن... هذا غريب—هذه ليست مثل ذكرى عادية على الإطلاق. أستطيع رؤية الغرفة بأكملها أمامي. وكأنني هناك.»

قال:

– «هذا مفعول الحبة قد بدأ. إنها مُعزِّز للذاكرة.»

قالت بانبهار:

– «هذا أكثر من مجرد مُعزِّز. أستطيع سماع غلاية الماء وهي تغلي. أستطيع تذوق الجفاف على لساني من كأس النبيذ الذي شربته الليلة الماضية. أنا لا أتذكر يا حسن. أنا هناك.»

قال:

– «جيد—هذا بالضبط ما نحتاجه. في المرة الأولى التي ترينني فيها، أين تكونين؟»

أجابت وهي تسبح في ذاكرتها:

– «أنا... أنا في المنزل. أعتقد ذلك. أو ما كان يومًا منزلاً. لم أعد أحب تسميته كذلك.»

سأل:

– «لم لا؟»

قالت بصوت يحمل شجنًا:

– «لأنه لم يكن منزلاً إلا بوجود ستانلي. الآن هو مجرد بيت—كبير، كبير جدًا عليّ، بغرف نوم كثيرة ومطبخ مفتوح كنتُ أحبه. أظن أنني ما زلت أسميه منزلاً عندما أتحدث مع الآخرين. أو عندما أحدّث نفسي: "حسنًا، كان يومًا طويلاً، يجب أن أعود للمنزل"، أو شيئًا من هذا القبيل. لكن تلك الكلمة مجرد صوت الآن—لا تحمل المعنى الذي كانت تحمله عندما كان ستانلي وليا هنا. ولأنه لم يعد ملكنا، لم يعد يبدو وكأنه ملكي. هل هذا منطقي؟»

سأل:

— «هل أنا في المنزل؟»

قالت:

— «لا. ليس بعد. إنه فقط أنا وساندرا، السيدة من "صنرايز"—دار الرعاية. إنها تحدثني عن حالة ستانلي، لكن بصراحة، توقفتُ عن الاستماع. في منتصف المحادثة، أنهض لأعد كوبًا من الشاي. ليس لأنني أريد الشاي، بل لأنني لم أعد أطيق الجلوس قبالتها. ترمقني بنظرة متعاطفة ومتعالية، وكأنها تجد الأمر لطيفًا أنني عجوز جدًا وما زلت أغلي الماء على الموقد. أكره هذه السخافة القائمة على التمييز العمري—بالتأكيد لدي غلاية كهربائية، وبالتأكيد أعرف كيف أستخدمها بحق السماء—لكن غلي الماء على الموقد يمنحني عذرًا لأدير لها ظهري. يسمح لي بالتظاهر بالاستماع، بينما أنا أغرق صوتها في الضجيج.»

سأل:

— «هل تتجاهلين دائمًا الناس الذين لا تحبينهم؟»

ردت مدافعة:

— «آه، المشكلة ليست فيها هي. إنها رتابة الأمر: الأخذ والرد حول كل تلك التفاصيل السخيفة التي لم أرغب يومًا بالاهتمام بها—حركة أمعاء ستانلي، كمية طعامه، أدويته. اعتدتُ أن أكره هذا النوع من الروتين عندما كنت شابة، كنت أشعر وكأنني محاصرة، وكأنني أدور في عجلة. وهذا الشعور ينمو بداخلي أكثر فأكثر هذه الأيام. لم أكن قاسية هكذا دائمًا، هل تعلم؟ في البداية، عندما دخل ستانلي الدار، كنت مهووسة بكل تلك التفاصيل. كانت الطريقة الوحيدة لأفرض نوعًا من السيطرة. لكن الآن؟ بعد المحادثة الألف، لم أعد أستطيع مواجهة الأمر. بصراحة، أنا أدفع لتلك المؤسسة ما يكفي لأكتسب الحق في تجاهلهم متى شئت. يا إلهي،

قول هذا بصوت عالٍ يجعلني أبدو فظيعة. ما الذي أفعله؟ لماذا أخبرك بكل هذا؟»

أوضح قائلاً:

— «العقار الذي أعطيتكِ إياه—إنه يحفز التعبير اللفظي عن حوارك الداخلي، وينشط المسارات بين ذاكرتك ومركز الكلام. كل هذا جيد، كل هذه التفاصيل. لا تتخطي أي شيء. هل ستانلي في دار الرعاية الآن؟ متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟»

قالت:

— «إنه هناك. زرته في "صنرايز" هذا الصباح فقط. لم يتعرف عليّ، وهو أمر لم يكن مفاجئًا تمامًا. صار هذا يحدث أكثر فأكثر مؤخرًا.»

استطردت في ذكرياتها:

— «بدأ الأمر قبل عدة سنوات. عندما كنت أزوره، كنت أجلس بجوار سريره وأحدثه عما يجري في حياتي. حسنًا، كنت أختلق الأشياء، لأنني لم أرد له أبدًا أن يعرف كم أصبحت حياتي مملة. اعتدت أن أخبره عن أحوال ليا—وأنها تسافر حول العالم، وتصنع مجدها—لكنها لا تتحدث معي الآن، وليس لدي أدنى فكرة عن السبب.

أما ستانلي، فكان... لا يستجيب. كان يحدق في المدى البعيد، ويتمتم أحيانًا بشيء لا أكاد ألتقطه، وكنت أفكر: "هذه هي اللحظة. هذه هي اللحظة التي ينساني فيها زوجي".

لكنها لم تكن كذلك. ليس حينها. أعرف ذلك لأن الأمر حدث بالفعل بعد عامين. رغم كل تشوشي، هذا شيء أعلم أنني لن أنساه أبدًا. دخلت غرفته لأسقي النباتات على حافة نافذته—أحب أن أسقيها أيام الثلاثاء—والنظرة التي كانت على وجهه، يا إلهي، كانت نظرة لم أرها من قبل. الارتباك والذعر. الخوف. الأمر منطقي تمامًا حين تفكر فيه. إنها النظرة ذاتها التي قد يرمق بها أيٌّ منا شخصًا غريبًا يظهر فجأة في غرفة نومه.

رمقني بالنظرة نفسها هذا الصباح، الصباح الذي قابلتك فيه، لكنني اعتدت عليها. تحدث بين الحين والآخر—أحيانًا بضع مرات في الأسبوع، وأحيانًا لا تحدث لشهر كامل. لكنها تجعلني دائمًا أفكر في شيء قاله ستانلي عندما كنا أصغر سنًا، في الستينيات من عمرنا. كنا قد انتهينا للتو من مكالمة ليا بعد فصلها الدراسي الأول في الجامعة، وبدا المنزل أكثر فراغًا مما توقعنا. طوال ثمانية عشر عامًا، كنا نمزح نصف مزاح حول الحرية التي سننالها بمجرد أن تغادر المنزل لنفعل ما يحلو لنا، لكن الحقيقة كانت أننا افتقدناها وحسب.

التفت إليّ ستانلي بعد أن قالت وداعًا، وقال: "يخطر لي أنه في مرحلة ما، تحملين طفلك للمرة الأخيرة تمامًا. ولا تعرفين. في تلك اللحظة، لا تعرفين أنها المرة الأخيرة التي ستقومين فيها بذلك". كان محقًا بالطبع: النهايات لا تُعلن عن قدومها. إنها تتسلل من حولك؛ تحف خُطاها لتمر دون أن يلحظها أحد، حتى يأتي يوم غائم، تنظرين فيه إلى شارع فارغ وتدركين أن كل شيء قد انتهى منذ وقت طويل.

أقلق بشأن ذلك مع ستانلي الآن. أن يأتي يوم يكون المرة الأخيرة التي يتعرف فيها عليّ. أن يأتي يوم يكون المرة الأخيرة تمامًا التي يعرف فيها من أنا، ولسبب غبي وسخيف، أريد أن أصنع من ذلك نهايةً واضحة. أريد أن أخبره أن الأمر لا بأس به. يا إلهي، أكاد أرغب في فتح زجاجة شمبانيا فقط، كما تعلم، لتوثيق اللحظة. لأقول: إذا كانت هذه نهاية اثنين وخمسين عامًا من الزواج، فلا بأس بذلك. يمكنني تقبل هذا.

لكنني أدركتُ حقًا في ذلك الصباح أنه لن تكون هناك نهاية محددة. سألاحظ فقط في مرحلة ما أنه لم يتعرف عليّ منذ شهور. وسيكون ذلك هو الختام. سينتهي الأمر.»

قال حسن:

— «عودي إلى المنزل، مع ساندرا. ماذا يحدث؟»

قالت:

– «ما زالت تتحدث. لقد انتهيت من إعداد الشاي، وأدركت أن عليّ الجلوس قبالتها مجددًا. هل هذا صحيح؟ هل أغطي الأمور الصحيحة؟»

أجاب:

– «لا أستطيع الجزم. لن نعرف إلا من خلال تفاصيل محددة للغاية. تابعي.»

أكملت ماغي:

– «لم تعد تتحدث عن ستانلي. إنها تخبرني عن عملها في دار الرعاية، عن "صنرايز". لم يمضِ وقت طويل على وجودها هناك——نُقلت لتوّها من فرع آخر تملكه الشركة نفسها في الجنوب.

سألتها: "من يجامل من هنا؟". بدأت تصبح مملة، وكنت قد أوشكت على إنهاء الشاي.

قالت: "عفوًا؟"

وضعتُ كوبي جانبًا وقلت: "هل ما زلتِ تتحدثين لأنك تظنين أن عجوزًا وحيدة بائسة مثلي بحاجة إلى الرفقة، أم أنني أنا من يتظاهر بالاهتمام بحياتك من باب اللباقة الاجتماعية؟ أقول هذا فقط لأنني أظن أن الأمر قد يكون مزيجًا من الاثنين".

قالت وهي تحدق في يديها: "أوه... أوه، فهمت. يجب أن أذهب". نهضت ولملمت أغراضها المتناثرة بحركة مضطربة، كطائر يجمع العيدان لعشه. وعندما وصلت إلى الباب، قالت: "لم يكن هناك داعٍ للوقاحة".

قلبتُ عينيّ. بعد ثلاثة وثمانين عامًا على هذا الكوكب، اكتشفتُ أنه في الواقع، لا داعي لأن نكون مهذبين.

أغلقتُ الباب واستدرت. أمامي ممر، ودرج إلى اليمين يؤدي إلى غرفتي نوم فارغتين وعليّة. لا توجد صور على الجدران——نقلتُ تلك التي تعني شيئًا لغرفة ستانلي، كمحاولة لمساعدته على التذكر. أما البقية فقد تبرعت

بها للمتجر الخيري أو رميتها في القمامة.
تحركتُ من عند الباب ودخلت غرفة المعيشة. هناك نسيم يتسرب عبر النوافذ، فجوة في العزل لم أقم بإصلاحها. إنه يشعرني بالقشعريرة.
أنظر إلى الأريكة، وطاولة القهوة، والستائر، فأرى ومضات من حياتي محفورة عليها: ستانلي يتدحرج على السجاد مع ليا، يدغدغها؛ وهي تهرب، ثم تندفع عائدة للمزيد؛ ستانلي يبكي على الأريكة بعد أن غادرت المنزل، وأنا أختبئ خلف المدخل، لا أريده أن يرى أنني رأيته؛ كأسان من النبيذ وزجاجة نصف فارغة على طاولة القهوة، والتلفاز يعمل خلفهما.
الصور موجودة، لكنها ليست موجودة—قطع من الماضي متراكبة فوق بعضها البعض، كلوحة رُسم فوقها مائة مرة. طبقة الطلاء الأخيرة لا لون لها. مجرد لون أبيض مائل للاصفرار. قاحل.
لا أعرف لماذا لا ترد ليا على مكالماتي. إنه أمر متعمد، أعرف ذلك. أعرف أنها بالغة الآن، حقًا، حتى لو اضطررت لقرص نفسي لتذكر أنها في الأربعينيات، لكن عندما بدأ ستانلي بالنسيان، كانت هي كل ما تبقى لي. إنها لا تمنحني حتى لطف ترك الهاتف يرن للنهاية، لتتظاهر بأنها غير متاحة. إنها فقط تغلق الخط في وجهي. أرسلت لها رسائل نصية متوسلة. وما زلت أرسل لها رسائل بريد إلكتروني طويلة، آملة أن تقرأها. مؤخرًا، توقفت عن الاتصال، لأنني لا أستطيع تحمل وخزة اليأس الجسدية—كأنها جرح في صدري—التي تطعنني في كل مرة ترفضني فيها.
إنها حتى لا تخبرني ما الذي فعلته. أعتقد أن هذا هو الجزء الأسوأ. لقد قطعتني من حياتها كقطعة غضروف غير مرغوب فيها.
أخبرتني أختي أن عليّ بيع المنزل—والانتقال إلى مكان أصغر، مكانٍ لا يزدحم بكل هذه الذكريات. إحدى تلك الشقق الصغيرة المكونة من غرفة نوم واحدة، حيث يمكنني أن أقضي بقية أيامي وحيدة، آكل الوجبات الجاهزة وأمارس "يوغا كبار السن مع مورغان" على يوتيوب. لكن هذا

الشعور يبدو وكأنه خيانة. إذا كان هناك شيء واحد بقي لي، فهو الشعور بالواجب. شعور بأنه إذا كان أحدنا سينسى كل شيء عن عائلتنا، فعلى الآخر أن يتشبث بالذاكرة بكل ما أوتي من قوة. في كل مرة أجد نفسي أنسى شيئًا ما، أي شيء على الإطلاق—أيَّ كعكة عيد ميلاد صنعناها لـ "ليا" عندما كانت في الحادية عشرة، أو أيَّ فيلم ذهبتُ أنا وستانلي لمشاهدته في ذكرى زواجنا الثانية والثلاثين—يجتاحني شعور عارم بالذنب.
أحيانًا أشعر وكأنني أقبض بيدي على مائة ألف بالون، كلها تتدافع لتنعتق، لتختفي عاليًا في السماء، لكنني لا أستطيع أن أفلت أيًا منها. إنها كل ما أملك.»

فجأة، جاء طرقٌ على الباب. أتذكر ذلك بوضوح لأن الأمر استغرق مني ثانية لأدرك ماهية الصوت. لا أحد يطرق الأبواب حقًا في هذه الأيام. تساءلتُ:

— «من هناك؟»

إنه أنت. إنه لقاؤنا الأول تمامًا. تبدو ودودًا. أول ما فكرتُ فيه هو كم تبدو يافعًا، وكم يبدو وجهك مرتاحًا ونضرًا. لا تشبه هيأتك الحالية في شيء. الآن تبدو مريعًا.

سألتُك:

— «ماذا أقول لك؟»

لم تُبْدِ أي رد فعل؟ كنتَ لتبتسم في الماضي. أتذكر أنني أحببتُ ابتسامتك، وجدتها مثيرة للفضول. على أية حال، عندما فتحتُ الباب، قلتَ لي:

— «كم تعرفين عن "صنرايز"؟»

رمشتُ بعينيّ، مأخوذةً بالمفاجأة. أنت طويل القامة، بشرتك داكنة، وعلى وجهك ملامح حادة تذكرني بأسماك القرش. ليست مفترسة تمامًا،

لكن ثمة تلميحًا بالخطر يكمن تحتها. أعجبني ذلك. لطالما أعجبني ذلك في الرجال.

سألتُ:

– «من أنت؟»

أجبتَ:

– «اسمي حسن.»

ثم خطوتَ عبر الباب الأمامي، متجاوزًا إياي مباشرة، وتركتني واقفة هناك أحدّق في الشارع. وبحلول الوقت الذي تمكنت فيه من الاستدارة، كنتَ قد أصبحتَ بالفعل في غرفة المعيشة وجلستَ على الأريكة.

تبعتُك. قبل عشرين عامًا، ربما كنتُ سأطلب الشرطة. وقبل عشر سنوات، كنت سأصرخ في وجهك لتخرج من منزلي فورًا. لكن هذا المكان لم يعد يبدو كمنزلي، وأنت أكثر شيء مثير للاهتمام حدث لي منذ شهور.

سألتُك:

– «ماذا قلتَ عن "صنرايز"؟»

أجبتَ ببرود:

– «دار الرعاية، حيث يقيم زوجك. كم تعرفين عنها؟»

كنتُ أقف في منتصف الغرفة، أنظر إليك من علٍ. في الأفلام، يستخدمون هذه الزاوية ليجعلوا شخصًا يبدو قويًا ومهيمنًا، والآخر ضعيفًا. لكن الأمر لا يسير على هذا النحو هنا. شبكتَ يديك معًا في استرخاء وأرحتهما على ساقيك المتقاطعتين. أشك أنك بدوت ضعيفًا يومًا في حياتك.

قلتُ:

– «إنها دار رعاية. زوجي في جناح الذاكرة هناك. إنهم يعتنون به. من قلتَ لي تكون؟»

بمَ تفكر في هذه اللحظة؟

هل هذا مهم؟

لستُ متأكدة.

ثمة فقاعة صغيرة من القلق، لأنك تتحدث عن ستانلي، ويبدو أن هناك خطبًا ما. وتحت ذلك القلق، أشعر برفة غريبة من الإثارة، مثل الفراشات في معدتي. أليس هذا غريبًا؟ كأنني اصطدمتُ للتو بحبٍّ قديم من أيام المدرسة الثانوية. وفي اللحظة التي أدرك فيها هذا الشعور، يكتسحه طوفان من الذنب.

ذنب؟

نعم، لأنني يجب أن أشعر بالإثارة تجاه شيء قد يكون مقلقًا. أو لأنني أشعر بالإثارة أصلاً. هذه ليست وظيفتي. وظيفتي هي الاعتناء بستانلي.

سألتُ:

– «لماذا أنت هنا؟»

أملتَ رأسك قليلاً إلى الجانب، وكأنك لمحت سنجابًا يندفع صاعدًا شجرة. ومن جيبك، أخرجتَ علبة سجائر ذهبية وعلبة كبريت. وقبل أن أستوعب ما أنت على وشك فعله، أشعلتَ واحدة، وأخذتَ نفسًا عميقًا وهي تستقر بين أصابعك. نظرتَ إليّ، وبدت عيناك وكأنهما قُدَّتا من خشب الماهوجني. ولكن...

ولكن ماذا؟

الآن أنت ترتدي نظارة شمسية، رغم أننا داخل هذا المسبح. أنت تخفي عينيك عني. لماذا؟ ما الذي حدث؟

قاطعني صوتك الحاضر:

– «هذا ليس مهمًا. عليكِ التركيز على ما حدث لكِ أنتِ—هذا هو ما يهم.»

عدتُ بذاكرتي: انحنيتَ للأمام وقلت: «دعيني أحكِ لكِ قصة». وفي تلك اللحظة، شعرتُ أنه ليس لدي خيار. شعرتُ أنه منذ اللحظة التي فتحتُ فيها الباب، جرفتني تيارٌ ما، ولا أملك القدرة على تغيير مساره. ثمة قصور ذاتي كبير جدًا. أنا عجوز جدًا. وساقاي تؤلمانني.

فكرتُ في الجلوس على الكرسي المقابل لك. لكنني لم أفعل.

بدأتَ تسرد:

– «قبل ثلاث سنوات، قابلتُ رجلاً. لنسمِّه (ك).»

سألتُ:

– «هل هذا اسمه؟»

أطلقتَ ضحكة خفيفة:

– «لا. كان شابًا—في أوائل العشرينيات. تخرج لتوّه في الجامعة وتمكن من الحصول على تدريب في وكالة أنباء مرموقة في لندن. بالنسبة له، كان هذا هو الحلم: طريق مهني مباشر نحو الصحافة الراقية. السفر حول العالم. رؤية المعالم. كل تلك الامتيازات. بعد بضعة أيام من إحضار القهوة للموظفين والتعرف على إجراءات الموارد البشرية، حضر أول اجتماع كبير بقيادة رئيس التحرير. جلس هناك، يستمع باهتمام شديد طوال الوقت، وخرج ببعض الأفكار الرائعة لقصص قد يتمكن من تتبعها بمجرد أن يجد لحظة فراغ. بعد عشر دقائق، استدعاه رئيس التحرير إلى المكتب الكبير. سُئل: "ما الذي كان يحدث بحق الجحيم؟". هز رأسه غير متأكد. قال له رئيس التحرير الكبير: "اسمع، عندما تحصل على تدريب مثل هذا، يجب أن تكون ممتنًا. يجب أن تقدر ذلك. أنا أعمل بجدٍّ لعين، وكذلك كل شخص هنا. نحن بالتأكيد لا نتوقع أن يأتي طفل مغرور، يجلس، ويتجاهل كل عملنا الشاق". لم يفهم (ك) ما الذي يتحدث عنه الرجل وأخبره بذلك. فازداد غضب المحرر. "لم تدون أي ملاحظات لعينة. لم يكن معك حتى قلم أو ورقة. وكأنك لا تبالي أبدًا بما يُقال!"»

ما زلتُ لم أجلس، ولست متأكدة تمامًا من السبب. ما زلتُ جاثمة فوقك كصقر عجوز هزيل، مأسورةً بحديثك. تذكرتُ، لثانية، ذلك المشهد في كتاب الأدغال حيث تجعل الأفعى ماوكلي ينظر في عينيها بينما يبدأ ذيلها بالالتفاف حول عنقه. وقبل أن أتمكن حقًا من معالجة الفكرة، كنتَ تواصل حديثك.

تابعتَ قائلاً:

— «قطب (ك) جبينه عند سماع هذا، فرك ذقنه، ثم شرع في سرد كل كلمة قيلت في الاجتماع من البداية إلى النهاية. ذُهل المحرر. اتضح أن (ك) لا ينسى شيئًا أبدًا. والأغرب من ذلك، أنه لم يدرك حتى تلك اللحظة أن الآخرين ينسون الأشياء. لقد نشأ منعزلاً إلى حد ما، وظن أن الجميع يمكنهم فعل ما يفعله. لم يبدُ الأمر أبدًا كشيء كبير، ولم يشككه أحد في ذلك من قبل.»

توقفتَ، وكأنك تفكر. استغللتُ انقطاع الكلمات وتمكنت من نطق جملة بسرعة في دفعة واحدة من النفس:

— «ما علاقة هذا بستانلي؟»

مددتَ يدك ونفضتَ رماد سيجارتك في وعاء. لا أتذكر أنني أخرجته من الخزانة.

قلتَ:

— «الأمر بخصوص (ك) هو أنه لم يمر دون أن يلاحظه أحد. البعض شعر بالغيرة، والبعض الآخر كان مجرد مهتم. وافق على المشاركة في دراسة بحثية في وقت لاحق من ذلك العام مقابل مبلغ كبير من المال. لم يكن يعرف ما الذي يفعلونه بالضبط—يبدو أن ذلك كان جزءًا من الدراسة. كان يذهب فقط، يُمسح دماغه، ثم يقوم ببعض الاختبارات البسيطة، ألعاب كلمات، مهارات حسابية، وشيء من هذا القبيل. ثم يعود إلى المنزل. في أحد الأيام، ذهب إلى العمل ولم يتعرف على أحد. هو يعرف العمل. إنه

المكان الذي كان يذهب إليه طوال العام الماضي. يعرف مكان مكتبه ومكان الإدارة، لكن كل الناس مختلفون. يتصرفون وكأنهم يعرفونه. يومئون له ويحيّونه. شخص ما يناوله قهوة. وهو لم يرَ أيًا منهم في حياته قط. فماذا يفعل؟ يتصل بأصدقائه، بعائلته——ولا يتعرف على أي منهم أيضًا. صوت والدته على الهاتف لا يشبه أي صوت سمعه من قبل. شخص غريب تمامًا يخبره أن الأمر بخير، وأنها تحبه. يُصاب بالذعر. وبعد ثلاثة أيام، يشنق نفسه.»

هتفتُ:

— «يا يسوع! هل حدث ذلك حقًا؟»

أومأتَ لي إيماءة بطيئة واحدة:

— «بالتأكيد. وما هو الشيء الوحيد في حياته الذي تغير قبل أن ينسى من يكون الجميع؟»

نظرتُ من النافذة إلى الشارع. امرأة تركض بملابس رياضية كاملة. إنها لا تنظر إلينا، ولكن لسبب ما، يخطر لي أنه لا ينبغي لأحد أن يرى هذا التفاعل على الإطلاق. يجب أن يكون سريًا. يبدو الشعور سخيفًا، لكنني مشيت إلى النافذة وأغلقت الستائر. سألتُ:

— «الدراسة البحثية؟»

قلتَ:

— «التي تديرها مجموعة تسمى "صنرايز الطبية". بالطبع، باستثناء عدد قليل من المسارات الورقية المخفية جيدًا، لا يوجد دليل على أن ذلك حدث أبدًا.»

رحتُ أذرع الغرفة جيئة وذهابًا، أحاول فهم ما تقوله بحق الجحيم. قلبي في صدري، ينبض بقوة. لسبب ما، أنا آخذ هذا الأمر على محمل شخصي. شخصي للغاية.

أنهيتَ سيجارتك وعيناك تتبعانني عبر الغرفة.

– «أعتقد أن ستانلي شارك في تجربة مماثلة. وأعتقد أنه ربما لا يزال مشاركًا.»

توقفتُ في مكاني تمامًا.

– «تظن أنهم يجرون تجارب عليه؟ تظن... مهلاً، مهلاً، مهلاً. هل تقول حقًا إن مرض الزهايمر الذي يعاني منه ستانلي هو... ماذا؟ أنهم فعلوا ذلك به؟»

أجبتَ بثبات:

– «نعم.»

تشنج جسدي كله. هذا جنون. هذا عبث. لقد دخلتَ للتو إلى منزلي وبدأت في سرد قصص مجنونة، وأنا ليس لدي أدنى فكرة عن هويتك حتى.

لكنكِ تصدقينني.

نعم.

لماذا؟

لا أعرف. بينما تتحدث، أفترض أن الفكرة خطرت لي: إذا كان ما يحدث لستانلي ليس طبيعيًا، إذا كان قد فُعل به، فربما يكون قابلاً للعكس. لم تذكر ذلك. لم تلمح إليه حتى. لكن الفرصة الضئيلة للغاية بأن يكون الأمر في حيز الإمكان كافية لجعلي أرغب في تصديقك.

قلتُ:

– «يجب أن أحضره. سأذهب لأوقّع خروجه. سأعيده إلى هنا.»

قلتَ:

– «قد لا يكون ذلك بالسهولة التي يبدو عليها.»

وقفتَ، ولاحظتُ كم أنت طويل، وكم تبدو مهيبًا. ابتلعتُ الريق الذي تجمع في فمي.

– «ماذا تعني؟ إنها دار رعاية، وليست سجنًا لعينًا. أنا زوجته.»

سألتني:

– «متى كانت آخر مرة تتذكرين أنك وقّعتِ خروجه فيها؟»

حدقتُ فيك، وفقدتُ تركيزي.

– «أنا... لا أعرف.»

– «منذ تم إدخاله، هل لديك أي ذكريات محددة عن إخراجه من دار الرعاية تلك؟ لأي سبب كان؟»

نظرتُ إلى يديّ، وللحظة، بدا وكأنني أراهما لأول مرة. قلبتهما، ناظرةً إلى التجاعيد على ظاهرهما، وتقوس العظام. أستطيع أن أشعر بعينيك على قمة رأسي.

– «لا أعرف. لكنني أعرف أنني أستطيع. إخراجه، أعني. بالمعنى العام.»

– «إذن لماذا لا تملكين أي ذكريات فعلية عن قيامك بذلك؟»

نظرتُ إليك مجددًا. أنا ضائعة. أشعر وكأن بالونًا قد أفلت للتو من يدي وهو يطير عاليًا، عاليًا في السماء، ولن يعود أبدًا.

– «لكن لهذا اخترتُ "صنرايز". لأنني أردته قريبًا. إنه في آخر الشارع فقط. حتى أتمكن من...»

وضعتَ يدًا على كتفي، واستطعتُ أن أشعر بثقلها عبر جسدي كله.

– «هل تتذكرين بالفعل اختيار "صنرايز"؟ هل تتذكرين بالتحديد إدخاله هناك؟»

أدرتُ وجهي. لم أعد أحتمل. تعثرتُ في طريقي إلى المطبخ لمحاولة صنع كوب آخر من الشاي حتى أتمكن من الإمساك بطرفٍ من الواقع.

أحاول التفكير في اليوم الذي توصلت فيه إلى قرار أنني لا أستطيع رعايته بدوام كامل بعد الآن. أستطيع رؤية نفسي أقلب الكتيبات في الطابق السفلي بينما ستانلي في غرفة النوم لأنني لا أريد فعل ذلك أمامه. ذكريات السهر بعد أن ينام ستانلي لقراءة المراجعات على حاسوبي المحمول. ثم... هو في "صنرايز". أحاول تخيل كيف كان الأمر عندما وجدت كتيبهم أو موقعهم

الإلكتروني، أو عندما اتصلت بهم لأول مرة. أحاول تذكر زيارتنا الأولى هناك وكيف كان الطقس.

لكنني لا أستطيع.

الذاكرة ليست هناك.

همستُ:

– «ما الذي يحدث بحق الجحيم؟»

ظهرتَ خلفي، أقرب مما كنت أتوقع. أتذكر شعوري بالارتياح والخوف، في آنٍ واحد.

– «هذا ما أحاول اكتشافه. أحتاج منكِ أن تنصتي إليّ جيدًا: شيء غريب جدًا يحدث في ذلك المبنى، ولا أعتقد أن أي شخص مسموح له بالمغادرة. وأعتقد أن ستانلي قد يكون المفتاح لمعرفة السبب.»

ثم قلتَ:

– «هل ستساعدينني؟»

ماذا حدث بعد ذلك؟

قلتُ إنني سأفعل. لقد قررتُ بالفعل أنه لا يوجد خيار آخر. شيء ما يحدث لستانلي. شيء ما يُفعل به. سألتك عما تريد مني فعله.

وماذا قلتُ لك؟

– «أحتاج منكِ أن تُهرّبيه.»

٢

ستانلي

١٩٥٠

كانت بوابات المدرسة ضخمة. مشغولةً من الحديد المطاوع، وترتفع لعشرين قدمًا على الأقل. لم يدرك كم لبث واقفًا تحتها وهي تطلُّ عليه من علٍ، بملامح التجبّر والرهبة.

كلُّ ما في حياته حتى تلك اللحظة كان ضئيلاً لا قيمة له—غرفة نومٍ عفنة، ومطبخٌ صغير، وأمٌّ منكسرة ترتعد خوفًا. وكان الشيء «الكبير» الوحيد الذي صادفه في حياته اليومية هو قبضة يدٍ تنهال عليه.

لم يكن والده يعلم أنه تقدم بطلبٍ لكلية «ويلتون»، ولا حتى أنه جلس لأداء الامتحانات. فعلى حد علمه، لم يكن الآباء من ذلك الصنف من البشر الذين تخبرهم بأشياء كهذه. كانوا كائناتٍ تُسترضى، تُتجنب، وتُهاب. لم يفهم ستانلي قط لماذا قد يحتاج أي شخصٍ إلى أب، ناهيك عن أن يرغب في واحد.

منذ سنٍ مبكرة، اعتاد أن ينظر إلى ذلك المتنمر السكّير ذي الوجه المحتقن ويقول لنفسه: «هذا ليس أصلي. لا يمكن أن يكون. ولن أسمح له بأن يكون».

كان يهمس بها لنفسه في الليل تحت الأغطية. يكررها لنفسه تحت دش الاستحمام. كان يمررها في ذهنه كتعويذةٍ مقدسة وهو يمشي في شوارع «رايهوب كوليري». الفتيان من مدن المناجم لا يفعلون شيئًا بحياتهم سوى السير على خُطى آبائهم، واللحاق بهم إلى قاع المنجم. لكن مع كل تكرار،

كان ستانلي يضيف حلقاتٍ وسلاسلَ لوعدٍ عقده وثيقًا في قلبه: قصته لن تكون قصة المكان الذي جاء منه، بل قصة المكان الذي سيذهب إليه.

وهكذا، ورغم المنزل العدائي غير المرحب—الصراخ، الاختباء، وتنظيف الفوضى—تمكن من اجتياز امتحانات القبول. وأصبح الآن طالبًا في واحدةٍ من أرقى المدارس الداخلية للبنين في البلاد. وبمنحةٍ دراسيةٍ كاملة، لا أقل.

لكن عندما صعد إلى رصيف القطار ولم يكن يحمل معه سوى خطاب قبوله وزيٍّ مدرسي مستعمل ومرقّع، توقع أن يشعر بالذنب—لتركه والدته خلفه تواجه ذلك الوحش، لتخليه عنها. ظن أنه سيغرق في الشعور بالذنب. لكنه لم يفعل. الحقيقة هي أنه لم يستطع تخيلها في أي مكان آخر سوى مع والده. لقد لازمت ذلك الرجل طويلاً حتى باتت تبدو وكأنها تنتمي إلى ذلك المكان، كما ينتمي الجرذ إلى القفص.

أما عن نفسه؟ فقد شعر بالحرية. تذوق طعمها في الريح المشبعة بأبخرة السكك الحديدية اللاذعة، التي رفعت شعره ولفحت وجهه بقوة. رآها في الأفق، عبر أميالٍ لا تحصى من الحقول الخضراء. وسمعها في صرير المكابح وقطاره يتهادى إلى المحطة.

كان هناك خجلٌ أيضًا—خجلٌ من شعوره بتلك الحرية العارمة، ومن سعادته بالهروب، ومن انعدام الشعور بالذنب. رغم أنه افترض أن الخجل شكلٌ من أشكال الذنب. تميل العواطف لتتراكم طبقاتٍ فوق بعضها هكذا: مجموعاتٌ تتداخل في عمق مجموعاتٍ أكبر، مثل الدوائر في مخطط أويلر.

أمامه الآن امتدت أربعةُ قرونٍ من الهيبة والتوقعات. وراء البوابات، كانت القناطر الحجرية والأبراج الملتوية تؤطر باحاتٍ ذات حدائق مشذبة بعناية؛ الطلاب يهرعون في مجموعاتٍ متراصة، ينسجون طريقهم بين

معلمين يرتدون العباءات الأكاديمية. كان يخطو إلى عالمٍ جديد، وكان يعلم أن عليه أن يشعر بالرهبة—بل بالرعب حتى.

لكن بالنسبة لستانلي، كان الأمر ساحرًا يسري في العروق كالكهرباء.

بانضمامه إلى الصف الثالث في سن الثالثة عشرة، وجد أن عدد الطلاب الجدد ضئيل جدًا—فالصبي الوحيد الآخر الذي بدأ في نفس العام تاه بسرعة في صخب الأيام القليلة الأولى، وفي دوامة التجارب الجديدة. كل شيء كان له اسمه الخاص—الدروس كانت «خُطباً»؛ المعلمون كانوا «أساتذة»؛ الفصول الدراسية كانت إما «قاعات» أو «أبراجاً». ظهرت فتراتٌ دراسية لم يرها من قبل على جدوله الزمني: التاريخ اليوناني، اللاتينية، الفلسفة. كان هذا كونًا أصبحت فيه الاحتمالات البعيدة ممكنة، وصارت فيه الأحلام شيئًا يُعاش في اليقظة، لا شيئًا محبوسًا في دهاليز النوم.

فكر وهو يستقر في مقعدٍ بالصف الأمامي في «البرج الثالث» لحضور خطبة عن التفاضل والتكامل: «هنا أنتمي».

لكن ببطء، بدأ يدرك أن قلةً من الناس يتحدثون إليه. ليس بشكلٍ حقيقي. كان هناك طالب الصف الخامس المبتسم الذي أراه المدرسة في يومه الأول، لكنه لم يره منذ ذلك الحين. كانت الأيام الأولى عاصفةً بالأفكار والخواطر الجديدة لدرجة أنه بالكاد استطاع مواكبتها. أشار أستاذ اللغة الإنجليزية إلى كتبٍ كان يجب على كل طفلٍ في مثل سنه أن يكون قد قرأها، باستثناء أن منزله لم يحتوِ قط على كتب؛ منزله لم يمتلك أبدًا الأمان اللازم لقراءة كتاب. وجد العلوم صعبة، واللاتينية أصعب. وحدها الرياضيات قدمت استراحةً مرحبًا بها من تلك الكثافة—مواساةً طالما منحتها إياه. كانت مجرد أرقام وأشكال، خطوط وتقاطعات. كانت منطقية. ولطالما كانت كذلك.

لكن بحلول الوقت الذي يعود فيه إلى السرير ليلاً، بينما كان الأولاد الآخرون يثرثرون ويلعبون، كان التعب يبلغ منه مبلغه فينهار على فراشه

ويغط في نومٍ عميق. وبحلول اليوم الرابع، كان قد ذاب في الخلفية—الطفل الجديد الذي لا يتكلم، شبح، نقشٌ على الجدار.

كان هناك غريبو الأطوار هنا أيضًا، لا سيما بين الموظفين. في وقت الغداء ذات مرة، وبينما كان جالسًا وحيدًا على مقعد مع زجاجة مائه وشطيرة، اقترب منه أحد الأساتذة. سيدة عجوز ذات شعر فضي.

قالت وهي تقترب منه:

— «عذرًا أيها الشاب.»

نظر ستانلي حوله، غير متأكد من سبب الحديث معه.

— «نـ... نعم؟»

— «سأحتاج إلى زجاجة الماء تلك.»

رمش ستانلي، مذهولاً:

— «زجاجة مائي؟»

مدت يدها قائلة:

— «نعم. الآن.»

لم يرغب ستانلي في إثارة جلبة، فسلمها إياها. ابتسمت له واختفت دون كلمة أخرى. بدا هذا النوع من الغرابة ركنًا أساسيًا في هذه المؤسسة العريقة، ووجده ستانلي مخيفًا بعض الشيء.

لكن «ويلتون» كانت مكانًا للفرص، لا للجبن. لقد رأى الكثير من الجبن من والدته، الكثير من القبول بقسوة الحياة. لا—لقد جاء إلى هنا ليترك الجبن خلفه.

وهكذا، بعد خطبةٍ صعبة بشكل خاص في «القاعة الصغرى» حول جمهورية أفلاطون، حاول الاقتراب من ثلاثة فتيان كانوا يجلسون أمامه. ورغم أن واحدًا منهم فقط كان طويلاً، إلا أن الثلاثة بدوا عمالقة بطريقة لم يستطع ستانلي تحديدها تمامًا—ثقة في طريقة وقوفهم، ويقين في طريقة حديثهم.

قال:

– «مرحبًا؟»

استدار الطويل منهم—فتى ذو شعر أشقر لافت ينسدل فوق عينيه مباشرة.

– «نعم؟»

– «أنا ستانلي.»

استدار الآخران معه، مثل تروس آلة. قال أحدهم:

– «أوه، انظر يا بارتي. القزم يستطيع الكلام.»

ضحك بارتي:

– «ماذا تريد أيها القزم؟»

كرر قائلاً:

– «اسمي ستانلي.»

سخر الفتى الثالث:

– «يا عزيزي. أظن أنك كسرته. إنه عالق.»

رد بارتي بصوت عملي، وكأنه يشرح مسألة رياضيات أو معادلة كيميائية:

– «هذا ما يحدث عندما تأتي من سلالة رخيصة. فكر في الأمر يا تشارلز. مثلما يشتري الناس أشياء أجنبية رخيصة فتتداعى في يوم أو يومين. إذا كانت المواد الخام رديئة، فلن تصنع منها شيئًا ذا جودة أبدًا.»

اشتعل وجه ستانلي حمرةً وحرارة. فتح فمه ليرد، لكن الرد خرج كزفرة هواء. لم يكونوا يتحدثون إليه حتى. كانوا يتحدثون عنه، وكأنه شيء. غرض مهمل يحاولون تقرير ما يفعلون به.

مال الفتى الذي يُدعى تشارلز نحو ستانلي، خافضًا صوته حتى لا يسمعه أستاذ مار:

– «إذن؟ ما الذي تريده بحق الجحيم؟»

أمام فورية السؤال، خرج من ستانلي ردٌ خافت:

— «أردتُ أن أكوّن بعض الصداقات.»

انكمش على نفسه بمجرد أن قالها، مشمئزًا من الكلمات المثيرة للشفقة التي تسللت من فمه.

انفجر الفتيان الثلاثة ضاحكين—قهقهة قاسية وصاخبة. لقد استمتعوا بالسخرية. تلذذوا بها.

قال بارتي، وقد لوى الغضب القاسي ملامح وجهه:

— «اسمع أيها القزم. لا أعرف أي توسل اضطر والداك، إن كان لديك والدان، لتقديمه لإدخالك هنا، أو أي هراء خيري من المفترض أنك تمثله، لكن بجدية، انظر إلى نفسك.» جذب زي ستانلي بعنف وشد القماش المستعمل. «أنت لا تنتمي إلى هنا. ولن تنتمي إلى هنا أبدًا. ولن يطول الوقت قبل أن تدرك المدرسة ذلك وتعيدك إلى أي حفرة قذرة جئت منها. لا تتعب نفسك بمحاولة تكوين صداقات.»

كانت أحشاء ستانلي تحترق. انقبضت قبضتاه. لكن كل ما استطاع فعله هو الوقوف هناك، متجمدًا وعاجزًا عن الكلام.

مال بارتي نحوه، على بعد بوصات من وجه ستانلي، وفجأة تذبذبت قسوته لتتحول إلى ابتسامة لطيفة.

— «أنا آسف أيها القزم الصغير. أنا حقًا آسف. لكن الأمر لا يتعلق بي أو بك. الأمر يتعلق بالجودة. عندما تأتي من أصل جيد، ليس من العدل حقًا أن تضطر للاختلاط بأشخاص من أصل سيء. هل تفهم ما أعنيه؟»

ربت على خد ستانلي صفعة خفيفة، وكأنه يتفحص حيوان مزرعة، ثم استدار ومشى مبتعدًا، وتبعه الفتيان الآخران.

بذل ستانلي كل جهده كي لا يبكي—سواء حينها أو لاحقًا في المهجع. كان لديه خبرة في كبت مشاعره، وإبقائها عميقًا تحت السطح حتى لا

يُعاقب عليها. لكن هذه المرة بدت مختلفة، لأنه برغم غضبه من التحدث إليه بتلك الطريقة، كان يعلم أنهم محقون.

تخيل ستانلي البلدة التي نشأ فيها، وسكانها الذين سوّدهم الفحم والرياح الجليدية. تخيل والده، بوجهه الأحمر المنتفخ، يترنح مخمورًا في أرجاء المنزل.

«إذا كانت المواد الخام رديئة، فلن تصنع منها شيئًا ذا جودة أبدًا.»

دفن وجهه عميقًا في الوسادة، وترك الدموع تتدفق بصمت—بصمت مطبق كي لا يسمعه أحد—حتى غلبه النوم أخيرًا في لحظة ما.

إنها ظاهرة غريبة أن يحدد حدث واحد نظرة المرء الكاملة لمكان ما. بالنسبة لستانلي، تدهورت كلية «ويلتون» بين ليلة وضحاها تقريبًا. الممرات الحجرية والسلالم الحلزونية، التي كانت تضج بالحياة، ذابت لتصبح وحلاً رماديًا بنيًا يلتصق بقدميه وهو يمشي. الوجوه الودودة للأساتذة صارت تخفي عبوسًا وسخرية خلف ابتساماتهم المدروسة، وسكاكين خلف عيونهم.

ومع تحول الأسابيع إلى أشهر وتحول الألوان إلى رماديات، تضاءل ستانلي أكثر.

استمر في حضور جميع الخطب لكنه لم يعد يجلس في المقدمة، حيث يكون مرئيًا، حيث يمكن للجميع رؤية عيوبه، وجودته الرديئة. انسل إلى الصفوف الخلفية وسقط في طيات النسيان بهدوء.

كان ذلك أسهل، هكذا أخبر نفسه. كان أسهل إن لم يره أحد.

بمجرد أن يأتي يوم الجمعة وينتهي من الفصول الدراسية، كان يقضي عطلات نهاية أسبوع كاملة دون أن ينبس بكلمة واحدة. يختبئ في المكتبة أو يستعير كتبًا ليأخذها إلى مهجعه—عن الرياضيات، والمنطق، والاحتمالات. كان لتلك الصفحات يقين، بمعادلاتها المتوازنة وبراهينها المحسوبة، يقين لم يعد يشعر به في أي مكان آخر.

حتى خلال الأسبوع، وجد نفسه يتحدث مرة واحدة فقط في الدروس، مجرد «حاضر يا سيدي» متجهّمة. في جوانب كثيرة، كان ذلك يجسد وجوده الجديد: كان موجودًا بالاسم فقط. أما بقية كيانه—آماله، أحلامه، روحه الباحثة—فكانت في مكان آخر. أو ربما في اللامكان. ربما ماتت تلك الأجزاء.

ولكن، كما يمكن لحدث واحد أن يغير مسار حياة، كذلك يمكن لشخص واحد.

كان صباح يوم خميس، وقرب نهاية فترة الغداء المبكر، حين يُسمح للطلاب الأصغر سنًا بتناول الطعام بينما يبقى الأكبر في فصولهم. كان ستانلي يجر قدميه صاعدًا إلى «البرج الثاني» لحضور درس ممل عن الأباطرة الرومان القدامى، حين توقف خارج باب مفتوح.

دوى صوت عميق في منتصف الدرس:

— «إذن؟ هل كلكم خرس؟ أم تظنون أنني أقف هنا لمتعتكم، مثل مهرج؟»

عبر عتبة الباب، ظهر رجل قصير ومحدب الظهر يستند على عصاه. كانت الصفوف الأمامية للفصل مرئية لستانلي—طلاب أكبر سنًا بكثير، ستة عشر أو سبعة عشر عامًا كما قدّر. كانوا يراقبون الرجل أمامهم بصمت وتركيز. استدار الرجل وضرب السبورة بعصاه.

— «إذا سلمنا أن (e) أس (ix) تساوي (cos x) زائد (i sin x)، فماذا يحدث عندما تكون (x) هي (pi)؟»

حدق الفصل فيه، دون كلمة.

لوح بعصاه—ليس نحو الفصل بل نحو النافذة:

— «هيا، هيا. فكروا! حلوا المسألة!»

قال ستانلي دون وعي، ثم وضع يده فورًا على فمه:

— «تحصل على صفر وسالب واحد.»

صرخ الرجل ببهجة:

– «نعم!» لم يستدر لينظر إلى ستانلي، بل بدأ في الخربشة على سبورة كانت خارج مجال الرؤية. «بالضبط! إذا كان (cos pi) يساوي سالب واحد و(sin pi) يساوي صفرًا، وبالعودة إلى معادلتنا الأصلية، يترتب على ذلك أن...؟»

لم يعرف ستانلي لماذا كان لا يزال يتحدث. كان الطلاب يميلون للأمام لينظروا إليه عبر المدخل الآن، ليفحصوه. لم يعد في الخلفية. لقد انكشف.

– «أن (e) أس (i pi) تساوي سالب واحد زائد صفر (i).»

– «بالفعل! أو، بما أن الـ (i) تُلغى بواسطة الصفر، يمكننا كتابة هذا كـ...» خربش المعادلة،

$$e^{i\pi} + ١ = ٠$$

، ثم استدار عائداً للفصل. «الآن، لماذا هذا مهم؟ لماذا نهتم؟»

لم يرغب ستانلي في الإجابة هذه المرة، مدركًا تمامًا للانتباه المصبوب عليه. تسارع قلبه في صدره. وتصبب العرق من كفيه. لكن مع ذلك، وكأن القدر يدفعه، تحدث.

– «لأن هذه خمسة من أهم الثوابت في كل الرياضيات، وجميعها موجودة هناك في نفس المعادلة المتوازنة تمامًا. إنها لغة الكون، وهي تبدو منطقية.»

قطب الرجل جبينه، مستديرًا قليلاً نحو ستانلي.

– «لماذا يبدو صوتك وكأنك لست في فصلي يا فتى؟»

– «أنا...» حدق الأستاذ الآن بتمحيص عبر الغرفة—الشعر الرمادي، الجبين المجعد، والنظارات المستديرة الكبيرة. «لأنني لست في فصلك يا سيدي.»

– «حسنًا، من الأفضل أن تدخل إذن.»

مجرد التفكير في المشي فعليًا إلى الغرفة والوقوف أمام حشد من فتيان كلية «ويلتون»—فتيان مثل بارتي، ومثل تشارلز، لكن أكبر وألأم—أرعبه. تجمدت قدماه في مكانهما.

– «أعتقد حقًا أنه يجب علي الذهاب إلى...»

– «ما اسمك يا فتى؟»

– «سـ... ستانلي.»

قال وهو ينظر بشكل غامض في اتجاه ستانلي:

– «تعال إلى هذا الفصل بعد نهاية اليوم الدراسي. في الساعة السادسة تمامًا. أنا لا أتسامح مع التأخير. هل هذا واضح؟»

– «نعم يا سيدي.»

– «جيد!» استدار عائدًا إلى سبورته البيضاء، وتابع وكأن ستانلي قد غادر بالفعل. «إذا فتحتم صفحة جديدة في كراساتكم وجهزتم أقلامكم، ستجدون...»

مذهولاً، تراجع ستانلي للخلف، محاولاً الهروب مما بدا كفخ يجذبه، فقد كان يعلم جيداً ما يحدث إذا تم الإمساك بك. وبمجرد أن خرج عن مجال رؤية الفصل، ركض، مندفعًا عبر الممر وحول الزاوية.

تهاوى على الأرض، واحتضن ركبتيه وأخذ بضعة أنفاس عميقة. عاد إلى غرفته في المنزل، يختبئ تحت الأغطية، بينما خطوات والده الغاضبة تهز الدرج. لقد كان قريبًا—قريبًا جداً—من أن يُرى مرة أخرى. لقد وعد نفسه بألا يدع ذلك يحدث. وبينما تباطأ نبضه ليعود لوتيرته الطبيعية،

حلل اللقاء. ما الذي حدث للتو؟ هل كان في ورطة؟ لماذا شعر بأنه ملزم جدًا بالتحدث؟

طاردته هذه الأفكار خلال حصص التاريخ الروماني واللاتينية، وعبر الممرات الطويلة والقاعات، وعندما عاد أخيرًا إلى ذلك الفصل، قبل خمس عشرة دقيقة كاملة من الموعد المفترض، وجد الباب مغلقًا.

انتظر. وانتظر.

ومع عدم وجود مكان للجلوس، بدت الدقائق الخمس كساعة. والعشر كأبدية.

أخيرًا، وفي تمام السادسة، طرق الباب.

انفتح الباب بمجرد طرقه، مرتدًا للخلف بصرير وكأنه لم يكن مغلقًا إلا بأخف خيوط العنكبوت. كان هناك فتيان آخران في الغرفة، كل منهما يجلس خلف مكتب. أحدهما فتى بحجمه تقريبًا—أسمر البشرة بشعر أسود، يميل بكرسيه للخلف وقد رفع قدميه على الطاولة. والثاني كان أطول—فتى آسيوي نحيل ومفرط الطول بشعر أسود ينسدل على عينيه. كان ينحني فوق مكتبه، وركبتاه تضغطان على سطحه ومرفقاه يشكلان زوايا حادة.

قال الفتى الأصغر:

— «مرحبًا. أنا جاك. ما اسمك؟»

— «ستانلي. قيل لي أن أكون هنا.»

— «نعم—هذا يحدث. البروفيسور والدمان يفعل ذلك بين الحين والآخر. لأكون صادقًا، منذ تخرج ثيو، كنت أتساءل متى سنحصل على واحد جديد. لقد كنا نحن الاثنين فقط لمدة عام جيد.» أومأ برأسه نحو الفتى الأكبر. «هذا رافاييل.»

تمتم الفتى الطويل دون أن ينظر إلى ستانلي وعيناه تجولان في كل أرجاء الغرفة:

– «راف.»

ابتسم جاك:

– «إنه يفضل راف.»

نظر ستانلي حوله في حيرة. كان خارج الباب مباشرة من قبل، لكنه الآن استطاع رؤية الشكل الكامل لهذه الغرفة، ولم تكن تشبه أي غرفة أخرى في المدرسة بأكملها. كل جدار كان عبارة عن خزانة كتب، وبخلاف التنظيم السريري في أي مكان آخر، كانت كل خزانة مغطاة بمصفوفة فوضوية من الكتب، والحلي، وألعاب الطاولة، والزخارف. كانت هناك جمجمة بشرية تجلس على أحد الرفوف. وسيف ضخم مسنود بجانب النافذة ومزرعة نمل محشورة في الزاوية.

– «أليس هذا... احتجازًا؟»

انفجر جاك ضاحكًا، وأطلق راف بضع ضحكات خافتة. لكنها لم تكن ضحكات لئيمة—ليست كالسخرية التي شقت طريقها إلى دماغه وندبته. كانت دافئة، مثل العسل.

قال جاك وهو يشير إلى الكرسي:

– «تعال واجلس. ولا—أنت بالتأكيد لست في احتجاز. أنت في السنة الثالثة أيضًا، صحيح؟ أشعر أنني رأيتك في أحد الفصول.»

أومأ ستانلي برأسه وهو يعبر الغرفة:

– «أنا جديد.»

في اللحظة التي لامس فيها جسده خشب المقعد، انفتح الباب بقوة. اقتحم البروفيسور والدمان الغرفة، وعصاه تطقطق بغضب على الأرض.

صاح موجهًا كلامه للنافذة:

– «مساء الخير! إذن، مجندنا الجديد قد وصل.»

سأل جاك:

– «كيف عرفت؟»

رمش ستانلي، مأخوذًا بجرأة السؤال. عندما مال للأمام، لاحظ الطريقة التي يحدق بها والدمان، ليس إليهم بل بعيدًا عن المركز قليلاً. القبضة المحكمة على عصاه. والعينان البيضاوان المعتمتان.

لقد كان مرعوبًا جدًا في وقت سابق لدرجة أنه غفل تمامًا عن أن الرجل أعمى.

أجاب والدمان وهو يسند عصاه إلى المكتب:

– «إنها الرائحة. أتذكرها بوضوح يا ستانلي. لديك رائحة مميزة جدًا.»

تمتم راف وهو ينظر إلى يديه:

– «هذا وقح. بعض الناس قد يجدون ذلك مهينًا.»

انفجر والدمان قائلاً، ويداه العجوزان تتحسسان مكتبه:

– «لا أرى سببًا لذلك! ها! هل فهمتموها؟ لا أرى؟»

تأوه راف.

قال جاك:

– «أنا أندهش باستمرار، أنه حتى بعد كل هذه السنوات، ما زلت تنجح في إطلاق نكات عن العمى.»

صاح والدمان ملوحًا بيده في الهواء بشكل درامي:

– «نكات عن العمى؟ لا شيء أعمى بشأنها—أعتقد أنكم ستجدون أنها ثاقبة البصيرة. ها!»

هز جاك رأسه:

– «تعلم، النكات ربما تكون أكثر إضحاكًا لو لم تشدد على بيت القصيد في كل مرة.»

حدق ستانلي فيه. لم يتحدث أحد إلى أستاذ بهذه الطريقة طوال وقته في ويلتون.

تمتم والدمان لنفسه:

— «أوه، انظروا إلى ذلك! جاك بشار العظيم يحاول تعليمي كيف أكون مضحكًا. هذا يشبه أن يعلّم حجرٌ إسفنجةً كيف تمتص الماء.» فتح بابًا وسحب رزمة ورق قديمة مهترئة. وعرج نحو الطاولات، ووضع أقلامًا وأوراقًا أمام جاك وراف وستانلي. «اليوم هو يوم الشطرنج، وسنرى ما إذا كان بإمكانكم تجنب إحراج أنفسكم. ولكن أولاً، أسئلة!»

حدق ستانلي في الورقة أمامه، محاولاً استيعاب ما يجري. اكتسب الفصل الدراسي صبغة مختلفة في الدقيقة الأخيرة؛ أصبحت الألوان أعمق بطريقة ما، وأكثر ترحيبًا. بدت الجدران أقرب قليلاً، وأربعة أشخاص كانوا أكثر من كافين لملء الغرفة. ولكن حتى مع استمرار المحادثات حوله، كان يشعر بنفسه يتلاشى.

— «من كان مستشار الخزانة الثاني والثلاثين، وتحت حكم أي ملك خدم، ومتى توفي؟»

قال راف دون أن يلمس ورقته:

— «توماس ثويتس. إدوارد الرابع، ١٥٠٣.»

تخبط ستانلي بالورقة والقلم.

ماذا كان يفعل هنا؟ لماذا أتى أصلاً؟

— «في عام ١٥٨٧، أنشأ الحاكم جون وايت مستعمرة في جزيرة رونوك فيما يعرف الآن بالولايات المتحدة. ماذا حدث لها، وما هي الكلمة المرتبطة بالحدث؟»

قال جاك:

— «أوه، أعرف هذا.» لكن لم تخرج المزيد من الكلمات من فمه. صر على أسنانه وضرب رأسه وكأنه يطرق على ذاكرته لتطفو على السطح. «أنا أعرفها.»

قال راف مبتسمًا:

– «اختفوا جميعًا. لا أحد يعرف أين ذهبوا. وكأن شخصًا ما محاهم من على وجه الكوكب. الكلمة الوحيدة التي تُركت خلفهم، محفورة على شجرة، كانت (كرواتوان)، لكنها لم تفسر شيئًا.»

– «جيد! جيد جدًا! انتبه يا جاك. إنه يصبح أفضل منك. ما هو العدد الأولي الثامن والسبعون؟»

تذمر راف:

– «آخ، الأعداد الأولية؟ حقًا؟»

– «نعم، الأعداد الأولية. الأولية، بالفعل! لا تكن وقحًا هكذا. أنت جئت إلي، تذكر يا رافاييل؟ قلت إنك تريد تعلم كل ما يمكن معرفته. لا يحق لك أن تكون انتقائيًا بشأن ما يتكون منه هذا (الكل).»

كان جاك يخربش بغضب على ورقته. نظر راف إلى الهواء، وقد عقد حاجبيه في تركيز.

حرضهم والدمان:

– «بسرعة يا فتيان. بسرعة الآن.»

قال ستانلي، والأرقام تغادر فمه قبل أن يتمكن من إيقافها:

– «ثلاثمائة وسبعة وتسعون.»

صاح والدمان:

– «جيد! جيد جدًا!» كان يذرع المكان أمام الطاولة جيئة وذهابًا. «ما هي الإمبراطورية الأطول حكمًا في تاريخ العالم بأسره، وكم استمرت؟»

حبس ستانلي أنفاسه. لقد تحدث—وجعل نفسه مركز الغرفة—ولم يرد أحد. لم يسخر منه أحد. والدمان انتقل ببساطة، وكأن ستانلي كان دائمًا هناك، واحدًا منهم، وحصوله على إجابة صحيحة في الرياضيات كان أكثر شيء طبيعي في العالم. أطلق زفيرًا عميقًا، ووجد أنه يبتسم.

قال جاك:

— «الإمبراطورية الكوشية في النوبة. ألف وخمسمائة وسبعون عامًا.»

صاح والدمان:

— «ها! خطأ! مملكة كوش هُزمت من قبل إمبراطورية أكسوم في عام ٣٥٠، مما يجعل حكمها ألفًا وأربعمائة وعشرين عامًا، أي أقصر بستين عامًا كاملة من الإمبراطورية الرومانية.»

رفع جاك إصبعًا ومال للأمام:

— «باستثناء أن حفريات أثرية حديثة في السودان تشير إلى أنه كان هناك ملوك كوشيون في نبتة قبل مائة وخمسين عامًا من تفكك المملكة المصرية الحديثة. هذا التداخل يعني أننا يجب أن نحسب الإمبراطورية الكوشية في وقت مبكر يعود إلى ١٢٢٠ قبل الميلاد.»

سأل والدمان وهو يستدير ليواجههم:

— «ماذا؟ أين قرأت ذلك؟»

ابتسم جاك عريضًا:

— «لم أقرأه. لقد لفقته من عندي.»

هز والدمان رأسه قائلاً:

— «ها! ممتاز. نعم، ممتاز للغاية. كدت تجعلني أصدقك. كدت، لاحظ ذلك. كدت. الآن، توقف عن الابتسام. قد أكون أعمى، لكن يمكنني الشعور بابتسامتك المهنئة لنفسك من هنا.»

رد جاك وابتسامة عريضة تعلو وجهه:

— «أنا لا أبتسم.»

— «أوه، هيا الآن يا جاك! الآن أنت تهينني أمام ضيفنا الجديد. أستطيع شم الابتسامة عليك. قد تكون بدأت تبرع في الخداع، لكنك لست بارعًا لتلك الدرجة. الآن—شطرنج! ستانلي، أفترض أنك تعرف كيف تلعب الشطرنج؟»

أومأ ستانلي بصمت، ثم أدرك أن والدمان لا يستطيع رؤيته. قال وهو يبتلع ريقه:

– «نعم يا سيدي. أعني، لقد قرأت القواعد، وبعض التقنيات، لكنني... لم يكن لدي أحد لألعب معه أبدًا.»

– «مأساة! مأساة مطلقة! تعال، سنرشدك للطريق.»

وبسرعة روتين مدروس جيدًا، أُخرجت رقع الشطرنج والقطع من الخزائن والأدراج. انسلّت من أرفف الكتب وظهرت من تحت المكاتب. وقبل أن يتمكن ستانلي من استيعاب الأمر بشكل صحيح، كانت هناك سبع رقع مجهزة—ثلاث أمام كل من جاك وراف، وواحدة أمامه.

– «يُلعب الشطرنج في يومي الأربعاء الأول والثالث من كل شهر. عندما تتمكن من محاصرة ملكي برقعة واحدة، يمكنك الانتقال إلى اثنتين، ثم ثلاث.»

– «وماذا لو تمكنت من هزيمتك؟»

أجاب بحدة:

– «ها! تهزمني؟ لا أحد يهزمني.»

وهكذا لعبوا، جاك وراف يعملان على ثلاث مباريات في آن واحد، يدرسان الرقع بين الأدوار ويدونان الأفكار والملاحظات على أوراقهم. ومع كل حركة، كانوا ينادون بما يفعلونه لوالدمان—«القلعة إلى موقع الملك ٥»، «البيدق إلى موقع الوزير ٦»—وفعل ستانلي المثل، ملتقطًا طريقة الترميز بسرعة. والدمان، بكونه أعمى، لم يحتج لأكثر من هذا ليحتفظ بجميع المباريات السبع في رأسه. لم يدرس الرقعة. لم ينتظر. في اللحظة التي يقوم فيها أي من الفتيان الثلاثة بحركته، كان ينادي بحركته فورًا بعد ثانية.

– «الحصان إلى فيل الوزير ٣! ها! حاول إيقاف ذلك!»

فاز في السبع جميعها. وهزم ستانلي في ست نقلات.

قبل أن يدرك ذلك، كان ستانلي هناك كل يوم بعد المدرسة. كان الأربعة يلعبون كل شيء—الطاولة، لعبة الحياة المرقعة، غو—لكن الشطرنج كانت دائمًا المفضلة لدى والدمان. كان جاك يكذب، ويدفع، ويراوغ للخروج من الزوايا الصعبة. وكان راف يتخبط بشكل أخرق في القطع لكنه يقوم أحيانًا بحركة عبقرية لدرجة تجعل ستانلي يتوقف ويحدق فقط. أما بالنسبة لوالدمان، فكان يسعد بسحق الفتيان، وبدفعهم، وبتحدي كل حركة يقومون بها.

وخلال كل ذلك، كانوا يتحدثون: كان والدمان يوصي بكتب يقرأها ستانلي حتى وقت متأخر من الليل ويعيدها لمناقشتها في اليوم التالي خلال لعبة كاروم أو كاميلوت. كان والدمان يسألهم، ويختبرهم، وبطريقة ما يجعل العملية برمتها لا تبدو وكأنها تعلم، بل وكأنها حياة.

ظل ستانلي في الخلفية في فصوله، لكن حيث كان يشعر من قبل أنه يتلاشى، وينسحب ببطء ليصبح جزءًا من ورق الجدران، كان يشعر الآن بأنه يشتعل بأفكار ومفاهيم جديدة—من باخ إلى براك، ومن ميلتون إلى باكونين.

ولأول مرة في حياته كلها، فهم ستانلي ما يعنيه أن يكون لك منزل: الأمان، الدفء، الحرية. تساءل عما إذا كان هذا هو الشعور بوجود أب، وإذا كان كذلك، فربما لم يكن ذلك شيئًا سيئًا للغاية بعد كل شيء.

في إحدى الأمسيات في أوائل ديسمبر، عندما بدأ الثلج بالتساقط للتو وكان الضوء يتضاءل، طرح ستانلي السؤال الذي كان يدور في ذهنه منذ المرة الأولى التي دخل فيها فصل والدمان.

— «كيف تفعل ذلك؟»

سأل والدمان وهو يميل فوق رقعة شطرنج راف الثانية بينما كان الفتى يفكر في خطوته التالية:

— «همم؟ تفعل ماذا؟»

– «تتذكر مواقع كل حركة وقطعة في كل لعبة نلعبها. تتذكر كل تلك الحقائق والأفكار المختلفة.»

– «ها!» اعتدل في وقفته. «هذا لا شيء. هناك أشخاص يمكنهم حفظ سبعين ألف رقم من باي. هناك أشخاص يمكنهم تسميع أعمال شكسبير الكاملة، أو الكتاب المقدس، دون أن يتصببوا عرقًا. إنه إيماني اليقيني بأن الذاكرة البشرية تمتلك أعماقًا لا حدود لها. بلا حدود! أعماقٌ بالكاد يتعلم معظم الناس خدش سطحها حتى. يمكنك حفظ كل كلمة كُتبت على الإطلاق إذا عرفت فقط كيف تفعل ذلك.»

رفع ستانلي نظره عن رقعته، ولسبب ما، تلك الكلمات التي حُفرت فيه قبل أشهر سبحت طريقها إلى السطح.

«هذا ما يحدث عندما تأتي من سلالة رخيصة... لن تصنع شيئًا ذا جودة أبدًا.»

قبض على الطاولة تحته.

– «هل ستعلمني؟»

هز والدمان رأسه بشكل مسرحي.

– «أوه، يا ولدي. ما الذي تظن أننا كنا نفعله طوال هذا الوقت؟»

٣

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
١٠ ساعات، ٤ دقائق، و٥٣ ثانية حتى الزوال

سأل حسن:

— «لقد غادرنا منزلكِ؟»

أجابت مارغريت:

— «نعم، غادرنا. ألاحظ أنك لم تعد تستخدم كلمة "Home" بعد الآن. جيد—يبدو أنك بدأت تتقن لغة المكان.»

— «هل ما زلتُ معكِ؟»

قاطعتْه قائلة:

— «انتظر لحظة. عليّ أن أسألك شيئًا. لقد كنتَ هناك معي؛ لقد عشتَ هذا الأمر. لماذا تحتاج مني أن أخبرك عنه مرة أخرى؟ هل نسيت؟»

ردّ بصوتٍ خالٍ من المشاعر:

— «لا. أنا أتذكر كل شيء. لكن منظوركِ هو المهم. إنه الشيء الوحيد الذي يهم. أنا لستُ مهمًا.»

تساءلت:

— «ماذا يعني ذلك؟»

أجاب بحدة:

— «الأمر معقد، وليس لدينا الوقت للخوض فيه. ستانلي لا يزال في خطر،

ولم يتبق سوى ساعات قليلة حتى "إعادة الضبط". كل ما يهم الآن هو أن تخبريني بكل ما تستطيعين، كل تفصيل، كل خاطرة. لا بد أنكِ رأيتِ أشياء ربما فاتتني.»

تنهدت باستسلام:

— «حسنًا، حسنًا. ليكن ما تريد يا "مات هيلم". يا إلهي، ربما لا تعرف حتى عمن أتحدث. أسوأ ما في التقدم بالسن هو أن كل من يفهم تلميحاتك إما ماتوا أو فقدوا عقولهم.»

قال:

— «أعرف من هو دين مارتن. هل لهذا علاقة باللحظة الحالية؟»

— «على الأرجح لا.»

— «إلى أين نحن ذاهبان؟»

سردت مارغريت قائلة:

— «نحن في سيارتك، لكنني لا أعرف إلى أين نتجه. يخطر لي أنني قد انجرفتُ مع اللحظة: رجل مجهول دخل منزلي، وحكى لي قصصًا غريبة عن فقدان الذاكرة ودور رعاية تتآمر علينا، وفجأة أجد نفسي في سيارته ونحن نقود إلى مكان ما.»

سأل:

— «كيف تشعرين؟»

قالت:

— «أنا خائفة من أن تكون الأشياء التي أخبرتني بها حقيقية. وأنا خائفة منك أيضًا. أنت تنظر للأمام مباشرة، يداك على المقود في وضعية العاشرة والثانية، ونظراتك مثبتة بثبات على الطريق أمامك. تنعكس الشمس على وجنتيك، وللحظة أظن أنهما ملساوين أكثر من اللازم——كأنهما من مرمر،.»

قلتُ لك حينها:

– «لقد مر وقت طويل منذ أن أخذني رجل في موعد.»

لا أعرف لماذا قلتُ ذلك. ربما لأنني لا أجرؤ على نطق الأفكار الكامنة تحته. لأن مناقشة ما نحن بصدد القيام به تبدو سخيفة إذا قيلت بصوت عالٍ.

– «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجبتَ دون أن تلتفت:

– «موظفة الاستقبال في المكتب اليوم هي إيزابيلا. إنها جديدة، لذا قد لا تكون قد رأتكِ من قبل، لكنكِ ستظلين مسجلة في النظام.»

هززتُ رأسي وقلت:

– «واو.»

كانت أصابعي تعتصر حواف المقعد بقوة، وابيضت مفاصل يدي قليلاً. حاولتُ أن أضحك.

– «يا لها من مقدمات... يبدو أنك رجل عمليّ تماماً.»

أدارت يداك المقود بسلاسة، وبشكل ميكانيكي، وأنت تنعطف يسارًا. لم يتحرك رأسك قيد أنملة.

– «لن يكون لديهم سبب للشك في أي شيء، ليس في البداية. عليكِ أن تقولي إنكِ ستأخذين ستانلي في نزهة حول الحديقة. قد لا يعجبهم هذا، لكن إذا تصنّعتِ الانفعال العاطفي، فسيسمحون بذلك. تذكري أنهم مجرد موظفين. هم لا يعرفون "الصورة الكبرى".»

سألتُ:

– «ما هي الصورة الكبرى؟»

ساد صمت طويل بيننا، وجاهدتُ لفك تعقيداته.

قلتَ موجهاً كلامك للطريق أمامنا:

– «هل تريدين مني أن أكون صادقًا معك يا ماغي؟»

اجتاحني شعور بأنني لستُ في السيارة فعليًا. وكأنك وحدك في هذه السيارة وأنا خارجها، أراقبك عبر تسجيل كاميرا مراقبة في قاعة محكمة ما.

فتحتُ فمي وأغلقته، خائفةً قليلاً مما سيخرج منه. ورغمًا عني—— رغم خفقان قلبي والسخونة التي تسري في جسدي وأصابعي التي ما زالت تتشبث بقماش المقعد——قلت:

— «نعم يا حسن. أعتقد أنني أريدك أن تكون صادقًا معي بحق الجحيم.»

كدتَ لا تبدي أي رد فعل، لكن كان هناك وميض. كان الأمر أشبه بلمح تمثال يرمش.

قلتَ:

— «تلقى الموظفون في "صنرايز" تعليمات صارمة بمراقبة ستانلي عن كثب. للتأكد من أنهم يعرفون مكانه في جميع الأوقات، لكنهم لا يعرفون السبب بالضبط. هذا النوع من المعلومات لا يتم نشره، ليس للممرضين ومقدمي الرعاية اليوميين. ومع مرور الوقت، يصيبهم التراخي. يصبح مجرد مريض آخر. هذا الكسل هو فرصتك، إلى جانب حقيقة أن لا أحد في ذلك المبنى يعرف تمامًا مدى أهمية ستانلي الحقيقية. لكن لديك فرصة واحدة: إذا ارتكبتِ خطأً، فسيعرفون، وسينتهي كل شيء.»

أجبرتُ نفسي بوعي ألا أفغر فاهي دهشةً. في لحظة ما أثناء خطبتك الصغيرة، تمكنتَ من إشعال سيجارة أخرى ووضعها في فمك. لست متأكدة كيف فاتني ذلك. جزء مني انتفض من الداخل. لقد أقلعتُ عن التدخين منذ أكثر من خمسين عامًا، لكن الرغبة لا تغادر تمامًا أبدًا، وتعود بقوة أكبر من أي وقت مضى.

ما أردتُ سؤاله هو هذا: *ماذا تعني بأن كل شيء سينتهي؟ في أي ورطة تورطني؟*

لكن بدلاً من ذلك، سألت:

— «لماذا يُعتبر ستانلي مهمًا؟»

أجبتَ وزفرتَ دخانًا طويلاً تلوى كالأفعى، فتنسمتُه رغمًا عني:

– «هذا بالضبط ما نحاول اكتشافه.»

توقفت السيارة. نظرتُ إلى يساري ورأيت أننا خارج "صنرايز" مباشرة، متوقفين على الطريق المقابل للمبنى.

قلتَ:

– «سأنتظر هنا، بعيدًا عن الأنظار. من الضروري ألا يراني الموظفون. عندما تأخذينه في نزهة عبر الحدائق، سيحدث "إلهاء". سيكون أمرًا غير سار، ومؤسفًا، لكننا نتعامل مع أناس خطرين. كوني مطمئنة أن ستانلي لن يُصاب بأذى. عندما تحين اللحظة، لا تترددي. ستعرفينها عندما ترينها. ادفعي كرسيه مباشرة خارج البوابة الأمامية وإلى الشارع.»

كنتُ قد بدأتُ بالفعل بالخروج من السيارة وفتح الباب. لا أستطيع الجزم إن كان ذلك لأنني أردت الانتهاء من كل هذا، أم لأنني لم أرغب في قضاء ثانية أخرى معك في السيارة. ومجرد أن لامست قدمي الرصيف، ناديتني:

– «ماغي؟»

التفتُّ.

رميتني بابتسامة، كانت الأكثر جاذبية وسحرًا:

– «إذا سبب لكِ أي شخص مشاكل، أريهم الجحيم.»

وبطريقة ما، وبشكل مستحيل، تدفقت موجة من الارتياح عبري، كما لو كنا قد فعلنا هذا من قبل—أنت وأنا—كما لو كنا صديقين قديمين نقوم بمقلب مجنون كما كنا نفعل في طفولتنا.

أقف الآن خارج "صنرايز"، المبنى الذي أشعر وكأنني دخلته مائة ألف مرة. يربض بسلام على جانب الطريق، لا يبدو مهددًا ولا كئيبًا، بل هو ببساطة هناك. جزء من المشهد.

تنعكس الشمس على البركة في الحديقة، وتنتصب الشجرتان على جانبيها باستقامة. العشب لا يزال رطبًا بالندى؛ والنسيم يهمس. ألاحظ، للحظة، صوت دقات قلبي، وتطبق عليّ وحدة عميقة تخترق الروح.

تمتمتُ:

— «تبًا.»

نظر إلي شاب كان يمر على يساري، قطب جبينه، ثم مضى. هل تعرف ماذا يعني ذلك؟

ماذا يعني؟

يعني أنني عجوز خرفة تتحدث إلى نفسها على جانب الطريق. هذا ما أنا عليه الآن. هذا ما أصبحت عليه. ولا أستطيع تحديد متى حدث هذا بحق الجحيم.

كانت ليا تسخر مني بسبب ذلك، عندما كانت تزورني، وكان ذلك يجعل الأمر مقبولاً. كانت تضحك علي لنسياني تشغيل الفرن من أجل العشاء أو لوضعي الغلاية في الثلاجة، وكنت أفكر: "إذا كانت هذه هي الشيخوخة، فيمكنني التعامل معها". لكن عندما لا يكون هناك أحد ليضحك معك، لا يعود الأمر مضحكًا.

آخر مرة ردت فيها على الهاتف، كانت في البرتغال— في لشبونة، أعتقد، تعمل في حانة، لكنها لم تخبرني بالتحديد. لم ترد على رسائلي لأكثر من أسبوع، وأردت فقط التحقق من أنها بخير.

قالت حين ردت: "ماذا تريدين؟". كان هذا كل شيء— لا "مرحبًا أمي". لا "كيف حالك؟"

أجبت: "هل أنت بخير يا حبيبتي؟ لم أسمع منك منذ فترة."

— "كيف تجرئين على سؤالي ذلك! أم أنك اتصلتِ للاعتذار؟ لأنني لا أريد سماعه."

أتذكر تلك الكلمات بوضوح شديد، لأنني لم أشعر بالحيرة في حياتي كلها كما شعرت حينها. آخر مرة رأيتها، جاءت لتناول الشاي. صنعنا الكعك في فترة ما بعد الظهر، وباتت الليلة عندي. عانقتني في الصباح قبل الذهاب لرؤية ستانلي في طريق عودتها إلى منزلها.

سألتها: "أعتذر عن ماذا؟ ليا—ما الذي يحدث؟"

ردت بحدة: "لا تلعبي دور العجوز الخرفة معي". حتى عبر مئات الأميال، لسعت قسوة صوتها أذني. "ليس بعد ما قلتِهِ لي. ما فعلتِهِ. أنت محظوظة لأنني رفعت السماعة أصلاً. لن أفعل ذلك مرة أخرى. تريدينني خارج حياتك؟ حسنًا. توقفي عن الاتصال بي."

لم أكن أعلم حينها، لكن الصفير الذي تبع ذلك كان علامة على آخر مرة تحدثنا فيها. مر عامان، وقد استسلمتُ تقريبًا لمحاولة معرفة السبب. هل لأنني وضعت ستانلي في دار رعاية؟ لكنها رأتني منذ ذلك الحين. كانت تدعمني. كانت موجودة عندما قمت أنا وهيوغو—أحد أقدم أصدقاء ستانلي وعراب ليا—بترتيب إقامته.

أحيانًا، في منتصف الليل، أستيقظ وما زلت أتوقع أن تأتي راكضة إلى سريرنا كما كانت تفعل وهي طفلة، خائفة من كابوس ما. في حالتي بين اليقظة والنوم، أزيح اللحاف لأسمح لها بالدخول، لكن كل ما أحصل عليه هو تيار هواء متجمد ونصف سؤال حائر على شفتي.

أحيانًا أشعر أن هذا هو ما لدي مكان الابنة الآن—فراغ بارد وأسئلة بلا إجابات.

لا أعرف حتى أين تعيش، إن كان لديها حبيب، إن كانت سعيدة.

قد تكون متزوجة، على حد علمي.

لذا، أفعل الشيء الوحيد الذي يمكنني فعله: أستمر.

عندما يصور الناس الوحدة، يميلون لإظهار العزلة، والخوف من الأماكن المغلقة—شخص مكور في غرفة مظلمة، عالق في السرير، غير

قادر على الحركة. لكن الوحدة الحقيقية هي التكرار: القيام بنفس الروتين يومًا بعد يوم دون أي شيء جديد للتفكير فيه أو التطلع إليه.

أمر ساخر حقًا. طوال فترة شبابي، فعلت كل شيء لدرء الوحدة. الشرب. الحفلات. علاقات عابرة متعددة وغير حكيمة لم تفعل شيئًا سوى تركي فارغة ومشوشة، يائسة باستمرار لشيء جديد. لم أتعلم إلا مع ستانلي أنك لا تستطيع هزيمة الوحدة بالهروب منها أو بخنقها بشيء آخر. عليك مواجهتها وجهًا لوجه أو العثور على شخص مستعد للقيام بذلك معك.

لكن الآن؟ برغم كل الحياة الرائعة التي بنيناها معًا، فإن زيارة ستانلي هي دائمًا الجزء الأكثر وحدة في يومي.

إلى أن ظهرتَ أنت، بالطبع. حتى دخلتَ ورميتَ كل شيء في الهواء. لا أستطيع أن أحدد إن كنت أحبك أم أكرهك لذلك. لا أستطيع تحديد كيف يفترض بي أن أشعر تجاهك. ثمة شيء غير سويّ تمامًا بشأنك—هذا القدر أنا متيقنة منه.

قاطعني صوتك:

— «أنتِ تتشتتين، وهذا لا يساعدنا الآن. أنا بخير تمامًا.»

ردت ماغي بانفعال:

— «لا شيء بخير في كل هذا. أنا موصولة بمحلول وريدي في مسبح مهجور، بحق المسيح. لا أعرف كيف وصلت إلى هنا أو ما الذي أفعله بحق الأرض. كل هذا يبدو كحلم جحيمي، كابوس شرس. لا شيء من هذا يبدو وكأنه يحدث بالفعل.»

قال بحزم:

— «إنه يحدث. أنا هنا، أمامك مباشرة. أنا أسجلك لأن كل ما تقولينه مهم. أنت تعبرين الشارع الآن—ماذا بعد؟»

استجمعت شتات ذاكرتها:

— «أنا—أنا أمشي عبر العشب وأصعد إلى الباب الأمامي. لقد ركّبوا إحدى

تلك الكاميرات الجديدة الفاخرة للتعرف على الوجه، وتومض في وجهي، لتخبرني أنه تم تسجيلي كقريبة. تنزلق الأبواب مفتوحة. هناك موسيقى: عزف بيانو متواصل في الخلفية. القاعة واسعة، منطقة معيشة مفتوحة مع مطبخ صغير على جانب واحد—من ذلك النوع الذي يحتوي على آلات القهوة الكهربائية التي لا يعرف أحد منا نحن العجائز المذعورين كيفية استخدامها بشكل صحيح—ومجموعة من الكراسي بذراعين على اليمين. قلة من المقيمين يجلسون منحنين فيها، عيونهم زجاجية وملتصقة بتلفزيون يعرض إعادة لبرنامج كوميدي أعرفه ولكن لا أستطيع تسميته. هناك بيانو حقيقي، بالطبع، أسفل الدرج الرئيسي، لكن لا أحد يلمسه أبدًا. العزف يأتي من مكبرات الصوت.

المكان كله يفوح برائحة الخزامى المزيفة، تلك المادة المصنعة كيميائيًا. إنها نسخة رديئة، لكنها تنجح بالكاد في تغطية الرائحة الخفية للبول ومواد التنظيف، لذا أنا ممتنة لوجودها، على الأقل.

غردت الموظفة في المكتب، وعلى وجهها ابتسامة عملاقة مصطنعة:

— "مارغريت. جميل جدًا رؤيتك مرة أخرى."

لم أرها من قبل قط. كان يزعجني في الماضي أن يتظاهر الموظفون الجدد بأنهم يعرفون اسمي بينما في الحقيقة الكاميرا عند الباب تغذيهم به مباشرة على شاشاتهم. لكنني أدركت أنهم لم يكونوا يتظاهرون على الإطلاق؛ لا أحد يكلف نفسه عناء تذكر اسم أي شخص بعد الآن. لماذا تفعل ذلك والمعلومة دائمًا موجودة هناك؟ لقد تم استبدال التفاعل الحقيقي بأصالة مزيفة يسهل محاكاتها. لا حرج في ذلك، في حد ذاته. المجتمع يتقدم، وكذلك ممارساته. لكنه يجعلني أشعر بأنني عجوز جدًا، جدًا.

قلتُ بتعمد:

– "مرحبًا. لم نتقابل من قبل. أنا هنا لرؤية زوجي، ستانلي ويب. إنه في الطابق..."

قاطعتني:

– "جناح الذاكرة، نعم. إنه أحد المقيمين المفضلين لدي."

لم تتحدثي معه حتى أيتها الحمقاء، أليس كذلك؟

هذا ما كنت سأقوله لو لم أكن على وشك تهريب زوجي من سجن لم أكن أعرف حتى أنه فيه. ولو لم أكن أكاد ألوث ملابسي من مزيج الخوف والأدرينالين المصاحب لمحاولة الهروب هذه.

ابتسمتُ لها وقلت:

– "شكرًا لك." ومشيتُ نحو المصاعد التي تأخذني إلى الطابق الثاني.

أدخلني موظف أعرفه إلى الوحدة وأخذني إلى غرفة ستانلي. إنه مستلقٍ في السرير، يحدق في التلفزيون. إنه أحد تلك الأجهزة الذكية الجديدة المرتبطة بالمبنى بأكمله. تنهدتُ.

– "هل يمكنك إيقاف تشغيل ذلك، من فضلك؟"

أومأ الموظف:

– "بالطبع سيدتي." ثم التقط جهاز التحكم وضغط زرًا.

– "ظننت أنني طلبت ألا يقضي وقتًا طويلاً جدًا وهذا الشيء اللعين يعمل. إنه ليس جيدًا لعقله."

تجمدت ابتسامة الموظف.

– "لقد طلب هو الحصول على بعض وقت التلفزيون. إنه وثائقي. عن حرب العراق. إنها تثقيفية للغاية."

انفعلتُ قائلة:

– "ستانلي يكره الحروب ويكره الحديث عنها. أوه، أيًا كان. اتركنا وحدنا إذن، هلا فعلت؟"

لم أقصد أن أكون كابوسًا هكذا، لكن رؤيته بتلك الحالة—فارغًا كتمثال مجوف أو زجاجة معاد تدويرها—تخرج أسوأ مافيّ.

أغلق الموظف الباب، وأصبحنا أنا وستانلي وحدنا. إنها غرفة صغيرة ذات واجهة لا بأس بها من الحميمية المنزلية—ورق حائط ونباتات، بعض البطانيات الجميلة، صور قديمة لستانلي في عطلة بأستراليا عندما كان أصغر سنًا—ما يكفي لجعل الزائر يظن أنها تكاد تشبه منزل شخص ما.

مع تحول شاشة التلفزيون للسواد، نظر ستانلي إليّ، عاقدًا حاجبيه.

— "لماذا فعلتِ ذلك؟"

قلتُ بلا طائل:

— "إنه أنا، ستان. أنا ماغي." إما أنه يعرفني أو لا.

— "حسنًا، أستطيع رؤية ذلك، أليس كذلك؟ ما الذي تظنينني، أحمق؟"

— "بالطبع لا، ستان."

— "أنت تتحدثين إليّ دائمًا بفوقية، تعاملينني كطفل غبي."

جفلتُ. إذا كان هناك أي شيء أكرهه أقل من عدم تعرفه علي، فهو إحدى نوبات غضبه. لم يكن هكذا أبدًا في حياته، كان دائمًا هادئًا ورزينًا، متفهمًا دائمًا.

— "حسنًا؟ ماذا تفعلين واقفة هناك؟ قلت لك أحضري لي كوب ماء."

— "آسفة، ستان." مشيت إلى الحوض وملأت كوبًا. المواسير القديمة قرقعت وكأنها لم تُشغَّل منذ وقت طويل. جعلني ذلك أدرك أنه برغم كل الزخارف عالية التقنية التي تجبر "صنرايز" المقيمين على الدفع مقابلها، فإن المبنى نفسه ربما يكون أقدم مني. تساءلت كم من الوقت تركوه متصلًا بالتلفزيون، كم من الوقت تجاهلوه.

تمتم بصوت مسموع بالكاد:

— "امرأة غبية."

أحضرتُ له الكوب ووضعته في يده، وساعدته على الجلوس. قبله بتذمر.

— "كنت محترمًا جدًا من قبل الناس، هل تعلمين؟ في الجامعات، في القوات المسلحة. وزير الدفاع منحني ذات مرة ميدالية شخصيًا."

أومأت:

— "أعرف يا ستان." أحيانًا تكون لديه ذكريات واضحة—عادةً عندما كان أصغر سنًا، قبل أن نلتقي. غالبًا ما يشير إلى حفل شواء أقامه على شاطئ بورتوبيللو في إدنبرة. وهناك تلك العطلة في أستراليا التي لا يتوقف عن الثرثرة حولها. لكن أحيانًا تحفر الأشياء الخارجية—مثل هذا الوثائقي الحربي—طريقها إلى دماغه، وتخطئ عصبوناته المتعثرة، اليائسة للاتصالات، وتخلط أجزاء منها بالذاكرة. لا شيء أفعله سوى المسايرة. الاختلاف معه سيجعله أكثر غضبًا فقط.

الحقيقة هي أنني لا أعرف لماذا جلب العمر وفقدان الذاكرة هذه القسوة لستانلي. لكن منذ أن دخل هنا، ظهر جدار حجري بيننا أخذ ينمو للأعلى ويصبح أكثر منعة. أحيانًا لا يزال بإمكاني العثور على زوايا وشقوق فيه يمكننا تقديرها معًا، بقع يتسلل منها ضوء الشمس وتبقى فيها الزهور. لكن مؤخرًا، وللعديد من الزيارات الآن، لم يعد يقدم سوى الجليد والصخر.

كان هناك وقت، حتى هنا في "صنرايز" قبل عامين، كنا نقرأ لبعضنا البعض. كان يحب أن يلقي شكسبير، أن يتبادل سطورًا من "روميو وجولييت" معي، وكنا نتظاهر بأننا مراهقان، نقع في الحب مرة أخرى لأول مرة. كل ذلك يبدو بعيدًا جدًا الآن.

قبل ثلاثة أسابيع فقط، أخبرني لأول مرة أنه يكرهني. كان غاضبًا، وبينما حاولت البقاء هادئة، لم أستطع مقاومة الدموع. قال: "أنا أكرهك". أجبته: "لا بأس يا ستان". وهز رأسه. "لا، لا—ليس لا بأس. أنا أموت. سأموت بينما ستعيشين أنت". أتذكر مشيي للنافذة ونظري للخارج نحو طيور النورس، وهي تحوم وتصرخ في السماء، وتفكيري: *لكنني لا أعيش بعد الآن يا ستانلي.*

يا لها من مزحة فظيعة كل هذا.

سألت:

– "هل نذهب في نزهة بالخارج؟ الطقس جميل حقًا يا ستان."

لوح بيده بلا مبالاة، واعتبرت ذلك موافقة. غضبه هدأ وتحول إلى فتور وانقياد. تركني أساعده للجلوس على كرسيه المتحرك وأجلسه مستقيمًا. مسحت قليلاً من اللعاب عن فمه، فجفل قليلاً، وكأنني سأضربه. بدأ هذا يحدث مؤخرًا فقط، وكأن الزهايمر قد فتح باب خوف قديم من ماضيه البعيد، خوف لم يتحدث عنه أبدًا، حتى لو كنتُ واعيةً به على مستوى ما. في حياة أخرى، ربما كنت سأسأله عنه. يبدو كل شيء متأخرًا جدًا الآن. برفق ما استطعت، دسستُ بطانية حول ساقيه وذراعيه لتدفئته.

بينما أدفعه خارج الباب، ظهر الموظف ضيق الشفتين مجددًا.

– "إلى أين تذهبين؟"

– "أوه، نحن ذاهبان فقط في نزهة حول الحديقة. ستانلي طلب ذلك." قررت أن أضغط أكثر قليلاً. "يقول إن أحدًا لم يكلف نفسه عناء إخراجه منذ أيام."

هز الموظف رأسه.

– "هذا ليس الوقت المناسب. لقد تناول عشاءه لتوّه، وسيحين وقت

الاستحمام قريبًا. لا يوجد أحد لمرافقتكم. يحتاج للالتزام بروتينه. هذا مهم جدًا هنا."

— "هل تخبرني أنني——زوجته، التي تدفع مقابل وجوده هنا——لا أستطيع أخذه في نزهة سريعة لمدة خمس دقائق؟ أي نوع من معتقلات (الغيستابو) تديرون هنا؟"

اقترب حاجباه من بعضهما في حيرة.

— "هناك قواعد يا سيدة ويب. علينا أن..."

خطوت خطوة حول ستانلي، الذي كان يحدق بفرارة في الجدار، ونحو الموظف. استدعيتُ آخر ثمانين عامًا من أفضل ما لدي من غضبِ "الجحيم ولا غضب امرأة" وغلفتُ صوتي به.

— "مما رأيته اليوم، يتم التخلي عن روتينكم المزعوم لصالح دحش المقيمين أمام التلفزيون لإسكاتهم. منذ متى وستانلي يشاهد ذلك الشيء، همم؟ هل تريدني أن أطلب رؤية النظام والتحقق من ذلك؟"

رمش بعينيه، متفاجئًا بأن عجوزًا مثلي تعرف كيف تستفيد من شبكة ذكية.

— "لم أظن ذلك. كنت أفكر بالفعل في نقله إلى دار رعاية أخرى، لكن بالنظر إلى الطريقة التي تتجاهلونه بها، أعتقد أن قراري قد اتُخذ لتوّه. سأتأكد من ذكر اسمك عندما أشرح الأمر لمديرك. الآن، سنذهب في نزهة سريعة لاستنشاق بعض الهواء النقي، كما كنا نفعل معًا لفترة أطول مما كنتَ أنت حيًا. سأكون ممتنة للغاية لو أزحت نفسك عن طريقنا بحق الجحيم."

تلعثم الرجل وأصدر صوت تمتمة بدا كبداية اعتذار، لكنني كنت قد دفعت ستانلي حوله ودخلت المصعد.

مع إغلاق الأبواب خلفي، استمتعت بمدى روعة ذلك الشعور.

سأل حسن:

— «هل قال ستانلي أي شيء لكِ في المصعد؟»

— «لا.»

— «لا شيء على الإطلاق؟»

— «إنه في إحدى تلك الحالات البعيدة، مثل الشرود. بصراحة، هو بالكاد يدرك أنني هناك.»

— «هل أوقفكِ أحد وأنت تأخذين ستانلي للخارج؟»

— «لا. كانت هناك بضع نظرات، لمحات جانبية من موظفين آخرين وأنا أمر بجانبهم، لكنني لم أتوقف. دفعته مباشرة عبر الأبواب المزدوجة في الخلف وإلى الحدائق. هناك قشعريرة في الريح لم تكن موجودة من قبل، وكأن قبضة باردة أمسكت بها وعصرت منها بضع درجات من الدفء. الهواء منعش، يكاد يكون بحريًا، رغم أننا بعيدون أميالاً عن الساحل. سرت رجفة أسفل عمودي الفقري، وتساءلت إلى أي مدى تسللتَ أنت إلى رأسي. لأنه إذا كان ما أخبرتني به صحيحًا، وإذا كان ستانلي محتجزًا بإحكام حقًا، فبالتأكيد ما كان ليكون بهذه السهولة إخراجه.»

ربما كان الموظف في الطابق العلوي مجرد شخص صعب المراس. ربما لا توجد مؤامرة على الإطلاق، وأنا هنا، أسحب زوجي من دار رعايته لتقوم أنت بفعل الله يعلم ماذا به.

ثم تذكرت الفجوات في ذاكرتي، وسرت رجفة أخرى خلالي—هذه المرة تتحرك للأعلى، إلى كتفيّ وعنقي، تشدهما بتوتر.

سمعتُ حفيفًا خلفي، واستدار رأسي بسرعة كادت تخلعه.

لا يوجد شيء هناك. تمتد المروج بشكل مسطح نحو صف من الشجيرات—شجيرات دائمة الخضرة قوية التحمل لا تحتاج للري تقريبًا—وما وراء ذلك، لا شيء.

إلا أنني متيقنة أن هناك شخصًا ما خلف تلك الشجيرات. أو، إن لم يكن،

فخلف زاوية الجدار أو ينظر من النافذة.

كنت أفكر أنني سأتجول فقط حتى يحدث "الإلهاء"، لكن الآن هناك من يراقبني. يتبعني. لا أستطيع إخبارك كيف أعرف بالضبط، لكنني لم أشعر بمثل هذا اليقين بشأن أي شيء في حياتي كلها.

دفعتُ ستانلي أسرع قليلاً. تمتم بشيء ما، همسة لم أسمعها تمامًا. لم أمل نحوه. لا يوجد وقت. دفعته نحو البوابات.

ازداد الشعور بأنني مُتتبعة مع كل خطوة. هناك عيون عند النافذة الآن، لكن لا أستطيع تحديد ما إذا كانوا مقيمين أم موظفين. أعلم أنك أخبرتني أنه سيكون هناك إلهاء، لكن يخطر لي أنني لا أملك أدنى فكرة متى أو ما هو. لقد أرسلتني عمياء، وبرغم كل شكوكي، أنا فجأة خائفة جدًا.

دمدمت عجلات كرسي ستانلي وهي تضرب الأسفلت على الجانب البعيد من العشب. أنا أدفعه الآن إلى موقف السيارات، ومن هناك، إلى الشارع. حيث أنت.

جاء صوت كاللسعة من يساري:

— "سيدة ويب؟ إلى أين تذهبين؟"

— "أوه." توقفتُ بحدة. السيدة من مكتب الاستقبال تقف هناك، وقفتها مشدودة كالبرق، وكل ادعاء بالألفة اختفى من وجهها. "أردت فقط أن أري ستانلي أحد المتاجر الجديدة عبر الطريق. كان هناك شخص كنا نعرفه يعمل..."

قاطعتني:

— "أعتقد أنه من الأفضل أن تعودي للداخل."

كانت يدها على جهاز غريب، يشبه أنبوبًا أسود صغيرًا، وتقبض عليه بجانبها كأنه مسدس. أحاول تذكر أين رأيتها من قبل. *عند مكتب الاستقبال*، يهمس صوت في عقلي.

لكن أي مكتب استقبال؟ ماذا أفعل هنا في موقف السيارات؟

— "أنا لا... لست متأكدة مما..."

قالت:

— "لا بأس يا سيدة ويب. فقط أحضريه للداخل، ويمكننا حل كل هذا."

عندها ضربني الصوت: أنين متألم من الضيق جعلني أنظر لأسفل إلى ستانلي.

إنه يمسك ذراعه ويحاول التحدث، لكن الكلمات كانت مزيجًا متداخلًا ونصف متشكل من الآهات. *يا إلهي، هل يعاني من سكتة دماغية؟*

قالت السيدة:

— "سيدة ويب. تقدمي نحوي و..."

تتعالى صيحات من داخل المبنى، تزداد علوًا وعلوًا. أطلق ستانلي زفرة وأغلق عينيه، متكومًا في كرسيه، فاقدًا للوعي.

— "إيزابيلا!" جاءت صرخة من الباب الأمامي. التفتت المرأة التي تواجهني، ويدها تضغط بقوة أكبر على الشيء الأسود الغريب. كان رجل يقف عند الباب الأمامي، ويده على فمه. "إيزابيلا——نحتاجك في الداخل الآن. نحتاج الجميع في الداخل."

هناك صرخات تنبعث من دار الرعاية بأكملها. الصوت يتدفق من النوافذ المغلقة والأبواب الموصدة، من الفجوات والشقوق في الجدران.

كان وجه إيزابيلا لوحة من الغضب.

— "ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

تلعثم الرجل، يكاد لا يصدق كلماته:

— "إنهم... إنهم يغمى عليهم يا إيزابيلا. كلهم، في نفس الوقت، فقط... ينهارون على الأرض. يسوع المسيح——كلهم يا إيزابيلا!"

حدقت في الرجل عند الباب، ممزقة بين اقتحام المكان عائدة وعدم تركنا أنا وستانلي وحدنا. رمشتُ، وعقلي ما زال غارقًا في فوضى من أنصاف الذكريات والنوايا، وذعري على حالة ستانلي يطغى عليّ.

ثم رأيتك على الجانب الآخر من الشارع، وعادت الـ "أين" والـ "لماذا" والـ "ماذا" لأفعالي تنهال عليّ كطوفان.

أنت تقف بجانب سيارتك، تومىء لي لعبور الطريق. نظرتُ مرة أخرى إلى إيزابيلا، التي التفتت إلينا بانتظار.

سيكون هناك إلهاء، أسمعك تهمس في عقلي.

قلتُ وأنا أهز رأسي وأتصنع أضعف صوت عجوز يمكنني إخراجه:

— "يا إلهي، يا إلهي العزيز، نحتاج للدخول والحصول على مساعدة له."

الرجل عند الباب يرتجف؛ يبدو وكأنه على وشك الانفجار. "اذهبي أنتِ أولاً—سأكون خلفك مباشرة مع ستانلي. أولئك المساكين يحتاجون مساعدتكم."

تنهدت إيزابيلا، وأعطتني إيماءة مقتضبة، ثم دبت بقدميها عائدة نحو المبنى، وجسدها كله يتموج بالغضب.

قمت بمحاولة ضعيفة لتدوير كرسي ستانلي. وبمجرد أن وصلت للباب، ودخلت، ركضتُ هاربة.

اندفعتُ للأمام، عابرة الطريق نحوك. لم أفكر في المركبات أو الأخطار.

لم تتزحزح قيد أنملة، رغم أنك بدوت وكأنك تدفعني بالإرادة للعبور، وتساءلت للحظة إن كنت لا تستطيع التحرك، إن كان الطريق بينك وبين دار الرعاية نوعًا من الخط الذي تعجز جسديًا عن عبوره.

لستُ سريعة كما أريد أن أكون.

أريد أن أنطلق—أن أعدو للأمان—لكنني لا أستطيع الوصول لأكثر من مشية سريعة، خاصة مع حملي لمقعد متحرك يحوي مريضًا يئن كأمتعة.

لا أنظر للخلف. لا أستطيع.

— "هي، توقفي!"

هناك خطوات على الرصيف خلفي.

أنا ألهث بشدة. أحاول الإسراع، لكنني لا أستطيع. جسدي لا يسمح لي.

كل ثانية تبدو كساعة، كل قدم كميل.

عندما وصلت أخيرًا للرصيف على الجانب الآخر، على بعد ياردات منك، أمسكت يد بكتفي وأدارتني.

وجه إيزابيلا، أحمر قان ومتشنج من الغيظ، على بعد بوصات. قبضتها قوية—قوية جدًا على عظام قديمة كعظامي—ويبدو الأمر وكأنها تسحق كتفي ليصبح غبارًا. أطلق ستانلي أنينًا صغيرًا آخر.

ثم أصبحتَ أنت هناك. بجانبنا نحن الاثنين.

اتسعت عينا إيزابيلا، وكأنها رأتك من قبل. انفتح فمها لتتحدث، لكنك وضعت يدًا على وجهها، فتوقفت. خمد صوتها. ارتخت ذراعاها. حدقت بي، وكل غضب، كل عاطفة، كل أي شيء، اختفى تمامًا من وجهها. إنه أمر غير بشري، مثل دمية عرض، مثل قشرة من جلد غُرِف كل ما بداخلها في لحظة.

أردت أن أصرخ، لكنني لم أستطع.

كنت قد رفعت ستانلي بالفعل، وربطت حزامه في المقعد الخلفي.

صرختُ:

— «ماذا فعلت به؟ بها؟ ماذا فعلت بهم جميعًا؟»

قلتَ ببرود:

— «سيكونون بخير. اصعدي. حان وقت رحيلنا.»

فعلتُ ذلك، وأنت جلستَ هناك فحسب. تصرفتَ... وكأن شيئًا لم يكن. وأنا لا أفهم. ليست لدي أدنى فكرة عما أفعله.

سأل حسن:

— «إلى أين نذهب؟»

— «ماذا؟»

— «التالي؟ إلى أين نذهب؟»

— «لا أعرف... أنا آسفة. هذه الذكريات كلها تدور في رأسي كدوامة. إنها حية جدًا. رعب الأمر. الجنون المطبق، المطلق. ماذا فعلتَ بها؟»

— «هذا ليس مهمًا.»

— «انتظر——لا، توقف. أين ستانلي الآن؟ في هذه اللحظة؟»

— «هذا ما نحاول تحديده.»

— «كيف لا تعرف؟ لماذا نحن فقط، أنت وأنا، في هذا المسبح اللعين؟ يا إلهي.»

— «ما الأمر؟»

— «أين ليا؟ هل فعلتَ شيئًا لها؟ هل تعرف عن أي من هذا؟ شخص ما يجب أن يخبرها.»

— «إنها لا تهم الآن.»

— «إنها تهمني أنا.»

— «هذا لا يُحدث أي فرق.»

— «لا يمكنك قول ذلك. أحتاج أن أعرف ما الذي يجري هنا، وإلا فلن أنبس بكلمة أخرى. لن أخبرك بأي شيء آخر.»

— «إذن سأترككِ هنا. إذا توقفتِ، فلا يوجد سبب لبقائي. ستكونين وحيدة تمامًا. لن يأتي أحد لمساعدتك. هل هذا ما تريدينه؟»

— «لا——يا إلهي، لا.»

— «إذن ركّزي. ماذا يحدث الآن؟ نحن في السيارة الآن، نقود؟»

— «أنا... نعم.»

— «ماذا يحدث تاليًا؟»

— «أرجوك.»

— «ماغي، استمعي لي. ماذا يحدث تاليًا؟»

استرسلتُ قائلة:

– «أنت تقود. وأنا بجوارك، لا أتحدث حقًا. ستانلي لا يزال فاقدًا للوعي، وللحظة أصابني الذعر، أتساءل إن كنتَ قد فعلتَ به الشيء نفسه الذي فعلته بتلك المرأة المسكينة. لكن بنظرة خاطفة إليه، أدركتُ أنك لم تفعل. وهو نائم، يبدو مختلفًا؛ لا يزال هناك إنسان في الداخل.

بعد حوالي عشرين دقيقة من القيادة، سألتُ السؤال الوحيد الذي شعرتُ أنني أستطيع طرحه دون تعريض ستانلي ونفسي لمزيد من الخطر.»

سألتُ:

– «كيف جعلتهم جميعًا ينهارون هكذا؟ هل وضعتَ شيئًا في طعامهم عند العشاء؟ يا إلهي يا حسن—هل خدرتَ كل أولئك الناس؟»

لم تتكلم، لكنني أقسم أن زاويتي شفتيك ارتفعتا قليلاً في ابتسامة خفيفة.

– «أنت مجنون. هذا جنون. لماذا فعلنا ذلك للتو بأولئك المساكـ... لماذا نفعل أيًا من هذا؟»

قلتَ بهدوء:

– «لم أكن صادقًا معكِ تمامًا يا ماغي.»

اعتدلتُ في جلستي، وبذلتُ قصارى جهدي لاستعادة رباطة جأشي، وأجبتُ بنبرة واضحة ومتزنة:

– «يا للمفاجأة.»

قلتَ:

– «ثمة شيء داخل رأس ستانلي بالغ الأهمية. شيء فعله، منذ زمن طويل جدًا، قبل أن يقابلك. خيار اتخذه. ومصير حياتنا جميعًا يعتمد على معرفة ما كان ذلك الشيء بالضبط.»

رمشتُ بعينيّ. ليس من المألوف أن تسمع عبارات مثل "مصير حياتنا جميعًا" وتأخذها على محمل الجد. لكن ثمة شيئًا في الطريقة التي تقول بها الكلمات. إنها كالحجارة والملاط. كسلسلة جبال. راسخة لا تتزعزع.

قلتُ:

— «لكن ستانلي لم يعد يستطيع تذكر شيء. لا يمكنه الوصول إلى أي من ذكرياته.»

أجبتَ:

— «أعرف. ولهذا السبب ستقومين أنتِ باقتحام رأسه واستعادتها من أجله.»

٤

ستانلي
١٩٥٢

بينما كان ستانلي يرتقي الدرجات المؤدية إلى فصل والدمان، دهش من مدى استمتاعه بهذا الشعور المفعم بالحنين والألفة. قبل عامين فقط، كانت كل الأشياء المألوفة خطيرة. وكان كل روتين مدعاة للخوف، أو للقلق على أقل تقدير. نعم، صحيح أن "ويلتون" لم تكن أرض الأحلام الخيالية التي تصورها ذات يوم. بل في الحقيقة، كانت في كثير من الأحيان نقيض ذلك تمامًا. لكن في نادي والدمان، وجد ملاذًا آمنًا وسط الخطر. وعلى مدار العامين الماضيين، تفوّق ذلك الأمان على كل ما عداه تقريبًا.

قال جاك، متحديًا ستانلي بمجرد دخوله الغرفة:

— «البيدق إلى موقع الملك ٤.»

رفع ستانلي حاجبًا. مال جاك بظهره على كرسيه ورفع يديه مستسلمًا.

— «أعرف، أعرف. الدفاع الصقلي. حركة تبدو غير مثيرة للجدل. لكن هل تكمن وراءها حيلة؟ خدعة؟ خدعة مزدوجة؟» ثم اندفع للأمام، ضاربًا بيديه على المكتب. «خدعة ثلاثية؟»

أجاب ستانلي:

— «البيدق إلى فيل الوزير ٤.»

لم تكن هناك رقع شطرنج، ولا قطع. هكذا باتوا يلعبون الآن، مثل والدمان، في الدهاليز العميقة لذكرياتهم الخاصة. في الزاوية، جلس فتيان

آخران متقابلين، يلعبان على رقعة حقيقية. هيوغو وآرتشي، كلاهما طالب في السنة الأولى جندهما والدمان مؤخرًا، وكانا أصغر من ستانلي بأربع سنوات كاملة، وغالبًا ما كانا منعزلين.

تنهد جاك:

— «تفريعة نايدورف؟ يا لها من حركة مملة. ليس لديك أي حس درامي على الإطلاق يا ستان.»

انزلق ستانلي إلى مقعد بجانبه قائلاً:

— «هوسك بالدراما يجعلك تخسر.»

رفع جاك إصبعًا طويلاً:

— «آه. لكنني أخسر بأناقة.»

ابتسم ستانلي. جاك، الفتى الصغير الذي تعثر به في غرفة والدمان، قد نما بشكل كبير في الحجم والشخصية. لقد أصبح أطول حتى من راف——العضو الآخر في فريقهم الصغير——وعلى الرغم من ميله للمبالغة المسرحية، أثبت أنه ذكي للغاية، وإن كان عرضة للغطرسة التي تصاحب ذكاءً كهذا. لم يكن أي من هذا يهم ستانلي بالطبع. لم تكن هذه الأمور تهم أبدًا عندما تتعامل مع صديق.

— «الحصان إلى القلعة ٣.»

تمتم هيوغو من خلفهم:

— «تلك حركة سخيفة.» مما جعل ستانلي يرفع حاجبيه. نادراً ما كان هيوغو ينطق بكلمة.

ابتسم جاك ابتسامة عريضة:

— «ومع ذلك فقد لُعبت. هل رأيتما راف اليوم؟ بصراحة، الأمر مضحك للغاية.»

سأل ستانلي:

— «عما تتحدث؟»

ابتسم جاك:

– «أوه، ألم تكن تعلم؟»

– «لم أكن أعلم مـ...»

انفتح الباب على مصراعيه. وعرج والدمان إلى الداخل، عصاه تطقطق على الأرضية الحجرية.

تمتم قائلاً:

– «ليت هذا الجسد الصلب يذوب، ويذوي، ويتحلل ندىً! أو أن الأبديّ لم يشرع قانونه ضد قتل النفس! يا إلهي، يا إلهي! كم تبدو لي كل شؤون هذه الدنيا موحشة، وعفنة، ومسطحة، وبلا جدوى!»

عندما وصل إلى المكتب، استدار ليواجه الفتيين—أو بالأحرى، إلى اليسار منهما قليلاً—وقال:

– «أكملاها.»

انفجر جاك ملقيًا السطور التالية:

– «تبًا لها! آه تبًا! إنها حديقة غير معشبة نمت حتى أصبحت بذورًا. والأشياء الفظة والكريهة في الطبيعة تملكها وحدها.»

أضاف ستانلي:

– «أن يؤول الأمر إلى هذا! مات منذ شهرين فقط.»

تابع والدمان، واضعًا عصاه وخلع سترته:

– «كلا، ليس كثيرًا، ليس شهرين. ملكٌ ممتازٌ كهذا، كان مقارنةً بهذا كأنه هايبريون مقارنةً بساتير.»

توقف، وساد صمت في الغرفة. اقترب حاجباه من بعضهما، وعيناه الحليبيتان البيضاوان تبحثان. نظر كل من هيوغو وآرتشي للأعلى، رغم علمهما أنه لم يُتوقع من أي منهما بعد أن يسردا أعمال شكسبير عند الطلب.

– «حسنًا؟ رافاييل؟ هل ستخبرني كم كان الملك الميت محبًا لوالدتك؟ أم أنك لا تستطيع تذكر هذه المناجاة بالتحديد؟»

قال ستانلي:

– «راف ليس هنا.»

تمتم والدمان:

– «ماذا؟ ليس هنا؟ في الخمسين سنة الماضية، لم يمتلك طالب واحد الجرأة للتأخر عن أحد اجتماعاتي.»

لكزه جاك:

– «أنت لم تكن تدرس منذ خمسين عامًا.»

– «أعرف يا جاك. هذه تسمى مبالغة. باه! تخبرني كم قضيت في التدريس! هذا كمن يخبر سمكة كيف تسبح!»

صر الباب مفتوحًا. وبطأطأة رأس، دلف جسد راف النحيل ببطء إلى مقعده وانهار فيه، كبرج متهاوٍ.

وضع رأسه على الطاولة، بعبوس، مثل كلب متعب.

سأل ستانلي:

– «أنت بخير؟»

أصدر راف همهمة غير ملزمة.

قال جاك بابتسامة:

– «إنها آلام الحب غير المتبادل.»

رد راف:

– «اخرس. أنت لا تعرف عما تتحدث.»

– «ستانلي بالتأكيد لا يعرف عما أتحدث، ولا أعتقد أن البروفيسور والدمان يعرف أيضًا.»

اعتدل راف في جلسته، وشد قبضتيه.

– «فقط دع الأمر وشأنه، هلا فعلت؟ لماذا لا تتركه وحسب؟»

– «لأنه مهم يا راف. إنها لحظة حاسمة. يجب أن نتشارك جميعًا فيها.»

سأل ستانلي:

– «ما هو؟»

أطلق آرتشي ضحكة مكتومة، لكن راف رماه بنظرة جعلته يعيد تركيزه فورًا على لعبة الشطرنج مع هيوغو.

قال والدمان وهو يخطو بضع خطوات نحوهم:

– «بالفعل، ما الذي أرسلك إلى مثل هذا الاكتئاب يا ولدي العزيز؟ أستطيع شم الحزن عليك. رائحتك تفوح به.»

أسقط راف رأسه مرة أخرى على الطاولة.

– «قلت إنه ليس مهمًا.»

أمال جاك رأسه إلى الجانب:

– «راف طلب من فتاة (رايبورن) تلك مرافقتها إلى رقصة يوم المؤسس.»

أطلق راف أنينًا عميقًا ودفن رأسه أعمق في ذراعيه.

سأل ستانلي:

– «الفتاة التي كنت تدرّسها؟ كيف... كيف سار الأمر؟»

زأر والدمان ضاحكًا:

– «كيف سار الأمر؟ ولد غبي. هذا كمن يسأل الشمس كم هي ساخنة. استمع إليه! القدمان المتثاقلتان، التنهيدات العميقة والعاطفية. يا إلهي، إنه الصورة الحية للحب من طرف واحد!»

قال راف موجهًا كلامه لسطح المكتب:

– «ألا يمكننا التوقف؟»

ألح جاك:

– «أوه، أعتقد حقًا أننا يجب أن نستمر. أريد أن أسمع بالضبط كيف...»

– «جاك.» لم يكن صوت ستانلي قاسيًا في العادة، لكن عندما كان كذلك، كان كالفولاذ. «اترك الأمر.»

– «كنت فقط...»

– «جاك.»

رفع يديه في استسلام ساخر:

– «حسنًا، حسنًا. كما تقول. أنا، بالطبع، لدي موعد بالفعل للرقص.»

قال راف:

– «أنا لا أصدقك. كيف حصلت على موعد؟»

هز جاك كتفيه:

– «الإصرار. إنها حقًا مجرد لعبة أرقام. إذا كنت ستأخذ كل رفض بشكل شخصي لعين، فلا عجب أنك...»

أصر راف:

– «إنه شخصي. فتاة ترفضك لأنها لا تحبك. لا يوجد سبب آخر. إنه حرفيًا أكثر شيء شخصي يمكن أن يكون.»

– «كل ما أقوله هو...»

بينما كان الاثنان يتشاجران فوق رأسه، جفل ستانلي. مع مناقشة العالم خارج هذا الفصل الدراسي، تبخر شعوره بالسلام. لم يسأله أي من الفتيين عما إذا كان قد كلف نفسه عناء تأمين موعد للرقص. كانوا يعرفون أنه لا جدوى من ذلك.

لأنه على الرغم من هذه المساحة الوحيدة التي منحت ستانلي شبه انتماء، فإن "ويلتون" نمت حوله كبدلة غير مناسبة، تضيق في كل الأماكن الخاطئة. شعر بذلك في كل قهقهة وتعليق هامس حول ملابسه؛ ورآه في كل ابتسامة ساخرة نصف مخفية.

لكن الأمر كان مقبولًا لأنه على الأقل كان آمنًا.

يمكنه تحمل أي شيء طالما كان آمنًا.

استدار والدمان، الذي كان يعبث شاردًا بأشياء صغيرة على مكتبه، لينظر إلى ستانلي. أو، على الأقل، بدا الأمر كذلك أحيانًا. فبينما كان يعلم أن تلك العيون الغائمة لا ترى شيئًا، كانت هناك لحظات——ومضات قصيرة——بدا فيها أنها ترى كل شيء دفعة واحدة.

قال والدمان، وصوته يقطع كلمات الأولاد كشرائط:

— «أعتقد أنه حان الوقت لننتقل إلى مناقشات أكثر إثمارًا. هناك مواضيع أكثر أهمية للسؤال عنها، بعد كل شيء، والوقت لا ينتظر أحدًا. مجندونا الجدد، كم رقمًا وصلنا إليه؟»

رد هيوغو بحماس:

— «أنا عند ثلاثة وخمسين رقمًا من باي يا بروفيسور. وآرتشي أنجز خمسة وسبعين الليلة الماضية. لقد راجعتها معه.»

أومأ له ستانلي بإعجاب:

— «عمل جيد.»

انتفض راف، متحمسًا للمشاركة في المحادثة الجديدة:

— «كسرت رقمي القياسي في عطلة نهاية الأسبوع. أنا عند أربعة آلاف وسبعة وخمسين.»

انفغر فم هيوغو:

— «واو.»

صاح والدمان:

— «ها! ممتاز! جيد أن أرى لا شيء يعيقك! وبالنسبة للسيد بشار والسيد ويب، أين يقف السيدان؟»

أخذ جاك نفسًا عميقًا ونفخ صدره:

— «ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعة وتسعون. استخدمت تقنية صور الألوان التي أريتني إياها الشهر الماضي، وهي تؤتي ثمارها حقًا. ربما يمكنني المضي قدمًا مع المزيد من الدروس الفردية.»

قال والدمان:

— «همم. نعم، عمل قوي.» أومأ جاك، وعيناه تلمعان بنهم. «سنرى يا سيد بشار. سنرى. وستانلي؟»

تململ ستانلي في مقعده:

— «سبعة آلاف وثلاثة.»

استدار راف وجاك كلاهما كجسد واحد، مذهولين، لينظرا إليه.

— «ماذا؟ مستحيل.»

استعاد جاك توازنه، ثم سخر:

— «هراء.»

ضرب والدمان عصاه بقوة على المكتب، فقفز جميع الأولاد.

— «لن أقبل اتهامات بالكذب في هذه الغرفة. ما نفعله يقوم على الثقة. بدون ثقة، نحن لا شيء. لا شيء!» وضع عصاه مرة أخرى، ثم استدار، بحرارة، عائدًا إلى ستانلي. «يا ولدي العزيز، هذا مثير للإعجاب للغاية. لا أطيق الانتظار لسماع تسميعك. ما التقنية التي استخدمتها؟»

— «قصر الذاكرة التقليدي، لكن تجميع الأرقام في ثلاث خانات لم يكن يعطيني كفاءة كافية. لم أستطع تخيل مشهد كبير بما يكفي. لذا بدأت بتجميعها في أربع، ثم خمس.»

قال جاك غير مصدق:

— «خمس؟»

قال ستانلي:

— «نعم. لم يكن الأمر سهلاً، لكن بمجرد أن تعتاد عليه، يصبح ممكنًا.»

— «لم أفكر حتى في القيام بخمس.»

قال والدمان رافعًا إصبعًا طويلاً:

— «وهذا هو ما يصنع كل الفرق.»

تراخى جاك عائدًا إلى كرسيه، منزعجًا.

— «حسنًا، جيد جدًا. جيد جدًا بالفعل! اليوم، أسئلتنا ليست عملية بل فلسفية. أخبروني—لماذا نعمل على ذاكرتنا؟»

ارتفعت يد راف بسرعة. نظر جاك بعبوس إلى مكتبه.

سأل والدمان:

— «آرتشي؟»

قطب الفتى الصغير جبينه، غير مرتاح قليلاً لوضعه تحت الضوء:

— «الذاكرة تساعدنا على التعلم، والمعرفة قوة.»

أومأ والدمان:

— «مبتذل قليلاً، لكن المعنى يحمل وقارًا. نعم، رافاييل؟»

قال راف:

— «بناءً على ما قاله آرتشي، الذاكرة هي أساس الخبرة. الدراسات التي أجريت على الخبراء في مجالاتهم، سواء كانوا أساتذة شطرنج كبار، أو عازفي بيانو في الحفلات، أو جنرالات عسكريين، تظهر أن أحد الاختلافات الرئيسية هو ذاكرتهم العاملة في ذلك المجال. يمكن للأستاذ الكبير استرجاع مباريات كاملة بشكل مثالي. يمكن لعازف البيانو تذكر ساعات وساعات من المقطوعات. الجنرالات يعرفون بفطرتهم التكتيك الأفضل، والاستراتيجية الأفضل، لكننا نعلم جميعًا أن الحدس لا وجود له. الحدس يقوم على الذاكرة اللاواعية. كلما تذكرت أكثر، كلما استطعت الفهم أكثر.»

أومأ والدمان برأسه:

— «إجابة جيدة. إجابة نبيلة. ستانلي؟»

— «لأن هوياتنا تحددها تجاربنا، وتجاربنا هي مجرد مجموعة من ذكرياتنا. بهذا المعنى، ذكرياتنا—الواعية واللاواعية—هي ما تجعلنا بشرًا. بدون ذاكرة، سنكون ألواحًا فارغة. سنكون فارغين.»

أجاب والدمان:

— «ها. نعم. ممتاز. وأشعر بقدوم (إذن)؟»

— «إذا كانت الذاكرة هي ما تجعلنا بشرًا، فبالتأكيد القدرة على تذكر المزيد تجعلنا أكثر بشرية.»

— «يا له من مفهوم رائع! أنا أعشقه! جاك؟»

— «ما قالوه.»

— «عفوًا؟»

— «كنت سأقول القليل مما قاله ستانلي والقليل مما قاله راف. ليس لدي المزيد لأضيفه.»

قطب والدمان جبينه لكنه هز كتفيه واستدار مبتعدًا.

— «حسنًا جدًا! الآن—أوراق اللعب السريعة. الفائز يشتري لي غدائي غدًا!»

انتشر الأولاد في أرجاء الغرفة، يفتحون الأدراج ويخرجون رزم أوراق اللعب. تحركوا بيقين آلة مزيتة جيدًا، ينفذون روتينًا تم اتباعه مرات أكثر مما يمكن عده.

معًا، وضعوا الأوراق على الطاولة، إلى جانب ساعات رملية خشبية صغيرة ينساب رملها لدقيقتين، وخمس دقائق، وعشر دقائق، وتحدوا بعضهم البعض. كانت أوراق اللعب السريعة بسيطة: كم عدد الأوراق في رزمة مخلوطة عشوائيًا يمكنك تعلم تسميعها في عشر دقائق، أو في خمس، أو حتى في دقيقتين؟ هل يمكنك تذكر أكثر من اللاعبين الآخرين؟

ومع استقرارهم في هذا الروتين القديم، انقشع عبوس راف، ومعه إحباط جاك. انفتح هيوغو وآرتشي، وازدادت ثقتهما. وخرج ستانلي أيضًا من القوقعة التي شعر بأنها تغلق حوله. مازحوا بعضهم، وتحدوا، وضحكوا. وطوال الوقت، كان والدمان يصول ويجول بينهم، يضرب بعصاه

بين الحين والآخر عبر الطاولة كمشتت للانتباه أو يدفع أحدهم للمضي ورقة أبعد، وثانية أقصر.

قبل مضي وقت طويل، مرت ساعة، ثم ساعتان. وعندما توقفوا أخيرًا لالتقاط الأنفاس، كانوا منهكين، عقليًا وجسديًا، ومليئين بشعور عميق بالبهجة. *هذا ما خُلقت الحياة لأجله*، فكر ستانلي وهو ينظر إلى زملائه الرياضيين في الذاكرة. *هذا* هو سبب *وجودي هنا*.

***

كانت رقصة يوم المؤسس تقليدًا يعود لأكثر من مائتي عام. يرتدي فتيان "ويلتون" ملابسهم الأنيقة ويرافقون، إذا حالفهم الحظ، الفتيات من كلية "رايبورن"، على الجانب الآخر من الطريق.

تتحول القاعة الرئيسية إلى ساحة رقص رسمية، حيث يقضي الطلاب الأمسية في فوضى من الارتباك والبلوغ، ومن المغازلة سيئة التصميم وطقوس التزاوج التي بالكاد يعيها أصحابها، تحت إشراف عين الموظفين الساهرة.

زُينت الجدران الحجرية باللافتات واللمعان، وكُسيت الطاولات بالقماش والزينة. ارتدى الطلاب أفضل ملابسهم: بدلات رسمية وربطات عنق فراشية اشتراها لهم آباؤهم، أزرار أكمام وساعات متوارثة جيلاً بعد جيل.

لم يشعر ستانلي قط بأنه في غير محله كما شعر في حياته كلها.

لكنه جاء، مدفوعًا بجاك وراف. كانوا ثلاثتهم غرباء—غريبي الأطوار الخاصين بوالدمان الذين يعرفون الكثير عن أشياء غريبة ويتجمعون بعد الفصل. كان الناس يتحدثون عنهم، وكان ستانلي يعلم ذلك. يتهامسون خلف ظهورهم. كان يعزي ستانلي أن يعرف أنه مهما كان ما سيواجهه هذا المساء، فلن يضطر لمواجهته وحده.

لكن جاك وراف كانا يعرفان بعضهما لسنوات قبل وصول ستانلي إلى "ويلتون"، ورغم كل مشاحناتهما، كان يعلم أن شيئًا أعمق يجري تحت صداقتهما، شيئًا لم يغص فيه تمامًا بعد. ورغم أنهم كانوا ثلاثيًا لا يتجزأ في رأسه، لم يكن ستانلي متأكدًا من أن الاثنين الآخرين يرون الأمر بنفس الطريقة تمامًا.

قال جاك لهما وهو يمسك كوبًا من الشراب:

– «هيا. موعدي هناك، وصديقاتها من النوع الجيد. على الأقل، يا راف، يمكنك المحاولة مرة أخرى.»

– «لا أريد أن...»

– «تذكر فصل البروفيسور هالك، في السنة الثانية؟ عندما أفسدت العرض التقديمي بشكل سيء لدرجة أنك ظننت أنك تريد الموت؟ ماذا حدث؟»

زفر راف:

– «أعرف ما حدث يا جاك. كنت هناك.»

– «إذن أخبرني.»

– «جعلتني أتوسل هالك لمحاولة أخرى، ونجحت بامتياز.»

– «بالضبط. إذن لنذهب.»

تنهد راف، وبدا مستسلمًا للمحنة، وتبعهم. تلكأ ستانلي للحظة، واقفًا بشكل غريب بجانب وعاء الشراب. لم يخاطبه جاك، بالطبع. كان جاك يعلم أن أياً من الفتيات لن ترغب في التحدث مع ستانلي. لكن مع كل خطوة ابتعدوا بها عنه، شعر بذعر متصاعد. لم يكن لديه مكان آخر يذهب إليه، فتبعهم بخطوات متثاقلة.

أعلن جاك:

– «أيتها السيدات! تبدون جميعًا مذهلات الليلة.»

التفتت الفتيات، متفحصات إياه من أعلى لأسفل. قلبت قلة منهن عيونهن. الفتاة التي كان من المفترض أن تكون موعد جاك انكمشت قليلاً، وأدارت رأسها بعيدًا. لم يبدُ جاك مكترثًا.

— «هل قابلتن صديقي راف؟»

أمسك جاك ذراع راف وجذبه للأمام، وتعثر راف ليصل إلى وسط المسرح، محاطًا بمجموعة من الفتيات.

قال:

— «مرحبًا. أنا راف.» فضحكن بخفّة.

قالت إحداهن:

— «مرحبًا. راف ليس اسمًا آسيويًا جدًا.»

قلب راف عينيه:

— «أرجوكِ—عائلتي هنا منذ منتصف القرن التاسع عشر. ربما أكون إنجليزيًا أكثر من الملكة الجديدة.» همست فتاة في أذن أخرى. نظر راف لأسفل وأطلق تنهيدة استسلام. «هل يريد أحد الرقص؟»

— «حسنًا.»

رفع راف رأسه بسرعة، محدقًا:

— «ماذا؟»

هزت الفتاة كتفيها، محمرة قليلاً:

— «نعم، حسنًا. بالتأكيد.»

هز رأسه، وكأنه ينفض عنه غبارًا:

— «أوه. حسنًا، إذن.»

وبينما تشابكت الأيدي ونما السحر الحلو الذي لا يمنحه إلا الرقص، داروا جميعًا حول ستانلي مثل رفرفة الفراشات—زوبعة فوضوية من الفساتين والقمصان، من الهمسات والوعود. وعندما ذهبوا، بقي وحيدًا. منسيًا.

وقف هناك لبعض الوقت، متسائلاً عما إذا كان أي شخص سيلاحظ لو استلقى ببساطة على الأرض وبقي هناك لبقية المساء. متسائلاً عما إذا كان أي شخص سيلاحظ لو صرخ.

عاد متثاقلاً إلى طاولة الشراب. ووقف هناك لبعض الوقت أيضًا.

انجرف المساء أمامه. التقط لمحات لجاك وراف وهما يمران للاطمئنان عليه قبل العودة إلى رقصاتهم ورفيقاتهم. في كل مرة، أخبرهم أنه بخير، ألا يقلقوا بشأنه، وأنه في المكان الذي يريده تمامًا.

لكن ذلك لم يكن صحيحًا تمامًا. لأنه لم يرغب حقًا في أن يكون في "ويلتون". والحق يقال، لقد كره المكان هنا. لكنه كان آمنًا. وبعد مجيئه إلى هنا هربًا من منزل والده، لم يبدُ الذهاب إلى أي مكان آخر خيارًا حقيقيًا أبدًا.

كان على وشك المغادرة عندما ربت جاك على ظهره.

— «تبدو كأن شخصًا ما قد مات، يا ستان. ألست تستمتع بوقتك؟»

كان ستانلي على وشك الرد، وقول ليلة سعيدة، عندما ظهر راف أيضًا. وسرعان ما تجمعت الفتيات حوله مثل الماء حول صدفة، وبقي هو حيث كان، صامتًا، غير مرئي.

ابتسم له راف، لكن بينما كان صامتًا مثله، كان لا يزال جزءًا من المحادثة. أومأ في الأوقات المناسبة. وتحدث من حين لآخر. سيطر جاك على المشهد: ألقى النكات؛ غازل؛ ضحك بصخب، ورغمًا عنهن، ضحكت الفتيات معه. للحظة وجيزة، فكر ستانلي في قول شيء مضحك أيضًا. تخيل الفتيات يضحكن وربما تأخذ إحداهن بيده.

عندما فكر في كيف قد يكون الرقص مع إحدى هؤلاء الفتيات، انتشر الدفء عبر خديه ومن خلال صدره.

لكن بينما توافد آخرون نحو المجموعة، متضخمة للخارج مع بقاء ستانلي عالقًا في مركزها، غلى قلقه وفاض عليه. لم تكن هذه غرفة

والدمان، ولم يكن هؤلاء جميعًا أصدقاءه. لم يشعر بالأمان هنا. *لكن لن يلاحظني أحد*، أخبر نفسه. *أنا لا شيء. لا يمكن رؤيتي.*

– «هيه!» هبط قلب ستانلي عند سماع الصرخة. «انظروا إلى ذلك! أوليفر تويست الصغير يتظاهر بأن لديه أصدقاء!»

التفت ليرى أحد الأولاد الأكبر سنًا من الصف السادس العلوي—لم يعرف من هو، فجميع الوجوه في "ويلتون" كانت تندمج في واحد—يشير إليه. ضحك بضعة أشخاص. أدارت الفتيات رؤوسهن للاستماع.

– «واقف هناك بانتظار، مثل عضو ذكري زائد في حفلة جنسية. هل يظن أن واحدة منهن ستكون مهتمة به فعلاً؟»

المزيد من الضحكات المكتومة. الجميع يبتسم بسخرية الآن، حتى جاك. كان بإمكانه الضحك أيضًا. استطاع ستانلي الشعور بهم جميعًا في رأسه—يسخرون منه، يربتون على ظهور بعضهم البعض. لم يقل ستانلي شيئًا بعد. كان يصارع لمعالجة أفكاره.

– «هل تتحدثن معه حقًا أيتها الفتيات؟»

ردت تلك التي تمسك ذراع جاك:

– «يع، لم ألاحظ حتى أنه كان هنا.»

ثم ضحك جاك، وشق ذلك الضحك جرحًا لم يلتئم حقًا أبدًا. استطاع ستانلي الشعور بدمه ينسكب منه مباشرة.

تمتم له راف، مائلاً نحوه:

– «فقط دعك من الأمر. إنه لا يعني شيئًا.»

لكنه كان يعني. كان يعني كل شيء.

مندفعًا عبر المجموعة، اقتحم ستانلي طريقه خارج القاعة وإلى الممر. كان تنفسه ثقيلاً، لكنه لم يكن غاضبًا. ليس من راف ولا حتى من جاك، حقًا. لقد كانوا من هم. لم يكن ينبغي أن يأتي هذا كمفاجأة. إنهم ينتمون إلى هنا.

نظر مرة أخرى إلى الغرفة. محملقًا في الكتلة المجهولة من الأجساد، كلها مضغوطة معًا مثل محاصيل كثيرة، مثل أعشاب ضارة كثيرة، شعر بوعي شديد بغربته الخاصة.

لم يكن من العائلة المناسبة. كان من أصل سيء. وبالنسبة للطلاب الآخرين في "ويلتون"، كان يمكن أن يكون قد جاء من لا عائلة على الإطلاق. وبالتالي، بحكم منطق الجدران الحجرية والأبراج، لم يكن مفترضًا له أن ينجح. الحياة لم تُصمم بتلك الطريقة.

الألعاب مع والدمان علمته حقيقة لم يبدُ أحد راغبًا في قولها بصوت عالٍ أبدًا: لا يهم مدى جودة لعبك للعبة إذا كان اللاعب الآخر هو من يضع الرقعة. إذا أراد العثور على النجاح أو السعادة—إذا أراد العثور على أي شيء غير التوسط الآمن الذي سمح لنفسه بالاستقرار فيه—فسيحتاج للذهاب إلى مكان آخر.

***

غربت الشمس فوق الحقول خارج "ويلتون" مباشرة. بين المربع الرئيسي للتدريس والكتل الحجرية الفخمة حيث تقع المهاجع، لمعت المقبرة بضوء قمر يكاد يكون خارقًا للطبيعة. انتهت الرقصة، وكان هناك نعومة في الهواء—خريفية، لم يمسها صقيع الشتاء تمامًا بعد. وبين الأضرحة المتداعية التي تعود لمئات السنين والممرات المرصوفة بالحصى التي وقفت الآن فارغة بعد عودة جميع الطلاب لغرفهم، كان هناك ضحك.

قال راف واضعًا يديه على ظهره، ومقوسًا إياه للأمام:

— «أنا أقول فقط، إنه ينحني أكثر انخفاضًا. لم أظن أن ذلك ممكن. قريباً، أنفه سيكشط الأرض.»

هز ستانلي رأسه، مفككًا ربطة عنقه:

— «أنت سخيف. لكن تقليدك لوالدمان رائع.»

صاح راف، مستديرًا ليواجه الاتجاه المعاكس، وظهره لستانلي:

— «ها! كأن تسمي الضفدع علجومًا!»

ضحك ستانلي:

— «تلك لا تحمل أي معنى.»

— «أوه، وهل والدمان يفعل؟»

عرج راف نحوه، مبتسمًا، وجلس على العشب. استكانا هناك، جنبًا إلى جنب، ظهريهما مسنودين لشاهد قبر قديم، ونظرا إلى الحقول أمامهما.

مد راف يده لجيبه وأخرج علبة سجائر، داسًا واحدة في فمه ومشعلًا إياها. مائلاً نحو ستانلي، هز واحدة أخرى خارج العلبة.

— «تريد تدخين واحدة؟»

هز ستانلي رأسه:

— «آخر مرة أعطاني جاك واحدة من تلك الأشياء، كدت أتقيأ.»

— «نعم. هو من علقني بها، الوغد.» أخذ راف نفسًا طويلاً وترك الدخان يتصاعد في الهواء حوله. كانت هناك لحظة صمت بينهما. لحظة تفكير. «إنه حقًا أحمق، هل تعلم؟»

أومأ ستانلي، ثم هز كتفيه قليلاً:

— «أجل، أعرف. لكنه صديق، لذا... ما الذي يمكنك فعله؟ إنه ليس سيئًا لتلك الدرجة.»

نخر راف:

— «إنه غيور. ويصبح قبيحًا عندما يغار.»

قطب ستانلي جبينه:

— «يغار ممن؟»

— «أليس الأمر واضحًا؟»

هز رأسه، محاولاً فهم الأمر. والدمان، ربما؟ أو الطريقة التي...

— «إنه أنت يا ستان.»

رمش ستانلي، محاولاً استيعاب الكلمات في رأسه:

– «لماذا... لماذا قد يغار أي شخص مني؟»

نخر راف، هازًا رأسه ومخرجًا نفثة دخان من أنفه:

– «أنت أحمق لدرجة أنك لا تدرك كم أنت ذكي. جاك كان دائمًا المفضل لدى والدمان، خاصة بعد تخرج جيمس. بعد ما فعله والداه به، كان ذلك يعني الكثير.»

– «والداه؟»

رفع راف يده:

– «ليس من حقي القول. لن أفعل ذلك به. ليس الأمر أنه لا يحبك يا ستان. هو يحبك. إنه فقط...»

أصر ستانلي:

– «لكن والدمان ليس لديه مفضلون. نحن جميعًا في الأمر معًا.»

ضحك راف فقط:

– «وأنا أحب أنك تراه بتلك الطريقة.» أمال رأسه للخلف، وصوته يهدأ. «لم يكن لطيفًا ما حدث الليلة، في الرقصة. وضحكه، فقط لأن الفتيات كن يضحكن. لم يعجبني ذلك.»

لكنك لم تدافع عني، أليس كذلك؟ فكر ستانلي. *أخبرتني أن أصمت. أن أبقى في مكاني.*

نظر ستانلي إلى راف، ثم عاد للحقول. لم يقل شيئًا.

سأل راف:

– «هل تريد التحدث عما حدث؟»

– «ليس حقًا.»

– «عادل.»

ارتفعت الريح قليلاً. ومع سيطرة الليل، ازداد الهواء برودة. ارتجف كلا الولدين، وبشكل غير واعي تقريبًا، اقتربا من بعضهما البعض.

قال ستانلي:

– «سأغادر ويلتون. في نهاية الفصل الدراسي.»

– «بجدية؟ وإلى أين؟»

هز ستانلي كتفيه:

– «سأبلغ السادسة عشرة قريبًا. هناك كليات. أماكن أخرى ستقبلني. طرق أخرى لأسلكها. أعتقد أنه ربما حان الوقت.»

سأل راف:

– «هل أخبرت جاك؟ أو والدمان؟»

– «لن أسمع آخر الحديث عن ذلك أبدًا. جاك خاصة لن يصمت عن الأمر.»

– «هذا صحيح.»

– «أنا فقط... هذا ليس المكان المناسب لي. أنا لا أنتمي. لم أنتمِ أبدًا.»

هز راف رأسه:

– «هذا هراء. أنت تستحق أن تكون هنا بقدر أي شخص. أكثر، كما أقول.»

– «لكن الحياة لا تعمل على ما يستحقه الناس يا راف. إنها تعمل على ما هم عليه. أظن الأمر كالأرقام—اثنان زائد اثنين لا يساوي أربعة لأنها تستحق ذلك. إنها تفعل ذلك وحسب. أحيانًا عليك قبول ذلك، لأنه، حسنًا، ماذا يمكنك أن تفعل غير ذلك؟»

– «ما زلت لا أفهم.» أطفأ راف سيجارته على حجر القبر خلفه. للحظة، نظر بشك للعلبة قبل أن يتنهد ويخرج أخرى.

– «لن تفهم.» هز ستانلي كتفيه. لم يدر رأسه. تحدث بالكلمات للريح. رفع راف حاجبيه فقط. «ليس خطأك. لم تكن أبدًا غريبًا.»

– «لم أكن أبدًا غريبًا؟ أنا، مثلًا، أكثر شخص أخرق تعرفه.»

هز ستانلي رأسه:

— «الأمر ليس نفسه. ليس حقًا. لقد حاولت لفترة طويلة الاندماج مع حشد ويلتون هذا. التظاهر بأنني لست من حيث أتيت، وأن حيث أتيت لا يهم، هل تعلم؟ أنتم ساعدتم——أنت وجاك ووالدمان——فعلتم حقًا. لكن...»

أخذ راف نفسًا طويلاً:

— «لكن ماذا؟»

— «لكن...» أراد ستانلي إخبار راف بكل شيء في تلك اللحظة. أراد إخباره عن والده ووالدته والخوف الذي ما زال يضربه عندما يستيقظ في الصباح، الطريقة التي يجفل بها عندما يقترب الناس أكثر من اللازم. عن العار العميق والرهيب الذي يشعر به لكونه من منزل محطم، لكونه مصنوعًا من أصل فقير، لكونه معيبًا. لكنه لم يفعل أبدًا، ولذا لم يستطع الآن. آخر شيء أراده هو أن يراه راف أو جاك بنفس الضوء الذي يراه به أولاد "ويلتون" الآخرون. وخشي أنه إذا كشف الكثير من نفسه، إذا أخبر الكثير من الحقيقة، فقد يحدث ذلك بالضبط.

قاطعه راف:

— «اسمع، إذا كنت تريد إخبار نفسك أنك لا تستطيع تغيير أي شيء، فهذا حقك. لكن على الأقل اعلم أنه خيار. لا أحد يجبرك على مغادرة ويلتون يا ستان. أنت تختار الذهاب.»

رمش ستانلي، تاركًا ثقل الكلمات يستقر عليه.

— «أنا سعيد لأنك استمتعت في الرقصة الليلة يا راف. أنا سعيد لأنك رقصت مع شخص ما. أنا حقًا كذلك.»

ابتسم راف، ناظرًا للسماء:

— «أنا معجب بها حقًا. لكنني لا أعرف ماذا أفعل الآن. هل... آخ. لا أريد التحدث عن ذلك.»

– «إذن دعنا لا نتحدث عن ذلك. إذا كنت تريد فقط الجلوس هنا لفترة أطول، فأنا موافق على ذلك. ليس علينا التحدث عن أي شيء على الإطلاق.»

تنهد راف، مغمضًا عينيه قليلاً وقد ابتلتا بالدمع:

– «سأفتقدك حقًا.»

همس ستانلي، محدقًا في المدى البعيد:

– «أعرف. سأفتقدك أنا أيضًا.»

***

كان الوقت متأخرًا. قرر راف أن يمشي طويلاً، وعاد ستانلي متثاقلاً نحو مبنى الحرم الجامعي الرئيسي. وبينما كان ينعطف لداخل بوابات الدخول، اصطدم—حرفيًا تمامًا—بهيوغو.

تمتم الصبي، مرتبكًا:

– «أوه، آسف، كنت... أنا...»

قطب ستانلي جبينه:

– «ماذا تفعل خارج مهجعك؟»

– «أنا... لم...»

– «لا بأس.» وضع ستانلي يدًا على كتف هيوغو. «لست في ورطة. يمكنك فعل ما تريد بالنسبة لي. كنت متفاجئًا فقط. أنت بخير؟»

أومأ هيوغو ببطء. تحرك ليمشي متجاوزًا ستانلي لكنه توقف.

– «هل... هل حفظت حقًا سبعة آلاف رقم من باي؟»

ضحك ستانلي:

– «نعم، فعلت.»

همس هيوغو وفمه مفتوح قليلاً:

– «واو.» عندها أدرك ستانلي أن هذا الصبي لم يكن معجبًا فقط؛ كان مذهولاً. كان شعورًا غير مريح للغاية.

قال ستانلي بسرعة:

— «الأمر ليس بتلك الصعوبة. أراهن أنك تستطيع فعله. يمكنني مساعدتك.»

رمش هيوغو:

— «لا. أعني، لا أريدك أن... أعني. هل ستفعل، حقًا؟»

— «بالطبع. سنأخذ عشر دقائق بعد فصول والدمان؛ سأريك بعض الحيل.» أومأ هيوغو بحماس شديد لدرجة أن ستانلي قلق من أن رأسه قد يطير. «حسنًا، الآن سأذهب إلى السرير معك. الوقت متأخر.»

هرع هيوغو مبتعدًا، تاركًا ستانلي بشعور غريب كان يمكن أن يكون لطيفًا لولا أنه كان غريبًا للغاية. ولأنه لم يرغب في العودة لمهجعه، بحث عن العزاء في روتين ليلي. مر عبر المربع الرئيسي وصعد المجموعة الأولى من السلالم الحلزونية، وعبر إلى الجزء من المبنى الذي يضم مساكن الموظفين القديمة.

كانت الجدران أكثر دفئًا هنا، التدفئة تركت تعمل طوال الليل لأولئك الموظفين الذين يعيشون بشكل دائم في الموقع. صعد ستانلي ببطء أحد الأبراج إلى باب خشبي كبير في القمة ودفعه ليفتح.

صاح والدمان بصوت أجش من عبر الغرفة:

— «أغلق الباب يا ستانلي. أنت تدع كل الدفء يخرج!»

— «قد لا أكون أنا، كما تعلم.»

— «قد لا أكون أنا.» كرر بتهكم، وعرج نحو ستانلي. «أنت تفوح برائحة. لقد أخبرتك بهذا من قبل. أستطيع شمك من على بعد ميل.»

ابتسم ستانلي، مغلقًا الباب خلفه:

— «أنت متأكد أن ذلك ليس فقط لأنني الوحيد الذي يأتي لرؤيتك؟»

تمتم لنفسه:

— «أوه، جيد جدًا. ممتاز. ستانلي ويب العظيم يتبختر كل الطريق إلى هنا

فقط للسخرية من رجل عجوز. فقط ليثبت كم هو ذكي. كمن يطلب من سمكة إثبات أنها تستطيع الطيران.»

عرج إلى خزانة كتبه، وسحب مجلدًا قديمًا مهترئًا، حوافه متآكلة وغلافه معوج، ومرر إصبعه على كعبه.

كانت مساحة معيشة والدمان كبيرة، لكن تكدس الأغراض جعلها تبدو فوضوية ومزدحمة. تألفت مساكنه من غرفتين متجاورتين: المكتب الرئيسي ومنطقة المعيشة المتصلة بمدخل لغرفة نوم، وعلى الأرجح، حمام على الجانب الآخر. الغرفة المركزية كانت مبطنة بأرفف الكتب، كل واحد منها يحتوي على بوتقة انصهار من الأدب والغرائب الأخرى: سكاكين زينة، تماثيل صغيرة، أدوات كتابة. تلميحات لوقت قبل "ويلتون"، قبل العمى. وقت لم يتحدث عنه والدمان أبدًا. عاد والدمان زاحفًا لستانلي، ومد الكتاب نحوه. «توقيت جيد، مجيئك الآن يا ستانلي. ذكي جدًا منك. الليلة، حان وقت الملك لير.»

استقر ستانلي في أحد الكراسي الجلدية الكبيرة بذراعين بجوار موقد والدمان ورفع الكتاب الضخم إلى حجره.

— «شكسبير مرة أخرى؟»

كان والدمان يعرف جميع الأعمال عن ظهر قلب لكنه كان يقول دائمًا أن هناك فرقًا لا يقاس—كل الفرق—بين معرفة وسماع دراما الكلمات.

أجاب بابتسامة:

— «إنها مناسبة بشكل خاص. حكاية رجل عجوز يصاب بالجنون.»

— «أنت لا تصاب بالجنون يا بروفيسور.»

صاح والدمان:

— «ها! ومن أنت لتعرف ذلك؟ كمن يخبر شجرة أنها لا تنمو!»

تنهد ستانلي، عائدًا للخلف في مقعده ومتنفسًا روائح الغرفة— حمضيات وتلميح من الزنجبيل. لقد غيرها والدمان منذ المرة الأخيرة. أو

ربما كان ستانلي يجلس فقط في كرسي مختلف؛ لم يكن متأكدًا تمامًا. مستقرًا في وضع مريح، قلب للصفحة الأولى.

— «أنا أقرأ الفصل الأول فقط، لاحظ ذلك. لن تحصل على أكثر من ذلك.»

أطلق والدمان همهمة قوية لكنه لم يجادل. وبينما كان ستانلي يقرأ، كان والدمان يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، يومئ برأسه وهو يدع الكلمات تدخله وتتغلغل فيه.

لم يمانع ستانلي "الملك لير"، لكنها لم تكن قريبة من أن تكون مفضلته. تلك كانت "روميو وجولييت". لم تكن قصة الحب، بالضرورة؛ كان هناك شيء ما حول جمال الصور وفخامة اللغة أشعل قلبه. كان أول عمل كامل حفظه عن ظهر قلب.

لكن بينما كان يقرأ لير، شرد ذهن ستانلي. تخيل نفسه، نفسه الأصغر، بعمر ثلاثة عشر عامًا فقط ويغادر المنزل لأول مرة ليذوق طعم الحرية. ذلك الستانلي الأصغر نظر للمستقبل ورآه في هذه اللحظة، جالسًا على الكرسي يقرأ بصوت عالٍ لرجل عجوز. أكبر بعامين. حاول تخيل أنه سيكون معجبًا، أن نفسه الأصغر سينظر للأعلى ويرى نفسه الأكبر نجاحًا، لكن بطريقة ما لم يكن الأمر مقنعًا.

كلما طال جلوسه وقراءته، كلما هبط عليه حزن عميق وغير قابل للتحديد، وكأنه فقد شيئًا ثمينًا لم يعرف حقًا أنه كان موجودًا.

عندما انتهى، جلس والدمان، وعيناه الحليبيتان تحدقان في المدى البعيد.

— «جميل. شكرًا لك يا ولدي العزيز. أخبرني، هل سمعت يومًا بمفهوم (أبيرون)؟»

— «لا أعتقد ذلك. أو، انتظر—هل هو يوناني؟»

— «يوناني بالفعل. أساسي لنظرية أناكسيماندر الكونية. أبيرون هو فكرة أنه قبلنا، قبل الناس والأشياء والآلهة والبشر، وجد شيء آخر. واقع لا حدود له، أبدي ولانهائي، منه يتولد كل شيء وفيه يُدمّر كل شيء.»

أمال ستانلي رأسه باهتمام:

— «يشبه نوعًا ما ما وجد قبل الانفجار العظيم؟»

— «ها! إلى حد كبير. في النهاية، ينتهي العلم والأساطير بالعودة إلى نفس الأماكن. إنه مفهوم موجود عالميًا تقريبًا عبر الثقافات——في الطاوية الصينية، هو (ووجي)، أو (الكون البدائي)؛ في العبرية، هو (عين صوف).»

— «حسنًا، أكيد.»

ردد والدمان بمرح:

— «حسنًا، أكيد. هذه الروابط مفتاحية يا ستانلي. إنها أساسية. هناك اعتقاد خاطئ بأن العلوم التجريبية فقط، الرياضيات والمنطق فقط، هي لغات الكون، لكن هذا ضيق أفق. إذا تجاهلنا أساطيرنا المشتركة، آلهتنا، قصصنا، فإننا نهمل الشيء ذاته الذي يجعلنا بشرًا. من الضروري أن تفهم هذا.»

نظر ستانلي إليه:

— «لماذا؟»

— «أخبرني أنت. لماذا أخبرك بهذا؟»

تردد ستانلي:

— «أنا... لست متأكدًا.»

ابتسم البروفيسور:

— «جيد. فكر فيها كلغز، إذن. إذا استطعت معرفة سبب إخباري لك، فربما سأعطيك الدليل التالي.»

قطب ستانلي جبينه، غير متأكد مما يقول ردًا على ذلك، لكن والدمان لم يستطع رؤية ذلك. «الآن! إلى الدفع مقابل قراءتك. كالعادة، يمكنك استعارة أي كتاب من رفي. أيهم تود؟»

قال ستانلي في النهاية:

– «أريد نوعًا ما قراءة شيء مظلم. شيء... حزين.»

– «ها! أعرف بالضبط ما تريد. خذ (كونت مونت كريستو) لدوماس. إذا لم تبكِ في النهاية، فأنت وحش بلا قلب. إنه على الرف العلوي، معطر بالصنوبر والنعناع.»

– «لا أحتاج لمعرفة رائحته يا بروفيسور. أستطيع قراءة الكعوب.»

– «حسنًا!» لوح بيديه في الهواء. «لكن لا تعد إليّ عندما تضيع وتبحث بين التين المجفف!»

نهض وقلب في الكتب، واضعًا يديه على العمل بعد بحث قصير.

سأله ستانلي:

– «هل خرجت هذا الأسبوع يا بروفيسور؟»

– «همم؟» كان ظهر والدمان مواجهًا له.

– «هل كنت خارج المبنى، أم فقط خارج غرفتك وهذا الفصل؟ هل غادرت هذا الأسبوع؟»

قال نافضًا ستانلي عنه:

– «نعم، نعم. بالطبع. لا تكن سخيفًا.» متحركًا للجانب الآخر من الغرفة، تظاهر ببراعة بالبحث عن شيء مهم.

– «وإلى أين ذهبت؟»

– «همم؟»

ألح ستانلي:

– «عندما خرجت، إلى أين ذهبت؟»

أجاب:

– «أوه، لا مكان، حقًا. تعلم، هنا وهناك.»

– «هل شممت ذلك الخزامى الجميل في الفناء؟»

قال بسرعة، مستمرًا في البحث دون جدوى عما بدا أنه قد أضاعه:

– «أوه، نعم، نعم. رائع. وقت جميل من السنة.»

تنهد ستانلي:

– «إنه أكتوبر يا بروفيسور. لم تخرج منذ أسابيع، أليس كذلك؟»

– «باه! ماذا يهم؟ لا أعرف لماذا تزعجني دائمًا بشأن ذلك. لا أرى ما...»

قال له ستانلي:

– «هذا ليس جيدًا لك. محبوس في هذا المبنى لأسابيع متواصلة—شهور، حتى. ليس جيدًا لجسدك أو عقلك. أنت لا تعرف حتى أي فصل نحن فيه.»

تمتم، وبدا عليه القليل من الخجل:

– «سهل عليك القول. شيء صغير يافع. مجموعة جيدة من الأرجل. عيون. يمكن أن تذهب لأي مكان. يمكن أن تفعل أي شيء. لا، لا. أنا أفضل حالاً هنا. لدي أنت لتؤنسني، بعد كل شيء.»

قال ستانلي وهو يقترب منه:

– «وماذا يحدث إذا توقفت عن المجيء؟ ماذا يحدث لك حينها؟»

نظر والدمان إليه بتلك البياضات عديمة اللون، وهبط عبوس عميق على وجهه.

– «لماذا قد تتوقف عن المجيء؟»

أجاب بسرعة:

– «لا أقول إنني سأفعل يا بروفيسور. أنا فقط... أنا قلق عليك.»

انفجر قائلاً وهو يدير وجهه:

– «ها! قلق علي؟ كمن يقلق على بحيرة! أو جبل!»

عرج والدمان عائدًا إلى مكتبه، ظهره لستانلي، وجلس. تساءل ستانلي عما إذا كان ينبغي ربما الضغط في النقطة أكثر أو التحدث لجاك أو راف عنها، لكن ذلك قد يجعل جاك أكثر انزعاجًا فقط. فكر، لفترة وجيزة، في ذكر الأمر لأعضاء هيئة التدريس، لكن في أعماقه كان يعلم أنه لا جدوى من لفت انتباههم. لا أحد في هذا المكان اهتم حقًا بوالدمان. كان مجرد عجوز خرف ومترنح. غريب آخر.

قال والدمان في النهاية:

– «هل وصلت حقًا لسبعة آلاف وثلاثة أرقام؟»

ابتسم ستانلي رغمًا عنه:

– «فعلت.»

تتبع رأس والدمان لأسفل نحو قدميه، ثم عاد للأعلى.

– «أنت شاب مثير للإعجاب للغاية يا ستانلي ويب. أعتقد، ربما، حان الوقت لأريك شيئًا.»

– «ما هو؟»

تململ، وبدا غير مرتاح قليلاً:

– «هناك مشكلة كنت أعمل عليها، وأعتقد أنني وصلت لمرحلة أحتاج فيها لبعض المساعدة. لن أكذب عليك يا فتى. لقد استهلكتني هذه السنوات الماضية، لكنني لم أخبر أحدًا غيرك. إذا أخبرتك، أحتاج لوعد منك.»

سأل ستانلي مائلاً للأمام:

– «أي وعد؟»

– «ألا تخبر الأولاد الآخرين. وأن تعمل معي حتى يتم الأمر، حتى نكون قد حللناها.»

رمش ستانلي. لم يستطع قطع وعد كهذا. كان قراره قد اتُخذ. كان سيغادر. لكنه نظر لهذا الرجل العجوز، هذا الغريب، هذا الصديق. وبينما وقف والدمان أمامه، منتظرًا وضعيفًا، على وشك كشف سره الأعظم، شعر ستانلي بكل خططه وقلقه الآخر ينهار.

— «أعدك.»

— «ممتاز!» عرج إلى خلفية الغرفة، وبينما كان يتحسس بحثًا عن مفتاح، فتح صندوقًا خشبيًا كبيرًا. ومنه، رفع علبة زجاجية، سائلها يتموج. «لا وقت لنضيعه. سنبدأ الليلة.»

قال ستانلي، محدقًا في الكتلة الرمادية الطافية داخل العلبة:

— «يا للمسيح يا بروفيسور. هل هذا دماغ بشري؟»

٥

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٨ ساعات، ٥٤ دقيقة، و٥٢ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «عندما استيقظ ستانلي، أدركت أنه قد لوّث نفسه. استغرق الأمر وقتًا طويلاً لتنظيفه. جعلتك تتوقف لأنتقل إلى المقعد الخلفي للسيارة وأتولى أمره، حامدةً حظي على وجود الكثير من المناديل المبللة في حقيبتي. إنه عمل فظيع في مساحة حرجة، لكن هذا هو ما أنا هنا لأجله، بعد كل شيء. عليّ أن أعتني به.

بحلول وقت وصولنا إلى الموقع—مبنى مكتبي من نوع ما—كان قد انزلق في إحدى حالات "متلازمة الغروب" التي تنتابه. إنه يعرف من أنا، وتلك نعمة، لكنه لا يستطيع استيعاب أي شيء آخر.

فكرتُ في نفسي: *أنا أيضًا يا ستان. أنا أيضًا.*

سألني بينما كنت أدفعه للداخل:

— "ما الذي يحدث يا ماغي؟ أين نحن؟"

كانت ردهة المبنى فارغة بشكل لافت للنظر. أعلم أنه نهاية اليوم، والشمس تغرب لتوها، لكن موظفي المكاتب بالكاد يلتزمون بدورة الليل والنهار في المدينة هذه الأيام. يرتفع المبنى لخمسين طابقًا على الأقل؛ كان ينبغي أن تكون هناك حركة ما للدخول والخروج من الأبواب الزجاجية الكبيرة.

لكن لم يكن هناك شيء. هناك كاميرا أمنية واحدة بضوء أحمر وامض بجانب المصاعد، وفي الزاوية، حارس يمسح الأرضية. أتذكر ستانلي وهو يخبرني أنه لن يكون هناك المزيد من الحراس عندما يحدث طفرة الأتمتة، وأن جميع الوظائف الوضيعة ستُستبدل بالتكنولوجيا. اتضح أن الأمر عكس ذلك: التكنولوجيا تستبدل ببطء محامينا، ومعلمينا، وأطبائنا. كل المهنيين الذين يستطيعون تحمل تكلفة الاستعانة بمصادر خارجية للقيام بعملهم عبر برامج باهظة ثم يريحون أقدامهم. بالتأكيد، ربما يمكنك الحصول على آلة ما هذه الأيام لتنظيف الأرضيات في نصف الوقت، لكن هذا هو جوهر الرأسمالية: إنها لا تعمل إذا لم تكن لديك طبقة عاملة. ستكون هناك دائمًا وظائف وضيعة للأشخاص الذين يحتاجون إلى تذكيرهم بمكانتهم.

ملأ صوت قعقعة كرسي ستانلي الغرفة. انعكست شمس الغروب على الزجاج وألقت ظلالاً راقصة عبر الأرضية.

قال بضعف، واستطعتُ استشعار الخزي في صوته:

— "ماغي، أعتقد أنني لوثت نفسي مرة أخرى."

— "لا بأس." حاولتُ إبقاء صوتي دافئًا ومواسيًا. حاولتُ أن أكون ما يحتاج إليه. لكن عندما نظرت لأسفل، استطعتُ رؤية الدموع تترقرق على وجهه.

همس:

— "أنا آسف جدًا. أنا آسف جدًا لأن عليك رؤية هذا."

بذلتُ كل ما في وسعي لمنع قلبي من الانكسار. التفتُّ إليك:

— "أين الحمام؟"

أشرتَ بإصبع طويل نحو باب صغير على اليمين، بعد المصاعد. كانت هناك لافتة "أرضية مبللة" خارجه. كان الحارس قد اختفى خلف الزاوية.

نظفته بأفضل ما أستطيع دون ملابس نظيفة في متناول اليد. اضطررتُ لرمي سرواله وتركه دونه، لكنه بدا أكثر حيوية. يبدو أنه وضع الحادث خلفه، أو نسي أنه حدث تمامًا. كان ينظر حوله. ويسأل الكثير من الأسئلة.

– "هل تعملين هنا؟"

– "لا، ستان."

– "أين تعملين؟"

ابتسمتُ له، متسائلة ما إذا كان عليّ أن أكون صادقة——أخبره أننا كلانا عتيقان ومتقاعدان——أو أواسيه. الحقيقة هي أنني لم أفكر أبدًا أنني أستطيع الاحتفاظ بوظيفة. قبل ستانلي، تنقلتُ من عمل التجزئة بدوام جزئي إلى تنظيف المنازل فقط لتغطية ما كنت مشغولة بإقناع نفسي أنه ليس إدمان مخدرات متناميًا. كان أسلوب حياة، هذا كل شيء. كنت أحتفل، لا أهرب مما كان يجعلني أشعر بالفراغ من الداخل. لم يكن الأمر كما لو أن والديّ كانا سيدعماني.

بعد زواجنا، لم أكن بحاجة للعمل. ليس ماليًا. ومع تقدم مسيرة ستانلي المهنية من باحث إلى مدير برامج في منظمات ومؤسسات بحثية مختلفة، حصلت أخيرًا على ما اعتقدت أنني أردته دائمًا: الحرية والمال للانطلاق. لكن هذا هو جمال الزواج من شخص ما، أليس كذلك؟ أنت لا تفعل ذلك لأنك تريد البقاء كما أنت. تفعله لأنك تريد أن تكون أفضل، لأن وجود "أنا عليا" تراقب "هو" الخاصة بك وتضبطها يصنع كل الفرق في العالم.

أخبرتُه، آملة إشعال ذكرى قديمة:

– "أعمل في جمعية خيرية. للمشردين."

قال، وهو يومئ بحكمة:

– "أحد الأشياء العديدة التي أحبها فيك، يا حبيبتي." لم أستطع منع نفسي من الابتسام كبلهاء. "إذن لماذا نحن في هذا المكان؟"

– "نحن هنا فقط لفحص بسيط."

– "أوه؟ هل هناك خطب ما؟"

– "لا يوجد شيء يدعو للقلق." دفعتُ كرسيه خارج الحمام، ووضعت الفرامل، وانحنيت لمسح بعض اللعاب عن شفته. عندها نظر إليك. رآك.»

سأل حسن بفضول:

– «رآني؟»

– «إنه أمر غريب. نظر إليك مباشرة، وكانت هناك نظرة جدية للغاية على وجهه. لقد رأيت شيئًا مثلها من قبل، عندما يحاول فك شفرة هويتي لكنه لا يستطيع. للحظة، اعتقدت أنني رأيت ومضة من... لست متأكدة.»

– «ألا تستطيعين التذكر؟»

– «أوه لا. أنا أتذكرها. أستطيع تخيلها بوضوح تام. هناك خيبة أمل، ربما؟ ندم؟ إنها نظرة حزينة، مغلفة بتعقيد أكثر مما أستطيع فك شفرته في جزء الثانية الذي كانت فيه هناك. ثم اختفت، وعاد يبتسم.»

سأل ستانلي:

– "من هذا؟ صديق لك؟"

أجبتَ أنت:

– "نعم. صديق."

– «لقد توقفتِ. ما الأمر؟»

– «كيف تعرف ستانلي؟»

– «هل هذا مهم للحظة الحالية في القصة؟»

– «الأمر فقط أنني أتذكر أنني فكرت: حسن نطق بثلاث كلمات فقط. ثلاث فقط. ومع ذلك كانت تلك أكثر عاطفة حقيقية سمعتها منه منذ اللحظة التي دخل فيها من باب منزلي.»

– «ربما كنتِ تسقطين مشاعرك المتأججة على اللحظة.»

– «همم. ربما.»

سأل:

— «إلى أين نذهب تاليًا؟»

— «هذا بالضبط ما سألتك إياه. دخلنا أحد المصاعد، ولاحظت أنه لا يحتوي على أي أزرار. هناك مجرد ثقب مفتاح—إنه الشيء الوحيد على اللوحة، في المنتصف تمامًا. أخرجتَ مفتاحًا من جيبك. مفتاحًا فعليًا، ليس حتى بطاقة مفتاح، وكأننا عدنا بالزمن خمسين عامًا للوراء. أدخلته في الثقب وأدرته.

اهتز المصعد وكأننا في شقة حكومية رديئة في منتصف الستينيات، في تناقض تام مع أناقة المبنى من الخارج. وبشكل متقطع، هبط المصعد.»

سألتُ:

— "كيف بحق الأرض تصلون إلى الطوابق العليا؟"

رفعتَ حاجبيك نحوي.

— "أعني، إذا كان هناك مفتاح واحد فقط وكل ما يبدو أنه يفعله هو أن يأخذك للأسفل، أتساءل عما عليك فعله للصعود."

هززتَ كتفيك:

— "تمشين."

تدخل ستانلي بسعادة:

— "بكل وضوح."

رغم أنني كنت أرغب في السؤال عن مكاننا طوال العشرين دقيقة الماضية، لم أرد إقلاق ستانلي. ومع هبوط المصعد أعمق، وأعمق—إلى أي مدى ينخفض؟—تغلب السؤال عليّ. لم أستطع تمالك نفسي.

— "ما هذا المكان؟"

أجبتَ:

— "الجلد هو أكبر عضو في جسم الإنسان، يتكون من طبقات فوق طبقات

من الخلايا المختلفة. لكن الطبقة العليا منه—الطبقة المتقرنة—تتكون من خلايا مسطحة ميتة تمامًا تقريبًا."

اهتز المصعد مرة أخرى وهو يترنح ببطء ليتوقف.

— "طبقتنا الخارجية عبارة عن جثة. جيفة. تسقط منا باستمرار—قطع من أنفسنا، مادة متحللة. تتخلصين مما بين ثلاثين وأربعين ألف خلية ميتة كل ساعة واحدة. إنها مأساة الإنسانية الكبرى أننا لا نستطيع الهروب من الإنتروبيا والتحلل. إنهما مبنيان في صميم كياننا." رفعتَ يديك وكأنك تقبض على الهواء ذاته. "بصمت وبلا رحمة، نتحول إلى غبار."

فتحت الأبواب، واستقبلنا مختبر واسع النطاق.

يمتد للخارج، أبعد مما تستطيع عيني رؤيته. لا بد أن هناك ما يقرب من مائة شخص في معاطف المختبر، يهرعون جيئة وذهابًا مع وثائق وأنابيب اختبار، ويدفعون عربات سوائل ومحاقن.

قلتَ:

— "مرحبًا بكم في معهد لازاروس، حيث نعيد الغبار إلى سيرته الأولى."

سأل حسن:

— «أخذتني داخل المعهد؟»

— «تبدو متفاجئًا بالنسبة لشخص كان هناك.»

— «ماذا ترين؟»

— «لا أكاد أبدأ بفهم معظمه. آلات، أذرع آلية، أناس. القاعة الرئيسية مضاءة جيدًا وواسعة—تمتد وتمتد—لكن على الجانب، هناك غرف أخرى. معظم الأبواب مغلقة؛ وبعضها ليس كذلك. في الداخل، هناك طاولات جراحية وأدوات ميكانيكية عملاقة. أزيز وقرقرة الهندسة في كل مكان. مددتُ يدي ولمست كتف ستانلي بحماية.»

نظر إليّ وابتسم كأنه في ديزني لاند. وضع يده على يدي، وعصرها برفق. نظرتُ في وجهه ورأيت مودة حقيقية، حبًا حقيقيًا، ورغم كل الجنون الدائر حولي، انتفخ قلبي. لقد مضى وقت طويل جدًا.

لكنني تساءلت عن كيفية تورطه في كل هذا. طوال وقتنا معًا، عمل في كل أنواع الأماكن—شركات كبيرة مثل يونيليفر، مختبرات طبية، مؤسسات بحثية. لم يخبرني أبدًا عما كان يعمل عليه، لكن لم يُسمح له بذلك، لذا تعلمت ألا أسأل. أخبرتُ نفسي أن أيًا كانت الأسرار التي لديه، فلا بد أنه أخفاها عني لسبب ما. أنه لا يوجد شيء خبيث فيها. جعلتُ نفسي متيقنة من هذا.

لماذا؟

لأنه لا يوجد بديل. لا أستطيع تخيل العيش في عالم ليس فيه ستانلي الزوج المحب والمراعي الذي أعرفه. أنا أرفض ذلك.

قدتَ الطريق عبر أرضية المختبر. أومأ لك الآخرون باحترام، مفسحين المجال لتمر. من الواضح أن هذه مملكتك. ليس لدي أدنى شك في ذلك.

بينما نتحرك أعمق في المنشأة، ألمح ومضات من العجائب في كل مكان: قطعة قماش، أرق من الحرير، تتدلى من خطاف. يمرر رجل يرتدي معطف مختبر قضيبًا معدنيًا خلالها، فتتلألأ، وتتدفق حول القضيب كتيار ماء قبل أن تتصلب مرة أخرى. أبعد من ذلك، كرة سوداء جدًا لدرجة أنها لا تبدو حقيقية—ثقب في العالم، تمزق في نسيج الواقع—تتدلى معلقة على ارتفاع عدة أقدام في الهواء.

تذكرتُ اقتباس آرثر سي. كلارك: "أي تكنولوجيا متقدمة بما فيه الكفاية لا يمكن تمييزها عن السحر". فكرتُ فيما فعلتَه في دار الرعاية، وما فعلتَه بتلك المرأة، وبينما أنظر حولي في هذا المختبر، أصبح كل شيء

منطقيًا. سرى خيط من القلق أسفل رقبتي. في *أي ورطة وضعت نفسي؟ إلى أين جلبت زوجي؟*

قدتني إلى غرفة بها طاولة اجتماعات وبضعة كراسي. أطلق ستانلي احتجاجًا صغيرًا.

سأل كالطفل:

— "هل يمكنني رؤية المزيد؟ هناك الكثير لرؤيته."

أجبتَ:

— "يمكنني ترتيب جولة له. جولة سريعة."

تشنجت قبضتاي حول مقابض كرسيه، غير راغبة في تركه يذهب. لكن هناك العديد من الأسئلة التي أحتاج لطرحها عليك والتي لا أريد إثارتها أمام ستانلي. الكثير سيجلب الارتباك، ثم الغضب. لا أستطيع تحمل ذلك الآن. أريد التشبث بكونه سعيدًا لأطول فترة ممكنة.

قلتُ بتردد:

— "حسنًا." دفعتُ مخاوفي للأسفل، مفترضة أنني وضعت ما يكفي من ثقتي فيك بالفعل. إذا كنا في أي خطر، فليس هناك الكثير مما يمكنني فعله حيال ذلك الآن على أي حال. "لكن ليس بعيدًا."

أومأتَ، ودون حتى إشارة، ظهر رجل عند المدخل.

— "سيد الهيثم؟"

— "امنح زائرنا جولة في تطوراتنا الأكثر إثارة للاهتمام."

تقدم الرجل ليأخذ الكرسي المتحرك مني. نزعت يديّ بصعوبة. انحنيتُ، وحاولتُ منح ستانلي قبلة، لكنه لم يكن ينظر إليّ. كان يحدق فقط خارج الباب وإلى المختبر بتوقع بهيج.

في اللحظة التي دُفع فيها خارج الباب، انفجرتُ.

— "ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

أخذتَ مقعدًا على رأس الطاولة.

– "أنتِ غاضبة."

– "أنت شديد الملاحظة."

– "ماذا تريدين؟"

– "لقد فعلت بالضبط ما تريد. اتبعت تعليماتك بالحرف، واضطررت لمشاهدة بعض الأشياء الفظيعة تحدث. أعتقد أنه حان الوقت لتخبرني فعليًا بما يحدث."

نفضتَ رماد سيجارتك في صينية على الطاولة أمامك.

– "اسألي."

توقفتُ، ممسكة بأطراف مائة سؤال، كلها تصارع لتشق طريقها عبر دماغي وخارج فمي.

– "لماذا نحن هنا؟ قلت إنني أحتاج لاقتحام عقل ستانلي—ماذا يعني ذلك؟"

– "هذا المختبر مكرس لغرض وحيد: الحفاظ على الحياة البشرية. استمرار الجنس البشري. العالم ليس كما كان عليه، يا ماغي. لقد سمعتِ ذلك في الأخبار. حرائق غابات عالمية، انقراض جماعي، ارتفاع منسوب البحار—السنوات العشرون الماضية انحدرت بسرعة، لكن أحجار الدومينو كانت تتساقط قبل ذلك بوقت طويل، حتى قبل ولادتك. إذا لم نغير شيئًا جذريًا، ونكتشف نموذجًا جديدًا، فلن تدوم الإنسانية طويلاً في هذا العالم. هذا ليس تخمينًا. إنها حقيقة. معهد لازاروس موجود لمحاربة هذا الانهيار. للقيام بما يجب القيام به لإنقاذنا جميعًا. قيل لي أن ستانلي عمل هنا ذات مرة، لفترة وجيزة."

رمشتُ، ثم نظرتُ بلا هدف حول الغرفة.

– "هنا؟"

– "ليس هذه الغرفة بالضرورة. ولكن للمعهد. قبل أن تعرفيه، قبل أن تتزوجا."

جلستُ، معالجةً المعلومة.

– "لم يذكر ذلك أبدًا. هو... هو لا يحب التحدث عن أيام شبابه كثيرًا."

– "لا أعتقد أنه يتذكر."

نظرتُ إليك.

– "سابقًا، في منزلي، قلت إنك لا تعتقد أن فقدان ذاكرته كان زهايمر. اعتقدت أنه فُعل به. لماذا؟"

– "هناك العديد من المشاريع هنا يا ماغي، ليست جميعها قانونية تمامًا. الحكومات والأطر القانونية تتحرك ببطء شديد لإحداث فرق. من أجل إنقاذ الإنسانية، يجب أن نعمل خارج حدودها. العديد من العقول العظيمة ساهمت في هذه المهمة بشكل أو بآخر: أمثال هوريوتشي ساتشيكو، ثيودور ريلكت، إيزابيل ثورو. معظم من يعملون هنا يُمنحون حرية نسبية لمتابعة ما يحتاجون إليه، طالما أنه مكرس للهدف المشترك. مشروعي هو ستانلي. أعتقد أنه حقق اختراقًا، قبل سنوات عديدة. أنه اكتشف، أو كشف، شيئًا ما. تكنولوجيا قوية—شيء مهم بما يكفي لتغيير هذا المسار الذي تسير عليه فصيلتنا. لكن عندما حدث ذلك، اكتشفت منظمة منفصلة من الناس ما كان يفعله، واختاروا دفنه—إخفاءه بدقة شديدة لدرجة أنه حتى ستانلي لا يستطيع استعادته إذا أراد. تلك المنظمة تسمي نفسها (صنرايز)، وما زالت تعمل نحو ذلك الهدف."

– "دار الرعاية؟"

أومأتَ.

– "أعتقد أنهم مسحوا مساحات كاملة من ذاكرة ستانلي بحيث لا يرى ما وجده النور أبدًا."

— "لكن ماذا عن جميع المقيمين الآخرين؟ بالتأكيد، لا يمكن أن يكونوا جميعًا هناك بسببه فقط."

— "حتى مع موارد معهد لازاروس، لا أستطيع القول ماذا تفعل صنرايز بهم جميعًا. عينات اختبار لتجارب مختلفة؟ مجرد ذراع لجني الأرباح؟ تظل المنظمة ونواياها، في الغالب، خلف ستار حديدي منيع. إخراج ستانلي تطلب تخطيطًا أكثر مما قد تستوعبين."

بينما تخبرني بهذا، لم تقطع التواصل البصري، ولا حتى لثانية. شعرتُ وكأنني أذوب تحت شدة نظراتك. نظرتُ لأسفل إلى يديّ، إلى الطاولة، لكنني ما زلت أشعر بعينيك عليّ.

— "لكن... لماذا؟ إذا كانت صنرايز——أياً كانوا——تعمل بجد للتأكد من بقاء ما في رأس ستانلي مخفيًا، فبالتأكيد هناك سبب وجيه."

أطبقت يداك على الطاولة، وتفرقت أصابعك عبر الزجاج. كدت أشعر بالضغط وجلدك يدفع ضده. إنه أمر سخيف، لكنني تراجعت قليلاً، تحسبًا لتحطم الزجاج تحت قبضتك.

— "لا يوجد أبدًا سبب وجيه لقمع المعرفة يا ماغي. عبر التاريخ، حاولت الإنسانية، من الأديان والرقابة إلى محاكم التفتيش والدكتاتوريين. الناس الذين يستفيدون من الوضع الراهن. الناس الخائفون من التغيير. هذا ما تمثله صنرايز. لكنه لا ينجح أبدًا. لا يساعد أبدًا. كان ستانلي يعمل لهذا المعهد، مما يعني أنه كان يعمل نحو هدف واحد. أيًا كان اختراقه، يجب أن نكشفه. هذا واضح لي."

نظرتُ إليك فحسب. كل هذا يبدو أغرب من أن أعلق عليه.

قلتَ:

— "أملي هو أنه إذا استطعنا إعادة تلك الذكريات، فربما يمكننا إعادة بعض الذكريات الأخرى أيضًا. ربما يمكننا إعادة زوجك إليك للأبد، وإذا كنت محقًا، فربما لا يزال بإمكانكما قضاء بقية حياتكما أمامكما. معًا."

أخذتُ نفسًا عميقًا وأطلقت ضحكة خفيفة.

— «أتعرف ما المضحك؟»

— «ماذا؟»

— «أعرف أنه يتم التلاعب بي. أعرف أنك لا تقول الحقيقة. ليس الحقيقة الكاملة، على الأقل. أعرف ذلك في صميم عظامي. ومع ذلك، لقد نلت مني. ما تعرضه علي—كيف يمكنني الرفض؟ إنه الشيء الوحيد الذي أفكر فيه أبدًا. إنه الشيء الوحيد المتبقي لي.»

سألتُ:

— "ماذا تريد مني أن أفعل؟"

ابتسمتَ، وفجأة فهمتُ تمامًا كيف شعرت حواء عندما عُرضت عليها التفاحة. مددتَ يدك إلى اللوحة في وسط الطاولة وضغطت زرًا. خفتت الأضواء وتراقصت على بشرتك الداكنة الخالية من العيوب تمامًا. قطبتُ جبيني، مفكرة في الغبار، وتحلل الجلد، وكيف تفهم تلميحاتي عن الشيخوخة. ثم خطر لي: أنت أكبر بكثير، بكثير مما تبدو عليه.

— "بحثنا أدى إلى مجموعة من المنتجات الجانبية المفيدة—تكنولوجيات طورت بشكل عرضي سعيًا لأهداف أخرى." الطاولة كانت تنخفض للأرض، وجهاز غريب يحل محلها.

سأل حسن:

— «ما الذي يحدث بالضبط؟ هذا مهم.»

— «هذا مهم؟»

— «نعم—مهم جدًا. هذا هو سبب وجودنا هنا. أين ستانلي؟»

— «لا يزال في المختبر.»

— «ألا يرى هذه اللحظة؟»

— «ليس الآن، لا.»

— «وماذا ترين أنت؟»

– «فتحة في الأرضية تنفتح. منها، يرتفع جهاز غريب. إنه يشبه كرسي طبيب الأسنان لكن بأحزمة وأسلاك ومحاليل. في الأعلى، تتدلى سماعة رأس من السقف؛ لها أذرع معدنية تشبه العنكبوت تنتشر مثل تاج فوق الكرسي. هناك شاشة كبيرة في السقف بجانبها. لونها أبيض ورمادي—معقمة. تفوح برائحة المطهر. بجانب الكرسي، هناك حوض فارغ غائر في الأرضية—مغطس—مع صنابير في أحد الطرفين وفي الآخر سماعة رأس أخرى، هذه تشبه خوذة رائد فضاء.»

– «هل تحدث ستانلي أبدًا عن شيء كهذا من قبل؟»

– «لم أسمع عن أي شيء مثل هذا الجهاز في حياتي كلها.»

– «ماذا أقول لك عنه؟»

– «"هذه مجرفة ذكريات—أداة للحفر في ذكريات الآخرين. يجلس الخاضع للتجربة هنا"—أشرتَ نحو الكرسي—"ويُوصل بآخر، يغوص داخل رأسه". بيدك الأخرى، أشرتَ إلى المغطس. "ستختبرين الذكريات تمامًا كما فعل هو، إعادة خلق كاملة لجميع الحواس، دون أخطاء الاسترجاع. الدماغ جيد بشكل مدهش في الاحتفاظ بهذه المعلومات عند تحفيزه بشكل صحيح. كلما زادت الذكريات التي يتشاركها الخاضعان للتجربة، كان الرابط أسهل وزادت احتمالية القدرة على كشف الذكريات المفقودة".»

– "لهذا السبب تحتاج إليّ؟"

أومأتَ.

– "قضيتما أكثر من خمسين عامًا معًا. ستعمل ذكرياتكما المشتركة كنقاط ارتساء، مما يسمح لك بالتنقل في مناطق أخرى من عقله."

فكرة مشاركة ذكريات ستانلي ملأتني بإثارة غريبة. أنا أتوق لطعم حياتنا معًا، لمشاهدة ليا تكبر، لسنوات زواجنا الأولى، لقبلتنا الأولى

تمامًا. هناك فراشات في معدتي، وكأنني مراهقة مغرمة. *ماذا فعلت بي يا حسن؟* فكرتُ. *لقد غلبتني المشاعر.*

دُفع الباب مفتوحًا، وأعيد ستانلي إلى الغرفة. إنه مكتئب الآن؛ عيناه تحملان تلك النظرة الزجاجية التي تأتي مع الكثير من المعلومات. تمتم بشيء ما، لكنني لم ألتقطه تمامًا.

معًا، ساعدناه أنا وأنت للجلوس على الكرسي. كان الرجل الآخر قد غادر بالفعل.

همس ستانلي:

— "ما الذي يحدث؟"

— "لا بأس." قلتُ، وقد تولت غريزتي في الطمأنة القيادة. "لن يؤذيك."

رميتك بنظرة لأتحقق من أنني لا أكذب، وأعطيتني إيماءة مطمئنة. لم يقتنع ستانلي. تراجع عني قليلاً، هازًا رأسه.

— "من أنتم؟ ابتعدوا عني."

— "أنا آسفة، ستان." دفعته للخلف في الكرسي قليلاً، فاستسلم. إنه ضعيف جدًا هذه الأيام. واهن جدًا.

— "لا." هز رأسه. كنتَ أنت تربط ذراعيه بالكرسي. "لا أريد هذا. أبعدوه عني! من أنتم أيها الناس؟ ماذا تريدون مني؟"

حاولتُ إمساك يده، لكنه انتزعها مني.

— "أريدك فقط أن تعود يا ستان. هذا كل ما أريده. أريدك أن تعود إليّ."

عملت الآلة، وارتجف ستانلي وهو يُحقن بشيء ما. تنهد واستقر بظهره في الكرسي. أغلقت عيناه. نزلت سماعة الرأس وأطبقت حول رأسه.

سألتُ وصوتي يرتجف:

— "ماذا أفعل؟"

فتحتَ الصنابير، وملأتَ الحوض بسائل صافٍ. إنه أكثر كثافة من الماء—أكثر لزوجة.

— "أنصح بخلع أي ملابس تودين إبقاءها جافة." فتحتَ خزانة مبنية في الجدار، كاشفًا عن صف من الأثواب البيضاء. "يمكنك ارتداء أحد هذه."

استدرتَ بعيدًا عني بينما كنت أغير ملابسي، ويداي تكافحان للبقاء ثابتتين. واصلتُ اختلاس النظرات إلى ستانلي، وكان يبدو مسالمًا في ذلك الكرسي. لكنني لم أستطع التخلص من الخوف الذي رأيته في عينيه قبل لحظات فقط. الذعر.

إنه مجرد تقلب مزاجي، أخبرتُ نفسي. *تنتابه طوال الوقت.*

غمستُ إصبع قدم في السائل، متوقعة أن يكون باردًا، لكن درجة الحرارة كانت قريبة جدًا من جسدي لدرجة أنني بالكاد شعرت بأنني أخطو في أي شيء على الإطلاق.

قلتَ بينما كنت أنزلق للداخل:

— "علينا صنع الرابط أولاً. اختاري ذكرى. واحدة تتشاركانها معًا. ركزي عليها بأقصى ما تستطيعين."

قبل أن أتمكن من الرد، وُضعت الخوذة فوق رأسي، حاجبة رؤيتي. هناك أزيز ورائحة شيء يحترق. صدري يخفق بقوة، بقوة مفرطة لعجوز مثلي. آخر شيء فكرت فيه هو: *ما الذي أفعله بحق الجحيم؟ كل هذا يحدث بسرعة كبيرة. هذه فكرة رهيبة.*

ثم تحول كل شيء إلى السواد.

٦

ستانلي
١٩٥٥

كان الصباح يضج بآثار مُسكرات الليلة الماضية الحلوة والمقززة، ممتزجة بالضباب الثقيل لصداع وشيك. حاولت عينا ستانلي أن تنفتحا، ملتصقتين بفعل النوم ومعترضتين على شروق شمس ساطع بلا داعٍ. كان في حقل، وجنبه رطب من ندى الصباح، وحقيبة نومه ملقاة بإهمال فوقه.

تدحرج راف بجانبه وأطلق أنينًا عميقًا. ارتطم وجهه بزجاجة بيرة فارغة.

— «آخ. تباً.»

صاح جاك:

— «ولكن مهلاً! أي نورٍ يشع من تلك النافذة هناك؟»

أجبر ستانلي عينيه على الانفتاح. كان جاك جالسًا على طاولة النزهة القابلة للطي، يتفحص بقايا لفافة سجق.

— «إنهما الأحمقان. استيقظا أخيرًا.»

رفع ستانلي نفسه على مرفقيه، متألمًا.

— «منذ متى وأنت مستيقظ؟»

— «أنا؟» أمال جاك رأسه قليلاً إلى اليمين. «أنا لا أنام أبدًا.» مشى نحو راف وركله في بطنه.

— «آخ،» كرر راف. «ماذا بحق الجحيم؟»

– «انهض. أنا جائع، وأريد الحصول على بعض السمك والبطاطا قبل أن يبدأ الغداء المريع. ثم علينا مواجهة حفل الخريجين.»

غطى راف رأسه بيديه.

– «أعتقد أنني ما زلت مخمورًا.»

نهض واقفًا، شاهق الطول. كان العامان الماضيان سخيين مع راف—فقد قضى وقتًا أطول وأطول في ممارسة الرياضة، والآن تضخم حجمه كأنه منزل. نبتت له لحية: واحدة سوداء كثيفة ركضت أسفل خديه وعبر وجهه. ونظرًا لقامته وتعبيره العابس بشكل دائم تقريبًا، أصبح من نوع الأشخاص الذين تعبر النساء العجائز الشارع لتجنبهم. ابتسم ستانلي للمفارقة: لم يقابل في حياته كلها شخصًا بهذه الوداعة.

تعثر راف، واضعًا يده على الطاولة وهو يترنح للأمام.

– «يا إلهي. هل يمكننا على الأقل الانتظار حتى يزول الغثيان؟»

قلب جاك عينيه.

– «حسنًا، لكننا سنأخذ سيارتك عندما نفعل. لن أسمح لك بالتقيؤ في سيارتي.»

قال ستانلي، ناظرًا حوله إلى الزجاجات الفارغة:

– «لا أتذكر أي شيء عن الليلة الماضية. هل شربنا كل شيء؟»

– «هل تخبرني أنك لا تتذكر التجول في شارع (هاي ستريت) في الثانية صباحًا محاولين العثور على نبيذ رخيص لأننا نفدنا من المشروب؟»

– «بجدية؟»

تمتم راف وهو يجلس:

– «أنت وتلك العلب. تباً—لقد كنت مهووسًا.»

ضحك ستانلي، ونبض رأسه قليلاً مع كل ضحكة. سقط للخلف، وجسده يعود للاستكانة في العشب البارد.

— «ليلة جيدة إذن؟»

أومأ راف:

— «ليلة قوية.»

ابتسم جاك:

— «لم أكن لأتخيل طريقة أفضل للوداع.»

جفل ستانلي، جزئيًا من الألم في ساقيه وجزئيًا من وقع تلك الكلمة: وداع. كان من السهل عدم التفكير في الأمر الليلة الماضية، عندما كانوا يشربون، لكن اليوم كان يومهم الأخير معًا في "ويلتون". يوم ستانلي الأخير مع جاك وراف.

لم يكن متأكدًا مما إذا كان مستعدًا لمواجهة العالم بمفرده، أو ما إذا كان العالم يريده أصلاً. حتى الآن، كان من الأسهل بناء عالمه الخاص—— عالم يتكون بالكامل تقريبًا من صديقيه وأستاذه المجنون. كل ما عدا ذلك كان مجرد ديكور يمكنه إزاحته جانبًا قبل أن يذكره بمدى شعوره بالغربة حقًا.

فرك ستانلي عينيه ونظر حوله.

— «لماذا لم ننصب الخيمة؟»

انفجر جاك في ضحكة ساخرة. هز راف رأسه، مائلاً للأمام.

— «لقد حاولتَ.» قال، مشيرًا برأسه نحو القماش المتناثر عبر الأرض، والأعمدة المعدنية المهجورة. «بصراحة، كان أكثر شيء مضحك رأيته في حياتي.»

***

بعد حوالي ساعتين، جلس الثلاثة تحت شجرة كبيرة في حديقة "ريجنسي بارك" الجديدة، بعيدًا بما يكفي عن المدرسة لتكون أرضًا

محايدة. أحضروا معهم الإفطار: سمك قد كبير مقلي بقرمشة مع بطاطا غارقة في الملح ورشات من خل الشعير. التوقف الوحيد في الصمت الجماعي كان القضم العرضي أو ارتشاف مشروب. أكل جاك الأسرع، كما يفعل دائمًا—النهم صفة تصفه في طبقات—وعندما انتهى، مال بظهره على الشجرة وأشعل سيجارة.

بعد نفثتين عميقتين، أطلق تنهيدة عالية وراضية، مغمضًا عينيه للحظة فقط. كم كان نادرًا، فكر ستانلي، رؤية صديقه هادئًا وفي سلام تام.

لكن الأمر لم يدم.

انتفض جاك واقفًا، وبدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا أمام ستانلي وراف، اللذين كانا لا يزالان يأكلان.

— «ما زلت لا أصدق أن هذا هو الختام. اليوم الأخير. أشعر أنه يجب أن أشعر بشيء أكثر، هل تعلمون؟ شيء أكبر.» قطب جبينه، وعقد شفتيه في كرة مشدودة. «هل يريد أحد أن يلعب لعبة؟»

تأوه ستانلي:

— «ليس لدي القدرة العقلية للشطرنج الآن.»

هز جاك كتفيه، ثم بدأ يذرع المكان مرة أخرى. وأشعل سيجارة أخرى.

— «حسنًا، أريد أن أفعل شيئًا. لا أستطيع الوقوف هنا ومشاهدتكما تأكلان. الأمر بطيء بشكل مؤلم. يا إلهي—أنتما كالماشية.»

رفع راف نظره عن بطاطته.

— «ما هو عملك الأدبي المفضل؟»

توقف جاك في مكانه، ناظرًا من راف إلى ستانلي. وانكسر وجهه في ابتسامة لامعة.

— «أوه، سؤال جيد. سهل، لكن جيد. (أوزيماندياس) لبيرسي شيلي. لا داعي للتفكير في الأمر. المفهوم الكامل للزوال، أن مهما حققنا، مهما بنينا

من تماثيل أو صنعنا من إمبراطوريات——كلها ستتحول في النهاية إلى غبار. الزمن هو المساوي العظيم. لا شيء بجانبه يبقى.»

نظر إليه ستانلي بفضول:

– «أتظن أن هذا مريح؟»

– «أوه لا.» نطر جاك عقب سيجارته على الأرض وداس عليه. لمعت عيناه. «أعتقد أنه تحدٍ.»

سأل راف:

– «ستان؟»

– «لماذا السؤال؟»

أجاب راف:

– «حسنًا، في الأصل أردت فقط طرح سؤال يجعل جاك يتحدث لفترة، حتى يتوقف عن إزعاجنا.» رماه جاك بنظرة قذرة. كبت ستانلي ضحكة بصعوبة. «لكن الآن اندمجت في الأمر. أنا مهتم فعلاً.»

أعطاه جاك نظرة ذات مغزى، كأنه يقول: *أرأيت؟* لكن راف تجاهلها.

سأل ستانلي راف:

– «ما هو خيارك؟»

– «هاه. في الواقع لست متأكدًا. هناك بعض اللحظات الرائعة في (رامايانا) أعتقد أنها...»

– «نص ديني؟ حقًا؟» قلب جاك عينيه. «ظننتك أذكى من ذلك.»

قال راف:

– «نعم. آسف.»

قطب ستانلي جبينه:

– «ما الخطأ في النصوص الدينية؟»

– «بففففت. آلاف السنين من التقدم البشري وما زال الناس مهووسين بأساطير كتبها بعض القوم في العصور المظلمة. هذا هراء. هذا متخلف جدًا.»

رد ستانلي:

– «لا أعتقد ذلك. إنه... منظور مختلف، هذا كل شيء. طريقة أخرى للنظر إلى المعلومات. التجريبية جيدة ورائعة، لكن إذا رفضنا الاعتراف بأنظمة المعرفة الأكثر أصالة، فنحن فقط نقطع جزءًا كاملاً...»

– «ستان.» هز راف رأسه. كان جاك قد أدار وجهه بعيدًا عنه بالفعل.

أغلق ستانلي فمه حين أدرك أنه ينكز دبًا يجب تركه وشأنه. بعد إيداع جاك في المدرسة الإعدادية في "ويلتون" وتغطية رسوم تعليمه بالكامل، غادر والداه البلاد، تاركين إياه للانضمام إلى طائفة دينية في الولايات المتحدة. عندما سمع ستانلي أخيرًا عن هذا من راف، لم يُصدم تمامًا من كون والدي جاك خارج الصورة—فجاك لم يتحدث عنهما أبدًا، بعد كل شيء، وكان ستانلي بالتأكيد يستطيع التعاطف مع ذلك—لكن الفجائية التي قطعا بها نفسيهما عن حياة جاك كان لها وقع لم يستطع ستانلي فهمه تمامًا أبدًا.

قال ستانلي، محاولاً إعادة جاك الشائك بالفعل إلى المحادثة:

– «خياري هو أسطورة ثاموس وثيوت. من محاورة فيدروس لأفلاطون.»

قال جاك وهو يستدير:

– «لا أعرفها.»

– «والدمان عرفني عليها.» قلب كلا الفتيين عينيهما، كأنهما يقولان: *بالطبع فعل*، ولعن ستانلي نفسه لزلة أخرى. كان مصدر أكثر من وخزة عرضية أن ستانلي قضى الكثير من العامين الماضيين منعزلاً في مكتب البروفيسور والدمان، هما الاثنان فقط وحدهما.

قال ستانلي بسرعة، محاولاً تحويل المحادثة فكريًا:

– «إنها عن الإله القديم ثيوت، الذي اخترع الكتابة وقدمها للشعب المصري. هو يعتقد أنها شيء رائع، أنها ستساعد الناس على تذكر التاريخ والماضي، لكن ثاموس—الملك—يختلف معه. يجادل بأنها مخرج كسول. يقول: "لأن اكتشافك هذا سيخلق النسيان في نفوس المتعلمين، لأنهم لن يستخدموا ذاكرتهم... أنت تعطي تلاميذك ليس الحقيقة، بل فقط مظهر الحقيقة... يملكون مظهر الحكمة دون حقيقتها".»

قال جاك:

– «انتظر، إذن الحجة هي أن اختراع الكتابة شيء سيء؟»

أجاب ستانلي:

– «إنها تجربة فكرية. لكنها تلمح لشيء أعمق. أن هناك شيئًا مميزًا بشأن العقل البشري—شيء ثابت—وأن أي محاولات نقوم بها لإخراج ذلك للخارج، سواء عبر الكتابة أو حتى الفن، هي تخفيف له. إنها...» هز رأسه. «أجد الفكرة رومانسية جدًا.»

أشار جاك بسيجارته إلى ستانلي:

– «إذن هل هذا ما تفعله مع العجوز؟ تصبح رومانسيًا بينما تتعلم أفلاطون؟»

قال ستانلي بسرعة، هازًا رأسه:

– «لا. لا، أنا... نحن فقط نفعل المعتاد. نلعب الشطرنج. أقرأ له كتبًا. هو يحب الرفقة.»

– «لكن بدوننا؟»

شعر ستانلي بوجهه يزداد سخونة، استجابة لم يساعدها الصداع المتنامي الذي كان يتجذر في جمجمته. كان عليه أن يكون حذرًا—كانت هناك أشياء لا يستطيع قولها. وعود قطعها وخطوط لا يستطيع تجاوزها. لم

يرد الكذب على هذين الفتيين، صديقيه، لكن أحيانًا كان الولاء أهم من الصدق.

- «الأمر ليس...»

هز جاك رأسه:

- «نعم، بالتأكيد، أيًا كان. لا أعرف من أين تأتيك الجرأة للكذب على...»

قال راف:

- «اترك الأمر.»

رد جاك بحدة:

- «سأتركه عندما أعرف ما الذي سأتركه.»

ضغط ستانلي بظهره على الشجرة خلفه:

- «أنا فقط أقول إن...»

نهض راف، ورغم أن جاك كان أطول، إلا أن راف خيم بظله عليه. مد ذراعيه العريضتين واسعًا، كطائر يستعرض مدى جناحيه، ثم ضمهما بإحكام. بمراقبته، صمت جاك.

سأل راف:

- «هل يمكنني الحصول على سيجارة؟»

- «ظننت أنك أقلعت.»

- «نعم. وأنا كذلك.»

حدقا في بعضهما البعض، ورأس جاك مائل للأسفل. أصبح الفراغ بينهما خوائيًا. لم تمر كلمات من شفاههما. عقد من التفاهم غير المنطوق—قرب كان ستانلي يلمحه غالبًا لكن لا يستطيع لمسه أبدًا—تدفق بينهما. ومضت نظرة مرارة عبر وجه جاك، للحظة فقط. ثم تنهد ومد يده لجيبه.

النفس الذي كان ستانلي يحبسه خرج منه في زفير طويل واحد.

وقفوا لفترة، ثلاثتهم، ناظرين للحقول التي تموج ممتدة نحو الأفق. تبدد التوتر، حتى وإن كان ستانلي لا يزال يشعر بآثاره باقية في الهواء البارد. أعطى راف إيماءة صغيرة لستانلي، كأنه يقول: *لا تقلق بشأن ذلك*. كانت هذه الطريقة المتزايدة بينهما خلال العامين الماضيين: قرب وتفكير ولكن مع إدراك أن كلمات معينة يجب أن تترك غير منطوقة. أسئلة معينة لا يجب طرحها.

كره جاك ذلك.

الصباح البارد الصافي والهواء اللاسع كانا يفعلان الكثير لتخفيف الضباب في عقله وجلب بعض الوضوح. لم يحب "ويلتون" حقًا أبدًا ولا كل الأشياء التي مثلتها. بدا ساخرًا أنه من بين الثلاثة، هو من سيبقى هنا. سحب والدمان بعض الخيوط، مؤمنًا له مكانًا كمساعد تدريس لمدة عام أو عامين قبل أن يبدأ ظاهريًا في التقدم للجامعات. في الحقيقة، كان ذلك غطاءً، عذرًا لهما لمواصلة العمل حتى يتم حل المشكلة.

لن تحتاج لشهادة عندما تفوز بنوبل، مازحه والدمان مرة. أو، على الأقل، اعتقد أنها كانت مزحة. مع البروفيسور، لا يمكنك التأكد تمامًا أبدًا.

سأل ستانلي، وعقله الآن مثبت بقوة على المستقبل:

— «أين ترون أنفسكم بعد عشر سنوات؟ ماذا تظنون أنكم ستفعلون؟»

قال راف بابتسامة:

— «هل يمكنني الإجابة عن جاك؟ لأنك تعلم أنه سيقول: (أحكم العالم)، أو هراءً آخر من هذا القبيل.»

سأل جاك، مستديرًا لهما:

— «هل هذا حقًا شيء سيء؟ بصدق، أريد أن أفعل شيئًا يُحدث فرقًا. شيئًا يُتذكر، هل تفهمون؟ هناك قول يهودي قديم بأنك تموت مرتين: مرة عندما يموت جسدك والمرة الثانية عندما يُنطق اسمك للمرة الأخيرة تمامًا. إذا لم

أستطع منع الأولى، سأتأكد تمامًا من منع الثانية. ربما شيء في الرياضيات. قدوتي المفضلون كلهم علماء رياضيات أو فيزيائيون. الناس لا ينسون علماء الرياضيات. عملهم لا يصبح غير ذي صلة. إنه أبدي.»

سأل ستانلي:

— «راف؟»

— «يا إلهي، ليس لدي أي فكرة. عندما أبلغ الحادية والعشرين، سأرث صندوق العائلة الاستئماني. إذا لم أرد العمل، فلن أضطر للعمل يومًا في حياتي كلها، هل تعلمون ذلك؟ اتضح أن والديّ كانا كتومين جدًا بشأن أموالهما. بعد موتهما، أخبرني المحامي أنها عدة ملايين. في مواجهة ذلك، لا أدري. يمكنني فعل أي شيء. الأمر مربك قليلاً.»

هز جاك رأسه:

— «لا أستطيع تخيل ذلك. رافاييل لازاروس، العازب المليونير. ربما سآتي للعيش معك.»

— «يا إلهي، آمل ألا تفعل. بعد اثني عشر عامًا، لا أصدق أنني لن أضطر لرؤية وجهك المتعجرف كل يوم. بصراحة، بعض الناس يحصلون على حكم أقل للقتل غير العمد.»

ضحك ستانلي، وسرعان ما كان جاك وراف يضحكان أيضًا. عرف ستانلي أنه سيفتقد هذا. لم يكن يعرف متى سيرى أيًا منهما مرة أخرى. فقد كانا ذاهبين إلى العالم الواسع بحثًا عن مزيد من التعليم، والوظائف، وحياة صاخبة كاملة، بينما كان هو باقياً في الخلف مع رجل عجوز في مكتب.

لكنه شعر بحماية غريبة عندما فكر في وقته مع والدمان. كان وقته الخاص، ولم يكن أي شيء ملكه حقًا من قبل. لذا، نعم، سيبقى، لأنهما كانا يقتربان، يقتربان جدًا من تحقيق انجاز علمي، وكان يعلم أنه لا يستطيع تحمل أن يكون في أي مكان آخر.

***

بعد إفطارهم المليء بالصداع، تجولوا عائدين إلى مدخل "ويلتون" المقنطر معًا للمرة الأخيرة، عابرين الفناء وصاعدين الدرج الحلزوني لغرفة والدمان. طلاب الصف الثاني والثالث تحركوا حولهم، جيل جديد لم يعرفوه ولم يتحدثوا إليه. مشوا في صمت——جزئيًا لأن رؤوسهم ما زالت تؤلمهم وجزيئًا لأنهم جميعًا، بطريقتهم الخاصة، أدركوا الأهمية الكئيبة لهذه اللحظة.

هذا النادي الصغير عرّفهم، وشكلهم على مدى سنوات عديدة. سيستمر بدونهم، بالطبع. استمر والدمان في التجنيد من السنوات الأصغر، ولو ببطء، وعرف ستانلي أنه سيساعدهم في تدريب ذاكرتهم وممارسة مهاراتهم. لكن اليوم كان مميزًا. اليوم، كان الثلاثة فقط. وبعد اليوم، سيذهب ذلك.

فتح جاك الباب ليجد والدمان جالسًا على المكتب، وعصاه في يده، ويبدو عابسًا.

— «أي وقت تسمون هذا؟»

أجاب جاك:

— «وقت معقول يا بروفيسور. فقط لأنك تستيقظ في الرابعة صباحًا لا يجعل ذلك طبيعيًا.»

— «ها!» ضرب عصاه على الطاولة. «لم أظنك مملاً لدرجة السعي وراء الطبيعية يا سيد بشار. كم هذا مخيب للآمال.»

— «خيبة الأمل الوحيدة التي ستختبرها اليوم هي عندما أفوز في (ريسك)، مرة أخرى.»

قال راف:

— «لا أريد لعب ريسك.»

— «لأنني أفوز دائمًا؟»

– «لأنك تشمت. هذا متعب. لا أريد لآخر ذكرى لي في هذه الغرفة أن تكون لك وأنت تشمت.»

قال ستانلي بهدوء، مغلقًا الباب:

– «شطرنج. إنه الشيء الوحيد المنطقي.»

– «السيد ويب الشاب محق بالفعل.» انزلق والدمان عن المكتب وهبط، برشاقة مدهشة، على الأرض. «أخرجوا الرقع. إنه الخيار الوحيد الممكن.»

انخرطوا في روتينهم بالسهولة المريحة للسنوات الطويلة. أحيانًا، عندما لا يجد طريقه حول مشكلة أو يعلق عقله، كان ستانلي يجلس في غرفته ويجهز رقعة شطرنج: يضع البيادق، ويدير الفيلة والفرسان بالطريقة الصحيحة، ويضع الوزير أخيرًا—دائمًا أخيرًا. كانت تجربة حميمية. كانت تهدئه.

لعب والدمان جميع الرقع الثلاث. لم يعد الأولاد يستخدمون قطعًا مادية عند اللعب ضد بعضهم البعض، لكن عند اللعب ضد والدمان، أخذوا كل ميزة يمكنهم الحصول عليها. إذا كان ذلك يعني رؤية شيء لا يستطيع الرجل الأعمى رؤيته، فليكن. ومع ذلك، أحيانًا كان راف وستانلي ينسيان تحريك القطع لست أو سبع نقلات، ثم يدركان بسرعة ويلحقان بها جميعًا. ليس جاك، أبدًا. أبقى جاك عينًا ضيقة ومراقبة على كل قطعة، كل حركة.

كانت كل لعبة مثيرة. لدرجة أن ستانلي كافح للتركيز على لعبته، وعيناه تنجرفان للمعارك الشرسة الدائرة على الرقع الأخرى. سحب جاك الأسود، مستخدمًا دفاع روباتش، متطلعًا للسيطرة على وسط اللعبة، حيث كان يعلم أنه الأقوى. بقي راف تقليديًا، ناشرًا فيله في تفريعة التنين. حركة آمنة نسبيًا، لكن ستانلي استطاع بالفعل رؤية والدمان يتحول إلى الهجوم

اليوغوسلافي، مبيتًا الأجنحة ودافعًا اللعبة إلى مستوى من التعقيد سيكافح راف لإدارته.

كان والدمان يذرع الغرفة جيئة وذهابًا، وعصاه تطرق الأرض. تخللت الغرفة صيحات، وشهقات تعجب، وصوت ضرب القطع بقوة. تم كسب أرض، ثم فقدانها؛ قُدمت قطع كقرابين، بعضها كفخاخ، وأخرى كدروع—لحظات وجيزة من الراحة في حرب مستمرة.

قال جاك:

— «كش. أعتقد... نعم. كش.»

توقف والدمان. توقف الجميع. وضع يده على ذقنه، متصنعًا دراميًا التفكير العميق.

— «البيدق إلى فيل الملك ٥.»

— «الفيل إلى ملك ٢. لقد أخذتُ وزيرك.»

رمش والدمان. تجمد، واختفت اللعبتان الأخريان من عقله.

— «البيدق إلى فيل الملك ٦.»

— «ماذا؟»

— «لقد سمعتني.»

هز جاك رأسه مبتسمًا:

— «أنت تستسلم. يمكنك رؤية أنني فزت.»

— «البيدق إلى فيل الملك ٦.»

أجاب جاك:

— «الحصان إلى حصان الوزير ٣. لدي كلا قلعتيك. لم يبق لديك شيء.»

— «البيدق إلى وزير ٤. مات في ثلاث نقلات.»

— «ماذا؟»

وضع والدمان يديه على الطاولة، مائلاً للأمام.

— «كش. مات.»

حدق الأولاد الثلاثة في الرقعة، في قطع والدمان المتضائلة، معظمها بيادق الآن. رأوا كيف كانت مرتبة: بدقة، وتحديد، وموضوعة في مكانها بعناية فائقة، بينما تجاهل جاك أهميتها وضغط لكسب الأرض. سيطر الصمت.

أخيرًا، قال جاك:

— «أوه، تباً بحق الجحيم.»

هز رأسه، ووقف، ومشى بعبوس للجانب الآخر من الغرفة ويداه في جيوبه. لم تكن مفاجأة—لم يكن ينبغي أن تصدم أحدًا. جاك يفوز أحيانًا في ألعاب أخرى: ريسك أو كاروم، إذا كان محظوظًا. لكن لا أحد يهزم والدمان في الشطرنج. أبدًا. أحيانًا تقترب، لكنك لا تفوز أبدًا.

كانت نهاية لعبة راف تتحول إلى طويلة—حرب استنزاف لم يبدُ أي طرف راغبًا في المجازفة فيها. أحيانًا، يندفع بيدق أو قلعة خارج الغطاء للحظة، وجيزة، قبل الاختفاء خلف الخطوط الصديقة. تم كسب القليل من الأرض هنا وهناك، لكن ليس الكثير. ببطء ولكن بثبات، عمل والدمان على ميزته وضغط طريقه عبر الرقعة.

كان ستانلي بالكاد منتبهًا للعبته الخاصة. انزلقت الحركات من لسانه قبل حتى أن تتاح له فرصة التفكير فيها. ما بدأ كدفاع صقلي مفتوح تحول بسرعة إلى تفريعة تايمانوف ثم قيد ماروتزي. أصبحت اللعبة الوسطى معقدة بشكل سخيف، مع تغطية كل قطعة مرتين على الأقل وتعددية في التبديلات الممكنة. لم يكن ستانلي يفكر—ليس حقًا. غريزة ما، مبنية على مئات الآلاف من الألعاب السابقة المكدسة فوق بعضها في ذاكرته، تولت القيادة. وجد نفسه ينظر لشكل القطع، مفكرًا في لمعان الضوء على الرقعة. من المحتمل جدًا أنه كان الأكثر تفاجئًا في الغرفة عندما قال أخيرًا:

— «كش. مات في أربع نقلات.»

تجمد والدمان. ضيقت عيناه الغائمتان، معيداً لعب النقلات القليلة الأخيرة في رأسه.

- «عفوًا؟»

- «أنا...» رمش ستانلي. «أعتقد أنك عالق. أعتقد أنها كش مات.»

انتفض راف للأعلى، وعيناه تلتهمان رقعتهما بنهم. من الجانب الآخر للغرفة، لم يتحرك جاك، ولم ينظر، لكن جسده أصبح متيبسًا، كل عضلة فيه انقبضت.

كان الصمت بينما يفكر والدمان في النقلات في رأسه يصم الآذان.

قال أخيرًا، ووجهه ينكسر في ابتسامة ضخمة:

- «نعم. هي كذلك. كش مات. حسنًا، تهانينا، يا سيد ويب الشاب. أنت أول شخص يهزمني منذ سبعة عشر عامًا طويلة.»

قال جاك ناظرًا من النافذة على الجانب المقابل للغرفة:

- «هراء. لقد تركته يفوز.»

كرر والدمان غير مصدق:

- «تركته يفوز؟ تركته يفوز؟ كيف تجرؤ؟ كمن يقول إنني تركت الشمس تشرق هذا الصباح، أو تركت المد والجزر يخرج!»

هز جاك كتفيه:

- «أكيد، أيًا كان. قل ما تريد. لا تتظاهر بأنك لا تملك مفضلين.»

استدار راف:

- «بجدية يا جاك؟ فقط لأنك لم تفز؟ ألا يمكنك أن تكون نبيلًا ولو قليلاً؟»

- «الأمر لا يتعلق بعدم فوزي يا راف. هذا يتعلق بميثاق أفضل صديق السري الصغير الذي رآى هذان الاثنان»—أشار لستانلي ووالدمان—«أنه من المناسب إبقاءنا خارجه طوال العامين الماضيين. ماذا، ألست جيدًا بما يكفي لك يا بروفيسور؟ ما الخطأ الذي فعلته؟ ألست

ذكيًا بما يكفي للجلوس في مكتبك والحديث عن أفلاطون وثاموس وثيوت اللعين؟»

التوى وجه والدمان في تعبير لم يره أحد منهم من قبل: الغضب العارم. نظر راف من جاك لوالدمان وعاد، وعيناه مذعورتان، لكن والدمان لم يتحدث لجاك.

همس لستانلي، وصوته بالكاد يحتوي هدير الغضب تحته:

— «أخبرتهم؟ لقد وعدتني.»

تراجع ستانلي:

— «لم أخبرهم بشيء. كنا نتحدث فقط عن الأدب، هذا كل شيء. أنا...»

طالب جاك مقتحمًا الغرفة:

— «تخبرنا ماذا؟ ما هو؟ ما الذي تخفيانه أنتما الاثنان وسري جدًا لدرجة أنكما لا تستطيعان إخبار بقيتنا؟ لا تستطيع إخباري؟»

— «هذا ليس من شأنك يا ولد!» ضرب والدمان عصاه على الطاولة، فدوّت الضربة عبر الغرفة. صمت الجميع. حدق راف في حجره. عبس جاك في وجه البروفيسور، وقبضتاه مشدودتان. فتح ستانلي فمه ليتحدث، ليفعل شيئًا لاستعادة السلام، لكن لم تتشكل أي كلمات.

استدار والدمان ومشى نحو الباب. عندما وصل هناك، توقف.

— «اليوم هو يوم مغادرتكم المدرسة، عندما تتوقفون عن كونكم أطفالاً وتصبحون رجالاً. تصرفوا على هذا النحو.»

وخرج.

لم يتحدث الأولاد. خيم حرج غريب فوق كل منهم كبطانية ثقيلة. كان من المفترض أن يكون هذا وداعًا حزينًا: مؤثرًا وعاطفيًا. لم يكن مفترضًا أن يكون جدالاً. لا شيء من هذا كان صحيحًا على الإطلاق.

التقط جاك حقيبته وخرج دون كلمة أخرى. نظر ستانلي لراف، الذي بدا خجلاً، ولسبب ما، خزيًا قليلاً.

– «يجب أن تذهب للاطمئنان عليه بعد قليل.» قال راف.

وقف ستانلي:

– «تعني جاك؟»

– «تعلم من أعني.»

أومأ. كان راف محقًا—كالعادة. لم يستطع ترك اجتماعهم الأخير ينتهي بهذه الطريقة، ليس بعد كل ما مروا به. سيذهب لرؤية البروفيسور ويصحح الأمر. سيجعله يعيد تنظيم الاجتماع، وسيهدئ راف جاك، وسيحاولون مرة أخرى.

لكن قلقًا أعمق استقر الآن في وعي ستانلي: لم يرَ والدمان غاضبًا هكذا من قبل. لا منه، ولا من أي أحد، رغم أن البروفيسور أصبح أكثر تقلبًا مع اقترابهم من اختراق في تجربتهم. لم يكن ستانلي أحمق. كان يعلم أن هناك أشياء لم يخبره بها والدمان. لكنه أمل أنه متى ما اكتشف ماهيتها، لن يكون الأوان قد فات.

***

بينما كان ينتظر هدوء البروفيسور، ذهب للبحث عن هيوغو. الفتى الصغير لم ينمُ كثيرًا في العامين الماضيين، لكنه طور حدة حوله تكاد تخيف المعلمين، ناهيك عن الطلاب. وبناءً عليه، أصبح منعزلاً—أكثر حتى من بقية أعضاء نادي والدمان—وغالبًا ما يمكن العثور عليه يمشي في الأرجاء، متمتمًا لنفسه.

عندما لمح ستانلي، أعطى ابتسامة نادرة:

– «لست في الحفل؟»

– «أنت شديد الملاحظة. إنها مهارة حقيقية.»

قلب هيوغو عينيه، بتجاهل محبب بالطريقة التي لا يتقنها سوى ابن الرابعة عشرة.

– «هي،» قال ستانلي. «أردت فقط القول، إنه يوم أخير، لكن...»

– «لا تفعل.»

– «ماذا؟»

هز هيوغو رأسه:

– «أنا لا أحسن الوداع. لست مهتمًا. إذا كان هذا ما جئت لأجله، فلا تفعل.»

– «في الواقع، كنت هنا لأخبرك أنني باقٍ في الجوار.»

أضاءت عينا هيوغو:

– «حقًا؟»

– «نعم، أساعد البروفيسور في بعض الأمور المتفرقة. لذا ستظل تراني في الجوار.»

– «أوه،» قال، فجأة مرتبكًا. «صحيح. حسنًا. هذا لطيف، إذن.»

نظر للأرض ومشى مبتعدًا دون كلمة أخرى.

لا تتغير أبدًا، فكر ستانلي مبتسمًا. *على الأقل لا يزال هناك شخص غريب مثلي هنا.*

***

دافعًا باب مكتب والدمان، أطل ستانلي برأسه. كان العجوز يذرع الغرفة متمتمًا.

– «رائحتك مختلفة.» ارتعش أنفه.

– «هل كنت تتحدث لنفسك مرة أخرى؟»

– «هل كنت أتحدث لنفسي؟» كرر. «هل يبدو أن هناك أي شخص آخر هنا؟ بالطبع كنت أتحدث لنفسي! يبقي العقل نضرًا. يبقي الدماغ دائرًا.»

– «أنت سخيف.»

اقترب والدمان من ستانلي ببطء، يشمشمه كجرذ عجوز.

– «وأنت تفوح برائحة الكحول. عرفت أنني أستشعر شيئًا في تلك الغرفة، لكنني افترضت أنه جاك. هل أنت مخمور؟»

– «لدي صداع كحول يا بروفيسور. إنها العاشرة صباحًا.»

لجزء من الثانية، اتسعت عينا والدمان في مفاجأة. لم يكن ستانلي ليلتقطها لو لم يكن يعرفه جيدًا.

– «حسنًا، بالطبع هي كذلك! لا تحتاج لإخباري بذلك. كمن يخبر الشمس كم هي ساخنة!»

أدار البروفيسور ظهره وبدأ العبث بقطع من الورق. قبل حوالي عام، بعد ادخار أموال منحته الضئيلة، اشترى ستانلي للبروفيسور لوحة برايل وقلمًا حتى يتمكن من تدوين أفكاره.

نادرًا ما استخدمها والدمان. لم يكتب أي شيء تقريبًا. عندما فقد بصره، رفض تعلم برايل، مدعيًا أنه لا حاجة له بها. وأن كل ما يحتاج لتذكره سيبقى مرتبًا في رأسه. فقط بعد أن ألح عليه ستانلي بشأن الحاجة لطريقة ما لتسجيل الأشياء، التقطها لاحقًا. تعلماها معًا.

ابتسم ستانلي وهو يمشي للمكتب ويستقر.

– «أنا آسف بشأن ما حدث سابقًا. أنا... أنا حقًا لم أخبرهم بأي شيء عما كنا نفعله. كنا فقط...»

لوح والدمان بيده في الهواء.

– «لا يهم. يجب أن نتوقف على أي حال. التجربة لا تذهب لأي مكان. من الحماقة حتى المحاولة.»

سرت صدمة عبر قلب ستانلي ونزولاً لمعدته.

– «ماذا؟»

– «فقط لا جدوى.»

– «لكننا كنا نقترب.» وقف ستانلي. «الاكتشاف الذي قمت به حول الشبكة العصبية بالتحديد كان...»

قاطعه والدمان، وجسده كله يتشنج، ويداه تقبضان على المكتب:

– «قلت بالفعل إن الأمر انتهى. هذا عمل حياتي. أقول لقد انتهينا، لقد انتهينا!»

همس ستانلي، لكنه كافح لسماع نفسه فوق هدير أفكاره:

– «أنا لا أفهم.» لقد راهن بكل شيء على هذا. بدونه، لا مستقبل له. لا مكان يذهب إليه.

أعطاه والدمان ظهره، عابسًا. لم يحتج ستانلي لرؤية وجهه؛ كان جسده كله عابسًا.

حاول ستانلي:

– «أوه، هيا يا بروفيسور. هل تتوقع مني حقًا تصديق أنك تستسلم وحسب؟ كمن يسأل...»

– «كفى!» نهره بحدة. تراجع ستانلي خطوة لا إرادية للخلف. «لا مزيد من النقاش. انتهى الأمر. انسه. انس كل شيء ناقشناه. إنه بلا جدوى. اذهب وعش حياتك. احصل على وظيفة، وعائلة.»

مد ستانلي يده ليضعها على كتفه:

– «لماذا تتصرف هكذا؟ ماذا حدث؟»

نفظه والدمان عنه.

– «لديك حفل لتذهب إليه. سأراك هناك.»

متمتمًا لنفسه، تحرك ببطء نحو باب غرفته، يشمشم وهو يذهب. وبحركة واضحة، أغلقه خلفه، تاركًا ستانلي واقفًا في حيرة بمكتبه، ومصاريع النوافذ تقرقع برفق في الريح.

***

تغيب ستانلي عن حفل الخريجين. كان شأنًا عبثيًا: محاولة رسمية مفرطة للتظاهر بأن السنوات الخمس الأخيرة من حياة ستانلي كانت جماعية، وتضج بالحياة والصداقة. لم يخبر والديه حتى أنه سيحدث، ولم يهتما بالسؤال. ضغط عليه جاك وراف للحضور في البداية، فكان يرتدي بدلة وربطة عنق استعارهما، شاعرًا بالحر الشديد والغباء قليلاً. لكن بعد جداله مع والدمان، كان آخر شيء يريد فعله هو تعريض نفسه لسيرك الطلاب يصافحون ويلقون خطبًا مبتذلة، يحيون بعضهم البعض ويسخرون منه بصمتهم.

سيعتذر لجاك وراف لاحقًا.

بدلاً من ذلك، جلس في المقبرة خارج مبنى المدرسة الرئيسي——تلك التي كان يذهب إليها هو وراف عندما يحتاجان لاستراحة من كدح اليوم الدراسي. نظر عبر الأحجار المتداعية والمتناثرة وتساءل ما الذي يحدث بحق الجحيم. لقد حقق هو ووالدمان اختراقات مؤخرًا، وفتحا آفاقًا جديدة اعتقدا سابقًا أنها غير قابلة للتحقيق. لم يستطع فهم لماذا يستسلمون الآن. هل كان هذا هو الختام؟ هل كانت هذه فعليًا نهاية الطريق؟ هل سيضطر لمغادرة "ويلتون" والمضي قدمًا إلى... ماذا؟ برامج جامعية مليئة بالمزيد من الشيء نفسه. وظيفة. منزل. عالم قد رفضه بالفعل.

وقف، متنهدًا، محاولاً منع الدموع من عينيه، وتجول عبر شواهد القبور.

لقد فعل شيئًا خاطئًا، أيًا كان، لكن أكثر من ذلك، شعر بأنه خيبة أمل. لم يكن هذا شعورًا جديدًا. اعتاد عليه من البالغين الآخرين في حياته، لكن أبدًا من العجوز. أبدًا من والدمان.

أمسكت يد بكتفه.

مستديرًا، ووجهِ بامرأة عجوز. كانت يدها تقبض عليه وكأنها تتمسك للنجاة.

— «ستانلي.»

حدق فيها. كانت مألوفة بشكل غريب، لكنه لم يستطع معرفة كيف. كرؤية مشهور ثانوي من فيلم لا تستطيع تذكر اسمه تمامًا. رغم أنه لم يستطع التفكير في متى أو أين، كان لديه شعور قوي بأنه رآها من قبل.

— «نـ... نعم؟» نظر يمينًا ويسارًا. كانت المقبرة فارغة—لا أحد آخر هناك. «من أنت؟»

— «كيف نوقفه؟ يجب أن تعرف. كيف يتوقف؟»

— «أنا...» حاول التراجع خطوة، لكن يدها ثبتته في مكانه. «لا أعرف عما تتحدثين.»

قطبت جبينها:

— «أي سنة نحن؟»

— «١٩٥٥.»

— «مبكر جدًا. تباً.» أطلقت كتفه، تاركة وخزة مؤلمة، وهزت رأسها. «أنا... أنا آسفة.»

مستديرة في مكانها، مشت مبتعدة، تاركة ستانلي واقفًا وحيدًا ومذهولاً، كضحية لمقلب فظيع. حدق فيها وهي تمشي حول الكنيسة. رفع يده، مملوءًا بيأس مفاجئ للصراخ: *لا، انتظري!*، لمعرفة من بحق الجحيم هذه المرأة الغريبة وماذا تعني، لكن لم تخرج أي كلمات من فمه.

قطعت الزاوية واختفت.

رحلت.

لقد قالت اسمه. كيف عرفت اسمه؟

انفجر ستانلي في حركة—اندفاع مسعور للإمساك بهذا اللغز. ركض صاعدًا الممر، لكن عندما انعطف هو حول الزاوية، لم يكن لها أثر.

تباطأ ليتوقف، دائرًا في مكانه، ويلهث بشدة.
لقد اختفت تمامًا، وكأنها لم تكن هناك أبدًا.

صرخ. تفريغ غاضب ولا طائل منه للغيظ. صرخ في شواهد القبور، في الكنيسة، في التلال. ركل حجرًا، مرسلاً إياه يقرقع عبر الحصى وإلى العشب. وعندما توقف أخيرًا، شعر بوحدة عميقة ولا تُقاس.

بطريقة ما، أصبحت هذه المرأة المختفية تقطيرًا لكل إخفاقاته—مع "ويلتون"، مع والدمان، مع العالم.

لا.

لن يقبل هذا. لن يستلقي ببساطة ويتقبل الأمر. ليس بعد الآن. أيًا كان الهراء الذي يلعبه والدمان، سيعود إلى ذلك المكتب ويطالب بالحقيقة مرة واحدة وإلى الأبد.

***

سار ستانلي صاعدًا الدرج الحلزوني لمكتب والدمان، كل خطوة ترن عبر المبنى حوله. عندما وصل للباب، أخذ نفسًا عميقًا. لم يرد الصراخ في العجوز، رغم إحباطه. كان يحبه. أراد فقط معرفة ما يجري. أراد فقط بعض الإجابات.

فتح الباب على ظلام. كانت مصاريع النوافذ كلها مغلقة.

— «بروفيسور؟»

رأى ستانلي القليل جدًا في البداية بينما كانت عيناه تعتادان على الضوء الخافت. كان هناك شكل كبير في وسط الغرفة—مثل عمود، أو سجادة عُلقت لتجف. خطا بضع خطوات أقرب، وحبس أنفاسه في حلقه.

كان شخصًا يتدلى هناك. معلقًا من الرقبة. رجل.

والدمان.

حدق ستانلي فيه، غير قادر أو غير راغب في التصديق. خطا بضع خطوات للأمام ولمس جلده. كان لحمه باردًا—شاحبًا وصلبًا. في ذهول،

دار ستانلي حول الجثة، غير قادر على النظر لوجهه مباشرة، فقط للميزات الأصغر: يديه، الرماديتين والمنتفختين؛ حذائه. قميصه كان غير مدسوس جزئيًا، بارزًا من حزامه. شد الحبل على رقبته جذبه للأعلى. *لن يعجبه ذلك*—والدمان كره القمصان غير المدسوسة، فكر ستانلي. كرهها.

التف الحبل حول خطاف في السقف ورُبط بإحكام إلى النافذة. والجثة تتدلى هناك وحسب، معلقة، جامدة. دون تفكير، فك ستانلي ربطها، وسقطت الجثة بتصلب، وكأنها ستتفكك كدمية عرض عندما ترتطم بالأرض، وتتدحرج الأطراف بعيدًا.

أغلق ستانلي عينيه، خانقًا الدموع.

جلس بجوار الجسد ونظر في عينيه الحليبيتين البيضاويين. ماداً يده للأمام، حاول إغلاقهما، لكن تيبس الموت جعل الجفون صلبة وغير متحركة. عبث بها حتى بقيت مغلقة في النهاية.

لوقت ما، جلس هناك معه—لا، معه هو—وبكى.

وضع ذراعيه حول والدمان، الرجل الذي علمه كل شيء، الرجل الذي أعطاه حياة جديدة، وشعر بالخدش الخشن للحبل الذي لا يزال حول رقبته. الكرسي الذي استخدمه والدمان لرفع نفسه رُكل بقسوة لجانب واحد.

ببطء، ثم بشكل أكثر جنونًا، سحب ستانلي لفك الحبل. لم يرده هناك. لم يرد رؤيته على رقبة الرجل الذي أصبح معلمه، وصديقه، ووالده. رماه في زاوية الغرفة، في الظلال. وبينما جلس هناك وحدق فيه، ضربه يقين.

البروفيسور لم يكن ليفعل هذا. مستحيل. لم يكن ليختار التخلي عن ستانلي هكذا. إلا إذا شعر تمامًا أنه ليس لديه خيار آخر.

إذن لماذا؟

ما الذي فات ستانلي؟ ما الذي لم يره؟

في محاولة يائسة للإجابات، تعثر حول الغرفة، باحثًا في الصناديق والحقائب. لم يكن هناك شيء—كل ما كانا يعملان عليه، كل ما جمعاه معًا، أزيل أو دمر. صفحات لا حصر لها من الملاحظات المملية المكتوبة بخط يد ستانلي—مفقودة، محروقة في الموقد، ممزقة لأشلاء. في لحظاته الأخيرة، دمر ما يساوي سنوات من البحث والتجريب، عمل حياة بأكمله.

زوايا وقصاصات من الورق المتبقي الذي نجا من النيران كانت تحوي أنصاف جمل وقطع كلمات كاد يستطيع قراءتها—تشابك ذاكرة، كرواتوان، أبيرون؟—لكنها لم تعنِ شيئًا له.

عندها رآها على مكتب والدمان: قطعة ورقة واحدة، مضغوطة بطريقة برايل باللوحة والقلم. ملاحظة أخيرة، شيء طبعه والدمان قبل أن ينهي حياته. مرر أصابعه على النتوءات. كانت تقول فقط:

"أوديسة. ترجمة موراي. الكتاب ١٢. السطور ١١٨–١١٩."

حدق ستانلي فيها. لم يحتج للبحث عنها. الكلاسيكيات، بترجماتها المختلفة، حُفرت بشكل دائم في ذاكرته على مر السنين. ارتفعت السطور فورًا في عقله—عندما تحذر سيرسي أوديسيوس من السيرينات ثم من الوحشين سيلا وخاريبديس.

آفة خالدة، رهيبة، ومريعة، وشرسة، ولا يمكن محاربتها؛ لا دفاع ضدها.

أزاح الصفحة، وعلى قطعة ورقة أخرى تحت المرجع، مخربشة بحجم كبير جدًا بحبر أحمر بيد عمياء فوضوية لم تكتب كلمة منذ عقود، كانت هناك كلمتان مميزتان بوضوح:

إنه يجوع.

٧

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٨ ساعات، ٢٢ دقيقة، و١٦ ثانية حتى الزوال

سأل حسن:

– «أنتِ في المعهد، معي ومع ستانلي، ودخلتِ إلى (مجرفة الذكريات)؟»

أجابت مارغريت:

– «نعم—أتذكر ذلك بوضوح. وضعتُ سماعة الرأس وكل شيء تغير.»

– «إلى أين تأخذك؟»

– «في البداية سواد، لكنه أعمق من السواد. أكثر خواءً. ثم تظهر ملامح، مثل...»

– «مثل ماذا؟»

– «أتعلم عندما تستيقظ من حلم—حلم حيّ حقًا؟ كل شيء لا يزال ملموسًا جدًا في ذهنك، يكاد يكون بإمكانك مد يدك ولمسه. ولكن حتى وأنت تفعل ذلك، تبدأ الأشياء في التلاشي. تمد يدك للحظة، لشيء قاله شخص ما، أو تحاول تصور المكان الذي كنت فيه، وبينما تفعل ذلك، ينجرف بعيدًا عنك. إلى أين يذهب؟ إلى اللامكان، العدم. إلى الفراغ. أنا في ذلك الفراغ، وأنسى حلمًا بشكل عكسي. العالم يتشكل من حولي: ليس جسديًا فقط بل عقليًا. إدراكيًا—المكان، الوقت، السياق، وكأنني

أستدعي ذكرى أساسية. ببطء وبالتقسيط، أفهم أين أنا. حانة. ليست أي حانة بل حانة (ميرشيستون آرمز) في لندن.»

— «أتعرفينها؟»

— «بالطبع أعرفها. ذهبتُ إليها مرات عديدة. لكن ليس لهذا السبب أعرفها في هذه اللحظة. أعرفها بنفس الطريقة التي تعرف بها شيئًا في حلم. لا يوجد سبب أو تفسير منطقي. أنت تعرف وحسب. وبمجرد أن يضربني الإدراك—لماذا أنا هنا—يسري بقشعريرة في عمودي الفقري.

طلبتَ مني اختيار ذكرى نتشاركها أنا وستانلي، رابطًا بيننا، ورغم أنني لم أفكر في الأمر حقًا، إلا أنه يبدو منطقيًا تمامًا. المكان الوحيد الواضح. أنا في (ميرشيستون آرمز)، قبالة طريق جسر فوكسهول مباشرة. إنه الخامس عشر من يناير، ١٩٦٧، الساعة ٨:١٥ مساءً. الجو بارد.»

— «لماذا أنتِ هناك؟»

— «إنها المرة الأولى التي التقينا فيها أنا وستانلي. إنها أوضح ذكرى لدي—أقوى من يوم زفافنا، ومن أي شيء جاء بعده. ربما باستثناء ولادة ليا، لكن ذلك لم يكن عنا، ليس بنفس الطريقة. أتذكرها بوضوح أكثر مما أستطيع تخيل وجهي هذه الأيام. بشتى الطرق، كان ذلك اليوم الأول في حياتي.

أقف في زاوية هذه الحانة، والأمر حقيقي جدًا. هذه الذكرى—وكأنني هناك. لكنني أنظر لأسفل إلى يديّ وأجدني أنا: أنا العجوز المتجعدة، بجسدي، واقفة هناك وحسب.»

— «دماغك يبني صورة لنفسك في الذاكرة. أنتِ مُراقِب، لا شيء أكثر.»

— «هناك دفء النار في الزاوية، تطقطق، ممزوجًا بالدفء الخفي والأكثر حميمية للناس الذين يدخلون ويخرجون. كلما صر الباب مفتوحًا، تندفع موجة من هواء الشتاء إلى الغرفة وتموت بسرعة. هناك حياة هنا:

إثارة المحادثة. أدرك كم افتقدت المحادثة——يا إلهي، كم افتقدت الناس. وأدرك أنني أنظر حول الغرفة——إلى البار حيث يصب السقاة البيرة والنبيذ، وإلى الناس الجالسين مع قوائم الطعام، يطلبون أطباق البطاطا——لكنني بشكل قاطع ومحدد لا أنظر إلى الزاوية على يساري.»

— «لم لا؟»

— «لأن هذا هو مكان ستانلي. أعرف أنه هناك. أتذكره تمامًا. لكن إذا التفت ورأيته، شابًا وقادرًا ومعافى مرة أخرى، لا أعرف ما إذا كان قلبي سيتحمل ذلك.

أمشي للأمام نحو البار، مستوعبة كل شيء، مذهولة بالتكنولوجيا التي صنعتها. كل شيء يبدو حقيقيًا——كل صوت، ملمس كل سطح، روائح طعام الحانة الجميلة من المطبخ. أضع يدي على الخشب الصلب لمقعد بار فارغ وأجلس.

يسأل الساقي: "ماذا أجلب لكِ؟"

ينفتح فمي في صدمة. *أنا في ذكرى*، أفكر. *إحدى ذكريات ستانلي. كيف يتحدث إليّ؟ أنا لست هنا.*»

— «لأنه ليس حقيقيًا. لأنها ذكرى. الدماغ البشري جيد جدًا في السياق، في تفسير الأشياء التي لا معنى لها. لقد أدخلتِ نفسك، وعيًا غريبًا، في ذكريات ستانلي. عقله الباطن يفعل الشيء الوحيد الذي يستطيع فعله: إنه يتذكرك وأنت تطلبين مشروبًا. وإلا، لماذا ستكونين هناك؟»

— «نعم——أنت تشرح لي هذا لاحقًا أيضًا. عندما أسألك. بدأتُ أتذكر ذلك الآن. لماذا أستطيع تذكر بعض الأشياء وليس غيرها؟ كل هذا تقريبًا يعود إليّ فقط بينما أعيد سرده، لكن هذه... هذه ليست طريقة عمل الذاكرة. لماذا لا أستطيع تذكر ما يحدث تاليًا؟»

— «هذا ليس مهمًا الآن. هذا مهم. هذه اللحظة——هنا. ركزي عليها، وإلا قد تفقدينها.»

— «لكنني...»

— «لا تريدين فقدان هذه الذكرى، أليس كذلك يا ماغي؟ لا تريدينها أن تذهب للأبد.»

— «لا. أبدًا.»

— «ركزي، إذن. الساقي يسألكِ إن كنتِ تريدين مشروبًا.»

— «أطلب في النهاية (جين تونيك). لا أعرف كم من الوقت حدقت فيه بذهول، لكنه تقبل الأمر برحابة صدر. بمجرد أن وصل مشروبي، وضعته على شفتي. إنه لذيذ—بارد ومنعش، مع لمحة من الخيار. رغم كل فقدان ذاكرته، ستانلي يستطيع تذكر (جين تونيك) جيد جدًا.

عندها فقط أستدير.

وأراه.»

— «كيف يبدو؟»

— «لا يبدو كأي رجل رأيته من قبل.»

— «ماذا تعنين؟»

— «إنه جميل. لكنه أكثر من مجرد رجل. إنه—دعني أحاول الشرح: عندما كنت في السادسة عشرة، ذهبت لحفلة في وقت متأخر من الليل في حديقة صديقتي إيلا الخلفية. كان لديها إحدى تلك الحدائق الضخمة التي تمتد إلى الغابة، وبالكاد يمكنك معرفة أين تبدأ أو تنتهي. أسمتها حفلة، لكنها كانت حقًا مجرد مجموعة منا نسكر قدر الإمكان حول نار مشتعلة. كان هناك شعور بالتدمير فينا آنذاك، النوع الذي لا يوجد إلا عندما تكون مراهقًا، أعتقد. البعض منا أحب تحطيم أشياء أخرى، لكنه كان تدميرًا للذات في الغالب. كان لدينا أصدقاء يستطيعون الحصول على الكوكايين من تحت الطاولة من أطباء مدمنين والحشيش من خلفيات حانات الجاز. كان الهدف هو أن نسكر أو ننتشي قدر الإمكان قبل انتهاء الليلة. التأكد من أنك محطم قدر الإمكان.

لكننا بنينا هذه النار. شاركنا جميعًا، وكانت ضخمة—جذوع قُطعت من الغابات المحيطة—وطوال الليل، واصلنا رمي الأشياء عليها وحسب. واحترقت واحترقت. في لحظة ما، ربما الثالثة أو الرابعة صباحًا، حدقت فيها فقط. كنت ثملة وأكثر من منتشية قليلاً. كل من حولي كانوا في طور الانهيار، أطرافهم تخذلهم وعقولهم تتفكك حتى أصبحوا مجرد حزمة من الأجساد النائمة التي يجب إعادة تجميعها في الصباح. وفي خضم كل هذا الدمار والانحلال، استمرت النار في الاشتعال، أكثر سطوعًا من أي وقت مضى، مثل إله شمس مصري، جاء ليضيء أحلك اللحظات في حياتنا.

فقدتُ الوعي في النهاية، بعد ما يكفي من الشرب والرقص والتخبط في ظلام الليل—كانت تلك هي النقطة. الهدف النهائي. وعندما استيقظت في الصباح، مجرد قطعة أخرى من الحطام البشري الذي خلقناه، شعرت بفراغ شديد. هذا هو شعور المعاناة من صداع الكحول والهبوط من النشوة. وكأن كل المتعة قد غُرِفت مني.

لكن النار كانت لا تزال مشتعلة. وانجذبتُ نحوها، وشعرت بدفئها، منارة الضوء هذه، وفجأة، بشكل شبه ديني، رأيت تدمير الذات بداخلي، ورفضته. أردت أن أبدع، أن أنمو، أن أعيش، ولو فقط لكي لا أخيب أمل تلك النار.

تلك النار غيرت الطريقة التي أنظر بها ليومي كله.

وهذا—جالسًا هناك في مقعده بالزاوية، يقرأ كتابًا بهدوء—هذا ما يبدو عليه ستانلي بالنسبة لي.

يا إلهي يا حسن. أعتقد أن قلبي قد فوت دقة لتوّه. لست مستعدة لهذا.»

— «ماذا يحدث تاليًا؟»

— «أنهض من مقعدي وأتحرك أقرب قليلاً إليه—إلى طاولة تبعد بضعة مقاعد. سأدخل من الباب في أي لحظة، وسيحدث: لقاؤنا الأول.

يبدو الأمر وكأنني أقترب من حياة برية في الغابة—أريد أن أكون أقرب ما

يمكن، لكن ليس قريبًا لدرجة إزعاج أي شيء. أعلم أنها مجرد ذكرى، لكنني رأيت بالفعل كيف يمكن للذكريات أن تتغير.
لكن هل تعلم ما الذي لا أتطلع إليه؟»

– «ماذا؟»

– «رؤية نفسي. عليك أن تفهم، كنت فوضى في ذلك الوقت. كنت قد بلغت ذروتي في المدرسة، وتسمية تلك ذروة مؤشر جيد على مدى بؤس حياتي. عندما دخلت تلك الحانة، كان ذلك بعد عقد من ترك وظائف مسدودة، ومواجهة الفشل، وعدم الزواج—حقيقة كان والداي يذكرانني بها باستمرار—وتعاطي المخدرات، عادة قضيت الجزء الأكبر من السنوات الخمس السابقة أقنع نفسي أنها ليست إدمانًا. يا إلهي، لم أكن مجرد حطام؛ كنت التايتانيك. شعر شعث، عيون غائرة، وفقدان شهية مرضي. يع. ليس لدي رغبة في رؤية ذلك الجانب من نفسي مرة أخرى. كلما انفتح الباب، أنكمش. لكن ستانلي جالس هناك فقط، يقرأ بهدوء، يضيء الغرفة بأكملها بتركيزه المسالم. وأعلم أنه بدون تلك السنوات المظلمة والفارغة، لم أكن لألتقي به، ولم أكن لأحصل على كل ما تلا ذلك.
ينفتح الباب مرة أخرى—دفعة أخرى من الهواء البارد تندفع للداخل. نصف راغبة في النظر بعيدًا، ألقي نظرة وأرى نفسي، أنا، في سن التاسعة والعشرين، أدخل مباشرة.
كدت أسقط من كرسيي.»

– «هل الأمر بهذا السوء حقًا؟»

– «لا! إنه... أنا... أنا جميلة. بشرتي صافية—متوهجة حتى. شعري لا يزال يحمل تلك التموجات من مراهقتي، كثيف ولامع. لدي ثقة—واحدة بالتأكيد لم أقترب من امتلاكها حتى وقت طويل لاحقًا. لا أفهم. أنا مذهلة. هذا لا يبدو منطقيًا.»

– «هذه ليست ذكرياتكِ. إنها ذكرياته.»

– «لكنه لا ينظر إلي حتى. إنه ملتصق بكتابه وأنا أدخل الحانة.»

– «الدماغ يضع سياقًا، وعندما لا يعرف الإجابة، يخلق واحدة. قد لا تكون هذه هي الطريقة التي تتذكرين بها نفسك، لكنها الطريقة التي يتصورك بها في ذكرياته. أياً كنتِ أو كنتِ عليه، هكذا يراكِ هو.»

– «بحق يسوع المسيح يا حسن، أنا أبكي الآن. أنا سيدة عجوز عالقة في مسبح لعين، وأنا أبكي.

تدخل هي—أدخل أنا—وتنظر حول الغرفة. إنها تبحث عن مشروب فقط: شيء لتمضية المساء قبل أن تضطر للعودة للمنزل ومواجهة البؤس المحض لوضعها المعيشي مرة أخرى. لوضعي المعيشي، يجب أن أقول. إلا أن الفتاة أمامي، من خمسين عامًا مضت، بعيدة جدًا عن كل ما أنا عليه الآن لدرجة أنني أكافح للتفكير فيها كـ "أنا". بحق المسيح—لماذا تجعل هذا صعبًا للغاية؟»

– «استخدام "هي" لا بأس به. أنا أتابعك.»

– «بينما تنظر حول الغرفة—وأتذكر هذا بنفسي، بوضوح شديد— ترى أن المكان الوحيد للجلوس هو بجانب الرجل الهادئ الذي يقرأ كتابًا في الزاوية. كل المقاعد الأخرى مأخوذة، ولا تريد الجلوس في البار. السقاة يميلون لفتح محادثات، والمحادثات تميل للانحدار إلى الفجور.

لذا تمشي نحو... انتظر.»

– «ما الأمر؟»

– «أنا أجلس على طاولة مرتفعة بالقرب من ستانلي—أنا، العجوز الخرفة الحالية التي غاصت في ذكرياته—ولهذا لا توجد مقاعد أخرى. أخذتُ الأخير. إلا أنني أتذكر أيضًا عدم وجود مقاعد أخرى. إذن من كان يجلس على هذه الطاولة؟ لماذا ليسوا هنا؟»

– «أنتِ تركزين على التفاصيل الخاطئة. ابقي مع ستانلي.»

- «أنت أخبرتني بالتركيز على كل التفاصيل.»

- «كان ذلك تعميمًا. هناك أوقات يجب عليكِ فيها التركيز على أشياء محددة. هذه واحدة منها. إذا لم تخبريني الآن، سيفلت منك الأمر. ستفوتينها. ماذا تفعلين الآن؟»

- «أراقبها وهي تحدق في ستانلي. جلست قبالته، وكوب بيرة في يدها لأنه سيدوم أطول، وهي تحدق فيه مباشرة وحسب. لا يرفع نظره عن كتابه، لكن بالتأكيد يلاحظ. لماذا لا تقول شيئًا؟ هناك شيء ما بشأنه—شيء في جلسته، مظهره—يجعلها مأسورة تمامًا، ومع ذلك كل ما تستطيع فعله هو التحديق. يا إلهي، أشعر بالتوتر لمجرد النظر لهذا. أريد القفز فوق الطاولة وصفعها على وجهها.

ثم يرفع نظره. يلاحظها.

ولا يقول شيئًا.

يحدق فيها في المقابل وحسب.

وللحظة تبدو كعمر كامل، تتلاشى الحانة بأكملها، وينفتح فضاء بينهما: فراغ معزول عن بقية الزمان والمكان. ينبض ويتضخم، وكأن كلاً من وجهيهما ثقب أسود، يجذب الآخر، يسحب ويمزق. وأقلق لثانية أننا سنُمتص جميعًا في الكثافة الهائلة للأمر.

لكنه يبتسم بعد ذلك.

يا إلهي العزيز، تلك الابتسامة. لدي فراشات، حتى الآن. لدي فراشات ثلاث مرات: التحديق فيه، ومشاهدة نفسي أحدق فيه، وإخبارك عن الأمر الآن. كل واحدة تتراكم على سابقتها.

يفتح فمه، ورغم أنني لست قريبة بما يكفي، أعرف بالضبط ما يقوله، لأن تلك الكلمات حفرت في جلدي من ذلك اليوم فصاعدًا.

"هل أعرفكِ؟"

تهز رأسها، ما زالت أسيرة تلك العينين.

يبدأ: "أنا..." ثم يتعثر. يطلق ضحكة صغيرة محرجة، لا تفعل شيئًا سوى تحبيبه إلي أكثر. بينما أراقب شفتيه تتحركان، أتمتم بالكلمات التالية معه.
"أشعر وكأنني أعرفكِ طوال حياتي."
تحمر خجلاً. تمد يدها لشعرها—شعرها الكثيف والمتموج بشكل مستحيل—وتسحبه خلف أذنها. تعطيه ابتسامة صغيرة، وأقرؤها ككتاب.
تقول: *أنا مفتونة بك تمامًا ومطلقًا. خذني. أنا لك.*
يتحدثان—ببطء في البداية، في بدايات خاطئة وسكتات، لكن سرعان ما يصبح بإيقاع أكبر. يتحدثان ويتحدثان وينسيان مشروباتهما. الكتاب أُلقي جانبًا منذ فترة طويلة. يناقشان كل شيء ولا شيء: الحياة، الفن، التاريخ، الحانات. بالكاد يتحدثان عن بعضهما البعض، لكن لا يهم. يعرفان كل ما يحتاجان لمعرفته.
لا أستطيع سماعهما تمامًا، لكنني أتذكر المحادثة بوضوح، الطريقة التي جعلتني أشعر بها. يتحدثان عن كتب لم تقرأها منذ كانت مراهقة، مشعلين حبًا للكلمات كادت تنسى وجوده. تنظر لأسفل بعد نصف ساعة، وبيرتها لم تُمس. لا تستطيع تذكر آخر مرة حدث فيها ذلك.
مرة أو مرتين، عن طريق الصدفة أو تخريب الذات، تدع شيئًا يفلت منها وهي متأكدة أنه سيفسد الأمر. شيء عن المكان الذي عشنا فيه في ذلك الوقت، مجمع واضعي يد قذر بالكاد يرتفع خطوتين عن النوم في الشوارع، أو ما فعلناه بأيامنا، خليط من التعافي من الليلة السابقة وتدبير ما يكفي من المال لتمويل التالية. للحظة، تحني رأسها خزيًا، متوقعة نفس الحكم الذي دفعها بعيدًا عن والديها، لكن عندما تنظر للأعلى، تصدم عندما تجد أنه لا يبالي. إنه غير مهتم بمكان عيشها. يريد أن يعرف من هي.
أنا أجلس هنا أراقبهما، أرى اللمحات الهادئة والنظرات الطويلة، العيون المتحركة والحماس العاطفي الذي يتحدثان به، وأنا أقع في حبه مرة أخرى.
أنظر لأسفل ليديّ لأتأكد أنهما ما زالتا هناك، وهما شيئان عجوزان

ومجعدان. هذا ليس الجسد الذي وقع في حبه. هاتان ليستا اليدين. أريد قطعهما. أريد حرقهما.

ثم أسمع صوتك—هادئًا، يدغدغ مكانًا ما في مؤخرة وعيي.

تقول: "حان وقت الخروج يا ماغي. هذا يكفي الآن."

أنظر للأعلى إليهما. إليّ وإليه. لا أريد مغادرة هذه اللحظة.

— "ماغي." صوتك أوضح هذه المرة، أكثر آمرية. "عليكِ المغادرة."

أهمس: "لا. لا أستطيع."

— "يجب عليكِ."

أشعر بجذبة—كأن حبلًا لُف حول دماغي وسُحب للخلف، مثل الجزء من الثانية الذي تسقط فيه للخلف بكرسي ويحتبس أنفاسك في حلقك. تظلم الغرفة، وأبدأ في التلاشي؛ يبدأ ستانلي في التلاشي.

لا، أفكر، وبطريقة ما—عبر غريزة عميقة لم أكن أعلم بوجودها—أجذب في المقابل. بقوة. أطلق نفسي في الاتجاه الآخر. بعيدًا جدًا لدرجة أنني رُميت خارج اللحظة تمامًا، خارج (ميرشيستون آرمز)، وأنا أغوص عبر مشكال من اللحظات والصور، أعمق وأعمق في عقل ستانلي. مساحة شاسعة من الصحراء. شعلة في كهف، رموز قديمة تومض على الجدران. مختبر من نوع ما، يجرون اختبارات على فئران. رجل يتدلى من حبل في غرفة مظلمة. كل شيء يتحرك بسرعة كبيرة جدًا عليّ للتركيز على أي صورة واحدة.

أتوقف فجأة مع رجّة. أنا في الخارج، والظلام دامس، ومتجمد. لا يوجد شيء من الاستقرار البطيء للذاكرة الذي حصلت عليه من قبل. عظامي ترتجف؛ رقبتي تؤلمني من شدة فورية الانتقال.

بينما تتكيف عيناي مع الضوء الخافت، أرى الثلج تحت قدمي. تهبط رقاقات على جلد ذراعي العاري، كل واحدة عضة متجمدة صغيرة. لست مرتدية ملابس تناسب هذا.

ساحبة ذراعي بإحكام نحو صدري، أنظر حولي. أنا في حديقة صغيرة؛ الإضاءة الوحيدة تأتي من مصابيح الشارع خلفي ومن النافذة أمامي: ذلك الوهج الأصفر الأبيض القاسي للضوء الاصطناعي. آخذة بضع خطوات للأمام، أحدق للداخل وأرى، عبر المطبخ ومتجاوزة بابًا لغرفة المعيشة، صبيًا يقف وحيدًا.

لا بد أنه في السابعة أو الثامنة من عمره، ويقف ساكنًا بشكل غريب، رأسه لأسفل ووجهه يحدق بتركيز في الأرض. بينما أتحرك قليلاً لليسار لاستيعاب المزيد من المشهد، أرى رجلاً يقف أمامه، يلوح بذراعيه، ويصرخ. الصوت مكتوم عبر الغرف والزجاج، لكنني أستطيع بالكاد سماع نبرته—الغضب، السخط. لا يقول الصبي شيئًا، ولا يقوم بحركة باستثناء هزة رأس غير محسوسة تقريبًا.

يصرخ الرجل، والصوت عالٍ بما يكفي لأميز الكلمات.

- "انظر إلي بحق الجحيم عندما أتحدث معك!"

يرفع الصبي نظره، ويسقط قلبي لأنه ستانلي—أوه، إنه ستانلي، ولم يبدُ خائفًا هكذا في حياته كلها. أريد الركض إليه، وغرفه بين ذراعي وحمله، وحمايته من هذا الشكل الوحشي.

يأخذ الرجل خطوة للأمام، مرجحًا ذراعه واسعًا، ويصفع ستانلي بقوة على وجهه.

ينهار على الأرض. أشاهده ينهار على الأرض، وتطير يدي إلى فمي. لكن لا يوجد شيء يمكنني فعله، لأن هذه ذكرى. هذا حدث بالفعل.

أوه يا ستانلي—لم يخبرني أبدًا، لم يستطع أبدًا، لكنني شككت. قد لا يكون احتفظ بأي ندوب جسدية، لكن الندوب الداخلية لم ترحل أبدًا حقًا: رفضه الحديث أبدًا عن والديه، عن مناقشة طفولته؛ الطريقة التي ينكمش بها إذا فاجأته، الطريقة التي لا يزال يفعلها الآن عندما يكون في ضباب الذاكرة المفقودة. أتذكر اليوم الذي أحضرنا فيه ليا للمنزل وحملها

ستان في ذراعيه. كانت لديه أغرب نظرة في عينيه، مزيج من التصميم الشرس والخوف—خوف، أدركه الآن، من أن يرتكب نفس الأخطاء. أتمنى لو استطعت إخباره أن ذلك لم يكن ممكنًا. أتمنى لو استطعت احتضانه وإخباره كم سيكون أبًا رائعًا.

الرجل فوقه الآن—لا يتوقف. أستطيع أن أرى من وقفته، من قدميه المتعثرتين ولكماته الخرقاء، أنه ثمل تمامًا. لكن ستانلي صغير جدًا، ومع انهمار الضربات عليه، يصبح أصغر وأصغر، وكأنه سيختفي.

أحدق عبر النافذة، عاجزة. لا أريد رؤية هذا. أريد الخروج. أريد الابتعاد من هنا.

أقول، مصلية أنك تسمع: "أخرجني. اسحبني للخارج. أرجوك."

هناك جذبة أخرى، وأنا أختفي.»

سأل حسن:

— «عدتِ معي؟»

— «لا، ليس تمامًا. عدتُ لـ (ميرشيستون آرمز)—وكأنني سُحبت للخلف في منتصف الطريق لكن ليس للخارج تمامًا وإلى الحاضر. عدتُ لذلك المقعد، حيث كنت من قبل، إلا أنني الآن أتنفس بصعوبة والدموع تنهمر على وجهي. بضعة أشخاص حولي يبدون قلقين، يختلسون النظر في اتجاهي، كأنهم قطع من وعي ستانلي تحاول فهم وجودي.

لكن ليس أنا الأصغر، وليس ستانلي.

لديهما عيون لبعضهما البعض فقط.

آخذ أنفاسًا عميقة لأهدئ نفسي. قلبي يخفق بقوة لدرجة أن رأسي يؤلمني. أنظر لنفسي الأصغر—ما زالت شابة وجميلة للغاية—وهي تدون عنوانًا لستانلي، مكانًا ووقتًا. اتفقا على اللقاء مرة أخرى قريبًا وقطعا وعدًا بأن كلاهما سيكون هناك. أتذكر حدوث هذا. أتذكر كوني هناك. يساعدني ذلك على تثبيت نفسي.

يعطيها ستانلي ابتسامة عريضة وتحية عسكرية صغيرة هي بصدق، حتى يومنا هذا، ألطف شيء رأيته في حياتي، وتنهض وتخرج من الباب.

رحلت. وعندما تذهب، يطلق ستانلي تنهيدة ضخمة، كأن شيئًا عملاقًا كان مكبوتًا داخله وقد سمح لنفسه للتو بإطلاقه. تسقط ابتسامته، ولا أعرف ما الذي سيحدث تاليًا. لم أكن هناك لهذا الجزء.

لكنه كان. وأنتِ في عقله.

أسمعك مرة أخرى. *عليكِ الخروج يا ماغي. هناك حد زمني لسبب.*

لكن رغم سماعي التحذير في صوتك، هناك شيء ما حول الطريقة التي تغير بها وجهه قبل لحظة، شيء يخبرني أنني بحاجة للبقاء. أشعر بك تجذبني مرة أخرى.

ينهض ستانلي نفسه الآن؛ إنه يغادر الحانة.

تضغط داخل دماغي، تخبرني مرة أخرى أن عليّ الذهاب.

وماذا تفعلين؟

أقاومك بكل ما لدي. لا أجرؤ على الدفع بقوة لدرجة السقوط أعمق في ذكرياته مرة أخرى، لكنني أدفعك لمؤخرة أفكاري. تحتج، وتحذر، وحتى تهددني. لكن بالوقوف على قدمي، وتجاهلك بأفضل ما أستطيع، أتبع ستانلي خارج باب الحانة وإلى البرد.»

— «أحسنتِ.»

— «لماذا تبتسم؟ أخبرتك لتوّي أنني تجاهلتك.»

— «أحيانًا أستحق التجاهل. إلى أين يذهب ستانلي؟»

— «لا نمشي طويلاً، لحسن الحظ، لأنني أشعر بالتجمد حتى عظامي القديمة. أتبعه عن كثب، مبقية مسافة كافية حتى لا أزعج أي شيء أو أؤثر على الذاكرة بأي طريقة. إنه متجه لمكان ما، يمشي بسرعة، ورغم أنني خلفه ولا أستطيع رؤية وجهه، إلا أن هيئته كلها تنضح بتصميم صامت. رغبة في إنجاز شيء ما.

بعد حوالي خمس دقائق من قطع بعض الشوارع الجانبية في فوكسهول، يأخذ الدرج لأسفل لشقة في القبو لم أرها من قبل. عندما عاش في لندن، عاش في شقة مشتركة بثلاث غرف نوم في الطابق الثالث. ما هذا المكان؟ يفتح الباب ويدخل، وأتبعه خلفه، وبدا أنني قادرة على فتحه بنفسي. لا أعرف إن كان تركه مفتوحًا أم أن الذاكرة لا تهتم. الممر مظلم، ولا يكلف ستانلي نفسه عناء تشغيل أي أضواء حتى يصل لغرفة الجلوس الرئيسية. يضغط مفتاحًا، وينفتح فمي.

الغرفة... غريبة. مثيرة للقشعريرة تمامًا، في الواقع. لا توجد أرائك، كراسي، أو طاولات—تلك كلها أزيلت. النوافذ غُطيت بقماش مشمع. على طول الجدار الخلفي، هناك صف من وحدات الكمبيوتر العتيقة—مكاتب طويلة مغطاة بالأسلاك والتروس الدوارة، بالإضافة لبعض التكنولوجيا التي لا أميزها. على الجانب، هناك كرسي يبدو طبيًا—مثل كرسي طبيب أسنان—مع سماعة رأس ضخمة مغطاة بالأسلاك. متناثرة عبر الغرفة قوارير لسوائل مختلفة؛ بعضها يبدو كبول ودم، لكن الغرفة بلا رائحة، شبه معقمة.»

سأل حسن:

— «ماذا يفعل ستانلي بالضبط؟»

— «هل هذا هو؟ هل لهذا علاقة بما نبحث عنه؟»

— «نعم.»

— «يذهب لكمبيوتر ويبدأ النقر على المفاتيح، لكنه لا يجلس. يبدو متوترًا جدًا، كأنه مليء بالكهرباء. أنا أقف في زاوية الغرفة، غير ملاحظة تمامًا. ليس وكأنه سيلاحظني.»

— «هل يستخدم أيًا من التكنولوجيا؟»

— «ذلك الكمبيوتر، نعم—إنه موصول بسماعة الرأس، التي تئز وتومض لتعمل.»

– «يضع سماعة الرأس؟»

– «ليس بعد. يذهب للزاوية المقابلة للغرفة، حيث يوجد صندوق خشبي كبير. يفتحه، ويخرج أكثر مجموعة أغراض غرابة، أشياء لا أستطيع حتى البدء في تخيلها.»

– «مثل ماذا؟ أخبريني بالضبط. لا توفري أي تفاصيل.»

– «خشب—ألواح صغيرة وقصاصات خشب، وبعض الورق والقماش. هناك زجاجات أيضًا، زجاجية، مملوءة بما يبدو كتربة مختلفة وبعض الأعشاب والنباتات. هناك أكياس، لكن لا أعرف ما بداخلها. وهناك سكين: سكين احتفالية كبيرة ومزخرفة من نوع ما.

يبدأ بوضع الزجاجات والقماش عبر الغرفة، وكأنه يؤدي طقسًا، وفي المنتصف تمامًا، يشعل عود ثقاب ويستخدم الورق والخشب لإشعال نار—نار—في وسط غرفة جلوسه اللعينة. مع بدئها بالطقطقة، يرمي أشياء عليها. أعشاب وأوراق شجر. تمتلئ الغرفة برائحة الخزامى وشيء أعمق، شيء أكثر ترابية يشبه رائحة حقل كامل مليء بالتربة الرطبة.

وجهه مكثف لدرجة أنني بالكاد أستطيع النظر إليه. هناك تركيز شديد، تركيز لدرجة أن الخطوط على جبهته تبدو كجروح. يعمل بشكل منهجي—يكتب رسالة الآن، يتوقف ويفكر، وأحيانًا يعود لتغذية النار.»

– «ماذا يكتب؟»

– «لا أعرف. لم أفكر في النظر. تباً. أنا مركزة جدًا على هذا السحر الأسود المجنون الذي قرر زوجي أداءه بعد لحظات فقط من مقابلتي لأول مرة. الأمر ليس صحيحًا. هناك شيء خاطئ جدًا، جدًا يحدث هنا.

يضع سماعة الرأس، ثم يمشي للنار ويجلس أمامها وساقاه متقاطعتان. لقد خلع قميصه، وجلده يلمع في ضوء اللهب. لا يفعل شيئًا للحظة—يغلق عينيه ويتنفس فقط. لسبب ما، أشعر بأنني مجبرة على الاقتراب منه، لأخذ خطوة أو اثنتين أقرب والركوع حتى يصبح وجهي على بعد ياردة أو نحو

ذلك من وجهه. ظهري يتألم من جهد النزول لمستواه.
تومض الأضواء على سماعة الرأس مرة أخرى، والجهاز يئز.
تفتح عيناه فجأة، وهو ينظر إليّ مباشرة.
يقول لي: "أنا أعرف." لكن كيف يمكنه التحدث معي؟ أنا لست هناك.
"سامحيني."
رافعًا السكين لصدره، يشق جرحًا ضخمًا عبر جلده؛ يتدفق الدم للخارج على الأرض، في النار، وعليّ.
يتحول كل شيء للسواد.

أنتفض مستيقظة في المغطس بجوار ستانلي، في الوقت الحاضر، في المعهد. بجنون، أسحب الخوذة عن رأسي وأرميها لجانب واحد. أنت تقف فوقي، ووجهك صارم. خيوط دخان تتصاعد من سيجارتك.

— "ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟" أقول. ستانلي في الكرسي بجانبي، سماعة الرأس لا تزال عليه، وعيناه مغلقتان. قليل من اللعاب يخرج من فمه. "ما الذي حدث للتو بحق الجحيم؟"

— "كان يجب أن تخرجي عندما أخبرتكِ."

— "هذا ليس جيدًا بما يكفي." أنفعلُ، معتدلة في وقفتي. أسحب نفسي خارج المغطس، السائل لزج لدرجة أنه بالكاد يتركني مبللة. "أستحق تفسيرًا لهذا بحق الجحيم..."

يصدر ستانلي أنينًا صغيرًا، وألتفت إليه بقلق. أنحني لمسح اللعاب عن خده، ويفتح عينيه. كل ما أستطيع رؤيته فيهما هو ذلك الصبي الصغير، المليء بالخوف، وصوت صفعة القبضة وهو ينهار على الأرض. ألقي ذراعيّ حول زوجي، متشبثة به بقوة.

— "أوه، يا ستان. أنا أحبك. وسأكون دائمًا هنا لأجلك. لن أتخلى عنك أبدًا."

ينظر إلي بغرابة، كأنه تذكر شيئًا لكنه لا يعرف تمامًا ما هو. يأخذ يدي في يده ويقبض عليها.

– "ماغي. الأمر مضحك. أحيانًا أشعر وكأنني أعرفك طوال حياتي."

يحتبس نفسي في حلقي، لأنه تذكر——جزء منه تذكرني، والحانة، واليوم الذي التقينا فيه لأول مرة، وما قاله. وأجرب شيئًا لم أجربه منذ وقت طويل جدًا.

أقول: "لقد نسيتُ لِمَ ناديتك لتعود."

لماذا؟

إنه من روميو وجولييت. إنه تبادله المفضل، من مشهد الشرفة. اعتدنا أن نلقيه لبعضنا البعض. قبل أن ينساه. قبل أن ينساني.

يقول: "دعينا أقفُ ههنا حتى تتذكري"، ويكاد قلبي يقفز من صدري. آخذ نفسًا عميقًا.

أنظر في عينيه وأقول: "سأنسى، كي تظلَّ واقفاً هناك... متذكّرةً كم أهوى رفقتك."

يرد: "وأنا سأظلُّ باقياً، لكي تظلّي ناسية... ناسياً أيَّ موطنٍ آخر سواكِ."

أضع يدي الأخرى حول يده وأعصرها بأقصى ما أستطيع. الدموع تنهمر على وجنتي. وأصبح متيقنة، متيقنة تمامًا، أنني إذا استطعت جعله يتذكر ذلك، فيمكنني جعله يتذكر كل شيء.

أنظر إليك، وأسأل: "ماذا نفعل تاليًا؟"»

٨

ستانلي
١٩٥٧

ممسكًا بزجاجة نبيذ نصف فارغة كان قد لطشها من خزانة شريكه في السكن، جلس ستانلي على سطح منزل قديم متلاصق في "بريكستون" يشاهد الألعاب النارية في البعيد. كان المجلس البلدي قد أطلقها فوق "بروكويل بارك" احتفالًا بقدوم العام الجديد، ومن قمة مسكنهم المقسم إلى غرف، كان بالإمكان رؤيتها بالكاد.

أطلق الناس صيحات وهتافات في الشوارع بالأسفل؛ رقصت مجموعة من النساء الصارخات في الطريق؛ وطُقّت زجاجة شمبانيا. في جميع أنحاء العالم، رحب الناس بالعام الجديد كوقت للبدايات الجديدة، والانطلاقات الطازجة، تمامًا كما نظروا للوراء إلى العام خلفهم وأحصوا نجاحاتهم. كانت البشرية ككل تقوم بجرد لموقعها، وأين كانت، وإلى أين تريد الذهاب.

أخذ ستانلي جرعة من النبيذوسعل.

أراد أن يضحك، لكن كان من الصعب فعل ذلك. كان يعلم أنه إذا حاول، فسيخرج الصوت قاسيًا وصارًا، مثل دوران تروس معدنية. لكن ماذا عساه أن يفعل؟ إذا لم يستطع الضحك على ما آلت إليه حياته، فقد يضطر لأخذها على محمل الجد.

أخذ جرعة أخرى.

سعل مرة أخرى، وبصق المشروب على الأرض. *النبيذاللعين مقزز بدون خلط*، فكر في نفسه.

بعد فترة، بدأت الألعاب النارية تزعجه. استمرت واستمرت، وكأنها تحاول إثبات وجهة نظر ما. تساءل عما إذا كان أي شخص آخر يعرفه يشاهدها، وأين كانوا.

لم يتواصل مع أي من أولاد "ويلتون" لبعض الوقت الآن. تبادل بضع رسائل مع هيوغو، الذي كان لا يزال هناك، لكن قبل مضي وقت طويل، بدأ هيوغو يسترجع ذكريات النادي القديم والبروفيسور وكيف اختلف الأمر برحيله، ولم يستطع ستانلي الرد.

وضع يديه في جيوبه وتحسس قطعة الورق المجعدة. أخرجها، وملسها، وقلبها بين يديه. رسالة أخرى، من مراسل مختلف.

أهلاً يا صديقي. أعلم أنك لا ترد حقًا على الرسائل بعد الآن، لكنني أفكر فيك. هل ما زلت في لندن؟ سيكون من اللطيف اللقاء إن كنت كذلك.

ر.

حدق فيها لنصف دقيقة، ثم جعدها مرة أخرى وحشرها في جيبه.

لم يرَ ستانلي راف منذ جنازة والدمان قبل عام ونصف. منذ الجدال. منذ أن لكم جاك على وجهه أثناء المراسم.

شبك أصابعه معًا وحررها، محاولاً طرد البرد. ماذا كان ليعطي مقابل زوج من القفازات الآن. كان يأمل أن يفي النبيذبالغرض.

تنهد، ومال بظهره للخلف، محاولاً تذكر ما الذي أشعل كل ذلك. شيء عن عدم السماح لجاك بتلطيخ ذكرى والدمان. بدا الأمر بعيدًا جدًا الآن. الأسباب تلاشت كلها، لكن الشعور كان لا يزال هناك. نمت المسافة مع كل شهر متتابع حتى وقفت كالمحيط بينهما: محيط من المرارة غير المنطوقة، ومن تبرير الذات. كلما مر الوقت، كلما تذكر الناس ما يريدون تذكره——النسخة التي تساعد على تأكيد المشاعر التي لا يزالون يشعرون

بها. كان ستانلي يعرف هذا، لكن بطريقة ما لم يساعده ذلك. رفع الزجاجة إلى فمه وترك النبيذيحرق طريقه أسفل حلقه.

بعد كل شيء، ماذا فعل هو لتكريم ذكرى والدمان؟

لمدة عام ونصف، كدح محاولاً إعادة خلق ما دمره والدمان. ورغم كل ما بذله ستانلي لشحذ ذاكرته الخاصة، لم يشعر أبدًا بالحاجة لتذكر الأرقام والعمليات الدقيقة، تفاصيل هوامش الخطأ والضوابط. كان لديه والدمان لذلك، وكانا قد دَوّنا ملاحظات، فُقدت جميعها. إعادة خلق اختراقاتهما بمفرده بدت كمن يحاول فعل ذلك ويداه مقيدتان خلف ظهره.

ومع ذلك، كدح. عمل في وظائف مسدودة. لمع الأحذية في محطة السكك الحديدية؛ وزع إعلانات في الشوارع لشركات مختلفة؛ نظف المراحيض. كان يعلم أنه كان بإمكانه الحصول على شيء أكثر استقرارًا، وأعلى أجرًا، لكن في كل مرة حاول التفكير في التقدم لشيء ما، استقرت سحابة فوقه. صوت يهمس بأنه لا يستحق الاستقرار، وأنه لم يُخلق للنجاح.

لا—كل طاقته العقلية ذهبت لإعادة خلق عمل والدمان. حصل على معدات مختبر قديمة، مكسورة ومتهالكة، من مبيعات الخردة وسرق الباقي من المدارس. اشترى حيوانات رخيصة من متاجر الحيوانات الأليفة: فئران وجرذان لإجراء اختبارات عليها. وعندما وجد أنه لم يعد يطيق ذلك، جرب على نفسه.

أخذ جرعة أخرى. قطرة أخيرة من النبيذأفرغت نفسها على شفتيه المتشققتين. جر نفسه للأعلى، ونزل متثاقلاً عبر سلالم مخرج الحريق، وتسلق عبر النافذة إلى منطقة المعيشة الرئيسية التي لم يقضِ أي وقت فيها أبدًا، وذهب إلى باب غرفته.

كانت هناك ثلاثة أقفال عليه؛ فتح كل واحد منها بشكل منهجي. لم يسأل شريكه في السكن أبدًا لماذا يقفل بابه بحرص شديد، وكان هذا جزءًا مما أحبه ستانلي فيه. كان يفهم أن ستانلي يريد أن يُترك وشأنه.

كانت الغرفة فوضى من الورق والأسلاك المتشابكة. سريره—فراش مفرد صغير في الزاوية—كان مغطى بكتب نصف مفتوحة، خليط من علامات الكتب وأوراق الخردة تبرز منها. في وسط الغرفة كان هناك كرسي. كان كرسي طبيب أسنان، في الأصل، التقطه من حاوية نفايات قديمة. جرده حتى المعدن فقط، والأسلاك تمر خلاله وحوله. بالقرب من مسند الرأس كانت هناك دائرة تبديل مرتجلة متصلة بمصدر طاقة وزوج من الأنابيب المفرغة.

لم يعد يعمل. تعطل بالأمس. كان قد تمكن بالكاد من إصلاحه قبل شهر، بآخر ما لديه من مال وبعض القطع التي سرقها من متجر. فرك الجرح القديم على فخذه، الذي ندب الآن، والذي أصيب به أثناء تسلق سياج شائك في هروبه المسعور من أصحاب المتجر.

لا يوجد شيء الآن. هذا هو—كل وقته، كل جهده، كل ماله، أسفر عن هذا: قطعة خردة غبية معطلة.

لم ينجح أي من ذلك. لم يستطع تذكر المعايير، البيانات التي حسبها هو والبروفيسور بشق الأنفس. كان بالضبط حيث كان بعد جنازة والدمان: وحيدًا، وبلا فائدة، وفارغًا. كان بحاجة للمال، لكن أكثر من ذلك، كان بحاجة لاتصالات؛ كان بحاجة لنفوذ. كان بحاجة لكل شيء لم يُسمح لرجل من خلفيته—رجل من أصل رخيص—بامتلاكه.

قبض بيده على الزجاجة الفارغة. وعبر نظرة كانت تسبح الآن بشكل غير مريح قليلاً، نظر إلى الرسالة مرة أخرى.

هل ما زلت في لندن؟

كان راف الطلقة الأخيرة—الخيار النهائي للجوء إليه، بقدر ما لم يرد فعل ذلك. لمدة أربع سنوات، تمسك ستانلي بمهمة البروفيسور السرية، ولم يخبر روحًا. ورغم أن والدمان مات الآن، فإن مشاركتها مع الآخرين بدت كخيانة لذكراه. كتخلٍّ عنه.

إلا أنه لم يكن هو من قام بالتخلي. البروفيسور اختار إنهاء حياته، دون أي تفسير يتجاوز ملاحظة مشؤومة. والدمان اختار ترك ستانلي خلفه بلا شيء. ألم يكن ستانلي هو من تعرض للخيانة؟

الأهم من ذلك كله، لم يرد الاعتراف بأنه فشل. كان يعلم أن راف سيرغب بمساعدته—سيشفق على الصبي المسكين من الطبقة العاملة ويستخدم جزءًا من ثروته الهائلة لتصحيح الأمور. ستكون صفقة سهلة: الظهور بمظهر يائس وكئيب بما فيه الكفاية، واللعب على وتر إحسان راف. لكنه كره تحقير نفسه هكذا—كان تأكيدًا لكل شيء أخبره به الجميع طوال حياته. أنه عديم القيمة. أنه لأنه من الخلفية الخطأ، كان هناك شيء مكسور بداخله، شيء ناقص، ولذا لن يحقق أي شيء بمفرده أبدًا.

أطلق ستانلي صرخة محبطة، محطمًا زجاجة النبيذالفارغة ضد الإطار المعدني عديم الفائدة للآلة المكسورة. تناثر الزجاج عبر الأرض. صريرًا على أسنانه، التقط قلمًا لكتابة رد.

***

بدا مبنى لازاروس في غير محله. بعد "البليتز" وعاصفة النار عام ١٩٤٠، كان العمل الذي بُذل في إعادة بناء المدينة مصممًا على التطلع للمستقبل. ومع إعادة بناء المباني الطوبية، أُعيد بناؤها أطول وأكثر هيبة—رموزًا لمركز القوة المركزي للمدينة.

مستكناً بين كل هذا كان مبنى قصيرًا نسبيًا يتحدى الميول التطلعية لمعماريي لندن ما بعد الحرب. بُني عام ١٩٠٣ تكريمًا للسير "أثيلني

لازاروس"، وكان المبنى ينضح بالرقي الهادئ للإمبراطورية. حتى عندما بُني، بدا متناقضًا زمنيًا—مصممًا ليبدو أقرب للعمارة الجورجية للقرن الثامن عشر منه للعصر الحديث. بدلاً من التطلع للأمام، نظر للوراء: لوقت كانت فيه التراتبية صريحة وغير قابلة للنقاش، وعندما كانت جودة شخصيتك أقل أهمية بكثير من الطبقة وظروف ولادتك.

عندما أثار "هنري لازاروس" ضجة في الثلاثينيات بزواجه من امرأة تعيش في الحي الصيني، كان ذلك الاتحاد يعني راف، ومنحه كل ما جلبه معه. معًا، كان والدا راف ثنائيًا قويًا فكريًا، ورغم الهجوم عليها كـ "عروس هنري الصينية" في الإعلام، مضت "أثينا لازاروس" لترسيخ إرثها كواحدة من عميدات صناعة الثلاثينيات، منمية اسم العائلة لعلامة تجارية دولية حقًا. أو هكذا كان راف يرويها دائمًا. الصحف لم تكن لطيفة تمامًا أبدًا. ومع ذلك، بعد وفاة هنري وأثينا في حادث سيارة عندما كان راف في الحادية عشرة، تُركت الإمبراطورية بأكملها لطفلهما الوحيد.

لم يدخل ستانلي المبنى. ناظرًا إليه من الشارع بالأسفل، لم يكن متأكدًا أنه سيُسمح له بالدخول، حتى مع اسم صديقه على الباب. كانا يلتقيان في حانة قريبة. اقترح ستانلي الذهاب لشرب شيء عندما تحدثا على الهاتف، وقال راف إن شيئًا قريبًا من العمل سيكون الأسهل، خاصة في وقت مبكر كهذا من اليوم.

لم تُغسل ملابس ستانلي منذ أسبوعين، ونمت لحيته بشكل شعث متزايد. فكر في الحلاقة لكنه قرر أن ذلك سيتعارض مع الانطباع الذي كان يأمل في تركه. مرر أصابعه خلال شعره، محاولاً ألا يشعر بالغثيان قليلاً. ثقل الوثائق والملاحظات في حقيبة كتفه ضغط عليه بشدة. لم يكن يريد حقًا فعل هذا.

دافعًا أبواب حانة "الأسد الأحمر"، شعر بتيار هواء دافئ يغلفه؛ ومعه جاءت الثرثرة المريحة للناس وقرقعة الكؤوس. كان هناك شيء مطمئن

أبديًا بشأن الحانة. عندما يصبح المشروع أكثر من اللازم ويحتاج لهروب، كان يجمع ما يكفي من المال لإنفاقه على كوب بيرة حتى يتمكن من الجلوس في زاوية حانة جيدة وقراءة كتاب.

— «ستان!»

لوح له راف من طاولة في الزاوية، وابتسامة ضخمة على وجهه. كان يرتدي بدلة زرقاء، مفصلة بإتقان. بينما اقترب ستانلي، لاحظ الأشياء الصغيرة. ساعة "باتيك فيليب". حذاء مصمم. تباً، ربما كلفت ربطة عنقه أكثر من كل ما يملكه ستانلي مجتمعًا.

رسم ستانلي ابتسامة متدرب عليها جيدًا على وجهه: المزيج الصحيح تمامًا من البهجة والانكسار. كان هذا، بعد كل شيء، سبب وجوده هنا.

نهض راف ولف ذراعيه حول ستانلي في عناق دب كبير. شعر ستانلي بدفء أنفاس راف ضد رقبته، ولومضة من لحظة، عاد ستانلي بالذاكرة: أمسيات متأخرة في المقبرة، متلاصقين للدفء؛ جالسين جنبًا إلى جنب في المكتبة، متجاهلين الفروض المدرسية لحفظ نصوص لأوفيد وسينيكا من أجل والدمان. حياة مختلفة، ضبابية في ذكرياته——منكسرة، كأن ينظر عبر لوح زجاجي سميك.

أفلته راف.

سأل راف، بالغريزة أكثر من أي شيء:

— «كيف حالك؟» التقط ستانلي عيني راف تختلسان النظر لأسفل إليه بخلسة، ثم تعودان بسرعة لوجهه. تعثرت ابتسامته للحظة، متسائلاً عما إذا كان قد طرح السؤال الخطأ. «أعني... مر وقت طويل، هاه؟»

— «نعم.» قال ستانلي. «كنتُ أفضل حالًا. هيا، لنجلس.»

انزلقا إلى مقعديهما.

قال راف، ناظرًا للبار:

— «هل تريد مشروبًا؟ لا تقلق——إنه على حسابي.»

– «لم أكن قلقًا.»

– «لا، بالطبع.» أمال رأسه للأسفل، معتذرًا. «لم أقصد القول إنك... إنه فقط...»

ضحك ستانلي. رغم كل خطته للدخول، نسي كم يمكن لراف أن يكون أخرق.

– «لا بأس يا راف. أود مشروبًا. أيًا كان ما ستشربه. توقف عن كونك سخيفًا.»

ابتسم راف. بدا سعيدًا بقبول عرضه.

جلس ستانلي وانتظره لإحضار البيرة.

سأل ستانلي بينما استقر راف عائدًا:

– «إذن كيف كنت؟ يبدو أنك أبليت بلاءً حسنًا لنفسك.»

نظر راف حول الغرفة بخجل قليلاً، وكأنه محرج. لمس الساعة على معصمه.

– «حسنًا، ليست نجاحاتي بالضبط، كما تعلم. ليس بالضبط ما حلمت به، لكن... حسنًا، لا أعرف. أنت تعلم كيف تسير الأمور.»

أخذ ستانلي رشفة من البيرة.

– «في الواقع لا أعلم.»

– «حسنًا، حسنًا.» رفع يده مستسلمًا. «بالطبع لا. إنه فقط––عندما تركت المدرسة، جهزوا لي هذه الوظيفة المكتبية تقريبًا. مع بدء تدفق أموال الصندوق، لم أكن بحاجة للمال حقًا، لكن لم أستطع الرفض تمامًا. إنه إرث والديّ. لكن كله أمور مالية وقروض وطحن أرقام. كابوس.»

– «يبدو لطيفًا.»

– «أليس كذلك؟ كنت أحاول فعل بعض الخير، رغم ذلك. كنت أستخدم القليل من النفوذ الذي أملكه لإعادة توجيه بعض مسار الشركة––

بعض الأعمال الخيرية، ملاجئ للمشردين وما شابه. أعتقد أن أمي كانت لتحب ذلك.»

— «هذا جيد يا راف.» أجبر ستانلي ابتسامة على وجهه. لم يرد الضغط على النقطة مبكرًا جدًا، لكن راف كان يقوم بكل العمل نيابة عنه. «هذا مثير للإعجاب.»

— «شكرًا.»

صمتا. السؤال التالي غير المطروح علق في الهواء: *وأنت يا ستان، ماذا كنت تفعل؟* لكن راف لم يرد أن يبدو متطفلاً. سماع قصة حياة ستانلي سيكون غير مريح، ومكتئبًا. سيتجنب ذلك إن استطاع.

ترك ستانلي الحرج يعلق لبضع ثوانٍ أكثر مما كان ضروريًا بحيث تكون أي جملة—أي طلب—مهربًا مرحبًا به. أخذ رشفة أخرى من بيرته.

— «اسمع يا راف. سأكون صادقًا معك. أحتاج مساعدتك.»

رد، بسرعة مفرطة قليلاً:

— «بالتأكيد. ذكرت ذلك على الهاتف. أي شيء لصديق قديم.»

مال ستانلي للأمام.

— «أتذكر ما أخبرتك به بعد وفاة البروفيسور؟ أننا كنا نعمل على شيء، على فكرة—حسنًا، مشكلة، في الواقع.»

أومأ راف.

— «لم تتحدث كثيرًا عن ذلك أبدًا. وبعد كل ما حدث في الجنازة، لم نقم أبدًا...» خفت صوته، ناظرًا خارج النافذة.

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا. بدا سرياليًا التحدث بصوت عالٍ. بدا خطأً.

— «إنه شيء كبير. أو، كبير محتمل. قبل أن يموت، حقق البروفيسور اختراقًا. كنت أحاول إعادة خلقه، لكنني... أحتاج لمزيد من الموارد. أحتاج للمال يا راف. الكثير منه إذا كنت سأحرز أي تقدم. ربما أكثر مما

قد تجلبه لي حتى وظيفة جيدة. أنت الوحيد الذي يمكنه المساعدة. أنت الوحيد الذي سيفهم.»

– «كم المبلغ؟»

– «بصدق؟ سأحتاج لبناء مختبر كامل. أنا أتحدث في حدود خمسين إلى مائة ألف جنيه.»

رمش راف.

– «بجدية؟»

– «أنا آسف يا راف، لكن... نعم.»

أومأ راف. نظر لساعته مرة أخرى.

التقط ستانلي النظرة في عينيه، تلك التي تقول: *إنه مجنون. إنه مهووس برجل مات منذ عامين تقريبًا. لا يحتاج للمال؛ يحتاج للمساعدة.*

قال راف:

– «حسنًا، طيب. أنا مستعد لسماعك. أنا كذلك. أريد أن أسمع عن هذه المشكلة، ومستعد لـ... للنظر في هذا، لكن...»

– «لكن ماذا؟»

– «لدي شرط—قبل أن تخبرني بكل هذا. أريد أن يكون جاك مشاركًا أيضًا.»

أظلم وجه ستانلي. مال للأمام، واضعًا مرفقيه على ركبتيه.

– «لماذا؟»

– «اسمع—أعرف، حسنًا؟ أنا أفهم. لكن إذا كان هذا يعود كله لوالدمان، فأعتقد أن كلينا لديه حق المعرفة. أريد أن أعرف ما كنت تفعله أنت ووالدمان أكثر من أي شيء، لكن جاك كان هناك معنا منذ البداية، و... حسنًا، بالتأكيد ثلاثة عقول ستكون أفضل من اثنين.»

لم يتحدث ستانلي. مرت لحظة صمت حرجة بينهما.

تابع راف:

– «اسمع. إنه صديق—إنه صديقنا—بغض النظر عما حدث في الماضي. يستحق أن يكون جزءًا من هذا. هذا هو عرضي. إما أنا وجاك أو لا أحد.»

– «أنا لا أعرف حتى أين هو.»

– «أنا أعرف. هو في الواقع يرد على رسائلي. يعمل في شركة بحث وتطوير كبيرة في المدينة—شيء له علاقة بالكمبيوترات والبحث الطبي، أعتقد. يمكنني الاتصال به و...»

– «لا.»

– «ستان.» مال راف نحوه، ناظرًا في عينيه. «الشيء هو، كنت قلقًا عليك. أفكر في كيف كانت الأمور في الماضي. أفتقد ذلك، هل تعلم؟ أجلس في مكتبي الفاخر أحدق في أوراقي، و... عندما كتبت لي تقول إنك ما زلت في لندن، تحمست. أردت إعادة الفريق القديم معًا.»

قبضت يد ستانلي على كوبه.

– «ماذا فعلت؟»

– «أخبرته أن يأتي متأخرًا عشرين دقيقة حتى تتاح لي فرصة التحدث معك أولاً.»

– «لم تفعل.»

نظر راف للأعلى، فوق كتف ستانلي وللباب. التفت ستانلي في الوقت المناسب ليرى جاك—مرتديًا بنطال جينز أمريكيًا وكنزة بياقة عالية، قمة الملابس غير الرسمية للأثرياء—يمشي متجاوزًا البار ويصفعه بقوة على ظهره. اندفع للأمام.

– «مرحبًا، أيها الخاسران. مر وقت طويل. كيف حال طالبيّ المجتهدين المفضلين؟» سقط على الأريكة بجانب راف، وسحب جاك كرسيًا ووضع قدميه عليه، مقاطعًا ساقيه. «دور من؟»

حدق ستانلي فيه، وعقله يدور. لم يكن هذا جزءًا من الخطة. لم يكن مفترضًا أن يحدث هذا.

وقف راف.

— «سأجلب لك بيرة.»

ترك ستانلي وجاك وحدهما على الطاولة، وللحظة طويلة، لم يتحدث أي منهما.

سأل ستانلي بصوت متزن:

— «ماذا تفعل هنا؟»

هز جاك كتفيه.

— «راف اتصل بي. أنا أرد فعليًا على مكالماته، كما تعلم؟»

لم يرد ستانلي. نظر للأسفل وأخذ رشفة من بيرته. رغم كل أوقاتهم الجيدة معًا، لم يستطع إخراج لقائهم الأخير من رأسه.

قال جاك:

— «اسمع. ما حدث قد حدث، حسنًا؟ لست فخورًا به. ولن أجلس هنا وأتظاهر بأننا سنكون أفضل الأصدقاء. لكن من الواضح أن راف يائس لنصل جميعًا لنوع من المصالحة السلمية ودفن الأحقاد، لذا على الأقل، دعنا نتظاهر بشكل لائق، هلا فعلنا؟»

— «كما تقول.»

— «جيد!» سحب ساقيه وجلس مستقيمًا—يتحرك دائمًا، يتململ دائمًا، كأنه مليء بطاقة زائدة تنفجر من اللحامات. «ما رأيك في لعبة، إذن؟ سأبدأ. البيدق إلى حصان الوزير ٤.»

— «حصان ٤؟» رفع ستانلي حاجبيه. «أخيرًا أصبحت أكثر إبداعًا في افتتاحياتك.»

ابتسم جاك.

— «لقد تحسنت.»

أطلق ستانلي همهمة صغيرة.

— «سنرى. البيدق إلى ملك ٤.»

قاطع راف وهو يجلس ومعه بيرة جاك:

— «حسنًا، حسنًا. قبل أن نبدأ في التنافسية»——تحدث بصرامة مصطنعة تشبه المعلمين، لكن بابتسامة كبيرة على وجهه——«لدينا بعض الأشياء لنتحدث عنها.»

أضاف جاك:

— «نعم. لماذا خرج الفتى العجوز من مخبئه؟»

— «لديه مشكلة يحتاج لبعض المساعدة فيها.»

قال ستانلي:

— «راف. قلت لا.»

— «نعم يا ستان. أنت جئت إلي. أنا مهتم. لكنني لن أرمي المال عليك بناءً على وعد غامض وأقول لك اذهب. هذه... هذه فرصة عظيمة، ألا ترى؟ ثلاثتنا نعود معًا للعمل على مشكلة والدمان الأخيرة. هناك شعرية في ذلك. تناسق.»

لم تعد مشكلة البروفيسور، فكر ستانلي. *إنها مشكلتي*.

لم يقل شيئًا. فكرة كشف السر لراف كانت سيئة بما يكفي، لكن لجاك أيضًا؟

تابع راف:

— «أيًا كان الأمر، فهو مهم لك، وكان مهمًا لوالدمان، لذا هو مهم لنا. ثلاثتنا.»

لم يقل جاك كلمة. راقب ستانلي بعناية من الجانب الآخر للطاولة.

نظر ستانلي لأسفل ليديه، اللتين كانتا لا تزالان متسختين قليلاً من السطح. لم يحب الاستحمام كثيرًا، لأنه سيرفع فاتورة التدفئة. حتى في

أعماق الشتاء، كان من الأسهل لف نفسه بالبطانيات وانتظار انقضاء البرد. متنهدًا، هز رأسه.

فكر في كل ما وضعه في هذا. من الوقت الذي أرى فيه والدمان ستانلي لأول مرة الدماغ المحفوظ——أو بالأحرى، الأدمغة——المخزنة في مكتبه، طوال تجاربهم الفكرية، ولاحقًا، التجارب الحقيقية. فكر في العمل الذي قاما به معًا في جوف الليل، عندما ذهب الجميع للنوم، عن الأسرار التي وعد بحفظها.

فكر في آلته المكسورة. طرقه المسدودة. إخفاقاته.

فكر في رسالة والدمان الأخيرة——التحذير الذي تركه خلفه.

إنه يجوع.

كانت هذه النهاية. نهاية الطريق. إما أن يغادر هنا بمال راف أو لا.

— «حسنًا. لكن الأمر سيتطلب بعض الشرح.»

ابتسم جاك، مائلاً للخلف ومعيدًا قدميه للكرسي.

— «سنحاول المتابعة بأفضل ما نستطيع. البيدق إلى فيل الوزير ٤.»

أومأ ستانلي.

— «الفيل يأخذ الحصان ٥. صحيح. حسنًا. نعم. هذا... أشعر أنني بحاجة لإعطاء بعض الخلفية قبل أن نصل للجزء الرئيسي، رغم ذلك. قطع وأجزاء منه سمعتموها من قبل من البروفيسور، في الماضي، لكنها كلها مرتبطة: تمارين ذاكرتنا، اختباراتنا ومنافساتنا. كله يجتمع معًا. عليكم أن تفهموا——لم نكن تلاميذه فقط؛ كنا عينات اختباره.»

قطب راف جبينه.

— «ماذا تعني؟»

— «لنأخذ ثانية للتفكير في تاريخ الذاكرة. حفظ كميات ضخمة ليس شيئًا جديدًا. في الواقع، في العصور الكلاسيكية، كان أساسًا المؤشر الرئيسي للذكاء. في عالم بلا كتب تقريبًا، كانت الذاكرة هي المعيار لفهم العالم.

الأشخاص ذوو الذاكرة الضخمة كانوا يُمدحون، يُحترمون. كورش العظيم كان يمكنه ذكر أسماء جميع الجنود في جيشه. لوشيوس سكيبيو عرف اسم كل مواطن روماني. انظروا حتى للمسيحية: الموضوع الوحيد الأكثر شيوعًا في حياة القديسين—بجانب إيثارهم العجيب—هو غالبًا الذاكرة الخارقة.»

قال جاك ملوحًا بيده:

— «بالتأكيد، سمعنا كل هذا من قبل. الذكريات العظيمة مثلت استيعاب كون من المعرفة الخارجية—أعظم تعبير ممكن عن الذكاء. ما النقطة؟»

— «النقطة هي (لماذا)»، قال ستانلي. عيناه مثبتتان على جاك الآن. «لماذا هذا؟ لماذا اعتبر مهمًا جدًا؟ لأن الذاكرة هي مفتاح الإبداع وبالتالي النمو والتقدم، صحيح؟»

قطب راف جبينه، مرتشفا بيرته.

— «ماذا تعني؟»

— «حسنًا»—كان ستانلي يومئ بيديه بحماس—«الإبداع، سواء في الفنون أو العلوم، يمكن تعريفه كالقدرة على تشكيل روابط بين الأفكار والصور—لخلق شيء جديد من القديم، سواء كان مبنى أو فرضية علمية أو رواية. إذا كان جوهر الإبداع هو ربط حقائق متباينة، فكلما كان لديك المزيد في دماغك، كلما كنت أفضل في الخروج بأفكار جديدة. هذا لا يمكن أن يحدث بنفس الطريقة مع الأفكار الخارجية، أو على الأقل ليس بنفس البديهية. هناك سبب لكون إلهة الذاكرة الكلاسيكية—نيموسيني—أم الميوزات (ربات الإلهام). امتلاك ذاكرة واسعة هو جوهر الإبداع، والإبداع هو حجر الزاوية لكل التقدم البشري.»

رد راف مبتسمًا وهو يندمج في النقاش:

— «يبدو ذلك مبالغًا فيه. كما تعلم—إن كنت صادقًا.»

قال جاك مائلاً للداخل:

– «على الإطلاق. الحصان إلى فيل الوزير ٣. فكر في الأمر: من حيث فسيولوجيتنا، نحن نفس البشر تمامًا كرجال الكهوف الذين رسموا الحصان والبيسون في كهوف لاسكو. أدمغتنا ليست أكبر، ولا أكثر تعقيدًا مما كانت عليه لديهم. إذا انتُزِع طفل من زمنه عند الولادة وأعطي لوالدين بالتبني في لندن القرن العشرين، سيكبر غير قابل للتمييز. ستان لديه وجهة نظر——كل ما يفرقنا عنهم هو ذكرياتنا الجماعية.»

رفع ستانلي إصبعه:

– «ومع ذلك، ثقافتنا الآن مبنية بالكامل على الآلهة الزائفة للذاكرة الخارجية. الناس يحتاجون لتذكر أقل وأقل مع كل يوم يمر. لكن تخيلوا لو أن كل الحبر من كل الكتب، وقطع البيانات المسجلة، اختفت فجأة غدًا. ستنهار ثقافتنا بأكملها. سنغرق عائدين للرسوم التصويرية والأساطير المروية حول النيران. أين هي الذكريات الواسعة لرجال دولتنا وخطبائنا—— أناس مثل بليني ولوشيوس سكيبيو؟ ذهبت. لكن لماذا؟»

هز جاك كتفيه.

– «لدينا تلفزيون الآن. راديو. تكنولوجيات جديدة. نحن فقط لا نحتاجهم بعد الآن. لا تنس حركتك.»

– «إجابة سهلة.» قال ستانلي. قلب جاك عينيه. «وبيدق إلى وزير ٤. السؤال الحقيقي هو هذا: هل تسبب اكتشاف هذه التكنولوجيات في أن نكون أسوأ في التذكر، أم أن ذكرياتنا المتداعية أجبرتنا على خلقها بدافع الضرورة؟ هل ذاكرتنا تزداد سوءًا؟»

مال راف بظهره لمقعده.

– «إنها مسألة كمية معلومات، أليس كذلك؟ كمية المعلومات، الاكتشافات، المعرفة، العدد الهائل للناس خلال العصور الكلاسيكية كان

أقل بكثير من الآن. هناك الكثير جدًا للاحتفاظ به في أي دماغ واحد هذه الأيام.»

— «هذا هو التفكير التقليدي. هل قرأت (العبقرية الوراثية)؟»

سأل راف:

— «لغالتون؟ قبل سنوات، أعتقد.»

— «جادل غالتون بأن الشخص يمكنه التحسن في الأنشطة الجسدية والعقلية فقط حتى يصل لنقطة معينة، بعدها (لا يمكنه بأي تعليم أو جهد تجاوزها). جربنا جميعًا ذلك في عمل والدمان معنا—عتبة. نقطة بعدها، مهما حاولنا، كان من الصعب تذكر أي شيء أكثر. لكن ماذا لو لم يكن ذلك صحيحًا؟»

سأل راف، مأسورًا:

— «ماذا تعني؟»

— «حسنًا، انظر. أريد إجراء تجربة قصيرة.» عبث ستانلي في حقيبته، مخرجًا مجلدًا قديمًا ممتلئًا حتى الحافة برزم من الورق. «سيكون هناك سلسلة من الصور على فوتوغرافات، وسأريكم إياها بسرعة كبيرة—أقل من ثانية لكل منها. أريدكم أن تحاولوا تذكر أكبر عدد ممكن منها.»

تنهد جاك.

— «فعلنا ما يكفي من هذه مع والدمان يا ستان. ما وجهة نظرك—أنك تستطيع تذكر أكثر منا؟ لم أمارس هذه التقنيات منذ سنوات.»

أجاب ستانلي:

— «بالضبط. فقط تحملني. لا تكلف نفسك عناء أي من التقنيات الكلاسيكية—قصر الذاكرة، التجسيد، السرديات. فقط انظر وحاول الالتزام بالذاكرة.»

وضع جاك قدميه على الأرض، مائلاً للداخل لينظر بتركيز للطاولة حيث كان ستانلي على وشك وضع الصور. ابتسم ستانلي. إذا كان هناك

شيء واحد سيجذب جاك، فهو حسه التنافسي. وكان ستانلي يدرك بشكل متزايد أنه إذا أراد مال راف، فلن يضطر فقط لإقناع راف؛ سيتعين عليه إقناعهما معًا.

وضع الصور بسرعة كبيرة، بالكاد تاركًا ثانية بينها: مارلين مونرو تضغط تنورتها التي تعصف بها الرياح؛ زوج من أحذية الأطفال الحمراء؛ ونستون تشرشل يلقي خطابًا؛ قطعة كبيرة من الجبن الأزرق؛ غلاف كتاب هيدغر (الوجود والزمان). ما يقرب من مائة صورة عشوائية كهذه وُضعت، وراقبها كل من راف وجاك عن كثب. بعد الصورة الأخيرة—قط يرتدي نظارات—جمعها ستانلي وأعادها للمجلد.

حتى وهما يقومان بهذا التمرين، استمر جاك في تبادل الحركات، وعيناه مثبتتان على الصور. كان الأمر غير مريح، واضطر ستانلي للاعتراف بأن جاك قد تحسن أكثر من قليل.

قال ستانلي ناظرًا للساعة على الحائط:

— «الآن، ننتظر. ليس طويلاً. فقط ما يكفي لمنحنى النسيان ليبدأ. ثلاثون دقيقة ستفي بالغرض.»

هز جاك رأسه.

— «بالطبع. يا إلهي—يبدو الأمر وكأنني عدت لفصل والدمان مرة أخرى.» نظر ستانلي لراف، الذي حاول وفشل في كبت ابتسامة صغيرة. «سأخرج للتدخين. أحب الهواء النقي.»

بينما انتظرا جاك، دردش ستانلي وراف. بتقطع في البداية، ثم بسلاسة أكبر، حتى سرعان ما كانا يسترجعان الذكريات كما اعتادا، ساردين قصصًا قديمة من أيام "ويلتون" وضاحكين. في البداية، جاراهما ستانلي. أدرك أن هذا هو البيع لراف: الهروب من الحاضر والاختفاء عائدًا للماضي. هكذا سيؤمن المال الذي يحتاجه. لذا لعب الدور—استدعى ذكريات قديمة لركضهم عبر المقابر، لتقليدهم وسخريتهم من المعلمين، لسهرهم متأخرًا

لمشاركة كتب قرأوها. لكن مع مرور الوقت، وجد أن الابتسامة على وجهه لم تكن ملصقة هناك بعد الآن. ضحكه كان حقيقيًا. كان أكثر شعور بالإنسانية شعر به ستانلي منذ وقت طويل.

مع هذا جاءت موجة من الذنب. ها هو ذا، يبتز أقدم أصدقائه، ولأجل ماذا؟ لقضية تخلى عنها البروفيسور نفسه؟ هل كان الأمر يستحق؟

طرد ستانلي الفكرة من عقله. لا—كان هنا لسبب. متابعة التجربة. اكتشاف ما أخفاه والدمان. اكتشاف ما مات لأجله. إذا تخلى عن ذلك، فلن يتبقى له شيء.

دخل جاك من البرد، تفوح منه رائحة سجائر قديمة.

— «حسنًا، أيها العاشقان؟ تستمتعان بالمغازلة بدوني؟»

رد راف:

— «أوه، لمرة واحدة في حياتك، لا تكن أحمق يا جاك.»

ابتسم ستانلي.

— «لا أعتقد أنه يعرف كيف. كمن يخبر سمكة ألا تسبح.»

تمتم جاك وهو يرمي نفسه جالسًا:

— «نعم، نعم، مضحك جدًا. ما زال لدينا خمس عشرة دقيقة، صحيح؟ هل ستلعب أم ماذا؟ بيدق إلى وزير ٣.»

أخذ ستانلي رشفة أخرى من بيرته.

— «الآن هذه حركة غريبة. حسنًا—بيدق إلى فيل الملك ٤.»

— «بيدق يأخذ بيدق.»

— «حصان يأخذ.»

— «حصان. فيل الوزير ٣.»

استمرت اللعبة، جيئة وذهابًا، مع تعليق راف، ملاحظًا حركات ذكية هنا وهناك. وجد ستانلي لعب جاك غير متوقع، مفاجئًا. لعبته الوسطى كانت مذهلة—مورطة قطع ستانلي في تعقيدات متقنة. مع ذلك، بقي

ستانلي هادئًا، وبحلول مرور الخمس عشرة دقيقة، وصلا لبضع قطع أخيرة، منتقلين لنهاية اللعبة.

وعندها رآها ستانلي: خط واضح. النقلات القليلة الأخيرة التي ستأخذ قلعته وتحاصر ملك جاك. طريق واضح للنصر بينما كان جاك مركزًا جدًا على ترقية بيادقه. نهاية اللعبة كانت دائمًا نقطة ضعفه.

تردد. تمامًا كما استطاع رؤية النقلات القليلة التالية للعبة، استطاع رؤية النقلات بعد انتهائها. تعبير جاك العابس، انزعاجه من الخسارة لستانلي مرة أخرى. سيثير جلبة، وربما يخرج. وسيكون ذلك هو الختام. بدونه، راف لن يقتنع. ليس تمامًا.

قال ستانلي:

— «هذا يكفي. هذا يكفي للوقت.»

— «أوه، بالتأكيد. فقط وأنا على وشك الفوز. ليست مصادفة على الإطلاق.»

ابتسم ستانلي بسخرية.

— «سنعود إليها بعد ذلك، أعدك.»

— «لا.» كان صوت جاك قاسيًا، وعيناه شرستين فجأة. «ننهي هذا الآن.»

تنهد ستانلي.

— «حسنًا. فيل إلى فيل الملك ٤.»

— «قلعة إلى وزير ٥.»

— «فيل يأخذ قلعة.»

— «ها!» كاد جاك يقفز من مقعده. «بيدق للصف الأخير وترقية لوزير. كش فوري. مات في ثلاث.»

أجبر ستانلي نظرة صدمة على وجهه.

— «أوه، نعم—أنت محق. كش مات. لطيف. في الواقع لم أرَ تلك قادمة.»

استقر جاك عائدًا لمقعده، ووجهه لوحة من الغرور.

— «أخبرتك أنني تحسنت. حسنًا—لنرَ ما تدور حوله هذه التجربة إذن. منحنى النسيان سيكون قد بدأ بشكل صحيح الآن. لننجز الأمر.»

أومأ ستانلي. منحنى النسيان كان التمثيل البياني الكلاسيكي لكيفية تضاؤل الذكريات تدريجيًا. في مطلع القرن العشرين، شرع هيرمان إبنجهاوس لتحديد كمية هذه العملية الحتمية زمنيًا، موضحًا أنه لأي حقائق مفصلة ومحفوظة عن ظهر قلب، إذا لم تتم مراجعتها، فسيُنسى نصفها تقريبًا خلال الساعة الأولى. بعد اليوم الأول، ١٠ بالمائة أخرى، وبعد الشهر التالي، ١٤ بالمائة أخرى. بمجرد مرور تلك الفترة من الوقت، ما تبقى سيظل—أكثر أو أقل—في ذكرياتنا للأبد. لكنها كانت تلك اللحظات القليلة الأولى: كانت الدقائق الحاسمة التي تختفي فيها معظم الذكريات.

كل ما علمهم إياه والدمان—قصر الذاكرة، تقنيات الصور، الروابط—صُمم لمحاربة المنحنى.

سأل ستانلي، فاتحًا المجلد مرة أخرى:

— «هل تساءلتم يومًا لماذا؟ لماذا يزيل الدماغ هذه الذكريات بهذه السرعة؟ ما الهدف؟»

— «إنها مسألة سعة. حتى لا يحتفظ دماغك بالكثير من المعلومات عديمة الفائدة التي لا يحتاجها.»

— «نعم. هذا ما اعتقدته أنا أيضًا ذات مرة. إذن، كم يمكنكم التذكر؟»

حاول جاك وراف كلاهما بذل قصارى جهدهما، لكن مرت سنوات منذ دربا ذاكرتهما بهذه الطريقة. تمكن راف من عشر صور. حقق جاك سبع عشرة مثيرة للإعجاب لكنه كان لا يزال بعيدًا أميالاً عن المجموع الكلي.

خلط ستانلي الأوراق وفتح مجلدًا آخر.

— «الآن سأريكم صورتين. واحدة منهما كانت في المائة التي أريتكم إياها؛ والأخرى لم تكن. أريدكم أن تخبروني أيهما.»

الشريحة الأولى أظهرت تشرشل على اليسار وصورة لعنزة صغيرة على اليمين. كلاهما حدد الصورة الصحيحة فورًا. ثم التالية، والتالية. مرة تلو الأخرى، استطاع كل من راف وجاك الاختيار بدقة تامة أي صورة كانت في المجموعة.

— «إنها خدعة صغيرة طورتها أنا ووالدمان. الحقيقة هي، يمكنني فعل هذا بعشرة آلاف صورة وستحصلون عليها صحيحة. النقطة هي، إنها ليست مشكلة سعة. دماغكم لم ينسَ أي صور رآها؛ إنه فقط لا يسمح لكم بالوصول إليها. هذه مثل ثغرة——حل التفافي صغير لخداع دماغكم ليسمح لكم بتذكرها.»

هز راف رأسه.

— «لا أفهم.»

— «ما جعلنا نبدأ هو التفكير في النوابغ (savants). هناك تقارير عنهم عبر التاريخ——أفراد بذاكرات استثنائية، شبه لا نهائية لأن أدمغتهم موصلة بشكل مختلف. اعتقد البروفيسور أنهم لم يكونوا شذوذًا؛ بل كانوا قادرين على الوصول لأجزاء من الدماغ تم إغلاقها.»

وقف جاك حينها. ذرع حول الطاولة، وعيناه مركزتان على ستانلي. كان لا يزال منتشيًا بفوزه، والطاقة تتدفق خلاله.

— «ماذا تعني بـ (تم إغلاقها)؟»

— «لماذا يوجد منحنى النسيان يا جاك؟ لماذا ننسى الأشياء؟ أين تذهب تلك الذكريات؟ في سياق هذه التجربة الأخيرة، أو النوابغ، فكرة السعة لا تعني شيئًا على الإطلاق. يبدو أنها منطقية فقط لأننا نفكر بشكل طبيعي في الدماغ كخزانة ملفات، أو كملء دلو. لكنه ليس كذلك. الاستعارة

تقيدنا. كان اعتقاد البروفيسور، وهو اعتقادي، أنه لا توجد عتبة. أنه لا يوجد سبب يمنعنا من القدرة على تذكر كل شيء واجهناه أبدًا بشكل مثالي.»

— «إذن لماذا لا نستطيع؟»

— «هذا هو السؤال الكبير. ربما هناك جزء ما من أدمغتنا مخفي، تحت قفل ومفتاح. أو ربما»—أخذ ستانلي نفسًا عميقًا، تاركًا لحظة صمت تستقر—«ربما ليس أننا غير قادرين على التذكر؛ بل أن شيئًا ما يجعلنا ننسى. كلنا. كل الناس. إذا استطعنا تحديده، ربما يمكننا إصلاحه. البروفيسور وأنا كنا نعمل على شيء، بذرة فكرة، وكان يعمل. ذكرياتنا، كانت... كنا قريبين جدًا قبل أن...» خفت صوت ستانلي.

صمت جاك وراف. منتظرين. وضع ستانلي يده على صدغه، هازًا رأسه. لم يذكر كلمات البروفيسور الغامضة الأخيرة، لكنها ما زالت ترن بوضوح في رأسه. *إنه يجوع. آفة خالدة، رهيبة، ومريعة، وشرسة.* لم يكن لديه أي فكرة عما تعنيه.

قال ستانلي بهدوء:

— «أعتقد أنه فعلها. اعتقد هو أنه فعل، أو هكذا أخبرني—اخترق العتبة. حقق استرجاعًا مثاليًا. لكن عندما مات، أخذ كل شيء معه. كل التفاصيل في رأسه. كنت أحاول استعادتها منذ ذلك الحين، لكنني... أحتاج لمزيد من البيانات. لست ذكيًا مثله. أحتاج لمعدات، ومختبر، ومال. أحتاج لمساعدة. لكنني قريب. فكروا فقط فيما ناقشناه سابقًا، ما علمنا إياه والدمان—عن الإبداع، عن التقدم. إذا استطعنا فتح الذاكرة المثالية، سنفتح عصرًا جديدًا كاملاً للإنسانية. نهضة جديدة لكن أكبر بعشر مرات. سيكون أكبر اكتشاف في تاريخ الجنس البشري.»

همس جاك:

— «وسنكون في طليعته. مسؤولين عنه كله.»

قال راف:

– «معًا.»

أغلق ستانلي عينيه وأومأ.

– «نعم. معًا.»

استدار جاك ومشى عائدًا لمقعده. جلس، ووضع قدميه على الطاولة مرة أخرى، وأعطى ستانلي ابتسامة عملاقة.

– «حسنًا، عندما تضع الأمر هكذا، كيف يمكنني أن أقول لا؟»

٩

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٦ ساعات، ٥٢ دقيقة، و٣٤ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «تخبرني أنني بحاجة لفحص دماغي. تقولها بنبرة عملية بحتة، وكأنه أكثر شيء طبيعي في العالم. كأننا سنشرب الشاي.»

سألتُ:

— «لماذا؟»

أجبتَ:

— «كان ذلك مجرد اختبار معايرة. للتأكد من أنكِ ستكونين متوافقة. لقد كان نجاحًا، وهذا جيد. لكن إذا أردنا التعمق أكثر، نحتاج للحصول على نقاط تكافؤ أوضح لضمان الدقة.»

— «لا أفهم معنى أي من هذا.»

— «ستفهمين.» قلتَ لي، والآن أنا غاضبة.

سأل حسن:

— «لماذا؟ هل حدث شيء في الغرفة؟»

— «لست غاضبة في ذكرياتي يا حسن. أنا غاضبة الآن، هنا، لأنني اختبرت هذه المحادثة—هذا الأخذ والرد نفسه—بالفعل اليوم، إلا أنني أراها الآن من الخارج. إنه نمط متكرر: أنت لا تخبرني بالأشياء، تحجب

المعلومات عني وكأنني حمقاء، وتعدني بأن الأمر سيتضح لاحقًا. باستثناء أنه ليس واضحًا، وقد اكتفيت من كوني دميتك.»

– «نحتاج للتأكد من أن ستانلي في أمان.»

– «هذا ما تظل تقوله، وتقوله، حتى تجعلني خائفة بما يكفي للاستماع إليك. لكنني لا أعرف ما يعنيه ذلك حقًا. لذا ما رأيك بهذا؟ حتى تجيب على بعض أسئلتي، لن أفعل شيئًا لعينًا. ليس الأمر أنني لا أثق بك. إنه... في الواقع، لا. هو كذلك. أنا لا أثق بك.»

– «ماذا يمكنني أن أفعل لتخفيف مخاوفك؟»

– «لماذا أتذكر هذه الأحداث بترتيب زمني فقط؟ أحاول أن أجعل نفسي أتذكر ما حدث قبل وصولي إلى هنا مباشرة، لكنني لا أستطيع. أحاول تخيل ما حدث بعد يوم أو يومين من الغوص في عقل ستانلي، بعد المعهد، لكنني لا أستطيع. الذاكرة ليست هناك. هناك فقط الذكرى التي تريدني أن أتحدث عنها، تصل إلى ذهني بالترتيب كما أتذكرها. ليست هذه طريقة عمل الذاكرة.»

– «الذاكرة أكثر تعقيدًا مما قد تبدو للوهلة الأولى.»

– «لا تكن متفلسفًا. أجب عن السؤال.»

– «أنتِ تختبرين ما نسميه "الذاكرة التوقيتية". إنها حالة مُستحثة لمساعدة الوعي على التركيز على ذكرى محددة دون تشتيت. إنها تجبر الدماغ على استعراض الذكريات بالتتابع من نقطة بداية محددة، مثل سرد قصصي، وتسمح للفرد بالانغماس الكامل في تلك الذكرى. إنها مفيدة للغاية لزيادة التركيز وتذكر تفاصيل محددة.»

– «لماذا يحدث هذا لي؟»

– «الحبة التي أعطيتكِ إياها قبل بضع ساعات.»

– «أخبرتني أن ذلك سيساعدني على التركيز. لم تقل إنها ستعيد توصيل طريقة عمل دماغي!»

— «نحن في عجلة من أمرنا. لم أكن محددًا بشأن التفاصيل.»

— «هل هي... هل هي مثل مجرفة الذكريات؟»

— «إنها مبنية على مفهوم مشابه، نعم، لكن النتيجة مختلفة. لها غرض مختلف. عمل المعهد على الذاكرة أنتج العديد من التقنيات المختلفة، وتستخدم لأشياء مختلفة. وليس نحن فقط. هناك أيضًا، على سبيل المثال، التكنولوجيا التي طورتها "صنرايز" لمحو ذكريات ستانلي، والتي ظننتِ خطأً أنها زهايمر.»

— «يا إلهي. وهذه الحبة——هل سيزول مفعولها؟»

— «نعم. ستتوقف عن العمل عندما ينتهي كل هذا.»

— «وماذا عن ستانلي الآن؟ تظل تقول إنه في خطر، وأننا بحاجة لإيجاده. ماذا يعني ذلك؟ أين هو؟»

— «لقد ذهب يا ماغي. لقد اختفى. فعل شيئًا——لا نعرف ما هو تمامًا بعد——واختفى. هذه هي اللحظة التي نبحث عنها. ما فعله. كل ما أعرفه هو أنه ليس في أمان. لا أحد منا في أمان حتى نجده. نحاول استعادته، لكنكِ وحدكِ من يستطيع فعل ذلك.»

— «متى اختفى؟»

— «هذا سؤال يصعب الإجابة عليه. دعيني أكون صريحًا معكِ يا ماغي. هذا أمر غير معتاد. أنا أدرك ذلك. أشياء كثيرة لم أشرحها لكِ، لكن ذلك لأنها لن تكون منطقية حتى تعود بعض ذكرياتك. لن يكون لديك سياق لها. إذا كنتِ تريدين إجابات، فاستمري في إخباري بما حدث بأكبر قدر ممكن من التفاصيل. إجاباتك ستأتي، أعدك. ثم ستكونين حرة في الذهاب. وإذا حالفنا الحظ، ستكونين مع ستانلي مرة أخرى. لكن الوقت ينفد، وإذا لم نجد اللحظة المحددة قريبًا، فسيصبح كل هذا بلا طائل. سيضيع كل شيء. يجب أن نستمر.»

– «حسنًا. طيب. يمكنني قبول ذلك. لكن لا مزيد من معاملتي كحمقاء، من فضلك. هذا صعب بما يكفي كما هو.»

– «أعدك يا ماغي، أنني لا أعتقد أنكِ حمقاء. عودي بذاكرتك الآن. نحن في المعهد. ماذا يأتي تاليًا؟»

أغمضت مارغريت عينيها واسترسلت:

– «أنا أمسك يد ستانلي. ساعدته للخروج من الكرسي الغريب وإلى صف من الكراسي العادية في الجزء الخلفي من الغرفة، كما في غرفة انتظار الطبيب. إنه غائب عن الوعي الآن: يبدو مرتبكًا بشأن مكانه ومذهولًا قليلاً. تنتابه هذه اللحظات من وقت لآخر. أعصر يده قليلاً وأفكر في مدى ضعفها في يدي—العظام تبدو أصغر، كعظام طائر، وكأنها ستنكسر إذا ضغطت بقوة.

لا أحب تعريضه لهذا. إنه أمر قاسٍ.

تقول لي: "علينا نقله إلى جزء آخر من المنشأة. من أجل الفحص. بعد ذلك، يمكننا إعطاؤكِ المزيد من البيانات حول غوص الذاكرة التالي." أنت تقف فوقنا مثل نصب حجري، تراقب بصمت. غريب كيف يمكن أن يكون لك مثل هذا الحضور الجسدي ومع ذلك أنسى أحيانًا أنك موجود.

قلتُ: "امنحنا لحظة."

أصدرتَ صوتًا بلسانك يعبر عن نفاذ الصبر. إنه صوت لم أسمعه منك من قبل، وأثار غيظي.

– "يجب علينا حقًا..."

– "فقط امنحنا لحظة لعينة، هلا فعلت!"

تراجعتَ خطوة للخلف. ليس صدمة. لا—لا أستطيع تخيل أنك جربت الصدمة يومًا في حياتك. إنها حركة محسوبة لمنحي مساحة، لتظهر لي أنك تذعن.

– "سأكون خارج هذا الباب عندما تكونين مستعدة."

التفتُّ إلى ستانلي، معطية إياك ظهري. لم أسمعك تغادر الغرفة، لكن عندما نظرت خلف كتفي، كنتَ قد رحلت.

سألتُ: "كيف حالك يا ستان؟" كان يحدق في الفراغ. لم أتوقع ردًا، لكنني أعلم أنه يحب سماع صوتي. ظهر طيف ابتسامة على وجهه. ليس على شفتيه—ليس بوضوح هكذا—بل على الجوانب، في ارتعاش العضلات في خديه وفي الانحناء الطفيف للخطوط حول عينيه. تنهدت واستقررت بجانبه، ساحبة يده قرب صدري.

— "هذا حقًا أغرب شيء."

تمتم: "مممم"، وكأنه يفكر بعمق في الأمر، لكن عقله قد يكون في أي مكان.

أتعرف ذلك السؤال الكلاسيكي: "إذا منحك جني أمنية واحدة، ماذا ستكون؟" لو سألتني قبل ستة أشهر، لكانت أن ألقي نظرة خاطفة داخل رأسه، لدقيقة واحدة فقط. فقط لأرى أين يذهب حين يتركني.

الآن وقد فعلت ذلك، أجد أنني أريد المزيد. أحتاج للمزيد. رغم الصدمة والرعب، لا تزال نشوة التجربة تغلي في عروقي. لم أخبرك عن الطقس الغريب بعد، الذي رأيته يؤديه.

لماذا؟

أعتقد أنه من الأفضل أن يكون لدي بعض الأسرار أيضًا. من الواضح أنك لا تعرف بالضبط ما رأيته هناك—مجرد خطوط عريضة ربما، بناءً على معدل ضربات قلبي وردود أفعالي العاطفية. لكنني ما زلت بحاجة لمساعدتك. من الواضح أن ستانلي تذكر بعد أن دخلت آخر مرة، أن ذلك ساعد في استعادة ذكريات ظننت أنها ذهبت منذ زمن طويل من دماغه. كانت هناك، مخبأة. أبحث في وجهه.

لماذا لا يمكنك الوصول إليها يا ستان؟ فكرتُ. *ما الذي يمنعك؟*

سأفعل أي شيء لأكتشف ذلك. سأعرض نفسي لأي شيء.

جفل قليلاً، وأدركتُ أنني أعصر يده بقوة. أفلته، وبينما أفعل، أدرك الخطر فيما فكرت فيه للتو. كان شيئًا اعتادت أمي قوله لي عندما كنت فتاة صغيرة. *سأعرض نفسي لأي شيء من أجلك*. كان المقصود به تعبيرًا عن الرعاية، لكن بدلاً من ذلك بدا دائمًا كعبء، كصليب يجب حمله. بدلاً من الحب، شعرت بالاختناق—بحاجتها لتكون هناك، لتخوض معاركي، لتتخذ خياراتي نيابة عني. في تلك اللحظات، أردت أن أصرخ: *لكنني لا أريدك أن تفعلي!* لم أستطع، مع ذلك. لذا بدأت بإخفاء الأشياء عنها بدلاً من ذلك. بدأت بالهروب، حتى لو كان ذلك في رأسي فقط.

تابعتُ حديثي لنفسي، ولستانلي، بينما أفكاري تتسارع:

«لذا، نعم، رغم أنني مستعدة للخوض في النار لاستعادة ستانلي، ليس من حقي أن أتوقع المثل منه.

ملتُ نحوه مقتربةً وهمست:

— «لن أدع أحدًا يؤذيك يا ستان. بما في ذلك أنا. أريد أن أعدك بذلك الآن. أريد أن أقولها بصوت عالٍ، ليس فقط في رأسي، لأنها حينها تصبح حقيقة وعليّ الالتزام بها. مهما كان المدى الذي سيصل إليه هذا الأمر، ومهما كانت الوعود التي قُطعت لي، لن أدع أحدًا يمسك بسوء. اتفقنا؟»

سحب أنفه وقال:

— «نعم، حسنًا، يبدو هذا كله جيدًا بالنسبة لي. بالتأكيد.»

ضحكت. تنتابه لحظات صفاء ذهني غريبة، لكنها مجرد كلمات، مجرد شظايا محادثة. لا أعتقد لثانية واحدة أنه يدرك ما يوافق عليه، لكنه يمنحني نوعًا غريبًا من العزاء.

قلت:

— «حسنًا، جيد. لا أريدك أن تكون قلقًا.»

رد بابتسامة عريضة:

— «أوه، أنتِ تعرفينني. مستعد لأي شيء.»

رمشتُ لأطرد الرطوبة من عيني ووقفت، مجففة إياها بمنديل. انحنيت للأمام، ومسحت بعض اللعاب حول فمه ورتبت شعره قليلاً.

– «هل تظن أنك قادر على الانتقال إلى كرسيك؟»

– «حسنًا، سأبذل قصارى جهدي اللعين.»

ويدي في يده، ساعدته على النهوض والاستقرار. نفضت بطانيته ودسستها حول ساقيه. الجو بارد هنا، واجتاحتني رغبة مفاجئة في التحرك. وبينما أدفعه نحو الباب، انفتح أمامنا. كنتَ تنتظر هناك، واقفًا بسلبية مثل تمثال.

قلتَ:

– «اتبعيني.»

سرنا خلال المعهد، ومررتُ بغرفة تلو الأخرى تحوي أشياء لا أستطيع فهمها أو تفسيرها. العديد منها فارغ؛ وبعضها يحوي رجالاً بمعاطف مختبر وعينات اختبار بالداخل. هناك غرف بها خزانات كبيرة بحجم البشر، وجيروسكوبات، وسماعات رأس. هناك غرف عمليات. أمر بها جميعًا بسرعة كبيرة لا تسمح لي بأكثر من لمحة.

يرمينا قلة من الناس بنظرات متوترة، لكنهم لا يقولون شيئًا. من الواضح أنهم يخافونك.

عندما وصلنا إلى مجموعة أخرى من المصاعد، خطر لي أنني لا أملك أدنى فكرة عن مدى عمق هذا المكان. قد ينحدر إلى قلب الأرض ذاته على حد علمي.

ينظر ستانلي حوله بذهول، وعلى وجهه دهشة صبيانية. كان هذا جانبًا منه لم أفهمه أبدًا. عندما كان يعمل كفني مختبر، لم يكن يتحدث حقًا عن العمل. كان يحاول، في البداية، شرح ما يفعله، لكن الأمر كان فوق استيعابي. العلوم والرياضيات لم تكن أبدًا مجالي، ولم تكن الطريقة التي

يعمل بها عقلي. أنا فتاة فنون وأدب—مسارح، متاحف، روايات. لطالما كنت كذلك. الأرقام وجداول البيانات تصيبني بالجنون.

هناك خمسة مصاعد، جميعها تحمل تسميات مختلفة في أعلاها. حروف يونانية. كل واحد من الأربعة الأولى مميز بحرف صغير من "ألفا" إلى "دلتا": α، β، γ، δ. الأخير منفصل قليلاً، تعلوه "أوميغا" كبيرة: Ω.

قدتني يسارًا، إلى مصعد "ألفا"، وبينما نقترب، انفتح. أدركت أن هاتفي لم يصدر صوتًا واحدًا منذ وصلنا إلى هنا: لا إشعارات، لا رسائل، لا شيء. إنه هادئ—صامت تمامًا—للمرة الأولى منذ سنوات. الغياب يجعلني قلقة.

انفتحت أبواب المصعد بمجرد وصولنا إليها. المنصة بالداخل واسعة بما يكفي لنا نحن الثلاثة بسهولة، بما في ذلك كرسي ستانلي المتحرك. تبدو وكأنها صممت لحمولات صناعية أكبر بكثير. الجدران معدنية ملساء، ناصعة، ورماديها المعدني الداكن لا يقطعه سوى خطين أسودين رفيعين على الجانبين. الأرضية تلمع.

سألتُ وأنا أدفع ستانلي للداخل:

— «إلى أين نحن ذاهبان؟»

أجبتَ:

— «أعمق. إلى الأسفل أكثر.» لكنني بالكاد انتبهت لك—عقلي مركز جدًا على اللافتة المثبتة على الجدار أمامي. تبدو رسمية، بحروف مطبوعة بدقة وخطوط واضحة، لكن صياغتها غريبة.

سأل حسن:

— «ماذا تقول؟»

— «"أنت في مصعد ألفا. تحذير: هذه هي المرة الأولى لك لدخول (الطابق السفلي). إذا شعرت بأن أي شيء تراه مألوفًا، نبه أحد الموظفين فورًا. معهد لازاروس يقدر سلامتك وسلامة خطك الزمني."»

سألتُ:

– «ما هذا؟» انغلقت أبواب المصعد خلفنا. أنت لا تنظر إلى اللافتة ولا إليّ، بل مباشرة للأمام نحو الجدار المعدني البارد.

قلتَ:

– «نقطة تفتيش (ديجا فو).»

– «ما الذي يعنيه هذا بحق الجحيم؟»

لم تجب. بدلاً من ذلك، ودون النظر إليّ، ارتسمت تلك الابتسامة المستفزة على وجهك. تعرف تلك التي أعنيها—تلك التي منحتني إياها ثلاث مرات في الساعة الأخيرة بينما نجري هذه المقابلة. تلك التي تقول: *لن أخبرك، ولا يوجد شيء يمكنك فعله حيال ذلك.*

لم أدرك أن المصعد يتحرك حتى رأيت الأضواء تتغير. الخطان الأسودان على جانبي المصعد كشفا عن كونهما شقوق نوافذ وليسا طلاءً. طابق تلو الآخر يومض مسرعًا. نحن نتحرك بسرعة كبيرة حقًا، ونحن بالفعل تحت الأرض.

كيف نذهب أعمق من ذلك؟ تساءلتُ. وتبع ذلك فكرة ثانية، أكثر إقلاقًا: *ما الشيء الخطير جدًا لدرجة أنه يحتاج لأن يُدفن بهذا العمق؟*

استغرق الأمر مني لحظة لأدرك أن المصعد يتوقف، لشدة سلاسة الحركة. في هذا المكان، حتى القصور الذاتي لجسدي يمكن خداعه.

انفتحت الأبواب مرة أخرى، واستقبلني مشهد مختلف كليًا: اختفت الجدران البيضاء والرمادية المعقمة، وفنيو المعامل، والأدوات المعدنية المخيفة. حل محلها ورق حائط أخضر رمادي وسجاد كستنائي اللون، كشيء خرج من بيت ضيافة جورجي قديم. هناك أريكة في الزاوية وبضعة كراسي تحيط بطاولة قهوة خشبية داكنة عليها رقعة شطرنج، لمعانها يتلألأ تحت ضوء المصابيح العديدة. هناك أيضًا خزانة كتب في الزاوية، مكدسة

بمجموعة متنوعة من المجلدات، لكن بصري ضعف كثيرًا لدرجة لا تسمح بتمييز العناوين حقًا.

هناك رائحة دافئة في الغرفة——مزيج من خشب يحترق برفق ولمحات من الخزامى.

إلى اليسار، مرآة كبيرة مزخرفة وباب مغلق؛ وإلى اليمين، باب مغلق آخر.

قلتَ وأنت تقودنا لداخل الغرفة:

— «مرحبًا بكم في الطابق السفلي. أفترض أنكم ستسمون هذا مكتبي.»

أطلق ستانلي تنهيدة صغيرة من المتعة، كأنه كان يحبس أنفاسه طوال الرحلة ويمكنه أخيرًا الاسترخاء الآن وقد وصل. كأنه في المنزل. أستطيع رؤية السبب.

قلتُ:

— «يا حسن، لم أرَ ورق حائط كهذا منذ السبعينيات. وحتى حينها، كان طرازًا قديمًا.»

— «أعترف أنها جمالية محددة للغاية.»

عبرتَ إلى طاولة القهوة، وهناك شيء مختلف في طريقة مشيك. إنها أكثر استرخاءً قليلاً، أكثر——هل أجرؤ على قولها——إنسانية. جلستَ وفعلت آخر شيء كنت أتخيل أنك تفعله أبدًا. بصدق، لو كنت سأضع قائمة بالأفعال التي لا أتوقع رؤيتك تقوم بها أبدًا، لكان هذا في القمة.

سأل حسن:

— «ماذا فعلت؟»

— «وضعتَ قدميك على طاولة القهوة. وملت بظهرك على الأريكة. لن أقول إنك تبدو مسترخيًا، لأنك لست كذلك. لا يزال هناك تيار خفي من الشراسة حولك، حتى الآن، وسأكون حمقاء لو نسيته. لكن في هذه اللحظة، هو مجرد تيار خفي. مثل غلاية لم تغلي بعد. مثل أسد نائم.

جعلني ذلك أشعر بالراحة، وفورًا سألت نفسي إن كان ذلك شيئًا جيدًا.

نظرت لأسفل إلى ستانلي في كرسيه وأدركت أنه غلبه النعاس. سال القليل من اللعاب منه، وانحنيت لأمسحه.

ابتسمتَ ورميت بنظرة ذات مغزى نحو الباب المغلق.

– "حان وقت موعدك، يا سيدة ويب؟"

– "الفحص."

– "بالفعل. سيكون غير مؤلم، أعدك. وبمجرد انتهائه، يمكنك استخدام مجرفة الذكريات الشخصية الخاصة بي لإكمال غوص آخر. نحن نقترب من جذر مشكلة ستانلي، من نسيانه."

قطبتُ جبيني.

– "لماذا لم نأتِ إلى هنا في المقام الأول؟"

– "كنت بحاجة للتأكد من أن الأمر سينجح. ليس أي شخص يأتي إلى هنا. كان علي التأكد من أنك ستكونين مطابقة متوافقة لكيمياء دماغه. لو لم تكوني كذلك، لكان كل هذا بلا طائل."

عبر الباب توجد غرفة مشابهة: تتميز بنفس السجاد وورق الحائط، لكن هذه بها مجموعة من الشاشات على طول الخلفية. هناك لوحة فلين قديمة على الجدار مثبت عليها قصاصات من عناوين الصحف وكأنها نوع من لوحات الجرائم: انتحار في مدرسة خاصة، حريق كبير في وسط لندن، بعثة استكشاف كهوف في اليونان. ليس لدي أدنى فكرة عما يربط بينها.

في المنتصف، يوجد كرسي. ليس كرسي طبيب أسنان، مثل الذي في الأعلى، بل كرسي بذراعين ممدد—أكثر نعومة وراحة. توجد سماعة رأس مشابهة في الأعلى، لكنها تبدو أقدم بكثير. تمتد منها أسلاك وتتصل بمنافذ في الأرضية. بالكاد ترى أسلاكًا في أي شيء هذه الأيام. بجانبه، يبدو المغطس فيكتوريًا تقريبًا، قائمًا بذاته بجوانب ملفوفة وصنابير نحاسية. على طاولة تجلس ما يشبه خوذة غواص من القرن التاسع عشر.

قلتَ:

– "إنه طراز أقدم، لكنه يعمل بنفس الطريقة تمامًا."

سألتُ، وأنا لا أهتم حقًا، بل أحاول فقط صنع محادثة لتخفيف التوتر:

– "لماذا تحتفظ بطراز أقدم؟"

جلستُ في المقعد هذه المرة، بدلاً من غمر نفسي في السائل. سماعة الرأس السلكية على وشك أن توضع على رأسي، ثم الله أعلم ماذا سيحدث.

أجبتَ:

– "سمّها نوستالجيا."

انتهى الفحص قبل أن أدرك. بالكاد سجلت حدوثه. وُضعت السماعة، ثم أزيلت. بضع ثوانٍ فقط. أطلقت زفيرًا كبيرًا.

– "كان ذلك سهلاً."

قلتَ وأنت تلمس كتفي، وكانت يدك دافئة بشكل مفاجئ—لا أعرف لماذا تخيلت دائمًا أنها ستكون باردة:

– "لا أريد جعل هذا صعبًا عليك يا ماغي. أنا في صفك هنا. أحاول مساعدتكما أنتما الاثنين."

– "آسفة. إنه فقط... كل هذا جديد جدًا. ومع ستانلي و... أنا خائفة يا حسن. لا أعرف بمن أثق."

أمسكتَ عينيّ بنظراتك، ولم أستطع النظر بعيدًا. جذبتني للداخل.

– "ثقي بي يا ماغي."

ولنصف ثانية، كدت أفعل. يا إلهي، أنت بارع في هذا.»

سأل حسن:

– «هل قمتِ بغوص ذاكرة آخر مع ستانلي؟»

– «نعم... ليس بعد وقت طويل. أنا...»

— «اذهبي إلى ذلك.»

— «ظننت أنك تريد كل التفاصيل.»

— «ليس هذه التفاصيل. سأقوم بتسريعك هنا. هذه اللحظة ليست مهمة. إنها مفهومة ضمنيًا: قضيتُ بعض الوقت في المعايرة. أيقظتِ ستانلي. وضعناه في الكرسي، وغمرتِ نفسك في المغطس. صحيح؟»

— «حسنًا، نعم.»

— «ما التعليمات التي أعطيتك إياها تاليًا؟»

— «قلتَ: "في المرة الماضية، عايرنا بذكرياتك أنتِ—ذكرى يمكنك استدعاؤها بشكل جيد للغاية. الآن نحتاج لتأسيس دقة التطابق بين موجات الدماغ. عليك العثور على ذكرى يستطيع ستانلي استدعاءها، واحدة يمكنه تذكرها بتفاصيل كثيرة."

أنت عند شاشات اللمس في الخلف، تحرك البيانات والرسوم البيانية بسرعة كبيرة لا أستطيع متابعتها. ستانلي مستيقظ لكنه بعيد. بالكاد موجود في الغرفة—عقله في مكان آخر. أنا أنظر لخوذة الغواص بريبة لأنها تبدو ثقيلة جدًا؛ أقلق من أن كتفي لن يستطيعا حملها.

قلتُ:

— "حفل الشواء في شاطئ بورتوبيللو."

التفتَّ إليّ رافعًا حاجبك.

— "لم أكن هناك. كان ذلك قبل أن أقابله، لكنه يتحدث عنه طوال الوقت. حفل شواء أقامه على شاطئ في إدنبرة مع أصدقاء. أحيانًا يظن أنني كنت هناك معه أو أنه هناك الآن، لكنها بالتأكيد ذكرى واضحة. أحيانًا..." نظرتُ إلى وجهه، وعيناه الزجاجيتان. عصرتُ يده. "عندما أقلق من أنه ذهب حقًا، وأن كل شيء ذهب، أسأله عن ذلك الشواء، ويبدأ في الحديث عنه. لا ينساه أبدًا."

رمش ستانلي:

– "شواء؟ في بورتوبيللو؟ يا إلهي، كان الجو باردًا حينها."

قبلته على جبينه:

– "نعم، ستان. هذا هو."

قلتَ وأنت تحدد موجة دماغية على الشاشة وتعزلها:

– "ممتاز. ركزا على تلك الفكرة. فكرة تلك الذكرى. كلاكما." وضعت سماعة الرأس عليه ثم التفتَّ لتضع الخوذة عليّ.

حتى وهي تنزل فوق عيني، أصبح ستانلي أكثر انتباهًا. نظر إليّ بفضول، رامشًا، وأقسم أن هناك ومضة خوف في عينيه، ذعر.

فتحت فمي لأطلب منك التوقف. لكن بينما فعلت، نزلت الخوذة، وتحلل العالم كله أمام عيني.

عادت القطع، مثل السقوط في حلم. المشاعر أولاً. البرد والريح. رائحة البحر. أخذ العالم يتشكل ولكن في أجزاء منفصلة: كوخ شاطئي يظهر وحده في السواد. ثم أمواج من البحر، وحدها، غير متصلة برمل أو سماء. وسرعان ما امتلأت الأجزاء البينية.

أنا أقف على شاطئ لم أزره من قبل، لكنني أشعر أنني أعرفه. مثل "ديجا فو". أنا في ذاكرة ستانلي لكن ليست واحدة أملك أي خبرة بها خارج ما أخبرني به.

أقف تحت رصيف بحري، على بعد ياردات فقط من حيث تضرب المياه الشاطئ. الجو بارد—عند تلك النقطة الفاصلة بين الخريف والشتاء. أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر، حسب تخميني. الرياح ليست قوية جدًا، وأنا ممتنة لذلك، لأنني ما زلت بالملابس التي كنت أرتديها في المعهد: مجرد سترة خفيفة، وتنورة، وبلوزة. أنا سعيدة لأنني أرتدي جوارب سميكة.

الشاطئ شبه فارغ. هناك قلة من الناس يمشون كلابًا ويتجولون على طول الواجهة البحرية. بعض الأزواج يمسكون أيدي بعضهم. بعض الباحثين المجانين عن الإثارة يسبحون فعليًا في بحر الشمال. أنظر خلفي وأرى ستانلي على بعد حوالي خمسين ياردة.

يبدو أصغر مما كان عليه عندما قابلته—ربما عشرين أو واحدًا وعشرين—لكنه ما زال يملك نفس البنية الصغيرة والسحر الذكي غريب الأطوار. إنه ينبعث منه. هناك شخصان آخران معه: رجل نحيل، أسمر البشرة يرتدي نظارات، يحمل بيرة، ورجل آسيوي ضخم يقف بجانبهما. يحومون حول شواية صغيرة نصبوها على الشاطئ، يحاولون إشعالها.

لم أقابل أيًا منهما من قبل، وأتساءل لماذا. في الواقع، الشخص الوحيد الذي قابلته من حياة ستانلي قبلي كان هيوغو، زميله القديم في المدرسة، وحتى ذلك الحين بدا وكأن ستانلي يبقينا بعيدين عن التعرف على بعضنا البعض. كأنه كان محرجًا، رغم أنني لم أستطع أبدًا معرفة السبب تمامًا.

مشيتُ في اتجاههم، بحذر، راغبة في الاقتراب قليلاً من ستانلي، راغبة في سماع صوته.

الرجل النحيل—تخميني الأول أنه هندي، أو ربما من جزر المحيط الهادئ، ربما "ساموي"—نظر نحوي، ثم أشاح ببصره. أنا مجرد دخيلة في الذكرى، بعد كل شيء. الدماغ يبرر وجودي كماشية على الشاطئ أو تمثال أو شيء من هذا القبيل.

إنهم يضحكون. أستطيع سماع دفء الضحك وأنا أقترب، أرى الابتسامات على وجوههم. لكن هناك شيئًا ما بخصوص ستانلي. إنه لا يضحك تمامًا مثل الآخرين. ضحكاتهم حقيقية—فرح حقيقي، سعادة حقيقية—لكن ضحكته مزيفة. عيناه لا تتغضنان بالطريقة التي تفعلها عيون الآخرين. تبدوان حزينتين.

كيف تعرفين؟

عشت مع الرجل لأكثر من أربعين عامًا. أعرف كيف يبدو عندما يكون حزينًا.

قال الرجل النحيل:

— "أنا أقول فقط. أنتما تعرفانه أطول مني. هل كان دائمًا بهذا القدر من الغرابة؟"

هز الضخم رأسه:

— "لا أدري يا توبي. جاك كان دائمًا غريب الأطوار، بالتأكيد. لن أقول إن غريب هي الكلمة الصحيحة، رغم ذلك. وأيضًا"——لكز الرجل النحيل في أضلاعه مازحًا——"إنه نوعًا ما رئيسك. يجب أن تكون حذرًا."

— "حسنًا، نعم يا راف، لكنك مثل رئيسه." التفت توبي لستانلي. "وستانلي مثل رئيسك، صحيح؟ أم العكس؟ لا أستطيع التحديد أبدًا."

قال ستانلي بهدوء:

— "لقد تغير. جاك——لم يعد الشخص نفسه."

نظر الآخران إليه.

مشيتُ بجوارهم مباشرة الآن، على بعد ياردات قليلة خلفهم. وبينما أمر بهم، نظرت فوق كتفي، غير راغبة في ترك ستانلي يغيب عن نظري. ورآني.

سأل حسن:

— «رآكِ؟»

— «نظر إليّ مباشرة، وعرفني. بلا شك. ظهر هذا المزيج الغريب من الذهول والقلق على وجهه. استمر لبضع ثوانٍ فقط، لكنه كان نظرة مكثفة، غريبة، وجامحة لدرجة أنها بدت تقريبًا كاتهام، كأن وجهه يصرخ: *ماذا تفعلين هنا؟*

اضطررت للنظر بعيدًا. أسرعتُ في مشيتي، فقط للابتعاد عن ذلك. في الخلفية، سمعت الرجل النحيل—توبي—يقول: "أحتاج للتبول. انتظروا."

كان جسدي كله يرتجف. حاولتُ تبرير الأمر لنفسي: *كان ذلك مجرد دماغ ستانلي يحاول استيعاب ما أفعله في تلك الذكرى. إنه مرتبك فقط، يحاول دفعي خارجها.* لكن شيئًا ما لم يبدُ صحيحًا.

كان هناك شيء في نظرة ستانلي جعلني أشك فيك. جعلني أشك فيما أخبرتني به.

مر توبي بجانبي إلى يميني، يمشي مشية رياضية سريعة نحو مرحاض عام على الجانب الآخر من الشاطئ. قررت القيام بشيء جذري.

قلتُ:

— "عذرًا؟" توقف. واستدار.

— "نعم؟"

— "هل يمكنك رؤيتي؟"

قطب جبينه:

— "أي نوع من الأسئلة الغريبة هذا؟ آسف يا سيدتي، أنا بحاجة ماسة للتبول." استدار مبتعدًا، ثم توقف وتنهد قبل أن يلتفت عائدًا. "هل أنتِ بخير؟ هل معكِ شخص هنا؟"

— "أوه، لا تقلق." لوحت بيدي. "لست مجنونة أو أي شيء. أنا فقط... اسمك—إنه توبي، صحيح؟"

— "كيف عرفتِ ذلك؟"

— "سمعتك."

— "أوه." بدا مرتبكًا. "صحيح. إمم، نعم." أومأ برأسه للأمام بشكل أخرق. "توبي هاواتا، في خدمتك. لكن، بصدق، أنا حقًا بحاجة للتبول. هل أنتِ متأكدة أنكِ بخير؟"

كذبتُ:

– "بخير. سأكون بخير."

أعطاني ابتسامة أخيرة صغيرة ثم انطلق مسرعًا.

وفكرتُ: *توباياس هاواتا. أعرف هذا الاسم. إنه ساموي. رأيته من قبل في أحد دفاتر عناوين ستانلي، تلك التي حملتها على حاسوبي المحمول وعلى قرصنا المشترك قبل أن يدخل (صنرايز). الرقم والعنوان سيكونان على هاتفي، حتى بدون إشارة شبكة. إنه في التخزين المحلي.*

التفتُّ للخلف لأرى ما إذا كان ستانلي لا يزال ينظر إليّ.

ولم يكن هناك.

لم يكن هناك شيء.

لا ستانلي، لا راف، لا شواء. لم يكن هناك حتى رصيف بحري.

هناك ثقب حيث يجب أن تكون تلك الأشياء.

وهو فارغ جدًا.

أمسك بي خوف ثاقب قطع مباشرة إلى قلبي. ليس خوفًا عقلانيًا أو يمكنني شرحه؛ إنه أعمق من ذلك، أكثر غريزية، مثل الخوف من السقوط فجأة في الظلام أو النظر من فوق منحدر.

قلبي يقرع في صدري. أريد أن أصرخ، لكنني ألهث بسرعة كبيرة. لا أستطيع التقاط أنفاسي.

يمتد الفراغ للخارج، حوافه تبدأ في الانتشار إلى البحر، عبر الرمل، نحوي.

تعثرتُ للخلف، مبتعدة عنه. استدرتُ ورأيت توبي من الخلف، لا يزال يمشي للمرحاض، وصرخت باسمه.

خرج الصوت مشوشًا، في تمتمة وصرخة مخنوقة.

استدار نحوي، ولم يكن وجهه هناك.

لقد ذهب. إنه... فارغ.

تمكنتُ من القول، لاهثة:

– "اسحبني للخارج." ثم بصوت أعلى: "اسحبني للخارج، اسحبني للخارج، اسحبني بحق الجحيم من هنا."

وتحول العالم للسواد، لكنني تنفست.

لأنه ليس الفراغ الذي رأيته من قبل. ذلك كان مختلفًا. ذلك كان أسوأ شيء رأيته في حياتي.

رُفعت الخوذة عن رأسي. أنا عائدة في مكتبك، وأنت تنظر فوقي. تبدو قلقًا.

سألتَ:

– "ماذا حدث؟"

طالبتُ وأنا أسحب نفسي خارج المغطس وأهز ستانلي:

– "هل لا يزال هناك؟" عيناه ما زالتا مغلقتين. "هل خرج؟"

– "الآلة مطفأة. لم يعد يغوص."

هززته، برفق في البداية، ثم بقوة أكبر.

– "ستان. ستان!"

انفتحت عيناه، والتوت شفتاه في غضب.

– "ماذا؟ ماذا تريدين أيتها المرأة؟!"

وذبتُ فيه، رامية ذراعي حوله.

– "يا إلهي. يا إلهي يا ستانلي، أنت بخير. أنت هنا."

تشنج من عناقي.

– "حسنًا، نعم، أيتها المرأة الغبية. لماذا لا أكون؟"

– "لا أعرف." كنت أبكي. أبكي في رقبته وصدره. "لا أعرف. كنت خائفة جدًا فقط. كنت فقط... كنا على شاطئ بورتوبيللو، في حفلة الشواء الخاصة بك، وفجأة..."

جاء صوته قاسيًا وحلقيًا:

– "أين؟"

– "بورتوبيللو. في ذاكرتك. في إدنبرة."

– "هراء. لم أذهب إلى إدنبرة قط."

جلستُ مستقيمة.

– "ماذا قلت؟ قل ذلك مرة أخرى."

نظر إلي بغرابة، كأنه لا يفهم ما أقوله.

– "لم أذهب إلى إدنبرة قط."

استدرتُ وأمسكت بمعصمك، جاذبة إياك نحوي.

– "ماذا فعلت به؟ لا يستطيع تذكر الشاطئ. هو يتذكر الشاطئ دائمًا، وأنت وضعتني هناك، وحدث ذلك، والآن اختفى. ماذا فعلت؟ يا إلهي——ما الذي جعلتني أفعله بحق الجحيم؟"

لم تسحب يدك ضد قبضتي. أمسكت بنظراتي.

– "ماذا تعنين بـ (حدث ذلك)؟"

– "كانوا هناك. ستانلي كان هناك، ثم لم يعد كذلك وحسب. كان هناك... فراغ. عدم. كأن شيئًا ابتلعه."

حدقتَ مباشرة في عيني، تخترقني لثوانٍ، دقائق، ساعات. لا أعرف. إنه أكثر تعبير مكثف رأيته على وجهك أبدًا. ليس غضبًا تمامًا، أو شراسة. إنه... يقين مطلق. هوس. إنه... من الصعب وصفه، لكنه نظرة قوة إرادة محضة.

نتفتَ يدي عن معصمك وكأنها ريشة ومشيت خارج المكتب مباشرة. عبرت الغرفة الأمامية الرئيسية للباب الآخر على الجانب الأيمن، ودخلت خلاله، مغلقًا إياه خلفك.

سأل حسن:

– «خرجتُ وحسب——دون كلمة؟»

— «نعم. وليس لدي أدنى فكرة عما عليّ فعله، لأنني قطعت وعدًا.»

— «وعدًا؟»

— «بأنني لن أدع أحدًا يؤذيه، لكنك آذيته. أو أنا فعلت. شيء ما فعلناه آذاه. إنه يفقد المزيد من الذكريات، ولا أعرف لماذا. لكن بعد رؤية تلك النظرة على وجهك، اتضح لي شيء واحد. ستجبرنا على الاستمرار إذا اضطررت لذلك. لن تدع هذا ينتهي، حتى لو توسلت إليك.

ستانلي يتمتم بشيء لنفسه الآن، بصوت هادئ جدًا لا أستطيع سماعه، وبينما أنظر لأسفل إليه، أدرك أنني بحاجة لمساعدة. أحتاج لشخص—شخص ليس أنت—لمساعدتي في فهم كل هذا.

أخرجتُ هاتفي وتفقدت دفتر عناويني. إنه هناك—إدخال للرجل الساموي النحيل، توباياس. استخرجتُ عنوانه. إذا كان لا يزال حيًا، فربما كان متورطًا في هذا بطريقة ما، مع ستانلي، قبل أن أقابله. وبينما أنظر حول المكتب—إلى الزوايا والنوافذ والأزرار والأبواب لمكان يبدو بشكل متزايد كسجن—عندها اتخذت قرارًا.»

— «أي قرار؟»

— «سيكون عليّ تهريبه. مرة أخرى. وهذه المرة، سيتوجب علي فعل ذلك وحدي تمامًا.»

١٠

ستانلي
١٩٥٩

ركض الجرذ عبر النفق، يشمشم بينما يتقدم. في كل مرة وصل فيها لتقاطع، توقف للحظة——نصف ثانية من التردد——قبل أن ينعطف يسارًا أو يمينًا. حتى لو لم تكن تراقب الجرذ، كنت ستستطيع معرفة متى حدث هذا من ردود فعل المتفرجين الثلاثة. قبضاتهم انشدت قليلاً؛ وأوتار رقابهم توترت.

تمتم راف لنفسه:

— «سيفعلها حقًا.»

مال للأمام قليلاً، دون أن يلاحظ، والآن كان يحوم فوق المتاهة مثل برج بيزا.

قال توبي:

— «سأصدق ذلك عندما أراه.» كانت ذراعاه متقاطعتين في شك مصطنع، لكن عضلاته لم تكن أقل توترًا.

لم ينطق ستانلي بكلمة.

ركض الجرذ أبعد، وسماعة رأسه الصغيرة متصلة بسلك رفيع بالكمبيوترات الممتدة على الحائط. تسمية هذا متاهة كان تقليلاً من شأنها؛ كانت أشبه بدهليز. ممتدة عبر ما يقرب من عشرين ياردة من أرضية المختبر، كانت بلا شك أكثر مسارات الجرذان تعقيدًا بنيت على الإطلاق. هندستها أصبحت نوعًا من اللعبة لأعضاء "فريق لازاروس"——كل واحد

يحاول التفوق على الآخرين بأبواب وهمية، وطرق مسدودة، وفخاخ، ومرايا. كان ستانلي شبه متأكد أنه لو كان بحجم الجرذ، لما استطاع إيجاد طريقه للخروج تمامًا.

قال راف، قارئًا من الورقة المطبوعة التي خرجت بقرقعة أمامه:

— «الدوائر العصبية مشتعلة يا ستان. ماريا—دوني ملاحظة. نرى نشاطًا في منطقة (CA١) من الحصين، والتلفيف المسنن، والقشريات المجاورة للحصين والأنفية الداخلية.»

كان المختبر الذي تواجدوا فيه واحدًا من العديد في هذا المبنى، مستأجرًا ومدفوعًا من صندوق راف الائتماني الضخم للغاية. كانت الجدران عالية، والغرفة مغطاة بالمعدات—أجهزة كمبيوتر تئز وأقراص صلبة تحتل جدرانًا بأكملها، أحدث ما في تكنولوجيا منتصف القرن.

سمع ستانلي خربشة قلم ماريا خلفهم، تدون القراءات على لوحها. كانت مساعدة راف الشخصية سيدة صغيرة بشعر بني باهت لا يُربط إلا بتسريحة ذيل حصان. عدا عن حركة قلمها، بقيت صامتة في مؤخرة الغرفة.

لم يرفع ستانلي نظره. لم يستطع انتزاع عينيه عن هذا الجرذ الصغير. *تستطيع فعلها*، تمتم بإرادته. *افعلها وستحصل على ما يكفي من الجبن لتأكل كالملوك لبقية حياتك.*

تعثر المخلوق ليتوقف مرة أخرى. استنشق الثلاثة نفسًا متزامنًا.

قاعة مرايا جاك—بابان يؤديان لمخارج وهمية، أربعة أبواب وهمية هي في الواقع مرايا، روائح زائفة خلف كل واحد. لم يكن هناك حل لهذا في الموقع. لم يكن هناك حل لهذه الغرفة بالغريزة. كان على الجرذ أن يتذكر—بوضوح، بعد محاولة واحدة فقط—بالضبط أي طريق عليه أن يسلك.

شمشم عند أحد أبواب المرايا.

قال توبي:

– «لا تشمشم عنده أيها الغبي. لن يساعدك ذلك.»

– «لا تدعه بالغبي.» كانت عينا راف تتنقلان جيئة وذهابًا بين القراءات العصبية والمتاهة. «يا للمسكين.»

لم يعبر أي جرذ قاعة المرايا بعد. رأت الجرذان هذا الجزء من المتاهة مرة واحدة فقط قبل أربعة أسابيع على الأقل من ركضها، فترة طويلة بما يكفي ليبدأ "منحنى النسيان" بالكامل. طويلة بما يكفي ليحتاجوا للاعتماد على الذاكرة العرضية طويلة المدى.

تراجع الجرذ بضع خطوات، مستديرًا، ومرتبكًا.

هيا.

قفز رأسه في الهواء، وكاد ستانلي يقسم أنه رأى مصباحًا صغيرًا يظهر. ركض الجرذ—بشكل رائع، ومجيد—عبر الباب الصحيح.

– «نعم!» لكم راف الهواء. «أيها العبقري الصغير!»

همس ستانلي:

– «لم ننتهِ بعد.» لا تزال هناك البوابة المشفرة.

كانت لوحة أرقام صغيرة تغير رمزها المكون من ثمانية أرقام اعتمادًا على لون الغرفة—مصممة للتغيير عشوائيًا. سيتعين على الجرذ تعلم الرمز المقابل لكل لون وإدخاله بشكل صحيح. رقم خاطئ واحد وتنغلق المتاهة بأكملها. كان توقعًا عبثيًا لوضعه على دماغ جرذ، سخيفًا تمامًا. لكن، مرة أخرى، كل ما كانوا يفعلونه هنا كان سخيفًا.

لم يتوقف الجرذ هذه المرة؛ اندفع بقوة عبر الأنفاق القليلة الأخيرة ونحو البوابة المشفرة، المضاءة بأخضر ساطع، مستخدمًا أنفه ذي الشوارب للضغط على اللوحة: ٦... ٤... ٣... ١.

توقف.

عرفوا جميعًا ما هو الرمز الأخضر، والأرقام الأربعة الأولى كانت صحيحة. جعد الجرذ وجهه الصغير—تعبير بشري غريب لحيوان—قبل أن يكمل: ٨... ٣—

أزت المتاهة بالأحمر. بقي الباب مغلقًا. حاول الجرذ ضغط الأزرار مرة أخرى، لكن بلا حظ. حصل على محاولة واحدة فقط، وقد أفسدها.

أطلق ستانلي زفيرًا طويلاً انسل منه كأفعى، تاركًا إياه يشعر بفراغ أكبر قليلاً في الداخل. وضع توبي يدًا على ذراعه. بدت متعرضة قليلاً، لكن توبي كان دائمًا متعرقًا قليلاً. كان رجلاً سامويًا هزيلاً—نحيلاً كعود—ورغم أنه لم يرتدِ سوى قميص ومعطف مختبر، كان يتعرق أكثر من أي شخص قابله ستانلي. كان كيميائيًا حيويًا من الطراز الأول، رغم ذلك، وكان يتحول ببطء وهدوء ليصبح صديقًا.

هز توبي رأسه غير مصدق:

– «لا يمكنك أن تكون خائب الأمل من ذلك يا صاحبي. كان ذلك مذهلاً. لم أرَ استرجاع ذاكرة مثله قط.»

أضاف راف:

– «إنه محق يا ستان. إن كان شيئًا، فهذا دليل. الأدوية المنشطة في الحصين لم تكن تفعل ما يكفي تقريبًا. جراحة التحويل أدت لاستجابة أعلى بكثير. ماريا، سجلي النتائج في النظام، من فضلك.»

أومأت باقتضاب، مستديرة للخروج من الغرفة دون كلمة. عندما ذهبت، قال ستانلي:

– «ليس جيدًا بما يكفي.»

هز توبي رأسه:

– «بجدية؟ هل هناك أي شيء جيد بما يكفي لك أبدًا؟ كان ذلك... كان ذلك رائدًا. لم أرَ أبدًا...»

– «ستان محق.»

التفت الثلاثة للصوت الجديد. وقف جاك بشكل مختلف؛ قبل عام واحد فقط، كان ليتبختر لداخل الغرفة أو، على الأقل، ليميل باسترخاء على إطار الباب، وكأنه يطلب مشروبًا. كان يقف باستقامة أكبر هذه الأيام. فقط عندما توقف عن التراخي، لاحظ ستانلي حقًا كم كان طويلاً.

— «الفشل يظل فشلاً. استرجاع الذاكرة البسيط ليس كافيًا. إذا لم يكن مثاليًا، فهو لا يعمل.»

سعل توبي، مستديرًا ومطأطئًا رأسه ليقلب في بعض الملفات. أخذ راف بضع خطوات للأمام، مقطبًا جبينه.

— «أين كنت؟ لم يرك أحد منذ أيام. إلياس لم يستطع حتى إخبارنا بمكانك.»

ابتسم جاك:

— «مشغول.»

مر جاك بجانبه وبدأ يضغط الأزرار على أجهزة الكمبيوتر، محللاً البيانات من القراءات المطبوعة. أصدر الجرذ صريرًا صغيرًا من المتاهة، وانحنى راف لالتقاطه، ممسدًا إياه بهدوء في يديه.

سأل جاك دون النظر بعيدًا عن القراءات:

— «لجأت لأدوية الغدد الصماء مرة أخرى، أفترض؟»

اضطر ستانلي لكبت رد حاد. هذه الأيام، بالكاد يكلف جاك نفسه عناء متابعة مسار التجارب.

— «جراحة. تحويل في الوصلات العصبية بين الفصين الجداري والقذالي والفص الصدغي الإنسي.»

قال توبي متراجعًا بضع خطوات نحو الباب:

— «إمم، يا رفاق؟ سأذهب لتفقد الموظفين الآخرين، وأرى كيف تبلي مجموعات تجربة الدواء؟»

قال راف:

— «بالتأكيد. تفضل.»

كان هناك شيء بخصوص جاك، لاحظ ستانلي، يجعل توبي غير مرتاح. لم يقل شيئًا عن ذلك أبدًا، لم يطرحه أبدًا، لكن كل مرة كان جاك في الغرفة، وجد توبي عذرًا للمغادرة. لم يفهم ستانلي الأمر تمامًا، لكنه جعله يدرك أن شيئًا ما بخصوص جاك قد تغير، ولم يستطع تحديد ما هو تمامًا.

عاد جاك للمتاهة.

— «مم. هذا عبر قاعة المرايا.»

— «فعل.»

— «إذن أنت على شيء ما، على الأقل. حصان إلى وزير ٥.»

رمش ستانلي. أصبح لجاك عادة فعل هذا الآن—يلعبان مباراة في رؤوسهما على مدى عدة أيام، وينتظر حتى اللحظة غير المتوقعة لمفاجأة ستانلي بحركة. لم ينجح الأمر أبدًا. أجاب ستانلي هازًا رأسه:

— «فيل إلى حصان الملك ٢. ونعم، نحن نحرز تقدمًا، لكن ليس كافيًا.»

أومأ جاك.

— «لا. ليس كافيًا.»

مشى راف لزاوية الغرفة، تاركًا الجرذ يركض عائدًا لقفصه قبل أن يستدير.

— «جاك—أين كنت؟»

استدار جاك ونظر لكليهما، نظر إليهما بحق للمرة الأولى. نمت حدة خلف تلك العيون. واحدة كانت دائمًا هناك، فكر ستانلي، مخبأة تحت الغطرسة الواثقة والمزاح. لكن، بطريقة ما، بينما كان جاك يعمل في هذه المختبرات وعلى هذه المشكلة، كانت تشع من خلاله.

— «أنا وإلياس لدينا شيء لنريكم إياه.» قال جاك، وخرج من الغرفة. تبعه راف وستانلي.

بينما يمرون عبر الردهة الرئيسية، ذهل ستانلي من المدى الذي وصلوا إليه في ما يزيد قليلاً عن عام. أومأ بضعة موظفين برؤوسهم باحترام بينما يمر بهم، مشاركين قراءات من ألواحهم. فتحت أبواب مختلفة وأغلقت، مؤدية لغرف فحص كبيرة، وغرف عمليات صغيرة للقوارض، وغرف نظيفة معقمة حيث يتم تصنيع واختبار أدوية جديدة. وظف راف ثلاثة موظفين آخرين الشهر الماضي، رافعًا المجموع لثلاثة عشر. كان لستانلي أخيرًا مختبر—مختبر كامل وعامل—والحرية لفعل أي شيء يريده. كانت معجزة ما يمكن للمال فعله.

لكن عندما ينتهي اليوم، كان لا يزال يعود لغرفته الكئيبة في سكنه الرخيص المشترك في "بريكستون". كان يتقاضى راتبًا لكنه استمر في النوم بجميع ملابسه بحكم العادة، لأنه لم يرد الدفع للتدفئة. كانت عادة صعبة التخلص منها. شعر وكأن لديه قدمًا في عالمين مختلفين، وأصبح من الصعب أكثر وأكثر معرفة أيهما الحقيقي.

بين الحين والآخر، كان لا يزال عليه محاربة شعور كونه في غير محله. قد يأتي فني مختبر إليه—شخص يعمل لديه—وسيمتلئ بحاجة مفاجئة لشرح نفسه، لتقديم نوع من التبرير لما يفعله هنا. تعلم دفن ذلك بمرور الوقت، لكنه لا يزال يغلي عميقًا في الداخل.

انطلق جاك عبر الردهة وإلى قسمه من المختبر، المفصول في جزء آخر من المبنى خلف أبواب مشفرة. عندما بدؤوا لأول مرة، اعتقد ستانلي أن الفصل سخيف. كانوا ينظمون المعدات التي يحتاجون لشرائها والفرضيات التي ستُختبر أولاً، وطالب جاك بصراحة بأن يكون له قسم من المنشأة—ثلاث غرف على الأقل—لنفسه بالكامل.

لا أريد أن أضطر للتحقق منكما إذا خطرت لي فكرة رائعة، قال حينها. *أريد مساحتي الخاصة لاختبارها*. في ذلك الوقت، أذعنوا. كانت هناك أشياء أكبر للقلق بشأنها.

لكن الانفصال نما خلال العام الماضي، وبالكاد لاحظ ستانلي. كان مركزًا جدًا على تجاربه الخاصة——على إعادة تأسيس المعايير والافتراضات التي وضعها والدمان، ثم البناء عليها——لدرجة أنه لم يعر أي انتباه تقريبًا للأجزاء الأخرى من المختبر.

قبل بضعة أشهر، سمع شيئًا في مقتطفات من الموظفين: جاك غير رموز الأقفال لقسمه، سامحًا لموظفين معينين فقط بالدخول. كان جاك يخلق مملكة خاصة لنفسه. *حسنًا*، فكر ستانلي. *لندعه*. يجب أن يمتلكوا جميعًا الحرية لمتابعة خطوط بحثهم الخاصة. اعتاد جاك وستانلي مشاركة النتائج، إذا وعندما كان لديهم أي منها. لكن بشكل متزايد، احتفظوا بها لأنفسهم.

لكن راف لم يفعل شيئه الخاص، حقًا. علميًا، كان يسير جنبًا إلى جنب مع ستانلي، مما فاجأه. في "ويلتون"، غالبًا ما شعر ستانلي كعجلة ثالثة في الصداقة طويلة الأمد بين جاك وراف. لكن كلما نأى جاك بنفسه عنهم وعن العالم، كلما انجذب راف لجانب ستانلي.

ما امتلكه راف كان موهبة شبه سحرية في الأمور المالية. خلال السنوات الثلاث الماضية، استخدم راف منصبه في شركة لازاروس لشراء منصة نفط قبالة الساحل الجنوبي للبرازيل، وشركة تصنيع في شرق آسيا تنتج معدات مقاومة للهب لانسكابات النفط، وحصة مسيطرة في منجم ذهب بالجزائر. لم يستطع ستانلي متابعة التفاصيل الكاملة للمخطط، لكن عبر حوالي ثماني شركات وهمية، وثلاثة وسطاء أسهم يتقاضون أجورًا فاحشة، وشركة نقل، تمكن راف من تحويل بئر مال لا قعر له تقريبًا لهذا المشروع.

تبعوا جاك عبر الردهة وإلى باب مقفل، حيث ضغط جاك رمزًا سريعًا في لوحة المفاتيح، التي أومضت بالأخضر.

مروا لداخل مختبر جاك الرئيسي، الجدران مبطنة بخوادم ومحركات تئز——من طابعات تقذف الورق جاءت قراءات نظر إليها ستانلي لكنه لم يفهم فورًا كيفية قراءتها. أخذ جاك يطور شكله الخاص من الاختزال، رمزًا يعمل له وله وحده.

مر بهم إلياس من الاتجاه الآخر، حانيًا رأسه قليلاً. عمل جاك حصريًا مع إلياس، فني مختبر وظفه شخصيًا——رجل ألماني ضخم بوجه مسطح وجاد. لم يظن ستانلي أنه رأى أي عاطفة عليه سوى الجدية الشرسة أو التركيز التام. حاول الانخراط معه عدة مرات وقوبل بلا شيء سوى عملية فارغة تقترب من الإعاقة.

لكنهم لم يملكوا رفاهية الانتقاء تمامًا. ما كانوا يفعلونه هنا لم يكن قانونيًا تمامًا، ولذا أصبحت الكتمان الأصول الأكثر قيمة بين العاملين في هذا المختبر. عنى ذلك كونهم أكثر ليبرالية بكثير بشأن فحوص الخلفية مما كان راف ليحب. الطريقة الوحيدة لإيجاد علماء ليسوا فقط من العيار الذي يحتاجونه بل أيضًا مستعدين لقبول المخاطرة القانونية كانت إيجاد أولئك الذين لا يستطيعون الحصول على عمل في مكان آخر: المشطوبين، فاقدي المصداقية، المدانين سابقًا. كان هذا صحيحًا لماريا وتوبي كما كان لإلياس، لذا افترض ستانلي أنه من الأفضل عدم التنقيب بعمق كبير.

مر ستانلي للغرفة التالية، متوقفًا في مكانه. في وسط الغرفة كانت آلته القديمة——كرسي طبيب الأسنان المحول مع سماعة رأس متصلة، وأسلاك تخرج منه——يصفر ويئز.

— «ماذا يفعل هذا هناك؟ وضعته في التخزين.»

قال جاك:

— «أخرجه إلياس. أنا أستخدمه.»

هز ستانلي رأسه.

— «إنه لا يعمل. لم يعمل أبدًا.»

— «أنا أختلف معك.»

— «ماذا تعني تختلف؟ أنا اخترعته. إنه لا يعمل.»

هز جاك كتفيه.

— «ربما تستسلم بسهولة كبيرة.»

اشتعلت نار داخل صدر ستانلي، دفعة صغيرة من الغضب. انقبضت العضلات على طول ظهره. قبل أن يتمكن من التحدث، أخذ راف خطوة للأمام.

— «ما الذي أردت أن تُرينا إياه؟»

استدار جاك ليواجههما.

— «إذا سقطت شجرة في غابة ولم يكن هناك أحد ليسمعها، هل تحدث صوتًا؟»

هز ستانلي رأسه بإحباط، غير قادر على رفع عينيه عن الآلة القديمة.

— «ادخل في الموضوع.»

— «بينما كنتما تركزان بشدة على الجانب البيولوجي العصبي للأشياء، قررت التفرع قليلاً. النظر للصورة الأكبر. علم الأحياء هو مجموعة فرعية من الكيمياء، بعد كل شيء، والكيمياء مجموعة فرعية من الفيزياء.»

— «أي فيزياء؟»

— «التراكب والتشابك. التفاوت بين الفيزياء الكلاسيكية والكمومية هو، في جوهره، كله عن المراقبة. الواقع يوجد فقط—يُخلق فقط—عندما يُراقب. إذا لم يسمع أحد الشجرة تسقط في الغابة، لم تكن هناك شجرة أصلاً.»

— «أعرف أساسيات ميكانيكا الكم يا جاك.»

ظهرت ابتسامة عريضة على وجه جاك.

- «بالطبع تعرف. بيدق إلى قلعة الوزير ٦.»

رد ستانلي بسرعة:

- «قلعة إلى ملك ٤. كش.»

سخر جاك:

- «تلك كش لا معنى لها. فيل يأخذ قلعة. أنت بالكاد تحاول يا ستان. أستطيع أن أرى ذلك.»

قاطع راف:

- «إذا انتهيتما. ما النقطة التي تطرحها حول المراقبة؟»

- «إذا كان الحاضر يوجد فقط عندما يُراقب، ماذا لو كان الماضي يوجد فقط لأنه يُتذكر؟»

قطب ستانلي جبينه.

- «ماذا تعني؟»

- «أعتقد أن هناك رابطًا أوثق بين الذاكرة والماضي مما اعتقدنا في الأصل. أعرف أن آلة الذاكرة الخاصة بك صممت للوصول للذكريات المفقودة، للدخول لداخل اللاوعي لدى الناس وكشف ما نسوه.»

- «نعم، وهي لا تعمل. عندما تصل لذكرى، تتغير. لا تكون هي نفسها كما كانت عندما تذكرتها أول مرة.»

- «هذا ما اعتقدته——لكنك جربتها على نفسك فقط. المقابلات مع عينات الاختبار تشير لشيء مختلف يحدث. ماذا لو كنا في كل مرة نصل لذكرى، نصل حرفيًا لشريحة من الماضي؟»

رمش ستانلي، محدقًا فيه.

- «ماذا؟»

- «ماذا لو...»

قاطعه راف، ماخذًا خطوة للأمام:

— «انتظر ثانية. ماذا تعني بـ (مقابلات مع عينات الاختبار)؟»

لوح جاك بيده.

— «زلة لسان. كنت أتحدث نظريًا.»

كان صوت راف صارمًا:

— «جاك. هل كنت تجرب على عينات بشرية؟»

— «بالطبع لا.»

— «اتفقنا. ليس حتى نكون متأكدين تمامًا. لا يمكننا البدء بالعبث في رؤوس الناس الآخرين وحسب. القانونيات وحدها، ناهيك عن الأخلاقيات...»

— «أعدك يا راف. كانت تجربة فكرية.»

صمت راف. تراجع خطوة وبدأ يذرع الغرفة. فتح بضعة أدراج، نظر لبعض الملفات. لم يعره جاك اهتمامًا—تركيزه كان بالكامل على ستانلي.

تحدث ستانلي بصوت بطيء وهادئ، لكن مع استقرار إدراك ما يقوله جاك، ضحك.

— «أنت تقترح أنه بالوصول للذكريات، يمكننا حرفيًا الوصول للماضي. ماذا، مثل السفر عبر الزمن؟»

كانت الفكرة سخيفة، لكن جاك لم يرمش.

سأل ستانلي:

— «كيف يتماشى ذلك مع امتلاك الناس لذكريات مختلفة عن الأشياء؟»

— «لا يوجد شيء في الفيزياء يمنع فكرة الأبعاد المتعددة المختلفة—خطوط زمنية متعددة، إذا شئت—تتأثر بالطريقة التي يُراقب بها الماضي. في الواقع، مفهوم الأكوان المتعددة مقبول بشكل متزايد.»

عاد وجه ستانلي جادًا—مركزًا.

— «أكمل.»

- «ماذا لو كان بإمكاننا، من خلال الوصول لهذه الذكريات وتغييرها، تغيير الماضي حرفيًا؟»

وصل راف لباب إحدى غرف التخزين خلف مختبر جاك. كانت هناك لوحة مفاتيح عليه، وضغط الأزرار. ومضت بالأحمر وأزت في وجهه.

قال جاك:

- «هذا خاص.»

تنهد راف.

- «وهذا بالضبط سبب جعلي الأمن يثبتون تجاوزًا على جميعها.» ضغط الأزرار مرة أخرى، بترتيب مختلف، وومضت بالأخضر.

دافعًا الباب ليفتح، كشف راف ليس عن خزانة تخزين بل عما بدا كغرفة مستشفى. رجل مستلقٍ على السرير: عيناه مغلقتان، نحيل كالهيكل العظمي، صدره العاري شاحب وهزيل. أسلاك وأنابيب محاليل تتلوى داخل وخارج ذراعيه، لكنه لم يتحرك قيد أنملة. بدا ميتًا.

استدار راف، وإصبعه يشير بغضب.

- «من هذا بحق الجحيم؟»

أجاب جاك:

- «آه، ذلك سيكون أحد العينات التي كنت أتحدث عنها.»

- «قلت إن...» هرع راف للرجل، واضعًا يديه على رقبة عينة الاختبار، متحسسًا النبض. «بحق يسوع المسيح يا جاك. لقد وعدت لتوك.»

هز جاك كتفيه.

- «أوبس.»

- «كنت أعلم. كنت أعلم ذلك بحق الجحيم. أنت دائمًا هكذا. ليس لديك أي احترام على الإطلاق لأي شخص آخر...»

قاطع ستانلي:

— «هل هو حي؟»

وضع جاك يده على رأسه بشكل درامي.

— «بالطبع هو حي، أيها الأحمق. ما الذي تظنني؟ وتطوع، مقابل مبلغ عادل من المال. هو فقط في غيبوبة مستحثة طبيًا؛ كان ذلك ضروريًا لـ...»

صاح راف، مستديرًا لمواجهة جاك:

— «وضعته في غيبوبة لعينة؟ ليس الوحيد، أليس كذلك؟ طوال هذا الوقت، كنت تجرب على الناس. كان يجب أن أعرف. بعد كل هذه السنوات، كان يجب أن أعرف.»

تنهد جاك بسخط، وكأن راف طفل لن يتوقف عن الكلام.

— «حسنًا، بوضوح. هل تظن حقًا أنك ستحل هذا بالنظر للقوارض؟ يا له من أمر مبتذل.»

— «كل شيء يبدأ من مكان ما. التقدم الذي أحرزناه مع المتاهة اليوم وحده...»

أطلق جاك ضحكة مفاجئة.

— «راف، جعلت جرذًا ينهي تلك المتاهة منذ أسابيع.»

انتفض رأس ستانلي.

— «ماذا؟!» أخذ بضع خطوات نحو جاك. «كيف؟»

— «بتجربة أدويتكم فعليًا على أدمغة أكثر تعقيدًا، على أناس يمكنني التحدث معهم وأخذ بيانات منهم حتى أتمكن من التعديل حسب الحاجة. تسألني كيف فعلتها؟ فعلتها بأناس مثله.» أشار جاك للرجل في الغيبوبة. «أنا متقدم بخطوات عنكم لأنني مستعد لاتخاذ الخطوات اللازمة. أنت لست كذلك يا ستان. كانت تلك دائمًا مشكلتك.»

— «عما تتحدث؟»

- «تظن أن والدمان اختارك لأنك كنت... ماذا؟ الأذكى؟ أرجوك! أنت مثل جرو ضائع. استخدمك يا ستان، لأنك كنت مثل بيدق—راضٍ بتوجيهك، بإخبارك بما تفعله بدلاً من صنع خطواتك الخاصة. وها نحن نبدأ من الصفر لأنك لم تملك سوى أدنى فكرة عما كان يعمل عليه فعليًا.»

- «هذا ليس صحيحًا. كان يثق بي.»

مال جاك للأمام، أطول برأس كامل من ستانلي، ووجهه هادئ تمامًا. تلاقت أعينهما، على بعد بوصات فقط من بعضهما.

- «ستان—السبب الوحيد لاضطرارنا للقيام بكل هذا العمل الآن هو لأنه بوضوح لم يثق بك. ليس بما يكفي ليدخلك في عمله الحقيقي. هذا ليس فقط عن الذاكرة المثالية؛ كان ذلك ستار دخان. هناك المزيد يجري هنا؛ كان هناك دائمًا. كنتَ مجرد أداة. لا ترتكب خطأ التفكير في شراكتك معه بأكثر مما كانت عليه.»

تكهرب الهواء بينهما. لم يكن هناك صوت. لم يكن هناك فضاء حول ستانلي وجاك، لا كرسي طبيب أسنان، أرضية، أو سقف. فقط كثافة نظراتهما، تغرق كل شيء آخر.

أراد لكم جاك في وجهه مرة أخرى. حكت أصابعه لذلك، لكن رغم ذلك، سمع كلمات الرجل تتردد عبر دماغه: *ربما تستسلم بسهولة كبيرة.* هل هذا ما فعله؟ هل أحرزوا تقدمًا ضئيلاً جدًا لأنه هيأ نفسه للفشل منذ البداية؟

كان هناك وقت كان ليفعل فيه أي شيء للوصول لقعر هذا، لكن ها هو جاك، مستعد لفعل أشياء لم يكن هو ليفعلها. ربما كان جاك محقًا. ربما كل ما فعله حتى الآن—مع المشروع، مع والدمان، مع نفسه—لم يكن جيدًا بما يكفي.

سأل ستانلي أخيرًا، وصوته يرتجف بالتحكم:

- «لماذا استدعيتنا إلى هنا؟»

– «شجرة تسقط في غابة يا ستان. أردت فعل هذا وحدي، لإثبات أنني أستطيع، لكن كل شيء تغير. لم أعد أستطيع.» أشار للرجل في السرير. «آخر مرة ذلك الرجل...»

قاطعه راف:

– «ما اسمه؟ الرجل الذي وضعته في غيبوبة. ما اسمه؟»

قطب جاك جبينه، منزعجًا لحظيًا. مشى للمكتب خلفه والتقط ملفًا.

سأل راف بفزع:

– «بجدية؟ لا تعرف؟»

أغلق جاك الملف والتفت إليهم:

– «إنه بيل. آخر مرة غاص بيل في ذكرياته، طلبت منه تغيير شيء—شيء ملموس. أخذ غرض وإخفاؤه أو دفنه في مكان ما.»

بالكاد لاحظ ستانلي أنه كان يحبس أنفاسه.

– «و؟»

تمتم راف:

– «هذا سخيف. لا يمكننا التجول وتجربة الأمر على عينات بشرية وحسب. هذا مختبري. هذا يجب أن يتوقف.»

أخرج جاك صورة من جيبه، ثم وضعها على المكتب. مشى ستانلي لينظر إليها من فوق كتف جاك. بينما يحدق في الصورة، شعر بترس في دماغه يدور ويستقر في مكانه.

كان هذا هو: مسار جديد، فرصة جديدة. لا بد أن هذا ما رآه والدمان. كانت هذه التذكرة الذهبية التي كانوا يطاردونها.

قال ستانلي:

– «أنا آسف يا راف، لكنك مخطئ. سنضطر لمواصلة التجريب على الناس. في الواقع، أعتقد أننا سنضطر للتجريب على الكثير والكثير من الناس قبل أن ننتهي.

١١

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٥ ساعات، ٤٦ دقيقة، و١ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «لم تخرج بعد من الغرفة الأخرى، تلك التي لم أرَ داخلها. أعدتُ دحرجة ستانلي إلى مكتبك الرئيسي——غرفة الجلوس متناقضة الزمن—— ودفعته بجانب الأريكة. حاولت الجلوس على الأريكة، لكنني مليئة بطاقة عصبية لدرجة أنني لم أستطع البقاء لأكثر من ثلاث ثوانٍ. وقفتُ مرة أخرى، أذرع الغرفة. أتنفس. أحاول السيطرة على ارتجافي.

غريزتي الأولى هي الاتصال بـ ليا. كم هذا محزن؟ مر عامان منذ قطعت علاقتها بي، ومع ذلك أخرج هاتفي فعليًا من جيبي وأصل لمنتصف الطريق في البحث عنها بجهات الاتصال قبل أن أتذكر، ويطعن الألم الشرس لذلك الانفصال صدري مرة أخرى.

ستانلي نائم مرة أخرى، ويشخر.

يا إلهي، أكره هذا الصوت. أكره الطريقة التي يطن بها بشكل غير منتظم، فلا يسمح لي حتى بالاستقرار في تكرار ثابت وأنا أحاول النوم؛ أكره الطريقة التي يعلو بها فجأة وبلا داعٍ في بعض الأحيان دون سبب واضح، وكأنه يصارع للتنفس؛ أكره كم أفتقده عندما أكون في السرير ليلاً بمفردي. أكره كم جعل الصمت وحيدًا.»

سأل حسن:

– «ما زلتِ تخططين لـ (الهروب)؟ لأخذ ستانلي بعيدًا عن المعهد؟»

– «أنت محق تمامًا في ذلك. ما فعلتَه به، أو ما فعلناه به—أو، بشكل أدق، ما جعلتني أفعله به في ذلك الكرسي—أرعبني حتى النخاع.»

– «أنتِ وافقتِ على القيام بذلك. في أي وقت لم أجبركِ، حسب روايتكِ الخاصة. كان اختياركِ المجيء معي.»

– «انظر، أنت تقول إنه خياري، لكن لم يكن لدي خيار حقًا، أليس كذلك؟ تظهر وترميني برأسي في الطرف العميق للمسبح—اعذرني على التورية—وأنت الوحيد الذي يملك أي إجابات. أدرك هذا وأنا أذرع مكتبك جيئة وذهابًا: أدرك أن السبب الوحيد لمسايرتي لك هو أنك تسيطر على كل المعلومات. عليّ أن أثق بك، لأنني بدونك، سمكة صغيرة تسبح في وسط محيط عملاق فارغ. إذا تركتك، أغرق، والأسوأ، آخذ ستانلي معي. لكن ليس بعد الآن. ليس بعد غوص الذاكرة ذاك. لدي خيط—توبي هاواتا—وعنوان. شخص يعطيني جانبًا آخر لهذه القصة بأكملها. أنا محققة بارعة. الآن عليّ فقط معرفة كيفية إبعاد ستانلي عنك.»

– «لم يخطر ببالكِ أن تطلبيه مني ببساطة؟»

– «آه، نعم. الفكرة تعبر ذهني. سأطلب بلطف وستدعني وستانلي نذهب ببساطة، تدعنا نمشي نحو الغروب ولا تقلق بشأننا مرة أخرى أبدًا. هيا—دعنا لا نتظاهر بأن أيًا منا صدق ذلك يومًا.

أتحقق للمرة الثالثة من أن العنوان معي، جزء مني قلق من أنه سيختفي وحسب. ليس شيئًا كنت لأتوقع حدوثه، سابقًا، لكن مؤخرًا أضطر لمراجعة قائمتي للأشياء التي لا تحدث.

إنه ٢٦٢ طريق غوسفورث، كينغزبري.

كينغزبري ليست قريبة—إنها في مقاطعة أخرى، لكن إنجلترا ليست كبيرة لتلك الدرجة. أتساءل عما إذا كان بإمكاني طلب أوبر يأخذني إلى هناك،

إذا كان هناك شخص مستعد للقيادة لثلاث أو أربع ساعات. تخميني هو نعم. سيكلف الكثير من المال. لكن لم يكن لدي إشارة منذ دخلنا ذلك المصعد الأول. يقلقني كم أشعر بالضياع بدونها.

عندما تخرج أخيرًا من الغرفة المجاورة، هناك ابتسامة ملصقة على وجهك، وأستطيع القول إنك أجبرتها.»

— «لماذا؟»

— «إنها لطيفة. لا غموض فيها، لا ابتسامة معرفة خفية أو ابتسامة ماكرة. لا نص فرعي لها. هكذا أعرف: إنها ليست ابتسامة حقيقية. شيء ما خطأ، لكنك تقدم عرضًا لأجلي.

أبتسم لك في المقابل، متظاهرة بقبولها.

— "حسن، ستان يحتاج حقًا لبعض الهواء. بينما كنت في الداخل، أصابته نوبة صفير صغيرة." تأخذ خطوة قلقة للأمام. "أوه، لا داعي للقلق. لديه هذا منذ أصبح في منتصف العمر—جسد عجوز يتداعى. الأطباء يقولون إن أفضل شيء هو إخراجه للهواء الطلق. الهواء المعاد تدويره يعبث حقًا برئتيه بعد وقت طويل. لا ينبغي أن يستغرق الأمر وقتًا طويلاً—عشرين دقيقة أو نحو ذلك."

أنظر لأسفل إلى ستانلي، مرتبة وجهي في تعبير شفقة. لا أحب استخدامه كأداة هكذا، لكن لا أرى طريقة أخرى.

تقول: "بالطبع." وقبل أن أتمكن من الاعتراض، تصبح خلف كرسي ستانلي، توجهه للأمام. قبضتك محكمة على مقعده، بتملك تقريبًا، وأنا أتبع خلفك.

تدحرجه لمصعد مختلف عن الذي نزلنا فيه. هذا عليه غاما—γ— فوق الباب، لكن الداخل يبدو تمامًا كالسابق. الفرق الوحيد هو الحرف.

أنت في مصعد غاما. هذا المصعد يذهب للأعلى وللخارج. إذا انتهيت في أي مكان غير الطابق الأرضي، نبه عضوًا من الموظفين فورًا. معهد لازاروس يقدر سلامتك وسلامة منشآته.

لا نقول شيئًا في المصعد. لا نتحدث. وبينما تحملنا فترات صمت من قبل—في السيارة، على سبيل المثال—هذه الفترة ممتلئة حتى الحافة بأشياء غير مقولة، أسئلة غير مطروحة. أعلم أنك تخفي أشياء عني، تمامًا كما أعلم أن السؤال عنها بلا طائل. لكن في نفس الوقت، أنا متأكدة أنك تعلم أنني أخفي أشياء عنك. ربما أنا مصابة بالبارانويا فقط، لكنني أقلق من أننا إذا قضينا وقتًا طويلاً جدًا في هذه المساحة المحصورة، فإن الحجم الهائل للشك سيتسبب في انفجارها.

تنفتح أبواب المصعد، ونحن على السطح مرة أخرى. ضوء الشمس—ضوء شمس حقيقي—يتسلل عبر النوافذ، ويهدئني فورًا. رغم أنني شاهدت طوال حياتي العالم الطبيعي يُقطع ببطء ويُستبدل بمنشآت من صنع الإنسان، على الأقل لم يستطع أحد لمس ضوء الشمس. لا محاولة لتقليده تقترب حتى.

تدفع ستانلي بضع ياردات خارج المصعد وتتوقف.

— "هل سيفي مرآب السيارات بالغرض؟"

أنقر بأصابعي بتوتر.

— "مكان ما بجانب الطريق، بشكل مثالي. يحب مشاهدة السيارات. إنها تهدئه."

— "إنه نائم."

أقول بتهكم:

— "قوى ملاحظتك لا مثيل لها، سيد بليك. لكنه يستيقظ أيضًا بين الحين والآخر."

آمل للحظة بضحكة منك، فقط لتخفيف التوتر، لكنك لا تفعل. تعطيني تلك الابتسامة الفارغة المثيرة للغضب وتدفعه لليمين. يخطر لي أنك ربما لا تعرف حتى من هو سيكستون بليك.»

قال حسن:

– «أعرف من هو سيكستون بليك.»

– «آه، صحيح. إذن أنت فقط متجهم. قضيت على هذا الكوكب ثلاثة وثمانين عامًا يا حسن. أقل ما يمكنك فعله هو مسايرة سيدة عجوز.»

– «إلى أين أدفع ستانلي؟»

– «نخرج عبر مجموعة أبواب زجاجية لحديقة صغيرة بجانب المبنى. إنها مسيجة لكنها قريبة من الطريق الرئيسي. أتظاهر بمد ساقي وأنا أمشي حولها، باحثة عن مخرج. هناك بوابة في الطرف الخلفي، لكنني بحاجة للاقتراب لأرى إن كان عليها قفل. لدي صور لستانلي ولي هاربين—مثل بوني وكلايد—يحبطنا سياج حديقة.

آخذ بضع أنفاس، رائحة العشب المقصوص حديثًا في أنفي. وأنا أمر بالبوابة، أرى أنها مواربة. لا يوجد قفل. ستنفتح بدفعة واحدة، وسنكون في الشارع.

دائرة عائدة، أرى ستانلي يستريح في الشمس، عيناه لا تزالان مغلقتين. أنت خلفه ويداك لا تزالان مقبوضتين بإحكام حول مقابض كرسيه.

قلتُ:

– "حسن، أحتاج للعثور على حمام السيدات."

– "سنمر بواحد في طريق عودتنا للداخل."

أعطيك ابتسامة ضعيفة.

– "لا أعتقد أنك تفهم. آسفة، هذا محرج قليلاً، لكن في عمري... لنقل فقط إنني لا أملك رفاهية الصبر بعد الآن."

تلتفت قليلاً لتنظر عائدًا لداخل المبنى.

– "إذا عبرتِ عائدة عبر الممر الذي جئنا منه لتوّنا، بعد المصاعد، وانعطفتِ يسارًا، هناك..."

– "أوه، لن أتذكر كل ذلك! هل ستترك حقًا امرأة عجوز تتجول هناك بمفردها وتضيع؟"

قطبت جبينك.

– "حسنًا جدًا. يمكننا العودة للخارج عندما..."

وفي توقيت مثالي، وكأنه يعرف بالضبط ما أفعله، أطلق ستانلي إحدى شخيراته المريعة تلك. اعتاد أن يكون هناك اثنتان أو ثلاث في الليلة، وكانت تصدمني مستيقظة من نومي: قعقعة هائلة، وكأن رئتيه على وشك الانهيار. هو، بالطبع، بخير تمامًا.

هرعتُ إليه.

– "أوه، ستان! حسن، لا يمكنه الدخول؛ لديه إحدى نوبات صفيره مرة أخرى. يحتاج للهواء النقي، على الأقل لعشرين دقيقة أخرى أو نحو ذلك."

– "قلتِ إنكِ لا تستطيعين الانتظار."

– "لا أستطيع حقًا. هذا كابوس لك، أعلم، عالق بين الإخفاقات الشيخوخية لعجوزين مهترئين. انظر، أنا أتعامل مع هذا طوال الوقت. اترك ستان هنا في الحديقة؛ سيكون بخير. فقط دعه يتشمس قليلاً. خذني للداخل للحمام، ثم أعدني، وسندفعه للداخل."

توقفتَ، مفكرًا، لكنني لم أرد إعطاءك الوقت للقيام بذلك.

– "بحق المسيح في السماء يا حسن، لا تجعلني أبول على نفسي!"

– "حسنًا! حسنًا!" رفعت يديك في الهواء. رافعًا قدمك، ثبتت فرامل ستانلي في مكانها. "لنقم بهذا بسرعة."

بينما تخطو بخطوات واسعة للأمام، أهرول خلفك، مقدمة أفضل انطباع لدي عن طفل يائس. يتطلب الأمر مني جهدًا فعليًا لمواكبة ساقيك الطويلتين. أتساءل إن كنت زرافة في حياة أخرى.

سجلتُ الاتجاه الذي سلكناه بالضبط: انعطافتان لليسار والعودة لمسافة مماثلة. عندما وصلنا للحمام، أدركت أنه لا بد أن يكون على طول نفس جانب المبنى كالحديقة. فتحت الباب لي وسمحت لي بالدخول بابتسامة كريمة، لكنني أستطيع أن أرى أنك تريد مني الإسراع. لقد أدركت لتوّك كم تكره ترك ستانلي هناك بمفرده، لكن الأوان قد فات. لقد التزمت الآن.

أنا متأكدة أنك تظن نفسك ذكيًا للغاية.

أوه، أظن ذلك يا حسن. أظن ذلك. لأنه حتى لو كنت تظن أنك تسيطر على كل شيء، حتى لو كنت تنتظرني خارج الباب الوحيد مباشرة، هناك معلومة واحدة أعرفها كحقيقة. شيء لم تأخذه في الحسبان.

ما هو؟

لا أحد يتوقع أبدًا أن تتسلق العجوز الواهنة ذات مشاكل المثانة من النافذة.

إنها نافذة كبيرة، لحسن الحظ، لكنها مرتفعة قليلاً، والمفصلة بها إحدى آليات القفل تلك التي لا تسمح بفتحها بالكامل. بهدوء ما استطعت، مررت بالمقصورات على يميني وأمسكت بسلة المهملات الكبيرة بجانب الأحواض. قلبتها، وتسلقت فوقها.

ترتجف ساقاي. عليّ التشبث بالستائر كطفل حديث الولادة لأمنع نفسي من السقوط، عالمة تمامًا أنني لو فعلت، سأكسر وركي على الأرجح. متى كانت آخر مرة تسلقت فيها شيئًا؟ قبل عشرين عامًا؟ أنظر للأسفل، وتبدو المسافة كميل. تصاب عيناي بدوار طفيف. بدا هذا كفكرة أفضل بكثير في رأسي.

آخذة بضع أنفاس عميقة، أخرجت رأسي من النافذة ونظرت لليسار—هناك لمحة للحديقة حيث تركنا ستانلي. هذا هو. هذا سينجح. إذا استطعت الخروج، يمكنني الوصول إليه.

أمسكت بالحافة وثبت نفسي، مخرجة هاتفي. اتصل بإشارة، واضطررت لكبت هتاف عالٍ. فتحت تطبيق أوبر وطلبت سيارة في أقرب شارع بالخارج، ضاغطة الزر لسيارة مجهزة للكراسي المتحركة. الخريطة تحمل وتحمل لما بدا كعقد من الزمن، لكن في النهاية ظهر سائق على الشاشة.

يوسف. SMR BD. سيكون هناك في أربع دقائق.

أسفل النافذة بارتفاع صدري تقريبًا. ممسكة بالحافة، سحبت نفسي للأعلى. أو حاولت. بذلت أقصى جهد ممكن، وتحركت حوالي ثلاث بوصات قبل أن أشعر أنني سأبول على نفسي فعليًا. تاركة قبضتي، سقطت عائدة على السلة، فقرقعت، واهتزت قليلاً.

تباً، فكرتُ وأنا أرمي نظرة خلسة للباب. *هل سمع ذلك؟*

ثم: *كيف بحق الجحيم من المفترض بي الصعود هنا؟*

لم يكن لدي خيار، رغم ذلك، وعرفت ذلك. بدلاً من الاعتماد على ذراعيّ، ملت للجانب—لاهثة—كلاعبة جمباز غير كفؤة وحاولت رفع ساقي لأعلى ما يمكن. طقطقت حوالي ثلاث مرات وهي ترتفع فوق وركي، وسرى ألم حاد كالسهم أعلى ظهري. عضضت شفتي لأمنع نفسي من الصراخ.

علقت قدمي بالحافة؛ أنا أعانقها بجسدي كله الآن، مسطحة ضد الجدار، وقدمي الأخرى تقف على أطراف أصابعها على قمة السلة. ليس لدي أدنى فكرة كيف رفعتها بذلك العلو—شكرًا للرب على "يوغا كبار السن مع مورغان" على يوتيوب.

أخذت أكبر نفس ممكن، ومع الزفير، سحبت نفسي للأعلى، مستخدمة كل شيء: ذراعي الهزيلتين، وساقي المتصرصرتين، ووركي المتشققين. العرق يقطر من جبهتي. أنا بطيئة بشكل مؤلم، أتحرك بوصات في كل مرة، وأقسم أنني سأسقط.

سأسقط على الأرض وأكسر ظهري. ستندفع للداخل وتراني، متكورة بجانب سلة مقلوبة، أنتحب.

لكنني لم أفعل. نجحت. أنا مستلقية ووجهي لأسفل على حافة النافذة، ألهث كحوت.

قبل أن يكون لدي ثانية للتفكير في كيفية النزول بحق الجحيم على الجانب الآخر، فقدت توازني. بينما أترنح، اندفعت يداي لمحاولة الإمساك بالستائر، لكنهما أخطأتا، وهويت.

للخارج.

مباشرة في شجيرة.

سمعت الطقطقة قبل نصف ثانية من الشعور بها. كان لدي ما يكفي من الوقت فقط لتسجيل فكرة سريعة *هذا ليس جيدًا* قبل أن يشق الألم كتفي. ثم صرخت.

لم يكن هناك شيء يمكنني فعله لمنع ذلك. انفجر مني كروح شريرة مسعورة لثانيتين جيدتين قبل أن أتمكن من إطباق فمي.

ومستحيل أنك لم تسمع ذلك. في رأسي، أتخيلك تقتحم الغرفة، ترى السلة المقلوبة والنافذة المفتوحة وتنظر للخارج لتجدني هنا: ممددة كقنديل بحر في شجيرة كالحمقاء.

أصدر هاتفي رنينًا صغيرًا يعلمني أن سيارة أوبر وصلت وتنتظرني.

يا للمسيح، فكرت. *هل استغرق ذلك حقًا أربع دقائق كاملة؟*

رفعت نفسي لقدمي، حاضنة كتفي الأيسر. ربما هو مكسور، لكن لا شيء يمكنني فعله حيال ذلك الآن. أنا مصدومة أن بقية جسدي في حالة جيدة كهذه.

أركض على طول الممر للحديقة——حسنًا، أعرج، لأنني فعلت شيئًا لقدمي اليسرى أيضًا، وكاحلي يرفض الانحناء. في كل مرة أخطو عليه، أسمع قرمشة، وكأن العظم حُشي بأوراق شجر جافة.

لا أنظر للخلف. لا أريد رؤيتك، ووجهك يحدق بي وأنا أعرج. لا أريد حتى التفكير فيك. كل ما أريده هو إخراج ستانلي من هنا.

كان مستيقظًا عندما دخلت الحديقة، ينظر حوله فقط كأن لا شيء خطأ. ابتسم عندما لاحظني أعرج نحوه، لكنه رآني أمسك ذراعي، وسقط وجهه.

— "هل أنتِ بخير؟"

حاولت القول:

— "علينا التحرك. علينا الخروج من هنا." لكنني كنت منقطعة الأنفاس تمامًا.

— "ماذا حدث؟" رأسه يلتفت بسرعة في كل مكان، وعيناه تبدوان مذعورتين. "من أنتِ؟ تبدين مصابة."

عظيم، فكرت. فككت الفرامل ودحرجته نحو البوابة بيد واحدة——الأخرى عديمة الفائدة، الذراع كله يتدلى عند كتفي. أحاول جاهدة ألا أدع الألم يسيطر، لكنه يستهلكني. بالكاد أستطيع التفكير.

عندما وصلنا للبوابة، ارتكبت خطأ النظر للخلف.

أنت هناك.

ليس قريبًا لكن في الطرف الآخر للحديقة، حيث الأبواب. تقف مستقيمًا تمامًا ومهيبًا. تذكرني بأحد تماثيل جزيرة الفصح——تبدو وكأنك صممت لتدوم قرونًا. انكمشت، خاضعة لا إراديًا، حيث توقعت رؤية الغضب على

وجهك، الغضب من خيانتي، لكن لم يكن هناك. كان هناك فقط... خيبة أمل.

وهل تعلم ما الشيء الغريب؟

— «ماذا؟»

— «أشعر بالسوء حقًا. جزء لا يمكن تفسيره مني يريد إدارة ستانلي، والذهاب إليك مباشرة والاعتذار، والتوسل لمغفرتك. هذا يخيفني أكثر من أي شيء آخر.

مشيتَ نحوي.

لم تركض، ولم تمشِ حتى بسرعة. أخذت وقتك. كأنك تعرف أنني لن أهرب. كأنك تظن أنني مثيرة للشفقة.

أخرجت ستانلي من البوابة، وأصبحنا على الممر المؤدي للطريق. أستطيع رؤيتها أمامي—سيارة أوبر التي طلبتها، مركونة وتنتظر. نحن قريبون جدًا، عشرون أو ثلاثون ياردة فقط.

كل عظم، وعضلة، ووتر في جسدي يصرخ فيّ: *أنت ِتتداعين؛ لا يمكنكِ فعل هذا.*

دفعته للأمام.

صاح ستانلي، غاضبًا فجأة:

— "إلى أين تأخذينني؟ لا أعرف من أنتِ! ماذا تفعلين؟" تحرك في كرسيه، راميًا ثقله، ولم تستطع ذراعي الواحدة إمساكه مستقيمًا. حاولت رفع ذراعي الأخرى، لكنها لم تعمل. إنها عديمة الفائدة.

انحرف الكرسي المتحرك لليسار، ضاربًا جانب الممر وانقلب، مرسلاً إيانا ممددين على الأرض. هبطتُ على يديّ وركبتيّ، لكن ستانلي—يا إلهي—سقط على جنبه بقرقعة مقززة. أطلق صرخة وسقط صامتًا، صامتًا جدًا.

خرجتَ من البوابة، ما زلت تمشي—ببطء، وبلا هوادة—نحوي.

سحبتُ بلا حول ساق ستانلي، بنطاله، بذراعي العاملة الواحدة، لكن بلا جدوى. إنه ثقل ميت، وأنا بالكاد أستطيع رفع كتاب الآن، ناهيك عن شخص.

بينما تقترب، أتخيل المرأة التي حاولت إيقافنا عندما غادرنا (صنرايز) وما فعلتَه بها—الطريقة التي نضبت بها الحياة منها في لحظة. ستفعل ذلك بي. ستقتلني.

وأدركت ما عليّ فعله.

يا إلهي، أنا آسفة يا ستانلي. أنا آسفة جدًا.

قلتُ له:

— "سأعود. بمجرد أن أكتشف ما يجري، سأعود وأنقذك. أعدك."

ساحبة ضد كل غريزة لدي، كأنني أمزق أحد أطرافي، تركت ستانلي يذهب. تراجعت للخلف، عارجة نحو الأوبر بأسرع ما أستطيع. انفتح الباب وأنا أقترب—واحد من تلك الأبواب المنزلقة آليًا.

بينما أسقط في المقعد الخلفي، رأيتك تركع بجانب ستانلي، وأقسم أن هناك ابتسامة—هناك ابتسامة لعينة حقيقية—على وجهك.

سأل السائق:

— "هل أنتِ بخير سيدتي؟ تبدين مصابة."

لهثت:

— "أنا بخير. فقط، أرجوك—قُد!"

انزلق الباب ليغلق.

وانهرتُ.

مكورة نفسي للداخل، احتضنت كتفي المكسور، وحاولت سحب كاحلي الذي لا أعلم ما حل به للمقعد. ولأول مرة منذ ظهرت على عتبة بابي، سمحت لنفسي بالبكاء. تدفق مني: موجة تلو موجة من الذنب والندم والغضب، كل واحدة تضرب أقوى من سابقتها. تركته. هربت.

أعتقد أن السائق يتحدث إلي، لكنني لا أستطيع سماعه.

أغلقت عيني، معيدة أحداث اليوم الماضي مرارًا وتكرارًا في دماغي، محاولة معرفة ما إذا كنت قد اتخذت الخيار الصحيح، ما إذا كنت قد فعلت الشيء الصحيح، ولا أستطيع. ليس لدي معلومات كافية. أفترض أن هذا هو سبب ذهابي لرؤية توبي.

عندما فتحت عيني أخيرًا، كنا قد وصلنا تقريبًا.

قال السائق:

— "صباح الخير. لقد غفوتِ. اعتقدت أنني سأدعكِ وحسب."

همست:

— "أين نحن؟"

أشار للخريطة على هاتفه.

— "وصلنا تقريبًا. ست دقائق."

أخذت نفسًا عميقًا. أدركت أنني لم أنم منذ أقللتني بعد ظهر أمس، وكنا نعمل في المعهد طوال الليل. الساعات الأربع من النوم بالكاد تجعلني أشعر بتحسن—أسوأ، في الواقع—لكن ليس هناك الكثير لأفعله.

توقفت الأوبر خارج منزل ريفي كبير. نزلت، شاكرة السائق ومضيفة أكبر إكرامية ممكنة لفاتورة مرتفعة للغاية بالفعل، ثم نظرت يسارًا ويمينًا. لا يوجد شيء آخر هنا. المكان مهجور.

قبل ثلاثين عامًا، ربما كان هذا مكانًا ريفيًا جميلاً—تلال متموجة ومزارع، أبقار وأغنام في الحقول، وحيوانات تمرح في الغابة. معظم الأرض أعيد استخدامها الآن، للزراعة الجماعية.

هناك مجرد طرق وحقول قمح على مد البصر.

وهذا المنزل.

إنه من ثلاثة طوابق ويبدو أن به حوالي ست غرف نوم. هناك مرآب يبرز للخلف وحديقة مترامية الأطراف مع سقيفة ودفيئة. أياً كان توباياس هاواتا، فلا بد أنه ثري جدًا.

عرجت للباب الأمامي، متألمة، ورننت الجرس. لديه إحدى تلك الكاميرات في الجرس مسلطة على وجهي. أستطيع رؤية الضوء الأحمر الوامض يسجل.

بعد دقيقة، انفتح الباب شقًا.

— "نعم؟"

انحنيت لأرى عبر الشق، لكنه مظلم. هناك مخطط لوجه، يتفحصني بريبة. عندما رأى أنني مجرد امرأة عجوز——وعارجة أيضًا——فتحه بالكامل.

إنه هو. إنه الرجل من ذاكرة ستانلي، لا شك في ذلك، حتى لو كان أكبر بخمسين عامًا جيدة. إنه أنحف من أي وقت مضى——هزيل حتى—— جلده يبدو وكأنه ألصق بعظامه بغراء.

— "هل يمكنني مساعدتك؟"

قلت، مدركة أنني ما زلت منقطعة الأنفاس من مجرد التمسك بالألم:

— "أحتاج للتحدث إليك. بخصوص ستانلي ويب."

قطب جبينه.

— "لم أسمع به قط. من قلتِ أنكِ تكونين مرة أخرى؟"

— "أنا زوجته. مارغريت ويب. وهذا ليس صحيحًا. أعرف أنك تعرفه."

— "أخشى أنكِ مخطئة. لا أعرف ذلك الاسم. آسف لأنكِ أضعتِ وقتكِ..." تحرك ليغلق الباب الأمامي، وأخذت خطوة للأمام.

— "أقمتما حفل شواء معًا، على الشاطئ في بورتوبيللو، قبل سنوات. وكنتما تتصرفان كأصدقاء جيدين هناك. ستانلي ويب. لا تتظاهر بأنك لا تعرف عمن أتحدث."

بدأ: "ليس لدي حقًا أي فكرة عما..." ثم توقف. انفتح فمه، مذهولاً. تراجع خطوة عن الباب ونظر إلي من أعلى لأسفل، كأنه يقيم خزانة ملابس على وشك شرائها. رمش بضع مرات، في صدمة، وأدركت ما يحدث.

إنه يعرفني. لقد رآني من قبل.

همس:

— "يا إلهي العزيز. لقد فعلوها. لقد فعلوها حقًا."

مرت بضع ثوانٍ من الصمت بيننا.

قلت:

— "توبي، ماذا فعلوا؟"

أدخلني للداخل، ناظرًا يسارًا ويمينًا للتأكد من عدم وجود أي شخص آخر.

— "كيف وصلتِ إلى هنا؟ هل أنتِ وحدكِ؟"

— "نعم، أنا وحدي. حصلت على العنوان من ستان، لكنني وحدي فقط."

— "هل ستانلي حي؟"

ضربت وخزة صدري، ولم أستطع التحديد إن كانت جسدية أم لا.

— "نعم. هو كذلك."

وجهني توبي عبر ممر وإلى غرفة جلوس أنيقة: كراسي تبدو مريحة، نار تطقطق بدفء في الموقد، وكتب مكدسة ضد الجدران أكثر مما يمكنني قراءته في عمر كامل.

قال وهو يراني أعرج وأتألم في طريقي للأمام، ممسكة بكتفي:

— "أنتِ مصابة."

– "نعم، أنا... سقطت. تعثرت في طريقي إلى هنا."
هز رأسه.
– "ولم تري أي شخص بخصوص ذلك؟ هنا—دعيني أجلب لكِ شيئًا لذلك. لدي بعض المسكنات في المطبخ." ابتسم هازًا رأسه. "بصدق، لدي صيدلية لعينة كاملة هناك. سيمفاستاتين للكوليسترول، ليسينوبريل لضغط الدم. تعرفين كيف هو الأمر في عمرنا. اجلسي، من فضلك."

أطعت، مدركة كم هو لطيف التحدث لشخص طبيعي. حتى وقت قريب، الأشخاص الوحيدون الذين تحدثت إليهم كانوا عمال "صنرايز"، كلهم أصغر مني بكثير؛ وستانلي، الذي بالكاد يعرف من هو نصف الوقت؛ وأنت. ولنكن صادقين، أنت لست رفقة طبيعية تمامًا.

بحلول الوقت الذي تمكنت فيه بالفعل من إراحة جسدي وإسناد ذراعي المتألمة على جانب الكرسي، كان قد عاد للغرفة بكوب ماء وحبتين. أخذتهما، شاكرة إياه، وابتلعتهما.

– "إنها من النوع الصناعي القوي. ليس من ذلك الباراسيتامول التافه الذي تشترينه من الصيدلية. ستذهب بالألم. ثم يجب حقًا أن نأخذك لطبيب."

– "توبي—أنت تعرفني. كيف؟ هل كنت على تواصل مع ستان و..."
قال وهو يجلس قبالتي:
– "الشاطئ. بورتوبيللو. كنتِ هناك."
رمشت.
– "تتذكرني من الشاطئ؟ كنتُ هناك؟"
– "نعم، نعم. ولم تشيخي يومًا واحدًا كما يبدو. مذهل. أفترض أنكِ عدتِ مؤخرًا."
كافحت لمتابعته.
– "عدت؟ تعني، أنا... أنا سافرت عبر الزمن؟"

– "بمعنى ما، نعم. استخدمتِ الذكريات كأداة مراقبة للتأثير على واقع الماضي. كانت تلك النظرية دائمًا، على أي حال." مال للأمام، بتركيز. "لماذا ذهبتِ لتلك اللحظة، رغم ذلك؟ يجب أن تفهمي—حاولت جاهدًا ترك كل ذلك خلفي. هناك أناس خطرون جدًا يعتقدون أنني أعرف أكثر من اللازم، أنني رأيت أكثر من اللازم. يريدون التحكم بمن يعرف عن هذا، وأنا طرف سائب، كما ترين. أين سمعتِ عني؟"

– "لم أذهب هناك لأجدك. عدت لأجد ستانلي، للوصول لبعض ذكرياته. كنت..."

هز رأسه.

– "لا. ستان لم يكن هناك."

– "ماذا؟"

– "كنت أنا فقط أمشي على الشاطئ، ثم اقتربتِ مني. أعتقد أنني كنت ذاهبًا للتبول، أليس كذلك؟ كان الأمر غريبًا جدًا—جئتِ إلي وحسب، ثم عندما نظرت للخلف، كنتِ قد اختفيتِ و..." قطب جبينه. "لا أستطيع حقًا تذكر ما حدث بعد ذلك."

قلتُ مرتبكة:

– "لا. كنت هناك تقيم حفل شواء مع ستانلي ورجل آخر—راف، أعتقد أن اسمه كان؟ كانوا معك، ثم أنت..."

– "أعتقد أنني كنت سأتذكر لو كان راف وستان هناك."

– "حسنًا، ماذا كنت تفعل قبل أن تصطدم بي، إذن؟ أين كنت؟"

– "كنت..." اقترب حاجباه من بعضهما. "كنت بالخارج للمشي فقط. لا أتذكر بالضبط ما كنت أفعله. مر ما يقرب من خمسين عامًا."

ملت للخلف، شاعرة بغرابة قليلاً. هذا لا يبدو منطقيًا. يتذكرني لكن ليس ستانلي أو الرجل الآخر؟ ثم فكرت في ذلك الثقب الفاغر حيث كانوا، ذلك الفراغ الذي ابتلعهم، وتجمد جسدي كله.

مال للأمام، وصوته مُلِح.

– "أحتاج حقًا لمعرفة كيف وجدتِني."

– "كان هناك عنوان." قلت مرة أخرى. رأسي يشعر بالتشوش قليلاً، ربما من المسكنات. "في دفتر عناوين ستان القديم. في هاتفي."

نهض وبدأ يذرع الغرفة، محبطًا مني، رغم أنني لست متأكدة لماذا. فجأة شعرت بعطش شديد. مددت يدي لالتقاط كوب الماء، لكن ذراعي لم تتحرك. ولا الأخرى.

التقط توبي هاتفي من جانب الكرسي ونظر إليه.

– "وثقت بستان. كان واحدًا من الأخيار. لكن..." هز توبي رأسه. "إذن هم يستخدمون مجرفة الذكريات مرة أخرى، بعد كل هذا الوقت. وتعمل. إنها تعمل حقًا." التفت إلي، وكان هناك ارتعاش في صوته. انخفض لهمس، كأنه خائف أن يسمعه أحد، وقال: "ماذا فعلتِ بخصوص أوميغا؟"

– "لا أعرف. لا أعرف ما هذا."

مصمص بشفتيه.

– "بالطبع لا. أنتِ مجرد بيدق. أستطيع رؤية ذلك الآن. تمامًا كما كنا جميعًا."

تمتمتُ:

– "لا أستطيع... توبي، لا أستطيع تحريك جسدي."

– "حسنًا، نعم. سيكون ذلك مفعول الأدوية التي أعطيتكِ إياها قد بدأ. لا أستطيع المخاطرة بخروجكِ الآن، وإخبار الناس بمكاني، حتى لو كنتِ عجوزًا ومصابة. هل يمكنك تخيل أي مطاردة ستكون تلك بوجودنا نحن الاثنين؟"

شعرت بتنفسي ثقيلاً في حلقي، ثقيلاً كالقطران.

– "الخروج؟"

— "الأدوات التي تعبثين بها. القوى التي..." هز رأسه ورمى هاتفي في النار. طقطق وبصق شررًا. "لا. لا توجد طريقة أخرى. لا يمكنني المخاطرة بأن يجدوني مرة أخرى. وأنا أكبر من أن أهرب. سأدفن جسدك في حقول القمح، رغم ذلك. لن أترككِ في العراء لتتعفني. لن يكون ذلك صوابًا."

تدفني؟ حاولت القول، لكن شفتي توقفتا عن العمل أيضًا.

جسدي كله مجمد في شلل. لا أستطيع الشعور بشيء. *حسنًا، على الأقل لستِ تتألمين بعد الآن*، سخر صوت متهكم داخل رأسي، محاولاً تلطيف الجو.

لم ينجح الأمر.

سيقتلني. سأموت، وسيُترك ستانلي وحيدًا تمامًا ليعاني أي تجربة خططتَ لها له. وقد وعدته أنني سأعود لأجله. وعدت.

قال توبي واقفًا أمامي وهز رأسه:

— "لم يكن يجب أن تعودي. أياً كان من تعملين معهم، ما كان يجب أن يلمسوا هذا. بعض الأشياء تُدفن لسبب، وتحتاج للبقاء مدفونة."

بينما يتحدث، حدث أغرب شيء. لو لم يكن جسدي كله مشلولاً، لربما صرخت. ظهر ظل طويل في الممر خلفه، وبينما يكبر، كشف ببطء عن شكل رجل.

سأل حسن:

— «من هو؟»

— «إنه أنت.

أنت تقف خلفه، على بعد بضع ياردات فقط، مغلفًا بالظلام. لا تصدر صوتًا واحدًا، ولا حتى نفسًا.

تابع توبي حديثه، ولم يلاحظك:

— "ظننت أننا جميعًا نعرف أنه خطير جدًا. تحدثت إلى ستان. ظننت أننا اتفقنا."

أخذتَ ثلاث خطوات سريعة——قاطعًا المسافة بينك وبين توبي في لحظة——ووضعت يديك على عنقه.

انتفض مستديرًا ليواجهك. أنت أطول منه برأس جيد. لا أستطيع رؤية التعبير على وجهه، لكن صوته يرتجف بالذعر.

— "أـ أنت؟!" تمتم. "كيف؟!"

زممت شفتيك وقلت: "ششششششش"، كأنك توبخ طفلاً.

ثم أعطيت رأسه لفة هائلة. رن صوت طقطقة رقبته وهي تنكسر عبر الغرفة، متبوعًا بصوت ارتطام جسده بالأرض.

خطوت فوق جسده. نحوي.

ما زلت لا أستطيع التحرك. أستطيع فقط التحديق فيك بعيون مجمدة، وكأنني أشاهد فيلمًا يُعرض ولا شيء يمكنني تغييره. النهاية مكتوبة بالفعل.

قلتَ وصوتك ناعم، رقيق تقريبًا:

— "شكرًا لقيادتي إلى توبياس يا ماغي. كان أخطر مما تعلمين. أنا أفهم لماذا حاولتِ الهرب مني. يجب أن تفهمي أنني لم أحاول أبدًا إيذاءكِ أو إيذاء ستانلي. أنا أحاول فقط حمايتكما. لهذا أخفيت الأشياء عنكِ، لحمايتك من رجال مثله. أستطيع أن أرى الآن أن هذا كان القرار الخاطئ. أستطيع أن أرى أنكِ أقوى من ذلك."

انحنيتَ وحملتني، وكأنني ريشة. لم تخرج زفيرًا حتى. أنا محمولة بين ذراعيك كطفل، كحبيب، وأنت تمشي بي خارج المنزل وإلى الشارع، حيث تنتظر شاحنة عسكرية كبيرة.

— "سأعيدكِ لزوجك. إنه آمن وسعيد. تحتاجين للراحة. عندما نصل هناك، سأشرح كل شيء بأفضل ما أستطيع."»

١٢

ستانلي

١٩٦٠

بدأت الشمس لتوها في الغروب فوق المدينة. كان الوقت لا يزال مبكرًا، بعد الرابعة بقليل، ولم تمتلئ الشوارع بعد بالركاب المسرعين في طريقهم إلى المنازل. هدوء—مثل الهدوء الذي يسبق العاصفة—خيم على الممرات المرصوفة بالحصى والأزقة الملتوية.

فُرقعت زجاجة الشمبانيا، وتدفق سيل أبيض كثيف في أكواب القهوة. كانت أواني الشرب الوحيدة التي أمكن العثور عليها في المختبر على عجل.

قال ستانلي وهو يقرع كوبه بكوب راف:

— «يبدو هذا كإغراء للقدر. لم نفعل شيئًا بعد.» كانا جالسين على إحدى شرفات مبنى لازاروس، خارج مكتب راف.

أجاب راف آخذًا رشفة من الشمبانيا:

— «ستكون هذه هي المرة الحاسمة. أستطيع الشعور بذلك. أيضًا، ليس وكأنني اشتريت هذه الزجاجة خصيصًا للاحتفال. كان والدي يتلقى، مثل، خمسة ملايين منها خلال عيد الميلاد، وينتهي بها الأمر متراكمة في مكتبه وفي المخزن، لذا الآن أغوص فيها وقتما أشاء. بدوتَ بحاجة لتهدئة أعصابك. أعني، متى كانت آخر مرة شربت فيها شمبانيا بهذه الجودة؟»

ضحك ستانلي هازًا رأسه. لم يستطع تذكر آخر مرة شرب فيها مشروبًا لم يكن طعمه كمزيل الطلاء. ليكون صادقًا، كان مركزًا جدًا خلال الأشهر القليلة الماضية لدرجة أنه لم يرتشف أي كحول على الإطلاق.

سأله:

– «هل الأمر يستحق، برأيك؟»

تحرك راف بتململ.

– «ماذا تعني؟»

– «لست أعمى يا راف. أعرف كم جعلتك هذه التجارب غير مرتاح، خاصة في الأشهر الأربعة الأخيرة.»

لوح بيده، وكأنه يهش الفكرة بعيدًا.

– «قد لا يكون الأمر قانونيًا، لكنني فعلت كل ما بوسعي لضمان أن يكون سليمًا أخلاقيًا قدر الإمكان. كلهم بالغون موافقون.»

– «لكنك لا تزال لا تريد فعل ذلك. لقد ضغطنا عليك. أكره أننا فعلنا ذلك.»

هز راف كتفيه.

– «كنتما ستفعلانه بدوني في كلتا الحالتين. أنت تشبه جاك أكثر مما تدرك، أتعلم.»

لم يرد ستانلي. وقف، ثم مشى لحافة الشرفة. انحنى فوق الدرابزين وحدق في المدينة.

تابع راف:

– «إنه الدافع. لم أمتلكه أبدًا بنفس الطريقة التي تملكانها. كلاكما. تضعان أنظاركما على شيء وتصبحان... قوة لا يمكن إيقافها. مثل عاصفة، أو موجة مد، أو شيء ما. كل شيء آخر ينجرف فقط في أثركما.»

أخذ ستانلي رشفة من شامبانيته. كانت شمبانيا جيدة جدًا.

– «هل هذا ما يحدث هنا يا راف؟ هل تنجرف معنا؟ لأنني... لا أعرف. كل هذا العمل، كل سنوات التركيز هذه، كل ما فعلته مع والدمان. أنا... أعرف أنني أفتقر للوعي الذاتي أحيانًا.»

مال راف للأمام في مقعده.

- «ماذا تقول؟»

- «لا أعتقد أنني قادر على النظر لهذا بموضوعية بعد الآن.»

لم يرد راف. نظرا لبعضهما، وملأت أفكار ستانلي الصمت.

قال أخيرًا:

- «أتذكر فرضية التطور الخاصة بي؟»

- «نعم—أننا ربما تطورنا مبتعدين عن الذاكرة المثالية، أننا تطورنا لننسى الأشياء.»

- «نعم، حسنًا، إذا كان ذلك صحيحًا، كنت أفكر: لماذا يحدث التطور، على مستوى دارويني أساسي؟ البقاء للأصلح، أليس كذلك؟»

أومأ راف.

- «بالتأكيد.»

- «نحن نتطور لخصائص تجعلنا أكثر عرضة للنجاة من المفترسات. أكثر عرضة للبقاء كنوع. وإذا كان نسيان الأشياء إحدى تلك الخصائص...» خفت صوته.

- «أعرف أساسيات نظرية التطور يا ستان. تعلم أنني أعرف. ما وجهة نظرك؟»

- «لا أعرف!» رفع يديه في الهواء، مستديرًا لمواجهة المدينة. «لا أعرف. كنت أعمل على هذه المشكلة لفترة طويلة لدرجة أنني أشعر أنني لا أرى الغابة من أجل الأشجار. لكن أحيانًا أستلقي مستيقظًا في سريري، وأفكر، *ماذا نفعل بحق الجحيم؟ هل نرتكب خطأً؟*»

لم يقل الكلمات التي طاردته، التي ركضت عبر رأسه مرارًا وتكرارًا: *آفة خالدة، رهيبة، ومريعة، وشرسة.*

لم يخبر روحًا أخرى عنها، حاول دفنها عميقًا في عقله، جنبًا إلى جنب مع صورة والدمان يتأرجح من الحبل. لكن مهما حاول بجد، كانت

تعود دون استئذان: في منتصف الليل، عندما يكون في الحمام أو في نزهة. لم يستطع التخلص منها.

وكلمتي والدمان الأخيرتين، الأكثر شؤمًا على الإطلاق: *إنه يجوع*.

استدار عائدًا لمواجهة راف.

— «إذا أخبرتني ألا أمضي قدمًا في هذا، فلن أفعل. يتوقف الأمر الآن. فقط قل الكلمة.»

— «بجدية؟»

— «بجدية. أنا أثق بك يا راف. ضمنيًا. عندما جئت إليك قبل عامين، كان ذلك فقط كوسيلة لغاية. لكنك ساعدتني، لأنك كنت دائمًا شخصًا أفضل مني. أثق بك أكثر مما أثق بنفسي هذه الأيام. لذا الأمر يعود إليك. لم تكن مرتاحًا أبدًا لما نفعله هنا. أخبرني أن أتوقف، وسأتوقف.»

مال راف للخلف، وتعبيره تعبير حيرة.

— «لا أعرف ماذا أقول. لا أعتقد أن الأمر يهم. جاك لن يدعنا نتوقف أبدًا. ليس الآن.»

— «يمكنني التعامل مع جاك، إذا اضطررت لذلك.»

انفجرت ضحكة حلقية من فم راف. نهض وانضم لستانلي عند حافة الشرفة.

— «الشيء هو، لم أكن شيئًا أبدًا بدونكما. لا أعرف. لكنني أنظر إليك في بعض الأيام وأفكرفي... هل تعرف ماذا قال لوركا عن كونك فنانًا؟ عما يجعل الناس يبدعون الفن؟»

هز ستانلي رأسه.

— «قرأتها قبل حوالي عام. قال إن قلب ذلك الدافع لخلق شيء غريب وعاطفي ورائع يكمن في (محاولة شفاء الجرح الذي لا يشفى أبدًا).

وبمجرد أن قرأتها، فكرت فيك. طوال حياتك، كنت تحاول شفاء هذا الجرح، ولا أعرف ما هو——ربما لا تعرف حتى أنت ما هو. لكنني آمل أنه

إذا نجحنا فعلاً في هذا، إذا فعلنا هذا، فربما يشفى جرحك. ربما يغلق. ذلك... ذلك يستحق الأمر بالنسبة لي.»

توقف ستانلي، متململاً بشكل غير مريح.

– «رغم كل تحفظاتك الأخلاقية؟ رغم كل اعتراضاتك العام الماضي؟»

تنهد راف.

– «نعم. أنت أفضل صديق لي يا ستان، وأنا أحبك. سأرافقك خلال هذا.»

اقترب ستانلي منه قليلاً حتى أصبحا كتفًا بكتف. تساءل كيف شك أبدًا في هذا الرجل وصدق صداقته. كان لديه أصدقاء آخرون يدخلون ويخرجون من حياته—هيوغو، توبي، حتى جاك، خلال أوقات أفضل—لكن لم يثق به أحد منهم بهذا الكمال. ذلك النوع من الثقة لا يقدر بثمن.

في الشوارع بالأسفل، كان بعض العمال يغادرون مباني مكاتبهم: يخرجون مبكرًا، يحاولون استباق الزحام والوصول لمنازلهم وعائلاتهم قبل وقت العشاء. ليسوا كثيرين، رغم ذلك. *هذه المدينة يمكن أن تعطيك إحساسًا غريبًا بالأولويات*، فكر. *هذا العالم يمكن أن يتركك في البرد إذا لم يكن لديك شخص يعطيك القليل من الدفء بين الحين والآخر.*

كسر راف الصمت:

– «هل تظن أننا نستطيع فعلها حقًا؟ أعني، سفر عبر الزمن فعلي، قادر على تغيير الماضي، على التأثير في الحاضر بطريقة ذات مغزى؟ هل هذا ما كان يسعى إليه والدمان؟ إنه... خيال علمي جدًا. سحري جدًا.»

استدار ستانلي، مائلاً بظهره على الدرابزين.

– «لا أعتقد أنني عرفت أبدًا ما كان والدمان يسعى إليه حقًا. ظننت أنني عرفت، لكنه كان كتابًا مغلقًا أكثر مما أدركت. هل رأى الخيط—ذاكرة مثالية تؤدي لمراقبة مثالية للماضي تؤدي للتجلي الفعلي في الماضي؟ لا أعرف. إذا علمني أي شيء، رغم ذلك، فهو الإيمان بأن أي شيء ممكن.»

تفقد ستانلي ساعته. حان الوقت. سكب بقايا شامبانيته الأخيرة على أرضية الشرفة، وتلوى السائل طريقه لأسفل المصرف. كانت لفتة لطيفة، لكنه أراد أن يكون مركزًا قدر الإمكان لما كانوا على وشك القيام به.

***

كان المختبر بأكمله يضم ستة أشخاص فقط، بمن فيهم راف، وستانلي، وجاك. احتاجوا لبعض الموظفين للمساعدة في تشغيل الآلات، لكنهم كانوا انتقائيين. فقط توبي، وماريا، وإلياس سُمح لهم بالمشاركة. كان هناك الكثير على المحك، الكثير ليخسروه إذا قرر شخص لا يثقون به أخذ أبحاثهم لشخص آخر، أو للشرطة.

كفل ستانلي توبي بنفسه. عملا عن كثب لما يقرب من عامين، ووجد نفسه معجبًا بذكاء الرجل الحاد وتصميمه. إذا كان لديك عمل يحتاج للإنجاز، يمكنك إعطاؤه لتوبي وسينجز خلال الأسبوع دون سؤال أو شكوى.

أصر جاك على إلياس، ولم يشكك أحد فيما إذا كانت ماريا ستكون هناك أم لا. أصبحت بشكل متزايد ذراع راف اليمنى: غير متطفلة لكن حاضرة دائمًا عند الحاجة.

مرت ماريا بستانلي وأعطته ابتسامة مقتضبة ومهنية، واضعة كومة ملفات على مكتب راف. ابتسم لها بالمثل.

استقر ستانلي في كرسي بينما شقت ماريا طريقها خارج الغرفة. كانوا قد جهزوا أحد المكاتب كمنصة مراقبة مرتجلة، بلوح زجاجي يطل مباشرة على القاعة المركزية. كانت فكرة جاك: أراد أن يكون لدى الخاضع للتجربة أقل قدر ممكن من المحفزات من الحاضر. سيكون الثلاثة في الغرفة المجاورة وسيتحدثون للخاضع للتجربة فقط عبر اتصال لاسلكي داخلي، مراقبين من مسافة.

نظر عبر الزجاج لجاك وإلياس، يجهزان الأسلاك على الكرسي. كان هناك تفاهم بينهما—نوع من الميثاق—جعل ستانلي غير مرتاح قليلاً.

– «ستان؟» التفت ليجد توبي واقفًا خلفه. «هل يمكننا التحدث؟»

أومأ ستانلي.

– «بالتأكيد. ما الأمر؟»

نظر توبي خارج الباب ثم سحبه ليغلق بحيث أصبحا وحدهما.

– «أعرف أن الوقت ليس مناسبًا تمامًا الآن—مع التجربة الكبيرة وكل شيء—لكن، حسنًا... أتعرف عندما تكون تنوي إخبار شخص بشيء لفترة لكن لا تعرف كيف تقوله؟ ثم تصل لنقطة تعرف فيها أنك إذا لم تخبره الآن، قد لا تخبره أبدًا؟»

دحرج ستانلي كرسيه للأمام.

– «ما هو؟»

– «حسنًا، كنت أنظر لبعض تجارب الأدوية للتكرار الرابع قبل بضعة أسابيع، واحتجت للحصول على بعض البيانات من قسم جاك في المختبر. عادة، أحصل عليها من إلياس، لكنه لم يكن موجودًا، و...» خفت صوته، ناظرًا للخلف نحو الباب.

وقف ستانلي.

– «توبي—ماذا؟»

– «أياً كان ما يعمل عليه جاك، فهو ليس هذا. أو، على الأقل، ليس هذا فقط، أمور الذاكرة. أعتقد—أعني، يبدو الأمر وكأنه—يحول المال والموارد لحوالي ستة مشاريع جانبية مختلفة ويشطبها كتجارب ذاكرة فاشلة حتى لا تبدو مشبوهة.» كان توبي يتحدث بسرعة كبيرة، كأنه يحاول إخراج كل شيء. «راف يحصل على الكثير من المال من منصة النفط لدرجة أنني أعتقد أنه بالكاد يلاحظ الانخفاضات. بعض المشاريع، لم أستطع فهم رأسها من ذيلها. لا أعرف إن كانت مشفرة أو بلغة مختلفة،

لكنها كانت طلاسم بالنسبة لي. أخرى، حسنًا... هناك أشياء عن الحوسبة هناك، وعلم الأحياء—صور لتشريح حيوانات حية، تقارير عن إعادة نمو أعضاء بشرية. لا أعرف. أعلم أنه ليس مكاني للحكم، لكن القطع والأجزاء التي رأيتها بدت مقلقة قليلاً، هل تعلم؟»

وضع ستانلي يده على جبينه، شاعرًا بصداع قادم. كان هذا آخر شيء يحتاجه اليوم.

— «منذ متى وأنت تعرف هذا؟»

— «تقريبًا، ربما أسبوع ونصف. لا أعرف منذ متى والأمر مستمر.»

عض شفته بتوتر وانتظر لنصف ثانية. «انظر—إذا تحدثت لجاك عن هذا، فقط من فضلك لا تذكر اسمي، حسنًا؟ أنا فقط... اعتقدت أنه يجب أن تعرف.»

ثم انسل خارج الباب، مغلقًا إياه خلفه.

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا، وتيار خفي من التوتر يسري فيه. لم يستطع التفكير في هذا—ليس اليوم. سيعالجه لاحقًا، يطرحه مع راف، لكن اليوم عليه التركيز تمامًا ومطلقًا على المهمة التي بين يديه. الحقيقة الصادقة هي أنهم بحاجة لجاك إذا كانوا سينجزون هذا. لم يستطع تحمل معاداته الآن.

ماداً يده لدرج، سحب الصورة التي أراه إياها جاك قبل أربعة أشهر: بيل—عينة الاختبار—في الحديقة الخلفية للمنزل الذي نشأ فيه، في الوقت الحاضر. يلتقط صورة لنفسه، راكعًا بجانب حفرة حفرها. في يده، لا تزال مغطاة بالطين، كأس مدرسة صغيرة كتلك التي تحصل عليها للفوز بمباريات كرة القدم في المدرسة الابتدائية. وجه بيل هو الذي يقول كل شيء—نظرة الدهشة والذهول، عدم التصديق التام. لم يكن ليكون أوضح ما فعله—عاد لذكريات طفولته ودفن الكأس، فقط ليحفره الآن في الحاضر.

كان دليلاً. دليلاً على أنهم يستطيعون إحداث تغيير في الماضي. أنهم يستطيعون السفر عبر الزمن.

إلا أن الكأس لم تعد موجودة. اختفت بعد وقت قصير من التقاط الصورة، ولم يرها أحد شخصيًا أبدًا. عندما ذهب راف مع بيل للتحقيق، وجدوا الكأس في النهاية في العلية، عليها سنوات من الغبار، وكأنها لم تلمس أبدًا.

أياً كان ما غيره بيل، فقد عاد لسيرته الأولى بمجرد أن حاول أن أُريه لشخص آخر.

عندها نقر الأمر لستانلي، عندما سقطت كل الأجزاء المتباينة لعمله معًا بدقة، كقطع آلة.

الحاجز كان الذاكرة المثالية، تمامًا كما كان دائمًا. ذاكرة بيل لماضيه كانت معيبة—تغيرت وتكيفت عبر السنين، كما تفعل الذكريات وحدها. عندما عاد لذكرياته، كان يرى نسخة من الماضي اختبرها هو فقط. دماغه كيف ذكرياته، وبالتالي خلق خطًا زمنيًا فرديًا بحتًا، وأي تغييرات أجراها وجدت فقط في ذلك الخط الزمني المحلي. بمجرد أن أراها لشخص آخر، عادت. بقيت الصورة فقط.

لكن إذا استطاعوا تجاوز عتبة الذاكرة أولاً، إذا استطاعوا ضمان وصول عينة اختبارهم لما كان ستانلي يحاول فتحه من البداية—ذاكرة موضوعية مثالية خالية من العيوب للماضي—فإن مراقبة الذكرى يجب أن تتشابك مع الماضي الجماعي. التغييرات ستوجد للجميع، في كل مكان. ستبقى.

هل كان هذا ما تسعى إليه يا بروفيسور؟ فكر ستانلي وهو يتحسس حواف الصورة. *هل كان هذا هو الهدف النهائي دائمًا؟*

انفتح الباب. دخل راف وجاك، جالسين على جانبيه. تبعهم توبي خلفهم لكنه تردد قليلاً، منتظرًا عند الباب.

قال جاك:

— «حان الوقت.»

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا، محاولاً دفع ما أخبره به توبي للتو لمؤخرة عقله. نظر لراف، الذي منحه ابتسامة دافئة ومطمئنة.

ناظرًا عبر حاجز الزجاج السميك، استطاع رؤية عينة اختبارهم—شاب يدعى كير، كما حرص راف على تذكير جاك باستمرار—يستقر في الكرسي تحت "مجرفة الذكريات". بدؤوا بتسميتها كذلك بعد الصورة المؤثرة لبيل يحفر في الحديقة.

قال راف:

— «هذا هو. اختبرنا كل أجزاء هذا بشكل منفصل. كلها تعمل. نحن مستعدون. كير مستعد.»

أومأ ستانلي. ضاغطًا زرًا أمامه، شغل الاتصال الداخلي الذي يربط الغرفتين.

— «ماريا، من فضلك ابدئي الإجراء.»

أعطت ماريا المجموعة الأولى من الأدوية لكير وريديًا. كان قد خضع للجراحة بالفعل في وقت سابق من الأسبوع، وصُممت الأدوية لتعمل جنبًا إلى جنب مع التغييرات التي أجروها على وصلاته العصبية.

وقف إلياس منتظرًا بجمود عند الباب، يراقب تحسبًا للحاجة لأي دعم.

سألت ماريا:

— «هل أنت بخير؟ مرتاح؟»

أومأ كير.

— «بخير.»

— «سيستغرق الأمر بضع دقائق لتعطي الأدوية مفعولها، ثم سنعطيك الجرعة الثانية.»

كانت العملية صارمة—كل خطوة موضحة، كل عضو أو مشارك مطلع تمامًا مسبقًا. استطاع ستانلي الشعور بيده تتعرق.

بعد الجولة الثانية من الأدوية، شعر أن عيني كير تبدوان أوسع قليلاً، أكثر يقظة قليلاً.

سألت ماريا، وصوتها يلعب عبر مكبرات الصوت في غرفة المراقبة:

— «كيف حالك الآن؟»

تمتم كير:

— «أستطيع... أعتقد... أعتقد أنه يعمل. كل شيء واضح جدًا، كأنه حدث قبل عشر دقائق فقط. كله يعود. أستطيع رؤية البحيرة التي تعلمت السباحة فيها عندما كنت في الثالثة. إنه... هذا مذهل. كأنني كنت هناك لتوّي.»

قال راف بحماس:

— «هل سمعت ذلك؟ هل سمعت؟»

رفع ستانلي يده. لم يحن وقت الاحتفال بعد.

— «ماريا، الأسئلة، من فضلك.»

أومأت، ملتقطة لوحها مع الأسئلة المعدة. أسئلة جمعوها بعد أشهر من البحث في حياة كير. لم يكن يعرف ما سيكون أي منها.

— «في عام ١٩٤٣، زرت منزل ابن عمك في كينت مرة واحدة. ما كان العنوان؟»

رد فورًا:

— «ثمانية وستون طريق نورث فارم، تونبريدج.» ثم انفتح فمه في ذهول. «واو. أعني... واو.»

أعطته ابتسامة مهنية قصيرة.

— «كانت لديك معلمة—السيدة تيلشر—في السنة الثانية من المدرسة الابتدائية. ذكرت زوجها عرضًا أحيانًا، ربما مرة أو مرتين. ما كان اسمه؟»

– «هاري. كان هاري تيلشر. يا إلهي—كله هناك. كل تلك المعلومات. كل تلك الذكريات.»

استمر الأخذ والرد عبر جميع الأسئلة العشرين، مختبرًا إياه لأقصى حدود استرجاعه. أجاب عنها جميعًا بشكل صحيح.

كان قلب ستانلي يقرع في صدره. قبضت أصابعه على ميكروفون الاتصال بقوة لدرجة أن مفاصله ابيضت.

همس راف، محدقًا عبر الزجاج:

– «فعلناها.» وقف. «ستان—فعلناها حقًا! ذاكرة مثالية، خالية من العيوب. لا أصدق ذلك.»

شعر ستانلي بموجة عاطفة تغسله—إثارة، ارتياح، ذهول. بالكاد استطاع التمييز بينها. أطلق ضحكة لا إرادية، ونمت ابتسامة ضخمة على وجهه.

– «فعلناها.» ردد، ملتفتًا لراف. ابتسما بغباء لبعضهما البعض، وحاول ستانلي منع يديه من الارتجاف. شعر وكأنه على وشك البكاء. «من كان ليظن؟»

أخذ جاك ميكروفون الاتصال.

– «شكرًا لكِ يا ماريا.» كان صوته باردًا ومسطحًا. «يرجى الانتقال للمرحلة الثانية.»

أومأت.

المرحلة الثانية—غوص الذاكرة.

رافعة سماعة الرأس، وضعتها على كير، مثبتة الحزام تحت ذقنه. تدحرجت الأسلاك من الأعلى وركضت أسفل مؤخرة رأسه كذيل حصان، متصلة بالآلات في الأسفل.

قالت ماريا:

– «سنطلب منك العودة لذكرى محددة. من عام ١٩٥٢—تمامًا كما تدربنا

من قبل، إلا أنك هذه المرة ستقوم بدفن غرض في الحديقة خارج واجهة منزلك.»

كانوا قد أمنوا قطعة الأرض هناك، التي لم تُمس في الفترة الفاصلة لثماني سنوات، ويمكنهم الوصول إليها بعد التجربة.

أومأ كير. ضغطت ماريا لتشغيل الآلة، وأغلق عينيه، وتسارع تنفسه.

– «هل تسمعني؟»

– «نعم. أنا هناك. أنا هناك فعليًا. أستطيع رؤية المنزل. يا إلهي—أستطيع رؤية نفسي. ماذا لو قمت فقط بـ...؟» خفت صوته.

وجه كير، بكل انبهاره وإثارته، أصبح مسطحًا. ارتخت ذراعاه بجانبيه، وتعبيره أصبح فارغًا تمامًا.

سألت ماريا:

– «كير؟ هل أنت بخير؟»

لم يرد. حدق فقط في الفضاء أمامه.

هزت ماريا كير، محاولة الحصول على استجابة منه. خلعت سماعة الرأس، واضعة يديها على وجهه. تحرك إلياس للأمام لكنه تردد، غير متأكد—لم يعرف ماذا يفعل.

أدار راف رأسه لستانلي.

– «ماذا يحدث؟ ماذا حدث له؟»

– «لا أعرف. لا أعرف. كان بخير قبل لحظة. إذا قمنا بـ...»

– «مرحبًا؟» جاء صوت ماريا عبر الشاشة. كان خائفًا، مذعورًا. «ما الذي يجري؟ أين... أين أنا؟»

انتفض رأس ستانلي للخلف لينظر للغرفة.

– «ماذا قالت؟»

– «لا أعرف أين أنا. أنا...» كانت تتراجع مبتعدة عن كير، محدقة في كل من هو وإلياس. «من أنتم؟ من هذا؟»

تحدث جاك في الميكروفون.

– «أنتِ بخير يا ماريا. لديك نوبة قصيرة. لا أحد من هذين الرجلين ينوي إيذاءك. الذي على يسارك يدعى إلياس، والرجل في الكرسي هو...» خفت صوته، مقطبًا.

صاح راف:

– «أوه، بجدية تامة؟ اسمه هو... إنه... ستان، لماذا لا أستطيع تذكر اسمه؟»

– «ماذا؟!» هبط قلب ستانلي لمعدته. «أنا... يا إلهي.» لم يستطع تذكره أيضًا. نبش بحثًا عن المعرفة في دماغه، لكنها لم تكن هناك. «كيف لا أعرف؟ إنه عينة اختبار للتجربة، أعرف ذلك. أعرف ذلك! لكن... كل شيء آخر ذهب. ذهب وحسب.»

في وسط الغرفة، بقي الخاضع للتجربة ساكنًا تمامًا. كان يتنفس، حيًا، لكن عينيه حدقتا بفتور للأمام.

تمتم توبي، وهو في منتصف الطريق خارج الباب:

– «أوه، تباً لهذا. لا، لا، لا. لم أسجل لهذا القرف.» وقبل أن يتمكن أحد من قول شيء، كان قد رحل.

قالت المرأة، تزداد جنونًا:

– «لا أعرف من أكون. كيف لا أعرف اسمي الخاص؟» أمسكت الملفات عن الطاولة ورمتها على الأرض. «كيف لا أعرف اسمي الخاص؟!»

أمسك بها إلياس، محاولاً منعها من إحداث المزيد من الضرر. انتحبت، مكافحة للتحرر من قبضته.

– «اهدئي. اسمك هو... اسمك...» توقف، وتركها.

التفت رأسه نحو الزجاج، ناظرًا مباشرة لستانلي، لراف، لجاك. كانت عيناه ذعرًا خالصًا.

– «Wo bin ich? Was ist los?»

انتفض جاك من مقعده، عابرًا الغرفة وماشيًا خارج الباب.

طالب راف:

- «إلى أين تذهب بحق الجحيم؟» تجاهله جاك.

ارتجف جسد ستانلي كله. ما الذي يحدث بحق الجحيم؟ لماذا لا يستطيع تذكر من يكون أي منهم؟ وعندما حاول التفكير في العالمين الآخرين—المرأة والرجل في تلك الغرفة—جاء عقله فارغًا. لم تكن هناك ذكرى لهم. لا شيء.

كان هناك صفير عالٍ. نظر ستانلي للأعلى، عبر الزجاج ولغرفة التجربة، ليرى الضوء فوق الباب يتحول للأحمر. *مغلق.*

التفت الرجل لينظر إليه، مقطبًا. اقتحم المكان وحاول عبثًا فتح الباب.

ظهر جاك مرة أخرى بجانب ستانلي.

- «أنت أغلقت عليهم؟»

- «هل تتذكر من أكون؟»

تردد.

- «نعم، بالطبع أتذكر.»

- «وهل تتذكر من تكون؟»

- «أنا... نعم. ماذا تقول؟»

- «أياً كان ما حدث للمرأة، حدث بعد أن لمست الخاضع للتجربة في الكرسي. أياً كان ما حدث لذلك الرجل، حدث بعد أن لمس المرأة. نحتاج للتعامل مع هذا كتفشٍّ وبائي.»

قال راف:

- «تفشي ماذا؟» كان يذرع المكان، هازًا رأسه.

سأل ستانلي جاك، مشيرًا للغرفة:

- «لكنك لا تتذكر أسماءهم أيضًا؟ أو من يكونون؟»

– «لا.»

طرق الرجل على الباب، صارخًا، راميًا وزنه بالكامل ضده. ضغطت المرأة نفسها في زاوية، ترتجف، ترتعد.

كرر راف وهو يستدير:

– «بحق يسوع، أغلقت عليهم. جاك... أغلقت عليهم. إنهم بشر. إنهم—يا إلهي. ماذا سنفعل؟»

صرخت المرأة، ممزقة شعرها:

– «أخرجوني! أرجوكم. أياً كنتم—أخرجوني!»

ضغط ستانلي زر الاتصال الداخلي.

– «يرجى محاولة البقاء هادئين. أنتم آمنون. نحاول إصلاح هذا...»

صاح الرجل:

– «Ich kann dich nicht verstehen!» أياً كان، من الواضح أنه لا يتحدث الإنجليزية. «Was hast du mir angetan?»

كانت المرأة لا تزال تصرخ، ذابت كلماتها في ذعر غير مفهوم—مجرد عويل صارخ تقطعه أنفاس متقطعة.

صرخ الرجل فيها بالألمانية، لكنها لم ترد. بالكاد لاحظت وجوده. ماداً يده تحت معطف مختبره، سحب مسدسًا من خلف حزامه.

تجمد الجميع.

همس راف:

– «ما هذا بحق الجحيم؟ لماذا يملك ذلك الرجل مسدسًا؟ جاك! لماذا يملك ذلك الرجل مسدسًا؟!»

لوح جاك له بعيدًا.

– «لا أعرف! لست مسؤولاً عما يحمله الناس الآخرون عليهم.»

رد راف بحدة:

– «هراء! هذا هراء!»

لوح الرجل بمسدسه، صارخًا في المرأة، يزأر فيها.

كانت يد ستانلي محكمة على الميكروفون، لكنه لم يقل كلمة. لم يكن لديه فكرة عما يفعل. نفس العبارة استمرت بالركض عبر رأسه، مرارًا وتكرارًا: *آفة خالدة، رهيبة، ومريعة، وشرسة.*

علا عويل المرأة. بدا وكأنه يمكن أن يخترق اللحم وينفذ للعظم. جفل ستانلي، واضعًا يديه على أذنيه.

صرخ الرجل الألماني فيها، ملوحًا بسلاحه:

— «Halte die Klappe! Halte!»

لكنها لم تتوقف—استمرت في الصراخ وحسب. متجهمًا، أغلق عينيه، ودوّت طلقتان عبر الغرفة. تشنجت، منتفضة مع كل رصاصة، وسقطت صامتة.

تعثر الرجل للخلف، خطوة، ثم اثنتين، مصطدمًا بالباب المغلق.

قال، محدقًا في يديه برعب:

— «Was habe ich gemacht? Was hast du mir angetan?»

رفع المسدس لفمه وأطلق النار.

حدق الثلاثة فقط في صمت مصدوم وعاجز في الجثث، في الدم، في المذبحة.

وفي وسط كل ذلك، حدق الخاضع للتجربة—بعيون فارغة كدمية عرض—بهم بلا حياة.

١٣

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٤ ساعات، ٤٨ دقيقة، و٤٢ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «عندما أستيقظ، أجدني في سرير. إنه مريح—لحاف ناعم يحمل ذلك الملمس النظيف للفنادق ومرتبة تتمتع بالقدر المناسب من المرونة. الغرفة متفرقة الأثاث، مزينة بذلك الطراز التبسيطي الذي يسيطر على التصميمات الداخلية هذه الأيام، وكأن الناس يخجلون من امتلاك ممتلكات أو التباهي بها.

أشعر بالراحة التامة، ونشاط يكاد يكون غير مألوف في الواقع. أجلس في السرير، وباستثناء الطقطقات والالتواءات المعتادة لجسد في الثمانين، لا أشعر بأي ألم. ثم يتدفق كل شيء عائدًا إليّ: السقوط من النافذة، كسر كتفي وتحطم كاحلي. الشلل. إما أنني تعافيت بسرعة استثنائية أو أنني كنت نائمة لفترة طويلة جدًا.

لا أعرف أيهما أجده أكثر رعبًا.

بينما أنزلق خارج السرير، أدرك أنني ما زلت بنفس الملابس التي كنت أرتديها عندما فقدت الوعي. يجلب لي هذا بعض الراحة. لا أطيق فكرة أن شخصًا ما—أنك أنت—خلع ملابسي وألبسني بيجاما وكأنني طفلة.

ثم أفكر في ستانلي. لا أعرف أين هو. أحتاج لإيجاده.

أتجه مباشرة للباب لكنني أضطر للتوقف.

لماذا؟

رأسي يشعر بالدوار، كأنني شربتُ الكثير. تدور الغرفة، ويجب أن أتمسك بالجدار وآخذ بضعة أنفاس لأوجه نفسي.

عندها ينفتح الباب.

أنت على الجانب الآخر، تبتسم. هذه المرة الابتسامة حقيقية. أستطيع تمييز ذلك—لقد شاهدت ما يكفي من وثائقيات الطبيعة. إنها الابتسامة التي يعطيها الذئب قبل أن يعضك.

تقول بصوت دافئ:

— "ماغي، أنا سعيد لأنكِ تشعرين بتحسن."

— "أين ستانلي؟"

تتنحى جانبًا وتمد ذراعك كدعوة، وكأنك تتوقع مني قبولها.

— "عندما نصل إلى الـ..."

— "لا، حسن." أثبت صوتي. أبقيه تحت السيطرة التامة. "كفى من (عندما نصل فقط...) و(إذا سمحتِ لي...). كفى من المراوغة والتلاعب بالعقول وهذا الهراء. بالأمس، شاهدتك تقتل رجلاً. رجلاً كان على وشك قتلي. لذا لدي سؤالان فقط، ولن أذهب معك لأي مكان—لن أفعل أي شيء لك—حتى تجيب عليهما: ما الذي يحدث، وأين زوجي بحق الجحيم؟"

تسقط ذراعك، لكن ابتسامتك لا تسقط.

— "قبل عقود، قبل أن تقابليه، اكتشف زوجك وبعض الآخرين طريقة للوصول إلى الماضي وإحداث تغيير فيه. يمكنك تسميته السفر عبر الزمن، إن شئتِ. كان أعظم اختراع منفرد في تاريخ البشرية. في محاولة لدفن هذا الاكتشاف وتدمير هذا البحث، قامت مجموعة أخرى من الناس—أناس مثل الرجل الذي قابلته بالأمس، أولئك الذين يتاجرون تحت اسم

(صنرايز)——بإحداث ضرر رهيب لكل من عقل ستانلي والعالم كما نعرفه. أنا أحاول عكس ذلك. أحاول مساعدة زوجك على استعادة ذكرياته والاعتراف الذي يستحقه. زوجك حاليًا داخل المعهد، وأنا هنا لأقودك إليه. ربما تودين طرح أي أسئلة أخرى في الطريق؟"

أرمش في وجهك، مذهولة قليلاً بصراحة ردك. توقعت أن تلوح بيدك لطرد سؤالي بعبارة غامضة أو تلميح لتهديد. شيء ما قد تغير.

أتبعك أسفل ممر يبدو وكأنه وسط بين فندق ومستشفى——هناك العديد من الأبواب لما أفترض أنه غرف أخرى. أتساءل عمن يُحتجز فيها. أتساءل إن كان يُسمح لهم بالمغادرة.

سألتُ:

– "وهؤلاء الناس——توبي، صنرايز، الذين فعلوا هذا بستانلي——لماذا يريدون دفن اكتشافه؟"

تبدأ المشي مرة أخرى، مجبرًا إياي على اللحاق بك.

– "قصر نظر. حماقة. افتقار للمنظور التاريخي."

أنظر إليك رافعة حاجبيّ.

تضيف مع لمحة تنهيدة:

– "إنهم خائفون منه. ويعتقدون أن المعرفة يمكن احتواؤها، رغم أن تاريخ البشرية بأكمله يثبت عكس ذلك. ليس الأمر أننا هنا في المعهد لا ندرك أن هناك مخاطر كامنة في اكتشاف كهذا؛ نحن فقط نعترف بأن هذه الأشياء لا يمكن ببساطة دفنها. أنه إذا كان يجب التعامل معها، فيجب التعامل معها وجهاً لوجه."

نصل إلى ردهة مصاعد——هذه المصاعد خالية لحسن الحظ من الحروف اليونانية الغريبة والتحذيرات المقلقة——وتضغط زرًا.

– "لماذا أنت مصر جدًا على العثور عليه؟"

تلتفت لتنظر إليّ.

– "هل رأيتِ العالم الذي نعيش فيه يا ماغي؟ هل رأيتِ ما فعلناه به؟ أنظمة بيئية كاملة تموت. البحار ترتفع. حرائق الغابات تستعر عبر القارات. نحن على مسار وحيد نحو الدمار، ولا يتم فعل شيء لعكسه."

تنفتح أبواب المصعد، وتوميء لي للدخول.

– "القوى التي استغلها زوجك لا تُقارن في حجمها بأي شيء اكتشفناه من قبل. مثل شطر الذرة، إنها تبشر بعهد جديد من الفكر العلمي. نموذج جديد. إذا استطعنا السيطرة على الماضي، ألا يعطينا هذا سيطرة على المستقبل؟ باكتشاف ستانلي، وبمساعدتك، يمكننا أخذ زمام هذا الكوكب بأيدينا. يمكننا صد المد."

– "وستانلي؟"

– "فكري فيما يمكننا فعله إذا استطعنا تغيير الماضي يا ماغي. فكري في التقدم الذي يمكننا إحرازه. الطب الحديث قطع شوطًا طويلاً في المائة عام الماضية، أبعد مما يدرك الكثيرون." تعطيني نظرة ذات مغزى، وأفكر في كتفي وكيف كُسر بالأمس فقط. "فتح الماضي سيفعل أكثر من مجرد السماح لنا بالسفر. المعرفة ستشعل ثورة علمية وتكنولوجية جديدة. إنه إيماني المطلق بأنه مع هذه المنظورات الجديدة، فإن أول إنسان يعيش لألف عام، أو مائة ألف عام، هو بالفعل حي اليوم. ربما سنكون قادرين حتى على منحك وستانلي عقودًا إضافية من الوقت معًا. هناك حياة ممتدة سعيدة أمامك. كل ما عليك فعله هو العمل معي."

أبذل جهدًا واعيًا للحفاظ على تنفسي منتظمًا، للبقاء هادئة وعقلانية، لكن الأمر صعب. أنا أقف قبالة جني نظر في قلبي، ووجد أمنيتي الأعمق والأكثر حرقًا، وعرض تحقيقها لي.

لكنني أعرف حكاياتي الخرافية: النبيذلا يُوثق بهم. الأمنيات ليست كما تبدو.

مع ذلك، أقول:

– "ماذا تريد مني أن أفعل؟"

تنفتح أبواب المصعد.

نحن عائدون للمعهد، في المختبر الرئيسي، حيث جلبتني عندما وصلت لأول مرة. أتوقف، محدقة حولي، محاولة التوفيق بين التحول المفاجئ. الغرف كانت في البرج الشاهق بالأعلى، أدرك ذلك، سكن في الموقع للأشخاص العاملين هنا.

تخطو للخارج، وأتبعك في أثرك.

– "قامت صنرايز بعمل أفضل مما تخيلت في البداية. كنت آمل أن تكون جميع ذكرياته قابلة للاسترداد بواسطتك في بضع محاولات، لكن يبدو أن الأمر ليس كذلك. لقد قمت، ببعض النجاح، برسم خريطة للنقاط في ذاكرة ستانلي التي يمكننا الوصول إليها. يعود هذا بشكل كبير للفحوصات التي تمكنت من إجرائها لأدمغتكما بينما كنتما تغوصان. نظريًا، ستعمل هذه كنقاط ارتساء بحيث يمكنك السفر لأجزاء أخرى من ذاكرته، لحظات لا يستطيع الوصول إليها وحده. أحتاج منك العودة لداخل رأسه، بالـ (مجرفة)، إلى هذه اللحظات في ماضيه، واكتشاف ما حدث هناك."

– "إلى الماضي؟"

– "نعم—عبر ذكرياته. هكذا تعمل الآلة."

– "لماذا لا يمكنك أنت فعل ذلك؟"

– "صنرايز أزالت الكثير. إذا كانت الذكريات هناك، فهي مدفونة بعمق. يجب أن يكون شخصًا ذا صلة وثيقة بالخاضع للتجربة، بذكريات مشتركة كافية لتأسيس الرابط بدقة واضحة. تشاركتما عقودًا معًا—أنتِ بلا شك أفضل مرشح."

يبدو المختبر يعمل كالمعتاد. لم يتغير شيء: رجال ونساء بمعاطف مختبر وألواح كتابة يهرعون من غرفة لغرفة، يتعاملون مع تكنولوجيا غريبة لا أميزها. يرموننا بنظرات سريعة، مختلسة. يرسمون ابتسامات مجبرة ونحن نمر. رؤية الأمر للمرة الثانية تجعله أكثر وضوحًا—الجميع في هذا المبنى مرعوب منك.

تقودني لمصعد "بيتا"، وينحدر بنا عائدًا لأسفل إلى مكتبك الغريب المتناقض زمنيًا.

ستانلي جالس في كرسيه المتحرك في وسط الغرفة، يشاهد وثائقي طبيعة قديمًا على إحدى الشاشات. عندما أراه، أطلق صوت ارتياح صغيرًا، شيئًا بين تنهيدة وصرخة مكتومة، وأهرع إليه، ممسكة بيده.

لا يبدي رد فعل. ينظر إليّ نظرة خاطفة، كما قد ينظر المرء لطائر يطير عبر النافذة، ويغمغم قبل العودة لشاشته. إنه يعرفني اليوم—أستطيع رؤية ذلك في عينيه—لكنه ببساطة لا يبالي. إنه واعٍ لكنه بعيد، كأن عقله على كوكب آخر.

قلتُ وأنا أمسد ذراعه:

— "صباح الخير يا ستان. سعيدة جدًا لرؤية أنك بخير."

مصمص بشفتيه، وكأن حديثي يزعجه، لكنني لا أبالي. من الجيد جدًا رؤيته. لأنني رغم محاولتي عدم فعل ذلك، عندما أنظر إليه الآن، لا أراه هو فقط؛ أرى إمكانية. أرى عدم الارتباط بزيارة دار رعاية كل يوم فقط لرؤية وجهه. أرى إمكانية مستقبل حقيقي معًا مرة أخرى، بمحادثات حقيقية ووجبات موعد غرامي وليا تزورنا في الكريسماس، ربما تشرب كأس نبيذ وتفتح الهدايا معنا. لأنه ربما إذا عاد إليّ، ستعود ليا أيضًا، ويمكن أن يصبح كل شيء بخير مرة أخرى. ربما أستطيع العيش مرة أخرى.

واقفة باستقامة، أبتعد عنه قبل أن تغمرني المشاعر. يجب أن أكون قوية، لأن لدي أسئلة بعد.

– "آخر مرة دخلت فيها عقله،" أقول، "على ذلك الشاطئ، ماذا حدث؟"

أنت بالفعل عند الشاشات، تدخل البيانات.

– "ستانلي نسي. هذا ما فعلته صنرايز به. جعلوه ينسى الأشياء. كنتِ سيئة الحظ بما يكفي لترين أحد الثقوب في ذاكرته—إحدى القطع التي تم محوها."

– "لكن لماذا لم يستطع توبي تذكر وجوده هناك؟"

تبدو مرتبكًا للحظة، ثم تهز كتفيك.

– "إنه رجل عجوز، أفترض. كانت لحظة غير ذات أهمية قبل عقود. لم يكن خارقًا. نسي أشياء هو الآخر."

أقطب جبيني، لأن هذا لا يبدو صحيحًا.

لماذا لا؟

كان هناك أكثر من ذلك، أنا متأكدة، لكنني لا أستطيع شرح السبب تمامًا.

سألتُ:

– "ما هي أوميغا؟"

توقفتَ عن النقر على الشاشة. التفتَّ إليّ، ببطء، مثل دمية متحركة، وجزء غريزي عميق مني يصرخ: *ما كان يجب أن تقولي ذلك.*

– "لماذا تسألين؟"

تراجعتُ خطوة لا إرادية للخلف.

– "توبي ذكرها. سأل عما فعلناه بخصوص أوميغا. أنا... أنا لم أعرف عما كان يتحدث."

هززت رأسك، منزعجًا.

– "ليس ذا صلة. ليس شيئًا تحتاجين لمعرفته."

– "لكن..." قلت، غير متأكدة فجأة، "بدا قلقًا؛ بدا..."

أخذتَ خطوتين نحوي، حتى أصبحت قريبًا بما يكفي للمس، وتلاشت كلماتي. أخذتَ يدي. صدمة كهربائية صغيرة سرت في ذراعي عندما لمس جلدك جلدي. إنه ناعم جدًا، أملس جدًا وخالٍ من العيوب، كأنك صُنعت من الحرير. كأنك زُرعت في حوض.

ملتَ نحوي، ووجهك قريب من وجهي.

— "ماغي، أفهم أنكِ خائفة، لكن هذا لن ينجح إلا إذا تعلمتِ الوثوق بي. تتصرفين وكأنني أسعى للنيل منك أو إيذائك بطريقة ما. أنا لا أستحق هذا. فكري: منذ اللحظة التي التقينا فيها، ساعدتك على تهريب زوجك من سجن لم تكوني تعرفين حتى أنه فيه. ساعدتك على إعادة الاتصال بذكرياته. عندما هربتِ من هنا، رغم أنك كنتِ دائمًا حرة في المغادرة، أنقذت حياتك. شفيت جسدك المكسور. طوال كل هذا، لم أؤذِكِ أو أؤذِ زوجك؛ لم أقيدك؛ لم أكذب عليك. ربما، بعد كل ما فعلته، يمكنك منحي لطف إظهار القليل من حسن النية؟"

ولا أعرف ماذا أقول.

سأل حسن:

— «هل تصدقينني؟»

— «نعم. أعني، أنا لا أجادل في حقيقة أي شيء قلته للتو. إنه صحيح، وعندما تسرده هكذا، يبدو واضحًا. إنه فقط...»

— «فقط ماذا؟»

— «لا يبدو كالحقيقة الكاملة. هناك جزء مني، غريزة حدسية غير منطقية، تخبرني أن هذه ليست القصة الكاملة. أنت تغفل بعض الأجزاء المهمة جدًا.»

— «ماذا تفعلين حيال ذلك؟»

— «أنظر لستانلي ثم للغرفة التي بها الكرسي والمغطس: مجرفة الذاكرة. الباب مفتوح، والمجرفة تجلس هناك، بانتظارنا. أفكر في

الاحتمالات التي تعرضها، وآخذ تلك الغريزة الحدسية وأسحقها. أدفنها عميقًا بداخلي. *أنت محق*، أفكر. *لم تفعل شيئًا سوى مساعدتي. حان الوقت لأرد الجميل.*

بمساعدتي، تنقل ستانلي للغرفة وتجلسه في الكرسي. يبدو أقل قلقًا من ذي قبل. ربما هو ببساطة أكثر فراغًا.

— "إلى أين تريدني أن أذهب؟"

— "هناك لحظة محددة نحتاج لرؤيتها. إنها ومضة، مخفية عن مسحاتي—وكأنها دُفنت عمدًا—وأحتاج منك الوصول إليها مباشرة. إنها هنا." تنقر الشاشة، ويظهر تاريخ: ١٧ مايو، ١٩٦٩.

أحدق فيه.

— "هل أنت جاد؟ لماذا ذلك اليوم؟"

يتصلب وجهك.

— "تعرفينه؟"

— "مستحيل أن أنساه أبدًا. إنه اليوم الذي تزوجنا فيه أنا وستانلي."

تقول بحذر:

— "هذا مثير جدًا للاهتمام."

— "لماذا؟"

— "لا أعرف بعد. عندما تدخلين، تأكدي من مراقبة كل ما تستطيعين، خاصة كل ما يتعلق بستانلي، لكن لا تتفاعلي. لا تتحدثي لنفسك، أو لستانلي، أو لأي شخص. إذا أبقيت نفسك بعيدة، سيقوم الدماغ ببساطة بمسحك خارج الذاكرة، كمحاربة عدوى."

— "لا أفهم. ظننت أنني ذاهبة للماضي."

تهز رأسك.

— "ليس تمامًا. كما في السابق، أنت تدخلين الفضاء الحدي بين الذاكرة والماضي. فكري في الأمر بهذه الطريقة: الماضي، مثل الذاكرة، يريد البقاء

كما هو. لا يحب التطفلات. إذا بقيتِ سمة من سمات الخلفية، مجرد مراقب، سيتجاهلك. لإحداث تغيير، تحتاجين لتعطيل سرد الأحداث بوعي. سأطلب منكِ ألا تفعلي ذلك."

— "لم لا؟"

ترفع حاجبيك.

— "إنه يوم زفافك. لا أريدك أن تفسديه."

بالكاد أستطيع التركيز وأنت تربط ستانلي في الآلة وأجهز نفسي للمغطس. كل ما أستطيع التفكير فيه هو: *زفافنا*. كان يومًا رائعًا——ذكرى جميلة——وفكرة القدرة على رؤية ذلك في الواقع بعد كل هذه السنوات تجعلني أئز بالإثارة. أنا مستهلكة جدًا بالفكرة وأنا أضع الخوذة فوق رأسي لدرجة أنني بالكاد ألاحظ تشغيلك للآلة حتى يختفي عالمي كله.

ثم يعود——قطعة بقطعة——لكنه أقل إرباكًا في كل مرة.

أعرف ما أتوقعه، وعقلي مستعد له. بدأت أعتاد على السفر.

مغمضة عيني قليلاً، أرفع يدي لحجب ضوء الشمس الساطع من الأعلى. آخذ نفسًا عميقًا من الهواء——هواء نقي حقًا——ويملأ رئتي كالعسل.

أنا هناك: قاعة كافهيتون في نورثمبرلاند. ما زلت أتذكر المرة الأولى التي وقعت فيها عيناي على المنزل الريفي الإنجليزي الذي يعود لقرون. عندما كنت مراهقة، لم أعتقد أبدًا أنني سأتزوج أصلاً، ناهيك عن مكان فخم كهذا. لكن ستانلي كان لديه الكثير من المال المدخر من مجموعة من وظائف البحث المختلفة التي قام بها في عشرينياته. لم أسأل كثيرًا عن ذلك حينها، لأنني عندما كنت أفعل، كان ينغلق على نفسه، لكنني بدأت أدرك ما لا بد أن بعض تلك الأبحاث تضمنه.

نحن في نورثمبرلاند لأن عائلتي من هناك. لم يكونوا أغنياء——أو، على الأقل، لم يأتوا من مال موروث——لكنهم تمكنوا من تسلق درجة طبقية أو

اثنتين في حياتهم وكان لديهم غرور هائل لإثبات ذلك. بدا دائمًا أن الزفاف، بالنسبة لهم، فرصة للتباهي أمام الأصدقاء والعائلة بمدى نجاحهم أكثر مما كان له علاقة بي. يلخص هذا نشأتي، رغم ذلك، أفترض. كيف تبدو للآخرين يتفوق على كل اهتمام آخر. كادوا يتبرأون مني عندما بدأت أظهر مخمورة وأرتدي ملابس شعروا أنها ستُنتقد من قبل الآخرين، لكن الآن، زفاف، فرصة للتباهي بي، وكان الأمر وكأننا لم نكن إلا على أفضل حال.

لم يتحدث ستان عن عائلته—فقط أمه حصلت على دعوة للزفاف، ولم تحضر. وجد والداي هذا محيرًا لكنهما تمكنا بالكاد من عدم التعليق.

أستطيع رؤية الضيوف في البعيد، يبدؤون في الوصول. سيارات الأجرة تصعد الممر الأمامي الطويل، المؤطر بالأشجار على الجانبين. كل ما حولنا ليس سوى أميال وأميال من الريف.

أنا على بعد حوالي مائة ياردة من القاعة، في حقل. الله يعلم لماذا أسقطتني الذاكرة هنا. أنا متأكدة أنني أبدو في غير محلي—امرأة عجوز تقف في حقل—لكنني أتذكر ما قلته، عن كوني لن أُرى إذا اكتفيت بالمراقبة، لذا أمشي نحو القاعة.

بينما أنسل للداخل، يعود كل شيء إليّ: زينة الطاولات، الكعكة، قائمة الضيوف اللعينة. كل الجدالات مع أمي حول من قالت إنه يجب أن يكون هناك، رغم حقيقة أنني وستانلي أردنا زفافًا صغيرًا، ورغم حقيقة أن جانب ستانلي من قائمة الضيوف تألف من حوالي أربعة أشخاص وجانب أمي كان به أكثر من أربعين. يا إلهي، مرت خمسون عامًا، وما زلت غاضبة بشأن ذلك.

رغم أنه لم يكن لدي الكثير من الأصدقاء لأدعوهم على أي حال—كلهم كانوا أشخاصًا قابلتهم بعد ستانلي، من خلال وظيفة الجمعية الخيرية أو الفعاليات المجتمعية المحلية. كل من اعتبرته صديقًا في أوائل

عشرينياتي ضاع في ضباب الزمن خلال بضع سنوات. لم يكن لدينا أرقام هواتف محمولة حينها، وكان من المستحيل تقريبًا تعقب شخص ما إذا لم يكن لديه عنوان ثابت.

الساعة على الحائط تشير للواحدة وثلاث عشرة دقيقة، والمراسم في الثانية تمامًا. لا بد أنني في الطابق العلوي، أستعد. وصيفتي، ليندا، تحاول جعلي أشرب زجاجة شامبانيتا كاملة لتهدئة أعصابي. التفكير فيها يجلب وخزة لقلبي. ماتت قبل سبع سنوات. سرطان الثدي.

رغم رغبتي العارمة في الذهاب لرؤيتها، ما زالت حية وتضحك، أتذكر سبب وجودي هنا. لإيجاد ستانلي.

سيكون في الجناح المجاور مع إشبينه، هيوغو، في هذه اللحظة. تاركة التحضيرات في الطابق السفلي، أبدأ في صعود الدرج عندما أشهق.

أمي، بكل مجدها الأمومي، تنقض نحوي. يدور عقلي عبر مليون عاطفة: كم لا أطيقها، كم هي مثيرة للغضب، كم أفتقدها، كم أريد فقط إيقافها وإخبارها أنني أحبها قبل أن تموت وترحل.

أنا أكبر بحوالي ثلاثين عامًا مما هي أمي في هذه اللحظة، ومجرد رؤيتها تجعلني أشعر وكأنني طفلة مرة أخرى.

لكنها لا تلاحظني حتى.

إنها في وضع مدير المشروع الكامل، وأنا مجرد سيدة عجوز أخرى—ربما عاملة نظافة أو بائعة زهور—ليس لديها وقت للتحدث معها. مندفعة بجانبي، تنادي أبي بصوت حاد وتقتحم الغرفة التالية.

آخذ نفسًا عميقًا. ركزي. *ليس هذا سبب وجودك هنا.*

عندما أصل لقمة الدرج والممر الطويل الذي يربط جميع غرف الطابق العلوي، أرى ستانلي يخرج إليه. ظهره لي، يستدير تمامًا وهو يخرج من الغرفة، وأقاوم الرغبة في الركض إليه، واحتضانه من الخلف في عناق عملاق.

يبدأ المشي مبتعدًا، وأتبعه، بهدوء، حتى يصل لمجموعة السلالم على الجانب الغربي للمنزل. إنه بكامل أناقته للمناسبة، بالبدلة والحذاء، لكنه وحيد. أتساءل أين هيوغو.

عند قمة السلالم، يتوقف. ينتظر لحوالي خمس ثوانٍ، ربما أكثر، فاركًا يديه معًا. يبدو متوترًا، قلقًا حتى، لكن هذا منطقي. أتذكر كم كان متوترًا في يوم زفافنا. أتذكر كم كان ذلك لطيفًا، وكيف استرخى بعد الوجبة الرئيسية. إنه يكره الخطابات حقًا.

أتبع، مبقية مسافة آمنة، لكن مع كل خطوة، ينمو عدم ارتياح بداخلي، شعور بأن شيئًا ما ليس صحيحًا.

لماذا؟

إنه لا ينزل لغرفة المراسم أو منطقة الاستقبال الرئيسية. يمشي مباشرة خارج المبنى وعبر الممر، متجهًا للحقل. زفافنا بعد ما يزيد قليلاً عن نصف ساعة. كان هناك. لم يتأخر. إلى أين يذهب؟»

سأل حسن:

– «ما زلتِ تتبعينه؟»

– «نعم—كيف لي ألا أفعل؟ سرع من وتيرته، لكن يبدو الأمر نابعًا من قلق ناهش أكثر منه استعجالًا. قطعنا لمنطقة الغابة ونحن نمشي عبر الشجيرات لدقيقة جيدة أو دقيقتين الآن: هو بكامل أناقته ببدلته المكونة من ثلاث قطع، مستعد للزواج، وأنا خلفه بعشرين أو ثلاثين ياردة، أكافح للمواكبة. يمشي بتصميم شديد لدرجة أنه لا ينظر حوله أبدًا.

بعد بضع خطوات، أرى إلى أين يتجه. في مقدمة الممر الطويل، بالقرب من حيث تبدأ أراضي الملكية، يوجد بيت الحارس. أخبرنا الملاك أنه مهجور، وخرج من الاستخدام في العشرينيات. إنه أشبه بأثر الآن، يغرق في انحلال متزايد باستمرار.

يلوح في الأفق ونحن نخرج من دغل الأشجار—أحجاره مكسورة وموحلة؛ النوافذ بلا زجاج، مجرد ثقوب مفتوحة للكروم والنباتات المتسلقة للتسلل للداخل. بينما أقترب، تنجرف رائحة الخزامى عبر الهواء.

يدخل بيت الحارس، دافعًا الباب الخشبي المتداعي، المعلق بالكاد على مفصلاته. يصر بصوت عالٍ لدرجة أنني أقفز. لم أدرك كم كان المكان هادئًا هنا.

أقترب ببطء، غير متأكدة من المسافة التي يجب أن أبقيها. أتذكر تحذيرك، لكنني أحتاج لمعرفة ما يفعله هناك. حدث هذا قبل نصف ساعة فقط من زواجنا. كيف لم أعرف؟ ما الذي كان يخفيه عني أيضًا طوال هذه السنوات؟

للحظة، أظن أنني أشم شيئًا نفاذًا، مثل البنزين. لكن رائحة الخزامى ترتفع فوقه وأنا أقترب من الباب، طاغية على كل شيء آخر تقريبًا، وتضربني ذكرى مفاجئة كقطار: ستانلي يطالب بأن نطلب كميات من باقات الخزامى للاستقبال؛ أنا محتارة لكنني أذعن بسعادة؛ بائعو الزهور يخبروننا في يوم زفافنا أنهم لا بد ارتكبوا خطأً، أن كل الزهور التي طلبناها اختفت.

هل هي هنا؟ هل أخفاها ستانلي؟

لماذا؟

أدفع الباب.

أول شيء أراه هو ستانلي يشعل عود ثقاب ويسقطه. كومة من الخشب تحته تنفجر في اللهب. مدفوعة بالبنزين، تنطلق النار في كل أرجاء الغرفة—عبر الأرضية، أعلى الجدران والسقف. هناك رموز على الجدران، مرسومة بما آمل بشدة أن يكون طلاءً أحمر وليس دمًا. تبدو قديمة، مثل الهيروغليفية المصرية أو الكتابة المسمارية البابلية.

في كل أرجاء الغرفة زهور وأعشاب: معظمها خزامى، لكنني أرى مزيجًا من الياسمين والوستارية أيضًا. إنها زهور زفاف، بشرائط ونباتات زينة. تبدو في غير محلها تمامًا. بعد انفجار اللهب الأولي، تحترق النار في المركز الآن وتطقطق بسعادة، مضيئة الداخل المظلم.

يقف ستانلي أمامها. يستدير، لكن وجهه مقنع في صورة ظلية. يقول:

— "لدينا ثماني دقائق. أي أكثر من ذلك وسيفقد الملاذ سلامته."

يخطو للأمام، ويكشفه الضوء. لديه ابتسامة ضخمة على وجهه.

— "ماغي. إنها أنتِ حقًا. لم أكن متأكدًا أنني سأراكِ مرة أخرى."

أحدق، غير قادرة على استيعاب تمامًا أن ستانلي، الرجل ابن الثانية والثلاثين الذي تزوجته، والذي يبدو أكثر وسامة وسحرًا الآن من اليوم الذي قابلته فيه، ينظر إليّ. يتحدث إليّ، كأنه توقع وجودي هنا.

— "أردت أن أصدق،" يقول، "لكن مرت سنوات. أنا... لم أظن أنكِ ستأتين."

— "ليس من المفترض بي التحدث إليك." أقول. إنه الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير في قوله.

يأخذ بضع خطوات أخرى للأمام، ثم يأخذ يدي في يده.

— "ومنذ متى فعلتِ ما هو مفترض بكِ، يا عزيزتي؟"

وأذوب. أنهار فيه وحسب. يمسكني بين ذراعيه ويضمني بقوة، ساحبًا إياي إليه. أنظر إليه، ويقبل جبيني، ثم شفتي، ويرتجف جسدي كله. لا أعرف منذ متى لم أقبَّل.

أجفل حينها، مدركة أين أنا، ومن أنا، وأنسحب بعيدًا عنه.

— "ستان،" أتمتم، محاولة منع الدموع من عيني. "لا أستطيع... أنا لست... أنا عجوز جدًا."

لا يدعني أذهب—ليس كليًا. يمسك يدي وأنا أستقيم، وعيناه مليئتان بالعاطفة.

— "أنتِ جميلة. لطالما كنتِ جميلة."

ثم تأتي الدموع. تترقرق على وجهي.

— "اشتقت إليك كثيرًا،" أتمكن من القول. "حاولت جاهدة، لكن... لكنني..."

— "لا بأس،" يقول. "أعرف. أتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت، لكننا لا نملك. كان هذا أفضل ما استطعت تدبيره. هناك قوى أقوى بكثير تعمل."

تغير نبرته يسحبني عائدة للواقع. *تماسكي يا ماغي*، أفكر وأنا أستقيم. *أياً كان هذا، فهو مهم.*

— "ما الذي يحدث؟"

— "لدي الكثير لأخبرك به." يعض شفته. "الكثير مما تحتاجين لمعرفته، لكن عليّ القيام بهذا بشكل صحيح. لدي فرصة واحدة فقط. ما التاريخ حيث أنتِ؟"

— "١٠ أغسطس، ٢٠٢١."

يومئ.

— "كنتِ محقة. بالكاد مر يوم."

— "ماذا تعني؟"

— "هذه ليست المرة الأولى التي نتحدث فيها لبعضنا عبر العقود." ينظر للأرض، لقدميه. ينكسر صوته. "في الواقع، أعتقد أن هذه آخر مرة أفعل فيها ذلك أبدًا، وذلك ينفد بالفعل."

أسحبه أقرب.

— "ماذا يمكنني أن أفعل؟ قدتني إلى هنا لتتحدث معي—لماذا؟"

– "لأنكِ أخبرتني أن أفعل، من قبل. في ماضيّ. في مستقبلكِ، أعتقد. أخبرتني أن أكون هنا في هذا الوقت بالضبط وأن أنصب الحمايات حتى نتمكن من التحدث. أخبرتني أنه ضروري. كانت نقطة التحول."

أقبض على يده في يدي، مستمتعة بلمسته وأنا أحاول استيعاب كل شيء.

– "وماذا أخبرتك أن تقول؟"

– "أنني سأحتاج إليك قريبًا، في المرة القادمة التي تعودين فيها. سأحتاج منكِ أن تكوني صبورة معي، أن تكوني هناك لأجلي عندما أكون في أدنى حالاتي. تحتاجين للعثور عليّ في تاريخين: ٩ نوفمبر، ١٩٦١، و٧ أكتوبر، ١٩٦٣. كوني هناك. أنا أعتمد عليكِ."

آخذ نفسًا عميقًا، مغلقة عيني ومكررة التواريخ لنفسي ثلاث أو أربع مرات. ثم أنظر إليه.

– "كم مرة رأيتني من قبل—أعني، أنا هكذا، أنا العجوز؟"

ينكسر وجهه في ابتسامة مجيدة.

– "أوه، يا ماغي، ليس لديك أدنى فكرة."

أريد رمي نفسي عليه مرة أخرى. أريد أن أقبّل مرة أخرى، أن أفقد نفسي في عناقه، أن أنسى كل شيء حولنا. لكنني لا أستطيع.

– "هناك المزيد،" أقول، "أليس كذلك؟"

يومئ بجدية.

– "هناك رجل معكِ في حاضرك—حسن. مهما قال، لا يمكن الوثوق به."

كِدت أضحك.

– "في الواقع لا أعتقد أنني احتجتك لتخبرني بذلك."

– "أوه،" قال، "وعندما ترينني، قد ترغبين في اقتراح رحلة لأستراليا."

– "أستراليا؟ تعني تلك العطلة التي كنت تتحدث عنها دائمًا؟ وماذا يريد حسن؟ و..." أتوقف. لا نهاية لأسئلتي.

يفتح فمه، لكن لا شيء يخرج. يتجعد وجهه في إحباط.

– "أنا آسف يا ماغي. لا أستطيع. هناك الكثير على المحك. مفارقات التمهيد (Bootstrap paradoxes). أحداث يجب أن تقع بترتيب معين. أتمنى لو استطعت، لكن..."

– "لا بأس،" أقول، عارفة ذنبه، راغبة في فعل أي شيء لتهدئته. "أخبرني ما تستطيع."

– "هناك لعبة أكبر تعمل هنا مما تدركين. بعضنا بيادق، وبعضنا لاعبون. أفضل حماية لكِ الآن هي إبقاء حسن يظن أنكِ بيدق. ابقيه يظن أنه يمكن التلاعب بك. وعندما يهم الأمر، عندما يحين الوقت، اذهبي لثاموس وثيوت. تذكري ذلك. لا تخبري أحدًا."

– "ثاموس وثيوت،" أردد خلفه، متبوعًا بذكر التاريخين وأستراليا. "هذا كثير لنتذكره."

– "ستتذكرين. أعدك. لقد تذكرتِ بالفعل." ينظر لساعته ويطلق تنهيدة. "الوقت نفد تقريبًا."

– "لا،" أقول، شادة يده، جاذبة إياه قربي. أريد الشعور بجسده حول جسدي. أحتاج للشعور بشكله. يذعن، مغلفًا إياي بالكامل وأنا أضغط وجهي فيه.

– "لدي زفاف لأذهب إليه،" يقول، وأطلق دفعة صغيرة تقع في مكان ما بين الشهقة والضحكة. أنا متكورة في صدره، أبكي فيه.

يا إلهي—لقد ظهر في المراسم وبقعة مبللة على قميصه. أتذكر ذلك بوضوح شديد. أخبرني أنه سكب الماء عليها، ومازحته لكونه أخرق جدًا في يوم زفافنا. لكنه لم يكن ماءً. لم يكن ماءً أبدًا.

همستُ:

– "لا تدعني أذهب. لا تدعني أذهب أبدًا. أريد البقاء هنا معك."

— "سيكون كل شيء بخير،" يرد، وصوته ناعم. "تذكري أنني أحبك. سأذهب لداخل ذلك المنزل الآن وأثبت ذلك. لقد أحببتك دائمًا، حتى قبل أن تقابليني. أحبك هنا، وأحبك هناك في الخارج، الآن، دائمًا، للأبد. مهما أُخذ أي شيء آخر، لا يمكنهم أخذ ذلك منا."

أفلتني، وشعرت كأنني أسقطت في وسط محيط—وحيدة، باردة، أغرق. تفقد ساعته وهو يخطو بجانبي ويمشي خارجًا من بيت الحارس، عائدًا عبر الحقل، ونحو المنزل.

وقفتُ في تلك الغرفة وبكيت لفترة. ليس طويلاً—فقط طويلاً بما يكفي لأجمع شتات نفسي.

لا أستطيع البقاء هنا للأبد. هناك زفاف على وشك الحدوث، ولن أفوته لأي شيء في العالم.

بحلول وقت عودتي للمنزل، كانت المراسم على وشك البدء. ستانلي يقف بالفعل في مقدمة الممر مع هيوغو. الجميع في مقاعدهم، ينتظرون بترقب، وشخص يعزف شوبيرت على البيانو.

أدخل من الباب الخلفي، متسللة لمؤخرة الغرفة وباقية بعيدًا عن الأنظار. ولا أعرف إن كانت مصادفة أم معرفة لاواعية جذبتني لهذه البقعة، لكنني أدرك بالضبط أين أنا.

أنا حيث انتظرتُ قبل أن أمشي في الممر.

ألتفت، وها أنا ذا.

ها هي ذي.

أكثر جمالاً مما تخيلت نفسي أبدًا—الفستان، الشعر، الابتسامة. إنها ملاك. إنها مثالية.

وفكرت: *لا يمكن أن يكون هذا الماضي، الحقيقة الموضوعية لما كنت أبدو عليه. لا أحد يبدو بذلك الجمال. هذه ذكريات ستان، لكن حينها، كيف أؤثر في الأشياء؟*

– «هذا ليس ذا صلة.»

– «إلا أنه كذلك. لدي رغبة مفاجئة في المعرفة، في الفهم. أقترب منها وأقف في طريقها، مباشرة في طريقها بحيث تضطر لملاحظة وجودي.»

– «تلك ليست فكرة جيدة. أخبرتكِ أن تكتفي بالمراقبة.»

– «تستطرد هي: "هل يمكنني مساعدتكِ؟"»

– «هذا خطأ.»

– «قلت لها: "الموز يطير إلى الجبل الأسود". إنه هراء، لكنني أريدها أن تتذكره. أفكر: *مستحيل أن أنسى امرأة عجوز خرفة تخبرني عن الموز في الجبل الأسود قبل لحظات من مشيي في الممر. مستحيل.*

وماذا يحدث؟

لا أتذكر ذلك. في ذاكرتي، لا يوجد أحد هناك. هناك فقط الممر والزفاف والاستقبال الجميل الذي تلاه.

هذا لا يبدو منطقيًا.»

– «إنه يحدث.»

– «يا إلهي. ماذا يحدث؟»

– «ما كان يجب أن تتحدثي إليها. كان يجب أن تمشي مبتعدة.»

– «لا أستطيع اختيار ما أفعله في الماضي يا حسن! لقد تم بالفعل. تخطو حولي، وتبدو محتارة بشكل مفهوم لكنها تفترض على الأرجح أنني عمة مجنونة. لا وقت لديها للقلق بشأني. تغيرت الموسيقى.

حان وقت العرض.»

– «ألن تغادري؟»

– «لا يا حسن. سأبقى، وسأشاهد كالحمقاء. لأنني لا أستطيع منع نفسي. إنه زفافي. أحتاج لرؤيته يحدث.

إنها في أبهى صورها. إنها وحيدة، العلاقة مع أبي متوترة جدًا لدرجة تجعل مشيه معها في الممر أي شيء غير محرج، لكن ذلك لا يهم. تمشي بخبرة

مائة ساعة تدريب، تذرع غرفتها جيئة وذهابًا، حالمة بهذه اللحظة. إنها تتشمس فيها.

يلقي ستانلي نظرة عليها—لا يستطيع منع نفسه—وأستطيع رؤية الذهول على وجهه، كأنه ينظر لإحدى عجائب العالم القديم أو ولادة شمس جديدة.

تصل للمقدمة، ويقفان جنبًا إلى جنب، مستعدين للمسجل لإجراء المراسم، لنطق الكلمات التي كانا ينتظرانها طويلاً.

لكن المسجلة ليست هناك.

يسقط قلبي لمعدتي.

في مكانها، هناك عدم ملتوي، فارغ، ومقرز. كتمزق في نسيج الكون. يفتح فاه للخارج ويستهلك المنصة التي كانت أمامها، الطاولات والكتب على الجانب.

ترتفع صرخات من المقاعد—يستطيعون رؤيته أيضًا. يتعثر الناس فوق بعضهم البعض، متراجعين للخلف.

لكن الفراغ ينمو، ممتدًا للخارج كأنه جائع للمزيد. يأخذ ويأخذ ويأخذ. الزهور، الزينة، السقف.

يتعثر ستانلي للخلف، محاولاً سحب ماغي—ماغي الشابة—معه، لكن كل ما تستطيع فعله هو التحديق. يتعثر، ساقطًا على الأرض بينما ينتشر الفراغ ويغلفها ويبتلعها بالكامل.

— "لا!" يصرخ ستانلي، لكنني بالكاد أسمعه فوق كل الآخرين. أنا متجمدة في مكاني، غير قادرة على الحركة، وأنا أشاهد هذا الشيء ينتشر ويبتلع المزيد والمزيد من الضيوف، الكراسي، المبنى نفسه.

يدفع الناس بعضهم البعض، يصرخون، يتعثرون بالزينة.

يندفع ستانلي نحوي ويمسكني من كتفيّ، والفراغ حار خلفه. عيناه واسعتان. إنهما ذعر مقطر.

— "هذا خطأ،" يقول. "ليس مفترضًا لهذا أن يحدث."

بدفعة، يدفعني بعيدًا عنه.

— "اركضي!"

أتعثر في ركضة، أو أقرب ما يمكن لركضة أستطيعه هذه الأيام. قلبي يقرع في صدري، وجسدي كله يرتجف.

أصل للباب الخلفي وإلى الممر. أستدير لأرى المنزل بأكمله محاطًا بالفراغ وكل من فيه مستهلك: ستانلي، الضيوف، أنا نفسي.

اختفوا.

هناك آخرون يركضون، ينتشرون في الحقل، لكن بينما أشاهده، أدرك أنه عبث.

لا هروب من هذا الشيء. لا توجد قوة تستطيع محاربته.

آخذ المخرج الوحيد الممكن: متوجسة لتلك الجذبة في مؤخرة عقلي، تلك التي تمسكت بها آخر مرة غصت فيها، وأجذب للخلف. أمزق نفسي للأعلى وخارج الذاكرة بينما الفراغ المحيط على وشك لمسي——

وأنا مستيقظة.

أنا في المغطس، في المعهد.

والزفاف ذهب. ذهب.»

— «نعم.»

— «أنا... لا أستطيع تذكره. لا أستطيع تذكر الزواج. ليس فقط حينها، في المعهد، بل الآن، هنا، في هذا المسبح الملعون. أستطيع تذكر كل شيء حتى تلك اللحظة، لكنني لا أستطيع تذكر زفافي بعد الآن. لماذا لا أستطيع تذكره؟»

— «لأنه ذهب.»

— «ماذا تعني بذهب؟ ظننت أن هذه الحبة من المفترض أن تساعدني على تذكر كل شيء. كيف يمكن أن أكون...»

— «إنها، لسوء الحظ، ليست مسألة ذاكرة. لن يتذكره أحد أبدًا. لقد أُخذ. لقد ذهب. للأبد. لم يعد قد حدث.»

— «ماذا؟! لكنني أعلم أنني متزوجة؛ أعلم أنه حدث. أنا فقط لا أستطيع الوصول لـ... لـ...»

— «لا. لقد مُحي من الماضي. لم يعد قد حدث، لأي أحد. اليوم لم يحدث أبدًا. لديكِ مجرد ذكرى لذاكرة زفافك. للأوقات التي فكرتِ فيها في المفهوم، لاحقًا، لكن ليس للحدث الفعلي. لقد مُحي من الماضي.»

— «بحق يسوع المسيح يا حسن، ماذا فعلت؟»

— «أنا لم أفعل شيئًا. أنتِ اخترتِ الانحراف عن المسار، التأثير في الأحداث. لقد واجهتِ أوميغا—الكلمة الأخيرة. نهاية كل شيء. كنت آمل ألا يصل الأمر لهذا.»

— «إذن ما أخبرتني به من قبل، عن اختفاء الشاطئ، عندما قلت إن ذلك كان مجرد ستانلي وتوبي ينسيان...»

— «كذبت. لم يكونا ينسيان. تلك اللحظة أُخذت أيضًا من الماضي.»

— «هذا كل شيء؟ هذا كل ما لديك لقوله؟ كذبت؟»

— «كان خطأً يا ماغي. كما رأينا للتو، كلنا نرتكب أخطاء. في مواجهة قوى كهذه، لا تكوني سريعة الحكم على أخطائي.»

— «قوى كهذه؟ هذا جنون. هذا جنون مطبق.»

— «لماذا تظنين أنني كنت مركزًا جدًا يا ماغي؟ لماذا تظنين أننا هنا، مُبقون في هذا المسبح؟ إنه يبقينا آمنين، تمامًا كما يمنع قفص فاراداي المجالات الكهرومغناطيسية. هناك حمايات فوق حمايات هنا.»

— «حمايات من أوميغا؟»

— «قبل سنوات عديدة، أجرى ستانلي تجربة، وأطلق العنان لشيء كان خاملاً لآلاف السنين التي لا تحصى—قوة بدائية تفوق فهمنا. إنها تصطاد يا ماغي. تصطاده وتصطاد كل من كان في تلك الغرفة. إنها جائعة، ولن

تشبع أبدًا. ولهذا يفقد ذكرياته—قطع من ماضيه تُستهلك بواسطتها. وقريبًا، بمجرد أن تنتهي، ستنتشر لنا جميعًا أيضًا.»

— «يا إلهي.»

— «أنا أحاول إيقافها. لهذا أضغط عليكِ بإلحاح شديد. كانت لدينا أنظمة—طبقات فوق طبقات لإبقائها محتواة—لكنها تضرب بعنف. بالكاد نستطيع إبقاءها بعيدًا، لكننا نحتاج للصورة الكاملة. للحصول على ذلك، نحتاج لستانلي. هو وحده يعرف كيف يوقفها تمامًا. هو وحده اكتشف الحل، وفي ذاكرتكِ في مكان ما—هذه الذاكرة التي تسردينها لي—يوجد مفتاح لمكان إخفائه.»

— «حسن، أنا... لا أعرف.»

— «ليس بعد، لا. لكنكِ كنتِ بالفعل أكثر فائدة مما تدركين. أبقتني صنرايز خارجًا لفترة طويلة. بدونكِ، لم أكن لأحقق شيئًا من هذا. يجب أن نستمر. كل شيء يعتمد على ذلك. لم يتبق الكثير من الوقت. أنتِ عدتِ للمعهد—هل هناك أي تفاصيل أخرى يمكنك تذكرها؟»

— «أنا أتنفس بصعوبة وسرعة، فرط تهوية. لا أستطيع إدخال الهواء لرئتي بسرعة كافية. رعب ما رأيته لتوّي، ذلك الفراغ المستحيل الشاسع، عالق في ذهني. تسألني أسئلة، لكنني لا أستطيع التركيز على أي شيء يتجاوز الذعر. أكافح للتنفس، أكافح للجلوس أو الاستلقاء.

تحقن شيئًا في ذراعي، ويتباطأ تنفسي. أتمكن من الاستلقاء، تاركة عقلي يخفف الضغط. يسري تعب خلالي كالدبس، كالقطران، ضاغطًا إياي للخلف ضد حافة المغطس.

أنظر ليميني وأرى ستانلي بجانبي الآن، نائمًا بسلام. أتساءل إن كنت أعطيته الشيء نفسه.

تسألني وأنت تميل فوقي:

— "ماذا رأيتِ؟ ماذا حدث؟"

— "ماذا أعطيتني؟"

— "مهدئ. لتهدئة أعصابك. لا شيء أكثر. عليكِ إخباري بما رأيته في ذلك الغوص."

أحاول إخبارك بأفضل ما أستطيع. رأسي دائر قليلاً من الدواء الذي أعطيتني إياه لتوّك، وأعتقد أن بعضه يخرج مشوشًا. أخبرك عن الزفاف، وعن ستانلي.

— "كان ينتظركِ هناك؟"

يحتبس نفسي في حلقي. لا أريد إخبارك. لا يجب أن أفعل، لأنني أعلم أنه لا يمكن الوثوق بك. لكنك تقف فوقي بتوقع شديد، وكلمات ستانلي تتردد في رأسي.

أفضل حماية لكِ الآن هي إبقاء حسن يظن أنكِ بيدق.

— "نعم،" أقول ببطء، وازنة ما أقول وما لا أقول. "نعم، لقد رتب الأمر لنا."

— "رتب ماذا؟ صفيه لي."

وهكذا أخبرك: عن النار، عن الزهور، عن الرموز على الجدران. تضغط علي لمزيد من التفاصيل وأنا أتحدث—أي زهور، بالضبط؟ كيف بدت الرموز؟ ماذا قال لكِ؟—وأحاول الشرح بأفضل ما أستطيع، بينما أترك بعض التفاصيل الصغيرة خارجًا طوال الوقت. تضغط أكثر، منحنيًا فوقي كنسر. هذا أكثر شغف رأيتك عليه أبدًا.

أقول، قاطعة بقية محادثتنا تمامًا:

— "قال فقط إنه يحتاجني لأكون هناك لأجله، في مستقبلي. قال إنه يحتاجني للاستمرار في العودة. كان ذلك كل شيء. ثم أصبح كل شيء..." أهز رأسي. كل شيء بعد تلك اللحظة ذهب. فراغ. لم يحدث أبدًا.»

— «ومع ذلك تخبرينني بكل شيء الآن، حتى الأشياء التي اخترتِ إخفاءها عني حينها.»

— «نعم.»

— «لماذا؟»

— «لأنني متعبة يا حسن. لأنني أريد لهذا كله أن ينتهي. ولأنني حاولت بوضوح الكذب عليك في الماضي وانظر إلى أين أوصلني ذلك: مخدرة ومستجوبة في مسبح لعين. بوضوح، أياً كان ما حاولت فعله لم ينجح. لم ينقذ ستانلي.»

— «بالفعل. وكيف أرد على كشوفاتك؟»

— «تومئ برأسك، مبتسمًا. تبدو مسرورًا باكتشافاتك. تبتعد عن المغطس لتفقد ستانلي، وأشعر بالمهدئ يأخذ مفعوله الكامل. أغلق عيني، مطلقة نفسًا طويلاً وعميقًا.

لكن بينما يستقر الصمت عليّ، أفتح عينًا واحدة قليلاً. أنت منحنٍ فوق ستانلي، تتفحص وجهه النائم. تخرج سيجارة وتشعلها، آخذًا نفثة طويلة بينما تتراقص خيوط الدخان في الهواء فوق رأسك.

أفترض أنك تظن أنني نائمة، وأنك وحيد في الغرفة، لأنني بينما أراقبك تميل نحوه، أسمعك تتمتم بأغرب شيء.

تهمس:

— "حصان إلى ملك ٥، يا صديقي القديم. كش."»

١٤

ستانلي
١٩٦٠

لم يعرف ستانلي تمامًا ما الذي حدث. تذكر ما كانت خطتهم. تذكر حديثه على الشرفة مع راف فوق كأس من الشمبانيا. تذكر الإثارة التي جاءت مع اختراق حاجز الذاكرة. ثم—

كان هناك ثلاثة أشخاص في غرفة التجربة أمامهم. اثنان ميتان، دمهما ينزّ ببطء من جسديهما وعبر الأرضية المصفحة البيضاء، ينزّ كالعسل المنسكب. والثالث نظر عائدًا لستانلي—وجه فارغ، جفون متدلية—وكأن روحه ذاتها قد غُرِفت منه.

لم يعرف من يكون أي منهم. لم يرهم قط في حياته من قبل.

لم يقل أحد شيئًا. كان دماغ ستانلي في حالة ذعر، كأن ألف صوت تصرخ في وقت واحد وكان عاجزًا عن التركيز بشكل صحيح على ما يُقال. كلما نظر للجثث في الغرفة الأخرى، فكر في العثور على جثة والدمان، تتدلى من ذلك الحبل.

همس راف في النهاية، محدقًا في الغرباء. كلهم كانوا يحدقون.

— «ماذا سنفعل؟ ما الذي نفعله بحق الجحيم؟»

ألقى ستانلي نظرة على جاك وراف. وقف جاك بلا حراك، كروبوت. كآلة تجري حسابات. وجه راف شحب، ويداه ترتجفان.

قال ستانلي، لاجئًا لشيء قد يمنحه بعض القوة على الموقف، بعض مظهر السيطرة:

– «نحتاج لمعرفة من يكونون.»

تمتم راف:

– «لقد جننا جميعًا. نوع من الهستيريا الجماعية. أو فقدان ذاكرة. هذا لا يبدو منطقيًا.»

رد ستانلي:

– «لا. لا، لن أصدق ذلك. هناك تفسير هنا، في مكان ما. أتذكر... أتذكر لماذا كانوا هنا. كنا نجري تجربة ذاكرة، غوصًا.»

قال جاك، وصوته كالفولاذ:

– «نعم. أتذكر أنني تذكرتهم، لكن ليس الأشخاص أنفسهم—تعرفون ما أعنيه؟»

همس ستانلي:

– «الـ... مفهوم عنهم هو... أتذكر أنه كان لدينا موظفون، لكن عندما أحاول تخيلهم فعليًا...»

قال جاك:

– «إنهم ليسوا هناك. أزيلوا. لا أعرف شيئًا عنهم.»

كان راف عاجزًا عن الكلام. أمسك رأسه بين يديه، محدقًا في الفضاء.

قلب ستانلي في الملفات أمامه في محاولة للحصول على مزيد من المعلومات، لكن بينما يقلب الصفحات، اتسعت عيناه رعبًا. كانت مكتوبة بخط يده. كان يجب أن تحدد من هو الخاضع للتجربة، من سيشارك في الإجراء، وخطة كل مرحلة.

مساحات كاملة منها كانت فارغة.

كانت هناك أقسام صغيرة متبقية: ملاحظات حول الأدوية التي يعطونها، إشارات لجاك، وراف، وستانلي نفسه. لكن بمجرد أن تمس

الملاحظات أي شيء له علاقة بالأشخاص الثلاثة في تلك الغرفة، كانت الصفحة فارغة وحسب. وكأن شيئًا لم يُكتب هناك أبدًا على الإطلاق.

نمت فقاعة مقززة في معدة ستانلي.

— «لا أعتقد أن هذه مجرد مشكلة ذاكرة.»

التفت جاك إليه، وجسده كله يتحرك كمسلة.

— «ماذا تعني؟»

— «ماذا لو لم ننسهم؟ ماذا لو... أعتقد ربما أنهم لم يعودوا موجودين. أعتقد أنهم لم يوجدوا أبدًا.»

طالب راف، وقبضتاه مشدودتان على الطاولة أمامه:

— «ما الذي تتحدث عنه بحق الجحيم؟ أستطيع رؤية جثثهم. أستطيع رؤيتهم. هل ستخبرني أنهم ليسوا هناك؟»

هز رأسه.

— «لا أعرف. لكنني... أعتقد أنهم مجرد أجساد. مثل أوعية فارغة. مثل بدلات من جلد. لا أعتقد أن هناك أي شيء آخر هناك.»

أشار راف للرجل.

— «أخبر هذا للرجل الذي لا يزال حيًا.»

قال ستانلي، وفقاعة الرعب تتضخم بداخله، دافعة جدران جسده:

— «راف، انظر إليه. أعني، انظر حقًا. إنه يتنفس، لكن لا أعتقد أنك تستطيع وصفه بأنه حي.»

انهار راف في كرسي.

— «ماذا فعلنا؟ يا إلهي—نحتاج لطلب إسعاف. نحتاج للاتصال بالشرطة. إحضار شخص ما هنا لـ...»

نهره جاك، قاطعًا جملة راف لنصفين:

— «لا تكن سخيفًا. نحتاج للتعامل مع السيطرة على الأضرار بينما لا نزال نستطيع.»

أومأ ستانلي.

– «إنه محق يا راف. لا نعرف ما بداخل هناك.»

قال جاك، ماشيًا لنافذة المراقبة ومحدقًا للخارج:

– «لقد انتشر. ألم تره؟ بدأ معه قبل أن ينتشر لها ثم لمتحدث الألمانية ذي المسدس، كعدوى. وأنا لم أنسَ أي شيء خارج تلك الغرفة، هل نسيتم؟»

رد ستانلي:

– «لا.» نظر لراف، الذي هز رأسه هزَّة صغيرة.

تابع جاك:

– «إذن يبدو أنه تم احتواؤه عندما أغلقت الباب. عندما أبقيتهم بالداخل. نبدو جميعًا نتذكر من نكون. لذا الآن—علينا التعامل معهم.»

نظر راف إليه بفزع.

– «وماذا يعني (التعامل معهم) بالنسبة لك؟»

استدار جاك. كانت الخطوط على وجهه قاسية جدًا، كالحجر.

– «نحرقهم.»

– «ماذا؟!» اتسعت عينا راف. «هل تمزح معي بحق الجحيم؟ إنهم بشر. إنهم... لديهم عائلات. نحتاج لـ...»

قاطعه جاك:

– «بطريقة ما، لا أعتقد أن عائلاتهم ستتذكرهم.»

– «لكن لا يمكنك فقط...» وقف، مقتحمًا طريقه للنافذة. «أحدهم لا يزال يتنفس!»

التفتوا للرجل في الكرسي، الذي لم يتحرك قيد أنملة منذ ساءت الأمور. لم يرمش. لم يفعل شيئًا سوى التحديق فيهم في المقابل، بلا تعبير.

قال جاك:

– «إذا كان ذلك سيجعلك أكثر راحة، يمكنني جعله يتوقف أولاً.»

تجمد راف.

– «أنت مجنون. أنت مجنون رسميًا. نحتاج للحصول على مساعدة طبية له. ستان؟ ستان؟!»

حاول ستانلي التحدث لكنه وجد أنه يصارع للتنفس. هددت معدته بإفراغ نفسها على أرضية المختبر. تضخم الرعب بداخله لحجم جسده بالكامل الآن، وشعر به يضغط أكثر ضد باطن جلده، وكأنه قد ينفجر من اللحامات.

بدون صوت داعم، التفت راف بجنون عائدًا لجاك.

– «كيف ستحرقهم بحق الجحيم أصلاً؟ ماذا، تريد إشعال النار في هذا المختبر، هذا المبنى كله؟»

– «لدي محرقة.» قال جاك. «اشتريتها قبل بضعة أشهر.»

فغر راف فاه فيه.

– «لماذا بحق الجحيم اشتريت محرقة؟»

– «لا أرى أن ذلك يهم.» قال ملوحًا بالسؤال بعيدًا. «المهم الآن أنها مفيدة. ليست كبيرة بما يكفي لجسد كامل، لكن إذا قطعناهم وفعلنا ذلك على مراحل، يجب أن تنجح.»

تمتم راف هازًا رأسه:

– «لا أستطيع فعل هذا. لا أستطيع فعل هذا. سأذهب للشرطة. شخصان ماتا بالفعل بسببي، وبسبب تمويلي، ولا أستطيع حتى تذكر من هما. لا أستطيع الجلوس هنا والحديث فقط عن...»

– «راف، انتظر.» وضع ستانلي يده على كتفه. لم يستطع تركه يرحل. لم يستطع أن يُترك وحده مع جاك، مع هذه الجثث. «أرجوك. نحتاج لـ... للتفكير في هذا معًا. نحن جميعًا في هذا معًا. لا تتخلَ عني. أحتاجك.»

تابع جاك، ناشرًا يديه وكأنه يشرح مفهومًا لطالب:

– «لا يوجد حقًا أي نقاش. أياً كان ما أطلق له العنان هنا يجب إيقافه قبل

أن ينتشر. هذه هي نقطة الصفر. هل يمكنك تخيل الدمار الذي سيحدثه هذا لو انتشر في العالم؟ سواء كان حيًا أم لا، علينا افتراض أنه تهديد. أياً كان ما محاهم من ذاكرتنا قد ينتشر إلينا، ثم لأي شخص. إذا استطعنا إيقاف هذا هنا، الآن، فنحن بحاجة لذلك. يجب علينا. ذلك أو حياة رجل واحد——وأعتقد أن ستانلي محق في قوله إنه ليس حيًا حقًا بعد الآن—— بالكاد يكون خيارًا. نقتله. نحرق الجثث. نكتشف ما سببه وكيف يمكننا منعه من الحدوث مرة أخرى أبدًا. متفقون؟»

— «لا.» استقام جسد راف كله، متصلبًا كعمود معدني. «لسنا متفقين بحق الجحيم. لا أهتم بحججك. لن أوافق على قتل شخص ما، مهما كانت حالته.»

قال ستانلي بضعف:

— «راف، أتفق معك من حيث المبدأ، أفعل. لكن...»

رمش راف فيه.

— «لكن؟ بجدية؟»

صاح فيه:

— «لا أعرف يا راف!» تم تحذيره من هذا. تم تحذيره بتركه وشأنه، لكنه ضغط للمضي قدمًا على أي حال. كان هذا خطأه، وإذا خرج هذا للعالم، فسيكون من فعله. «لا أعرف، لكن جاك لديه وجهة نظر وجيهة للغاية.»

وقفوا معًا، يواجهون بعضهم في صمت. راقبهم جاك بهدوء، منتظرًا.

قال ستانلي، بالكاد قادرًا على رفع صوته فوق الهمس:

— «أعتقد أن علينا فعل شيء. هنا. الآن. أعتقد أن جاك محق. علينا إيقاف هذا قبل أن ينتشر.»

— «لا يمكنك فقط...»

أضاف جاك هازًا كتفيه:

— «لا يجب أن تكون جزءًا من الأمر إذا لم تستطع تحمله. يمكنني فعل هذا لكما. لكليكما. فقط أعطني وقتًا.»

صمت راف، ناظرًا لجاك في صدمة، ثم عاد لستانلي، وفمه نصف مفتوح. أعطاه ستانلي هزة كتف، كأنه يقول: *أي خيار لدينا*؟ حدق راف فيه لبضع ثوانٍ، ثم ترهل، سقطت كتفاه وانكمش صدره. عندما وصل للباب، توقف، كأنه على وشك قول شيء، لكنه لم يفعل.

انغلق الباب خلفه، تاركًا ستانلي وجاك وحيدين تمامًا.

التفت جاك عائدًا لمكتبه، وتساءل ستانلي إن كان يخفي ابتسامة.

***

ذهب جاك أولاً للغرفة النظيفة—تلك التي تُصنع فيها الأدوية وحيث احتفظ راف بالبدلات الواقية في خزانة. كانوا قد سخروا منه عندما اشتراها، مازحين بشأن حذره المفرط وقلقه. لكن جاك ارتدى واحدة الآن، مغلقًا نفسه من الرأس للقدم، وناول أخرى لستانلي.

— «لا أريد أن...»

— «لا يجب عليك فعل أي شيء.» قال جاك. «لكن إذا كنت ستدخل معي، فأنت بحاجة للحماية. لا نعرف كيف انتشر هذا الشيء، لكن لا يمكننا المخاطرة.»

بينما سحب ستانلي البدلة فوق ملابسه، اختفى جاك في قسمه من المختبر وعاد بمنشار عظم. لم يسأل ستانلي لماذا كان يملكه.

فتح جاك باب غرفة التجربة واضطر للخطو فوق جثة الرجل الألماني. متبعًا إياه، حاول ستانلي عدم النظر لكنه لم يستطع منع نفسه. كان رأسه مشقوقًا، قطعة لحم فارغة محتوياتها متناثرة في كل مكان على الجدار. قطر الدم من الأدوات وانتشر في لمعان رقيق عبر الأرضية. بعد بضع ثوانٍ، أجبر ستانلي عينيه للأعلى، محدقًا بتركيز في السقف لمنع نفسه من التقيؤ.

انحنى جاك بحذر، مبقيًا مسافة من الرجل. ببطء، ماداً يده بوصة بوصة، حاول نتف المسدس من قبضة الرجل المشدودة دون لمس جلده.

تشبثت الأصابع الميتة به، واضطر جاك للسحب بقوة، جارًا الجسد جانبيًا من ذراعه.

ذهب ستانلي للنظر للخاضع للتجربة. خفض نفسه قبالة الرجل، مواجهًا إياه عينًا لعين. كان الخاضع للتجربة جالسًا، يتنفس، قلبه ينبض، لكن لا رد فعل.

أنت لست هناك، أخبر ستانلي نفسه. *أنت ميت دماغيًا. لا يوجد شيء متبقٍ.*

تمامًا بينما كان يقنع نفسه بذلك، مشى جاك للرجل وأطلق النار عليه في الصدغ.

انفجر الدم من الجانب الآخر لرأسه، ورشت أنسجة ومادة دماغية درع وجه ستانلي. تعثر للخلف، متهوعًا، بينما ارتدت الرصاصة بقرقعة حول الغرفة.

صاح جاك منخفضًا للأرض:

– «تباً!»

سقط ستانلي على ظهره، ويداه على وجهه والصفراء تتصاعد في حلقه، إلى فمه. ابتلعها عائدة، متجهمًا باشمئزاز.

– «ما هذا بحق الجحيم؟» تمكن من القول، محاولًا بجنون مسح مادة الدماغ الدموية عن بدلته.

استقام جاك، لاهثًا.

– «آسف. لم أطلق مسدسًا من قبل. عندما كنا في الغرفة الأخرى، بدا الأمر... أنظف.»

حاول ستانلي النهوض لكنه انزلق في الدم تحته، متدحرجًا عائدًا للأرض. استلقى هناك، شاعرًا بالإغماء، آخذًا أنفاسًا عميقة لمنع نفسه من فقدان الوعي.

أخذ جاك بضع خطوات نحو جثة المرأة. بحذر، أخذها من ذراعيها وسحبها لوسط الغرفة.

حتى يكون هناك مساحة لتقطيع أوصالها، أدرك ستانلي بعبوس. نهض ببطء، على يديه وركبتيه أولاً.

سأله جاك:

– «ما زلت تتذكر من تكون؟» أومأ. «حسنًا. حان وقت العمل.»

كان عملاً طويلاً، مرهقًا، ومروعًا. استمر ستانلي في الاضطرار للنظر بعيدًا بينما يضغط جاك المنشار في اللحم، شاقًا الجلد وقاطعًا بعمق في العضلات والأوتار. توقفت قلوبهم، لكن بينما لم يعد الدم يتدفق منهم باندفاع، استمر في المجيء—نازًا ومنتشرًا عبر كل سطح.

كان هناك صوت ارتطام مقزز عندما ضرب معدن المنشار العظم. اضطر جاك للتشبث بالساق الميتة، مائلاً بكامل وزنه على المنشار. كان عملاً مطولاً، ومع كل خدش للمعدن ضد العظم، شعر ستانلي بمعدته تنقلب مرة أخرى.

في بعض الأوقات، جلس وضغط عينيه مغلقًا إياهما فقط ليتحمل الأمر. لكن رغم أن جاك أخبره أنه مرحب به لمغادرة الغرفة إذا أراد، كانت هذه فوضاه. حتى لو كان ممتنًا سرًا لجاك لامتلاكه الحسم والقوة لفعل شيء حيال ذلك، جاء ذلك الامتنان مغلفًا بالذنب: أنه كان مسرورًا لأن رجلاً آخر يتعامل مع جثثه نيابة عنه، أنه كان مرتاحًا بشأن أي من هذا على الإطلاق. لذا بينما لم يسمح له ضميره بمساعدة جاك فعليًا في التقطيع، لم يسمح له أيضًا بترك جاك وحده.

لم يكن جاك محصنًا تمامًا ضد الرعب. حتى هو اضطر لوضع كيس فوق رأس المرأة المسكينة ليتمكن من النشر خلال رقبتها. لكن في ساعتين، كان قد فكك جسدها بالكامل لأربعة أطراف، ورأس، وجذع، ثم كدس القطع في أكياس نفايات خطرة.

بدون كلمة، مشى جاك وجلس مستندًا للجدار بجانب ستانلي، بوضوح محتاجًا لمنح نفسه بضع دقائق للتعافي قبل أن يبدأ بالاثنين الآخرين.

امتدت الساعات لوقت متأخر من الليل. بعد فترة، ساعد ستانلي في تنظيف الدم بالصابون والمبيض، فاركًا الأرضيات. ظل يأمل أنه مع كل جثة جديدة، مع كل طرف جديد للنشر، سيصبح الأمر أسهل قليلاً. سيعتاد أكثر على الفعل المروع الذي يشهده. لم يحدث. إن كان شيئًا، فكل واحد كان أسوأ من سابقه.

بمجرد الانتهاء، حملا الأكياس للخارج إلى الردهة وإلى قسم جاك، وعبره إلى جزء داخلي من المختبر. لم يأتِ ستانلي إلى هنا منذ وقت، ولاحظ كم تغير المكان. كانت هناك معدات جديدة: المحرقة في الخلف، نعم، لكن أيضًا مجموعة من الأدوات الجراحية الأكثر شمولاً. كانت هناك مناشير ومشابك. أعضاء حيوانات في مرطبانات. أحواض لسوائل مختلفة الأنواع: دم، صفراء، حمض.

ترددت تحذيرات توبي في رأس ستانلي.

أياً كان ما يعمل عليه جاك، فهو ليس هذا.

بصمت، نظفا بدلتيهما ورشا نفسيهما، واضعين البقايا في الأكياس. ظهر راف عند الباب بينما كانا يحملان البقايا للمحرقة. أينما كان، رآهم يحملون الأكياس للداخل وتبعهم. كان وجهه هزيلاً، وكان يرتجف.

سأل ستانلي ناظرًا إليه:

— «هل أنت بخير؟» كانا راكعين بجانب المحرقة، يشغلانها.

هز راف رأسه.

– «لا. أعني... تباً. يجب أن أسألكما ذلك. بالطبع لست بخير. كنت أفكر في الأمر. مهما حدث، سنحتاج لتقديم نوع من البيان. سنحتاج لإعلام السلطات أن...»

بصق جاك:

– «لا تكن أحمق.»

تراجع راف كأنه صُفع.

– «إنه الشيء الصحيح لفعله.»

قال جاك، خالعًا بدلته المعقمة الآن:

– «الصواب والخطأ لا يدخلان في الأمر. أشك أن الشرطة سيكون لديها أي سجل لهم حتى. ليس بعد ما رأيناه. النقاش وحده سيؤدي لإغلاق هذا المكان.»

رد راف:

– «جيد. يجب أن يغلق. انتهى الأمر يا جاك. يجب أن ينتهي هذا.»

أصر جاك:

– «يمكننا إبقاء هذا سرًا. إنه بالتعريف سري بالفعل. يمكننا...»

– «بحق يسوع المسيح يا جاك، نحن مجرد أطفال! أنا في الثالثة والعشرين. أنا خائف حد الموت. ليس لدي أدنى فكرة عما أفعله. لقد ذهب هذا بعيدًا جدًا. نحن... ما كان يجب علينا أبدًا فعل شيء كهذا.»

راقب ستانلي، وكلمات راف عن شبابهم أشعلت فكرة رهيبة. والدمان ضحى بنفسه لأجل هذا: لإبقاء هذا مدفونًا، أياً كان. كان ستانلي متأكدًا من ذلك. فكر في قصاصة الورق التي أنقذها من موقد والدمان، المكتوب عليها بطريقة برايل كلمة كرواتوان—إشارة لمستعمرة رونوك المفقودة التي مُحيت من التاريخ. لقد مات لإبقاء هذا الرعب مخفيًا. مات لغرض،

وتتويج كل عمل ستانلي لم يفعل شيئًا سوى جعل تضحيته بلا معنى. جعل موته بلا طائل.

لا دفاع ضدها.

وستانلي لم يستطع ترك الأمر. كان مهووسًا، دافعًا ليس نفسه فقط بل أصدقاءه أيضًا في مسار ما كان يجب أن يسلكوه أبدًا. كان يجب أن يتركه وشأنه. هذا ما أراده والدمان. كانت تلك أمنيته الأخيرة.

همس ستانلي:

— «آفة خالدة.»

التفت جاك إليه، رافعًا حاجبه.

— «ماذا قلت؟»

— «أنا...» كان كلاهما ينظر لستانلي، مقطبين فيه. «كانت الرسالة الأخيرة التي تركها لي والدمان عندما مات. لم أخبر أحدًا عنها أبدًا. كتب إشارة للأوديسة: (آفة خالدة، رهيبة، ومريعة، وشرسة، ولا يمكن محاربتها؛ لا دفاع ضدها).»

ابتلع ريقه. لم يستطع إجبار نفسه على قول كلمتي والدمان الأخيرتين بصوت عالٍ.

كانت عينا راف واسعتين جدًا لدرجة بدت وكأن مقلتيه قد تخرجان.

— «ولم تخبرنا؟»

كان صوت ستانلي هادئًا جدًا.

— «لم أرد إخافتكم بعيدًا عنه.»

رد، وصوته يقطر غضباً:

— «أوه، عظيم. هذا مثالي. حسنًا، أنا متأكد أنني سعيد لأنك لم تخفنا يا ستان. لقد ضللتنا عمدًا كلينا! لكنني سعيد لأنك عرفت ما تفعله. أنه لم يكن هناك شيء يدعو للقلق.»

قاطع جاك، متحمسًا:

— «لا، لا. أنت تنظر لهذا بشكل خاطئ تمامًا يا راف. هذا يؤكد بالضبط ما كنا نناقشه. أن هذا نوع من الظاهرة الأكثر عالمية، شيء واجهه والدمان أيضًا. لا يمكننا الاستسلام الآن. هذا هو اختراقنا الكبير الأول.»

صرخ راف، وغضبه يغلي:

— «تسمي هذا اختراقًا؟ ثلاثة أشخاص ماتوا!»

أخذ جاك خطوة بطيئة نحو راف.

— «ثلاثة أشخاص. ثلاثة. في المقياس الكبير لاكتشافاتنا، هذا لا شيء. خطأ تقريب.»

— «ماذا؟»

صاح ستانلي، ممسكًا كتف جاك ومدرًا إياه:

— «ألا تفهم؟ ماذا لو كان هذا هو؟ ماذا لو كان هذا سبب نسياننا؟ إنه ليس خطأ أو فرعًا تطوريًا. إنه بقاء. أياً كان هذا المرض، هذه الظاهرة، هذا الشيء... كلما دفعنا هذه الحدود، كلما خاطرنا بإطلاقه مرة أخرى. لقد أزيلوا من الماضي يا جاك. مُحوا. هذه القوة تفوقنا. كشفنا شيئًا كان يجب تركه وشأنه. هناك شيء واحد فقط لفعله الآن: الهروب منه، نسيانه، تركه خلفنا.»

سخر جاك، مخيماً بظله عليه:

— «جبن. إذا كنت تريد تغيير العالم، لا يمكنك اتخاذ قرارات مبنية على الخوف. عندما نظر أوبنهايمر لانفجار القنبلة الذرية الأول، أدرك قوتها، ضخامتها. (الآن أصبحت الموت، مدمر العوالم)، قال. نعم—أدرك الضرر المحتمل الذي ستسببه، الفوضى والخراب، ومع ذلك استمر. هل تعرف لماذا؟»

لم يرد ستانلي. تراجع راف خطوة، وعيناه تستوعبان الآن بشكل صحيح مختبر جاك الداخلي.

– «لأنك لا تستطيع إغلاق صندوق باندورا. لا يهم ما تفعله. مهما كان ما اكتشفناه هنا، سيعثر عليه شخص آخر بمرور الوقت. لا شك في ذلك. كل ما نفعله بمحاولة دفنه هو التهرب من المسؤولية. نتجاهل مسؤوليتنا فيه. ليس هذا فعل رائد. هذا فعل جبان.»

حدق ستانلي فيه بذهول.

انخفض صوت جاك، وأصبح أكثر إلحاحًا.

– «هناك الكثير لفعله هنا. يجب أن نتابع بحذر، لكن لا يمكننا التوقف. لا يجب أن نتوقف.»

ذرع راف الغرفة، متجاهلاً إياه. تفحص العينات الغريبة—أحواض السائل التي تخرج فقاعات، الأعضاء المعلقة، الأطوال الممتدة لما بدا كأنه جلد. استوعب المشهد المروع بالكامل.

قال راف، وصوته منخفض:

– «جاك، ماذا كنت تفعل هنا؟»

قال ستانلي، ملوحًا بذراعه للغرفة:

– «كان يستخدم مالك لمشاريع أخرى. كان يجرب تحت أنوفنا على ما لا يعلمه الا الله ، محولاً المال بعيدًا لشراء معدات جديدة بينما كنا مركزين جدًا على اختراقنا.»

التقط راف مرطبانًا زجاجيًا به سائل وقلب معلق فيه.

– «أي تجارب؟ لمن هذا؟»

هز جاك رأسه بازدراء.

– «كنت أفعل ما كان يجب عليكما فعله من البداية. لديكما وصول لبئر موارد لا ينضب تقريبًا. قمنا ببعض أهم القفزات في البحث في الخمسين سنة الماضية، وتكتفيان بمشروع واحد؟»

وضع راف المرطبان والتقط آخر، متفحصًا إياه ببطء. كان هناك شيء غير صحيح تمامًا—كان هادئًا جدًا، كالمد الذي ينسحب قبل التسونامي. كالرياح قبل الإعصار.

تمتم راف، كأنه لنفسه:

— «بمختبري، بتمويلي. ما كانت التكلفة؟» لم يعد ينظر لجاك. ولا لأي منهما.

سخر جاك:

— «وكأن نفقاتي تهمك. كنت منغمسًا جدًا في عالمك الخاص، بالكاد لاحظت.»

كانت عينا راف لتستطيعا شق الحناجر.

— «لا أتحدث عن المال أيها الأحمق.»

— «لا تكن قصير النظر هكذا يا راف. أنا على وشك تحقيق الكثير.» نمت ابتسامة جائعة على وجه جاك، وانتفخ فخر في صوته. «هل تعرف ما حققته؟ إعادة نمو خلايا بشرية تلقائية. زراعة أنسجة صناعية. هناك احتمالات هنا لعلاج الشيخوخة، وربما حتى عكس الموت. الآن، إذا استطعنا تسخير مجرفة الذكريات أيضًا، فكر فقط! امتلاك القوة ليس فقط على الفناء بل على الزمن نفسه!»

— «أنت وحش. انتهى الأمر. كله—انتهى.»

— «لا يمكنك أن تعني ذلك يا راف. هيا. عندما نكون قريبين جدًا من كشف الكثير—قصر النظر هذا مثير للشفقة!»

حطم راف مرطبانًا على الأرض. تكسر، وتناثر الزجاج. تناثر سائل أصفر عبر الأرض.

— «مثير للشفقة؟!» صاح. تراجع ستانلي خطوة لا إرادية، وضغطت شفرتا كتفيه على الجدار. «كيف يبدو هذا كمثير للشفقة؟ كل هذا البحث لي.

المختبر لي. أنا أملك كله، وأنا أقول انتهى! سندفنه، سندفن هذا المكان كله، ولن نتحدث عنه أبدًا مرة أخرى بحق الجحيم!»

هسهس جاك، مقتربًا منه:

— «أنت خاسر. لطالما كنت خاسرًا. تظن أن لديك سلطة علي؟ ماذا ستفعل—تأخذ هذا للمحاكم؟ كل هذا سيجعلك تُحبس أسرع مما يمكنك البكاء لمامي وبابي. أوه، انتظر، إنهما ميتان.»

بزمجرة غضب، رمى راف نفسه على جاك. اندفع عبر الهواء، مصطدمًا بجاك في الجدار. تحطما في مجموعة أخرى من المرطبانات. تهشم الزجاج في ظهر جاك، وزأر ألمًا.

صاح ستانلي:

— «توقفا!»

دفع جاك راف للخلف واندفع للأمام بخطاف يمين ثقيل، وارتطمت قبضته بقوة بأنف راف.

— «آغ!» تعثر راف للخلف، ويداه ترتفعان لوجهه. «أيها الوغد!»

خطا ستانلي للأمام ليمسك بجاك لكنه أخطأ. اندفع جاك نحو راف مرة أخرى، وقبضته مرفوعة للكمة أخرى. لكن راف انخفض وطلع بقوة، ضاربًا بكتفه صدر جاك ومرسلاً كليهما ممددين على الأرض، منقلبين في طاولة أدوات جراحية.

صرخ ستانلي، ممسكًا بجسد جاك وساحبًا إياه بعيدًا، دافعًا إياه للخلف ضد الجدار:

— «كفى!»

سخر جاك من فوق كتف ستانلي:

— «كل ما فعلته أبدًا هو إعاقتي. كل ما تفعله أبدًا هو إعاقة الجميع.»

زأر راف، ناهضًا لقدميه. انتزع جاك نفسه من قبضة ستانلي ودفعه بعيدًا. بعد فوات الأوان، متعثرًا للخلف، لمح ستانلي المشرط الطويل الذي التقطه راف من الأرض.

مُرجحًا إياه بجنون، اقترب راف مرة أخرى، صارخًا:

– «أكرهك! أكرهك!»

اصطدم جاك به. متصارعين على النصل، سقطا على الأرض، متدحرجين فوق بعضهما البعض.

صاح ستانلي، غير قادر على رؤية أين ذهب المشرط:

– «توقفا!»

رمى جاك يديه للأعلى، ضاربًا بحماية، راكلاً ساقي راف حتى انزلقتا وسقط جسد راف كله للأمام.

بينما ينهار في جاك، انتفض راف. هرب صوت غرغرة من شفتيه.

قال جاك، وعيناه واسعتان:

– «لا. راف، لا.»

سقط راف فوق جاك، متدحرجًا لجانب واحد وعلى الأرض، والمشرط عالق في منتصف قصته الهوائية.

قال جاك، دافعًا راف على ظهره:

– «ستان، ساعدني. ساعدني بحق الجحيم.»

زحف ستانلي إليه، والدم ينبثق من رقبة راف كنافورة. وضع جاك يديه فوقها، لكن تيارًا اندفع لفمه المفتوح. سقط للخلف، متمتمًا وساعلاً، ودم راف ينسكب منه، يسيل أسفل شفتيه.

وضع ستانلي يده فوق الجرح، غير متأكد إن كان عليه إزاحة المشرط. تدفق الدم حوله، دافئًا ضد جلده. اتسعت عينا راف بينما غرغر حلقه بصوت عالٍ، ثم توقف.

توقف كل شيء.

فتح ستانلي فمه، محدقًا، عاجزًا. نظر في وجه صديقه، والعينان تزججان، وكان لديه هذا الشعور الساحق بأن كل شيء في حياته مقدر له أن ينتهي بهذه الطريقة. هذا هو. هذا ما يحصل عليه الناس للعمل معه. مهما فعل، مهما حاول بجد، سينتهي به المطاف دائمًا في نفس الوضع——ناظرًا لجثة. والدمان أولاً، والآن راف.

دفع جاك للخلف، زاحفًا بعيدًا عن الجثة.

– «لم أقصد.» همس. «أنا... لم أعتقد أنه سـ... أوه، تباً.»

ناهضًا لقدميه، بدأ يهرع حول الغرفة.

– «لا بد أن هناك شيئًا يمكنني فعله. يمكنني إصلاح هذا. هناك طريقة لعكس هذا، للسيطرة على هذا، أحتاج فقط لـ...»

قال ستانلي بوقار:

– «إنه ميت يا جاك.»

– «لكن إذا استطعت فقط...»

– «إنه ميت.»

توقف جاك عن الحركة.

– «أوه، تباً. لا... إنه... لم يكن خطئي. لقد هاجمني. كنت أحاول فقط...»

– «أعرف.»

وقف ستانلي. لم يكن يرتجف أو يبكي أو يذعر. لم يكن في صدمة، لم يعتقد ذلك، رغم أنه لم يستطع التحديد حقًا. لم يكن هناك شيء بداخله على الإطلاق.

سأل جاك:

– «ماذا سنفعل؟» لم يجب ستانلي. بدت الغرفة باردة، وفارغة قليلاً.

مشى جاك إليه وأمسك بكتفيه.

– «ستان——لا يمكننا تركه هنا وحسب.»

قال ستانلي بهدوء:

– «لن يُنسى مثل الآخرين. اسمه على هذا المبنى. الشرطة ستريد معرفة ما حدث. سيفتشون هذا المكان؛ سيجدون بصماتك في كل مكان عليه.

أسماؤنا في كل مكان على أوراق السجلات. سيكتشفون ما حدث هنا. أو ما يكفي منه، على الأقل.»

– «نحن... يمكننا القول إنه كان يعمل هنا وحده اليوم. أن حادثًا وقع.»

– «جاك—عندما يجدون هذه الجثة، سيعرفون أن شخصًا آخر كان متورطًا. لديه جرح طعن في حلقه.»

ارتعشت عينا جاك للجانب الآخر من المختبر.

– «ليس إذا أحرقنا الدليل.»

انفجر غضب مفاجئ في ستانلي. اندفعت يده وأمسكت جاك من حلقه، دافعة إياه ضد الجدار.

– «هل تقترح بحق الجحيم فعليًا أن نمزق أفضل صديق لنا؟!»

قال، وهو يرتجف:

– «لا. لا. إنه فقط أنا... ماذا أفعل؟»

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا وأفلته، مبتعدًا. الجثة على الأرض لم تبدُ حتى كراف حقًا بعد الآن—مجرد جثة أخرى. مجرد خطأ آخر ارتكبه ستانلي. فشل آخر.

جزء منه فكر في تسليم كليهما. ربما إذا سُجنا، فلن يشكلا خطرًا على أحد. لكن بينما نظر في وجه جاك المصدوم، عرف أنه لا يستطيع. رغم كل تغيره، كان آخر من تبقى—الرابط الأخير لذلك الفصل الدافئ، والشمس تنعكس على رقع الشطرنج، الاتصال الأخير بالسنوات الوحيدة في حياته التي امتلك فيها منزلاً فعليًا.

جلسا في صمت لفترة طويلة، بلا كلمات. طفا ستانلي خارج جسده، مراقبًا بهدوء من مسافة بينما تغسله الصدمة، وتتحول أولاً لقلق، ثم لحزن، وتتضاءل أخيرًا إلى لا شيء—لا شيء على الإطلاق.

قال ستانلي أخيرًا:

— «سأخبر الشرطة أنه فقط أنت وراف كنتما هنا اليوم، لا أحد غيركما. سيحتاجون لمشتبه به، وسيكون ذلك أنت. سأجعل توبي يقول الشيء نفسه—يمكننا أن نكون حجة غياب لبعضنا. سأحرق أي شيء يشير لعكس ذلك. إنه منتصف الليل؛ لا يوجد أحد آخر هنا. ثم سأحرق هذا المكان حتى الأرض. الطريقة الوحيدة لتنجو من هذا هي إذا ظنوا أنك مت في الحريق أيضًا. بدون جثة، لن يكون الأمر قاطعًا، لكنه سيربكهم لفترة كافية لتتمكن من...»

— «انتظر،» قال جاك، ناظرًا حول مختبره. «ماذا لو كان لدي بعض الأنسجة البشرية؟ بعض من أنسجتي، بحمضي النووي الخاص.»

— «ماذا تعني بـ (أنسجة بشرية)؟»

— «قدم؟ ربما ذراع كاملة؟ ما يكفي لإقناع فريق جنائي أنني مت هنا.»

رمش ستانلي، محدقًا فيه.

— «لماذا لديك...؟» توقف، واضعًا يده على رأسه. «أتعرف ماذا؟ لا أهتم. بالتأكيد. حسنًا. اتركها بالخارج. اترك ملابسك معها أيضًا.»

أومأ جاك.

— «حسنًا. تباً، حسنًا. وماذا بعد؟»

— «انتهى الأمر يا جاك.»

هز رأسه.

— «لا يمكن أن يكون. لا يمكن أن ينتهي وحسب. يجب أن يكون هناك...»

— «جاك، لقد تم الأمر. ماذا ستفعل؟ تبقى هنا؟ ستكون مقيدًا في التحقيق لبقية حياتك. تحتاج للهرب. كلانا يحتاج.»

— «الهرب؟»

قال ستانلي:

— «الاختباء، على الأقل. هذا ما سأفعله. استخدم ما تبقى لديك من مال راف للخروج من البلاد. غير اسمك على الأرجح. فقط ابدأ حياة جديدة، بعيداً عن كل هذا. إنها الطريقة الوحيدة.»

نظر جاك لأسفل ليديه، التي لا تزال مغطاة بالدم.

— «لا أستطيع الاستسلام وحسب. أنا لست فاشلاً يا ستان. لست كذلك. يمكنني فعل المزيد. يمكنني أن أكون أكثر.»

تنهد ستانلي. *كلنا فاشلون*، فكر. *لطالما كنا كذلك. هذا ما جذبنا لوالدمان في المقام الأول.* لكنه لم يقل كلمة. حدق فقط في الأرض.

نظر جاك حول الغرفة للمرة الأخيرة—للحطام، للزجاج المكسور والطاولات المقلوبة، للجثة على الأرض.

— «أنا... أنا آسف يا ستان. لم يقصد لهذا أن ينتهي بهذه الطريقة أبداً.»

التقط ستانلي البدلة الدامية وحملها للمحرقة.

— «لا يقصد أبداً.»

بعد ساعة، كان جاك قد رحل. وجد ستانلي برميلاً من الهيدروكربونات شديدة الاشتعال وأغرق المكان كله به—كل غرفة، كل سطح، كل قطعة ورق ملعونة.

كانت هذه حياته. كان هذا تتويج كل شيء فعله أبداً من اللحظة التي قابل فيها والدمان حتى الآن.

أشعل عود ثقاب ورماه. كان هناك صوت هفيف بينما اشتعلت النار، مندفعة عبر الأرضية. أغلق الباب خلفه وألسنة اللهب تلعق الجدران.

كانت ليلة باردة. لافاً نفسه بمعطفه، قرر أنه سيمشي للمنزل.

١٥

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٣ ساعات، ٤٠ دقيقة، و٤٤ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «أجلس في الغرفة الرئيسية لمكتبك، على الأريكة بجانب رقعة الشطرنج. ستانلي في كرسيه على يميني، يتفحص الرقعة وكأنه يريد اللعب، وأضحك في سري على الفكرة. أستطيع تخيله يقوم بنقلتين ثم ينسى أي جانب يلعب له، مشتتًا بفكرة ركوب خيل قام به عندما كان طفلاً.

سألني:

— "هل تذكرين ذلك الملعب القديم بجانب القناة؟"

ابتسمت وأومأت. ليس لدي أدنى فكرة عما يتحدث عنه. لقد تاه مرة أخرى في إحدى ذكرياته القديمة، من قبل أن يعرفني. شيء من الطفولة.

أين أنا؟

لقد ذهبتَ إلى الغرفة الأخرى مرة أخرى، تلك التي لم أدخلها. أنا مغرية بشدة للنهوض واتباعك——لفتح الباب قليلاً واكتشاف ما يجري هناك—— لكن خلال لحظات، تظهر مرة أخرى. لقد صنعت قهوة.

أضحك. لا أستطيع منع نفسي. من بين كل الأشياء المروعة والمستحيلة التي تخيلت أنك تملكها خلف ذلك الباب، لم تكن آلة القهوة

واحدة منها. بطريقة ما، أنا متفاجئة قليلاً أنك تشرب القهوة. أنا متفاجئة قليلاً أنك تأكل وتشرب أي شيء على الإطلاق.

قلت بتزلف، وكأن لدي خيارًا:

— "أود إجراء مناقشة أطول معكِ حول غوصكِ الأخير. سيساعدنا ذلك في وضع خطة لما نفعله تاليًا."

— "حسنًا جدًا."

جلست قبالتي، والرقعة بيننا. القطع تحركت منذ كنت هنا آخر مرة. كنت تلعب مع شخص ما. ربما نفسك.

قال ستانلي، محدقًا في الفراغ:

— "كانت أمي تدفعني على الأرجوحة لساعات. لم تستطع أبدًا جعلي أغادر."

ناولتنِي فنجان قهوة، وابتسمت لك.

الأمر مسلٍ في الواقع—هذا التظاهر الصغير—كأننا شريكان في الجريمة، نعمل نحو نفس الهدف. أعرف أنك لا تصدق ذلك، لكنني أتساءل عما إذا كنت تظن أنني أصدقه. أتساءل عما إذا كنت تظن أنني أظن أنك تصدقه. يمكنني فقط سؤالك عن هذه الأشياء، بالطبع، لكن أين المتعة في ذلك؟

— "قبل أن نتمكن من المضي قدمًا،" أقول، "أحتاج لفهم كيف تعمل آلتك هناك. أستطيع التأثير على الماضي لكن في بعض الأوقات فقط؟"

ملت بظهرك في مقعدك، آخذًا رشفة من قهوتك.

— "الزمن ليس ما تظنينه. الواقع يوجد لأنه يُراقب. الماضي يوجد كمجموعة جماعية من الملاحظات، أو الذكريات، التي تتجمع وتشكل شيئًا حقيقيًا. شيئًا ملموسًا. مجرفة الذكريات تسمح لكِ بالدخول لذلك الخلق الملموس والتفاعل معه مباشرة."

تدخل ستانلي، متبعًا قطار أفكاره الشخصي:
— "والمخصصات مع القارب. أحببت تلك المقاعد الصغيرة."
— "نعم يا عزيزي." ربتُّ على يده قبل أن ألتفت إليك مرة أخرى. "إذن ذلك يسمح لك بتغيير الماضي؟"
— "عندما صُنعت لأول مرة، لا. المشكلة هي أن الذاكرة معيبة؛ إنها ليست مراقبة مثالية للماضي. عندما تختلف ذاكرة الخاضع للتجربة عن الماضي عن الموضوعية الجماعية، فإن أي تغييرات تُجرى لا تصمد. الكون، كما يبدو، قادر على تصحيح نفسه." وضعت قهوتك على الطاولة. "نسخة المجرفة التي نستخدمها اليوم تفعل شيئين: ترسل الشخص للتفاعل مع ذكرى الماضي، وتحفز في نفس الوقت مناطق في دماغه لفتح الذاكرة الموضوعية. بينما ترسله للخلف، تتأكد أيضًا من أن الذاكرة دقيقة تمامًا. النموذج الجديد يضمن أن جميع التغييرات تظل صحيحة. لا تعود لسيرتها الأولى."
— "كل التغييرات؟"
— "حسنًا،" قلت هازًا كتفيك، "في حدود المعقول. إذا بقيتِ خارج الأحداث، إذا اكتفيتِ بالمراقبة، كما وجهتكِ، فإن الماضي لا يتغير. تخيلي الأمر كنهر. مجرد وضع إصبع في الماء ليس كافيًا لتغيير التيار—— إنه يتدفق فقط حول إصبعك ويعود إلى حيث كان. لكن إذا وضعتِ صخرة كبيرة بما يكفي، أو جذع شجرة، فإنها تشكل سدًا، ويتغير اتجاه النهر. مراقبتك السلبية مثل إصبع. التحدث لشخص ما، التفاعل مع شخص ما——أنتِ تبنين سدًا."

أومأت، مستوعبة كل ذلك بهدوء.

لكن شيئًا يخطر لي الآن، وأنا أتحدث إليك. الحبة التي أعطيتني إياها والتي تجعلني أختبر كل هذا مرة أخرى——قلت إنها مبنية على نفس التكنولوجيا.»

سأل حسن:

— «في المفهوم، نعم، لكن الحبة نفسها ليست كافية. إنها تشحذ ذاكرتك، لكنها ليست مجرفة الذكريات. إنها لا ترسل الشخص للخلف. بدون تلك التكنولوجيا، ذكرياتكِ هي مجرد ذكرياتكِ.»

— «لماذا؟»

— «سينفد الوقت منا قبل حتى أن تبدئي في فهم علم الأمر.»

— «حسنًا، طيب. يمكنني قبول ذلك.»

— «عودي لذاكرتك. بمَ تفكرين؟»

— «أفكر في كوني في ذاكرة ستانلي، قبل أن يُمحى الزفاف، وتفاعلي مع نفسي. إذا كنت محقًا، كان يجب أن يسبب هذا تغييرًا. كان يجب أن أتذكره. لكنني لا أفعل. أتذكر كل شيء حتى كوني في مقدمة الممر، متبوعًا بفراغ، لكنني لا أتذكر مواجهة امرأة عجوز لي.

قررتُ عدم إخبارك بهذا. إنها معلومة أخرى أدسها بعيدًا، آملة استخدامها لاحقًا.

أخذتُ نفسًا عميقًا.

— "أخبرني عن أوميغا."

قطب ستانلي جبينه.

— "أوه لا. لا، لا نريد التفكير في ذلك."

— "لا بأس يا ستان،" أقول. "إنه مهم."

يتأفف، لكنه يهز كتفيه ويستند إلى ظهر كرسيه. بعد لحظة، ترتسم على وجهه ابتسامة صغيرة، وأدركتُ أنه قد شرد في ذكرى أخرى.

تعتدل في جلستك وتقول:

— "إنه الثمن الذي ندفعه مقابل القوة التي نمتلكها. في كل مرة نصل فيها إلى الذاكرة الموضوعية الكاملة، نُضعف الجدران ونمنح **أوميغا** منفذًا إلى ماضينا. وبمجرد أن يُنشئ رابطًا ماديًا، يمكنه أن ينتقل في حاضره من

شخص لآخر، ويمحو كل شيء في طريقه. ولا، أنا لا أعرف ما هو غرضه. ربما ليس له غرض. ربما هو مجرد قوة من قوى الطبيعة. وربما يفوق إدراكنا تمامًا".

ألقي نظرة خلسة على **ستانلي**.

– "ولكن إذا كان يلتهم ماضي **ستانلي**، فمن المؤكد أننا——"

– "حتى وقت قريب، كنا قادرين على كبح جماحه. في الواقع، لم يظهر منذ سنوات عديدة، وهذه ليست المرة الأولى التي نجرب فيها مجرفة الذكريات. هناك أساليب – أعقد من أن أخوض فيها الآن – أبقتنا في مأمن منه".

يذهب عقلي إلى المصاعد، إلى ذلك المصعد في نهاية الصف، المنفصل عن البقية والموسوم برمز Ω.

– "لقد حاصرتموه بطريقة ما؟"

تقول وأنت تشعل سيجارة:

– "بالكاد. مثل هذه القوى لا يمكن حصرها ببساطة. بدلًا من ذلك، شجعناه على البقاء خاملًا. مشبعًا. ولعدم وجود مصطلح آخر، يمكننا القول إنه ينام. هذا يسمح لنا باستخدام مجرفة الذكريات ، بين الحين والآخر، دون عواقب".

– "بالكاد يمكنني أن أصف ما حدث لزفافي بأنه 'دون عواقب'".

تهز رأسك بجدية، وتنفض رماد سيجارتك في فنجان قهوتك الفارغ.

– "بالفعل. كان ذلك مؤسفًا. من الغريب أن **ستانلي** كان قادرًا على حماية لقائكما في الماضي ولكن ليس حفل الزفاف نفسه. لقد تفاجأ به، لم يكن مستعدًا. هل تفاعلتِ مع الذاكرة بأي طريقة أخرى؟ هل حاولتِ تغيير أي شيء؟"

لا أقول شيئًا. أهز رأسي وأنظر إلى الأرض، بسبب الشعور بالذنب في المقام الأول. لأن الحقيقة تصفعني: *محاولتي مواجهة نفسي قبل السير في*

*الممر هي على الأرجح ما جذب **أوميغا** إلينا. كان خطئي. أنا التي محوتُ حفل زفافنا.*

تلقي عليّ نظرة جادة.

– "عادةً، لم يكن ليهم الأمر. لقد كنا نستخدم مجرفة الذكريات لسنوات، وظل **أوميغا** محصورًا. ولكن لسبب ما، بدأ... يتململ. يتمرد على القيود التي وضعناها عليه، وأخشى أننا لن نتمكن من كبحه لوقت أطول. بمجرد أن يتحرر، سيلتهم كل شيء. كل ذكرياتنا. كل الماضي. قد لا يتوقف حتى لا يتبقى له شيء يأخذه".

أبتلع ريقي، محاولةً استيعاب معنى ذلك، واستيعاب تداعياته. ثم أفكر مرة أخرى في المصاعد، في التحذيرات الغريبة حول وهم سبق الرؤية والجداول الزمنية، وأرى الحقيقة. يتفتح الشعور بالذنب بداخلي، وتحترق وجنتاي بينما يتحول إلى غضب يكاد لا يمكن السيطرة عليه. أدرك لماذا نحن هنا، وماذا فعلتَ. لقد تماديتَ كثيرًا.

ماذا تقصد؟

*لم تستطع تمالك نفسك، أليس كذلك؟ أراد **ستانلي** دفن الأمر لهذا السبب تحديدًا، لكن اللعب بالزمن والماضي كان مغريًا للغاية، ولم تستطع تركه وشأنه، لذلك لاحظنا. بدأ يمد يده مرة أخرى، يصطاد، أولًا مع **ستانلي**، ثم مع **توبي**، ثم – كما أخمّن – معك. لهذا السبب أتيت إليّ. أنت تنسى أشياءً أيضًا، أليس كذلك؟ أنت تفقد أجزاءً من ماضيك عندما تعود. بعد كل ما فعله **ستانلي**، أيًا كانت التجربة التي أجراها في الماضي، تمكن شخص ما بالفعل من إعادة إغلاق صندوق باندورا. لكنك، وأمثالك في هذا المكان، لم تستطيعوا التوقف عن إثارة الدب النائم.*

*الحكمة تأتي دائمًا بعد فوات الأوان يا **ماجي**.*

لماذا لا تتوقفون ببساطة؟ لماذا لا تتركونه وشأنه؟

انظري حولك. أعتقد أن كلانا يعرف أن الأوان قد فات الآن. لقد عبرنا أفق الحدث. لا يمكن إغلاق الصندوق الآن؛ ولا يمكن إعادته.

وتتوقع مني أن أساعدك؟ كل هذا خطؤك.

*لقد ارتكبتُ نصيبي من الأخطاء. يمكنني الاعتراف بذلك. لكن إلقاء اللوم لا طائل منه الآن. لا يهم من فعل ماذا. كل ما يهم هو أننا إذا لم نوقفه، فسوف يلتهم كل شيء. **ستانلي** وحده يملك المفتاح. هو الوحيد الذي يستطيع إيقاف هذا الآن.*

تخبرني بذلك في المعهد أيضًا، ولستُ متأكدة من أنني أصدقك.

تقول:

– "**ستانلي** وجد طريقة لإيقاف **أوميغا** نهائيًا، بشكل كامل ومطلق، وأخفاها في مكان ما في أعماق ذكرياته. لهذا السبب تُسلب منه ذكرياته. هناك من لا يريد العثور على هذا الحل".

أقول:

– "أعلم. **صنرايز**. أتذكر. ولكن لماذا لا يريدون العثور عليه؟ وإذا اكتشف **ستانلي** طريقة لإنهاء هذا الرعب، فلماذا أخفاه في المقام الأول؟ هذا غير منطقي. إذا كان يمكن إيقاف هذا الشيء، فلماذا لم يفعل؟"

لنصف ثانية، أقسم أنني رأيت عينيك تومضان نحو رقعة الشطرنج.

تقول:

– "لا أعرف. هذا شيء نحتاج إلى اكتشافه. ربما لم يكن لديه وقت. ربما أخفاه في مكان ما حتى لا يزيل **أوميغا** نفسه اكتشافه من الماضي. ربما كان يعلم أن **صنرايز** كانت تحاول الوصول إليه وكانت تلك هي طريقته الوحيدة لحماية نفسه. لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن **صنرايز** ماكرة وقوية في آن واحد، وأن **ستانلي** كان سيفعل أي شيء ليحمي نفسه ممن يقفون وراءها".

أنظر إلى يميني، إلى زوجي، الذي لا يزال ضائعًا في عالمه الصغير. كل كلمة قلتها للتو هي كذبة. أنا متأكدة من ذلك. يتطلب الأمر كل ذرة من قوة إرادتي حتى لا أقفز فوق الطاولة وأفقأ عينيك.

بدلًا من ذلك، أمنحك ابتسامة دافئة ومتفهمة تقول، *أنا أصدقك. أنا أشتري هذه الترهات التي تبيعها لي الآن.* ثم أرتشف رشفة أخرى من قهوتي.

– "عندما رأيت **ستانلي** خلال الغوص الأخير، قبل ظهور **أوميغا** في حفل زفافنا، أعطاني تاريخين. أخبرني أن أذهب إلى كليهما لأنه سيحتاجني هناك. أتخيل أن هذين التاريخين سيكونان مكانًا جيدًا للبدء".

– "أتفق معك".

– "ولكن كيف يمكنني التأكد من أن **أوميغا** لن يجدني عندما أعود؟ كيف يمكنني التأكد من أنني لن أسمح عن غير قصد بمحو المزيد من ماضي **ستان**؟"

تجيب:

– "لقد أعدتُ معايرة الآلة. لم أكن أتوقع منكِ أن تتفاعلي بشكل كامل مع الماضي. لقد تواصلتُ مع المسؤولين عن إبقاء **أوميغا** خاملًا. لقد زدنا من وسائل الحماية. من الآمن استخدام مجرفة الذكريات الآن لفترات وجيزة، والتفاعل إذا لزم الأمر. إذا اقتربنا من نقطة لم يعد فيها ذلك صحيحًا، سأسحبكِ قبل أن يحدث أي شيء. لكِ مني كلمة".

لا بد أن نظرتي تخبرك بمدى قيمة كلمتك بالنسبة لي، لأنك تضيف:

– "لا أريده أن يفقد المزيد من ماضيه أكثر منكِ. فهناك تكمن إجاباتي".

لستُ مقتنعة تمامًا، لكن يمكنني أن أرى أننا نريد الشيء نفسه في الوقت الحالي، وهذا يطمئنني.

يهمهم **ستانلي**، وتتجه شفتاه إلى الأعلى في ابتسامة:

– "الأرنب كان اسمه **سباد**".

آخذ يده في يدي.

أقول:

— "فلنبدأ إذن".

بعد وقت قصير، يُربط **ستانلي** مرة أخرى، وأنا أنزل في الحوض. أفكر في مدى اعتيادي على هذا الأمر، وتزعجني الفكرة. لا ينبغي لأحد أن يألف مثل هذه الأشياء.

تسأل:

— "ما هو التاريخ الأول؟"

— "٩ نوفمبر ١٩٦١".

تُدخل بعض أسطر التعليمات البرمجية في شاشتك.

— "هل تعرفينه؟"

أهز رأسي.

— "لا، لا شيء سوى التاريخ".

— "إذن سيكون من الصعب تحديد الموقع. مع ذكرى الشاطئ، كنتِ تعرفين على الأقل أين كان وماذا كان يفعل. كان بإمكانك التركيز على ذلك. هذا سيكون أكثر صعوبة بكثير".

أجيب، وأنا أعلم أنني أستطيع:

— "يمكنني فعلها".

لقد اعتدتُ أكثر على الشعور بوجودي في ذكرياته. الأمر بديهي بشكل غريب — ويزداد كذلك مع كل غوصة — مثل إعادة تعلم قيادة السيارة بعد عدم ركوبها لمدة عشرين عامًا.

تهز رأسك، وبينما تضغط على زر على الشاشة، أخفض الخوذة على رأسي وأختفي في الماضي.

هناك نوع غريب من البرزخ يحدث في اللحظات الفاصلة بين الذوبان في العدم والاستيقاظ — كما لو أن الآلة تسأل عقلك الباطن إلى أين يريد

أن يذهب، وأين تريد أن تكون.

ألف وتسعمئة وواحد وستون، أفكر. *منذ زمن طويل جدًا. زمن قبل أن يعرفني.*

أوجه نفسي إلى هناك، إلى التاريخ المحدد الذي أعطاني إياه **ستانلي**، على أمل أن ينجح مزيج عقلي ومجرفة الذكريات في تحديد المسار.

حولي، يستيقظ العالم. تظهر شواهد القبور في وعيي: أولًا واحدة، ثم خمس، ثم أكثر من أن تُحصى. تلوح فوقي كنيسة كبيرة، وتهب نسمة صيفية باردة على وجهي.

أنا في مقبرة فارغة.

لا، ليست فارغة. عندما أستدير، أرى رجلًا يقف على بعد عشر خطوات مني. ظهره لي، وهو يحدق بصمت في السحب. إنه **ستانلي** — أنا متأكدة من ذلك، وهو منزعج من شيء ما. أستطيع أن أعرف ذلك من طريقة وقوفه، من هيئة ظهره. من مجرد ملامح كتفيه، يمكنني أن أرسم لك خريطة مثالية لأفكاره.

يدق قلبي أسرع قليلًا وأنا أسير نحوه، وأتذكر كم كان الأمر مربكًا في المرة الأخيرة التي التقينا فيها. يجب أن أظل مركزة على ما هو مهم هنا، على **أوميغا**، على الحل.

أضع يدي على كتفه، فينتفض مستديرًا.

أقول:

— "**ستانلي**".

يحدق بي بعينين متسعتين، كما لو كنت شبحًا.

— "نـ ـ نعم؟ من أنتِ؟"

أسأل:

— "كيف نوقفه؟ يجب أن تعرف. كيف يتوقف؟"

— "أنا..." يتململ تحت يدي على كتفه، وأدرك أن هذا ليس صحيحًا. إنه

شاب – شاب جدًا. "لا أعرف عما تتحدثين".

لقد ذهبت إلى النقطة الخاطئة. يجب أن يكون في العشرينات من عمره، لكنه يبدو بالكاد في الثامنة عشرة.

– "في أي عام نحن؟"

يقول بتردد:

– "إمم، ١٩٥٥".

– "مبكر جدًا. اللعنة". أنا على وشك أن أقول شيئًا آخر – تحذيرًا، ربما – لكن الحيرة على وجهه تفوق احتمالي. لا ينبغي أن أكون هنا. يجب أن أغادر. "أ... أنا آسفة".

بأسرع ما يمكن، أبتعد عنه. أريد أن أصل إلى خلف الكنيسة قبل أن أسحب نفسي للخارج. لا أعرف كيف سيبدو له اختفائي في الهواء، لكن لا يمكنني تخيل أنه سيكون شيئًا ينساه. أحاول أن أكون إصبعًا في مجرى النهر، لا جذع شجرة.

لحسن الحظ، يقف في مكانه، مذهولًا. أصل إلى جانب المبنى، وبفكرة واحدة، أدفع نفسي عائدة إلى الفراغ لمحاولة أخرى.

أركز بقوة أكبر هذه المرة، والأمر أسهل لأن لدي سياقًا. في رأسي، يمكنني رؤية خط بين حيث كنت للتو – ١٩٥٥ – والحاضر. يتيح لي ذلك تصور المسافة التي أحتاج إلى قطعها. على الرغم من أنني أستخدم هذه الكلمات – خط، تصور، مسافة – إلا أن التجربة، في الواقع، لا تشبه ذلك على الإطلاق. تفتقر لغتي للتعبير عنها. هل تعرف عندما تكون في حلم وتعرف شيئًا ما؟ كأنك تعرف أنه يجب عليك أن تكون في مكان ما أو تذهب إلى مكان ما؟ هكذا يبدو هذا الشعور. تظهر المعرفة كيقين غير مترابط في رأسي، مكتملة وجاهزة.

عندما يتشكل العالم من جديد هذه المرة، يكون الأمر أسهل. إنه أكثر سلاسة مع كل غوصة.

أنا في زقاق في لندن، قبالة طريق رئيسي. أعرف هذا بشكل حدسي. هناك همهمة السيارات والحافلات، تتخللها أصوات أبواق ومحركات من حين لآخر من المنعطف، ولكنها أقل في هذا العقد منها في زمني الحاضر. المكان أهدأ. إنه قذر — الأرض رطبة قليلًا من أنبوب مكسور، وهناك مجموعة ضخمة من أكياس القمامة مبعثرة على الأرض. *لا بد أننا في الخلف خلف مطعم*، أفكر، *أو مقهى ما*.

الوقت منتصف النهار، لكن الضوء محجوب في الغالب بالمباني على كلا الجانبين. باستثناء بعض الأشعة التي تلمع على النوافذ، فإن الزقاق مظلم جدًا. وهو فارغ أيضًا. أستدير عدة مرات، محاولةً معرفة ما يجري.

هناك صوت حركة مفاجئة، فأقفز وأتراجع بضع خطوات. يتوتر جسدي، ويستعد غريزيًا للركض.

صوت حركة آخر، وهذه المرة أحدده بين صناديق القمامة. يتدحرج أحد الأكياس جانبًا، ويقف رجل. إنه قذر — يرتدي طبقات من الملابس غير المتناسقة، وتغطي وجهه لحية شعثاء. يتعثر قليلًا، ويمشي بترنح السكارى ويحمل بعض بقايا الطعام الملقاة التي اكتشفها.

أتراجع، قلقة من أنه قد يكون خطيرًا، حتى يخطو إلى شعاع من الضوء فأشهق.

إنه **ستانلي**.

دون تفكير، أندفع نحوه، لكن الرائحة الكريهة تفاجئني، فأتراجع لا إراديًا.

ينظر إليّ عابسًا، كما لو كان يحاول معرفة ما إذا كنتُ هناك حقًا، ثم يتعثر جانبًا نحو الحائط. ينزلق على امتداده، وجسده يخذله، وينهار على الأرض في كومة.

أركع، وأضع يدًا على صدره لأتأكد من أنه يتنفس. إنه بخير — لقد أغمي عليه فقط. *أكثر من اللازم من الشراب*، أظن، بالنظر إلى رائحة

الكحول التي تنبعث منه كالضباب.

أستقر بجانبه، وأدرك أنه لا يوجد الكثير مما يمكنني فعله. ليس الأمر وكأنني أستطيع حمله ونقله إلى مكان ما — فهو أثقل من ذلك بكثير. لذا أنتظر.

يستغرق الأمر ثلاث ساعات تقريبًا.

في غضون ذلك، أتركه لفترات قصيرة، وأدعو ألا يذهب إلى أي مكان. أذهب إلى الطريق الرئيسي وأسرق بعض الماء، ولفافتي شطائر في أكياس ورقية، وبعض ألواح الشوكولاتة من متجر صغير. بطريقة ما، لا يلقي عليّ أحد نظرة ثانية. ربما لا يتوقع أحد أن تسرق امرأة في الثالثة والثمانين غداءً معبأ.

أجلس بجانبه، ومئة سؤال يدور في ذهني، بما في ذلك التعليمات التي أعطاني إياها يوم زفافنا. شيء عن أستراليا. واسمي **ثاموس** و**ثيوث**.

يدير رأسه إلى جانب واحد، ويطلق سعلة مريضة. *ماذا حدث له؟ لماذا هو هكذا؟*

سأحتاج منكِ أن تتحلي بالصبر معي، كان **ستانلي** قد قال. *أن تكوني هناك من أجلي عندما أكون في أحط حالاتي.*

يمكنني فعل ذلك. هناك نوع من العدالة الشعرية في الأمر، على ما أعتقد. عندما التقينا لأول مرة، كنتُ حطامًا — لا وظيفة، لا مستقبل، وبالكاد أي أصدقاء غير المدمنين والأشخاص الذين يريدون المال مني. لكنه كان هناك من أجلي. بطريقة ما، من خلال كل ذلك، رأى في ليس الشخص الذي كنت عليه، بل الشخص الذي يمكنني أن أكونه.

هناك اقتباس ظل عالقًا في ذهني دائمًا، سمعته من محاضر في دورة تاريخ الفن التي دفعني ستانلي لحضورها بعد زواجنا. غالبًا ما يُنسب خطأً لمايكل أنجلو وهو يتحدث عن عملية النحت لديه، لكن المحاضر أوضح أن القصة ملفقة. على أية حال، ظلت الكلمات معي. يُزعم أنه قال:

"التمثال مكتمل بالفعل داخل كتلة الرخام، قبل أن أبدأ عملي. إنه موجود هناك، عليّ فقط أن أزيل بالإزميل المادة الزائدة."

عندما سمعتها، فكرت: *هذا ما فعله ستانلي. رأى المرأة التي سأكونها، تحت كل الزوائد، وساعدني على نحتها.*

أنظر إليه الآن، غائبًا عن الوعي مخمورًا في زقاق، وأرى كتلة من الرخام. أعرف كيف يبدو حقًا في الداخل.

عندما استيقظ ستانلي، كان التجهم يعلو وجهه.

تمتم:

— "ابتعدي عني."

ابتسمتُ، وناولته شطيرة، وقلت:

— "لا."

قطب جبينه، مرتبكًا من هذا المزيج. ودون رد، مد يده وأخذ الشطيرة، ساحبًا إياها من الكيس الورقي.

سألتُ:

— "هل أنت مشرد؟"

— "ما شأنكِ أنتِ؟"

استندتُ بظهري إلى الجدار بجانبه.

— "أكثر مما يمكنك أن تتخيل يا ستان."

انطلقت عيناه إلى وجهي، تمسحانه. هناك غضب، وخوف.

— "من أنتِ؟"

— "اسمي ماغي. أنا هنا لمساعدتك. لإعادتك إلى المسار الصحيح."

أخرجتُ الماء ولوح الشوكولاتة، واضعة إياهما في حجري.

أعطاني نظرة طويلة وقاسية، خطف لوح الشوكولاتة، ونهض.

قال بفظاظة:

— "اغربي عن وجهي."

واستدار مبتعدًا عني، ماشيًا نحو الطريق الرئيسي.

ورغم أنني لم أتوقع أن يكون الأمر سهلاً، إلا أن رفضه اخترق قلبي مباشرة. إنه بارد جدًا، وقاسٍ جدًا، ونقيض تمامًا للرجل الذي أعرفه.

تماسكي يا ماغي، فكرتُ. *إنه يحتاج إليكِ.*

نهضتُ وتبعته إلى الشارع.

نحن بالقرب من شارع بريكستون الرئيسي، أسفل الطريق المتفرع من الأكاديمية. المكان يحمل ذلك الطابع الخام والمكهرب الذي أحببته دائمًا، خاصة قبل أن يضيفوا خط مترو الأنفاق. ذهبنا لحفل هنا مرة، نحن الاثنان، في أواخر الستينيات. دخنا سيجارة حشيش في الخلف مع عازفي جيتار جامايكيين وشربنا علب (ريد سترايب) حتى الثانية صباحًا. كان ذلك قبل ليا، بالطبع. أتذكر أنني كنت خائفة قليلاً من أن الاحتفال بتلك الطريقة مرة أخرى سيعيدني إلى مسار مظلم، لكن ستانلي لم يكن كذلك. كان الأمر وكأنه يعرف أن ذلك الجزء من حياتي قد انتهى، وإيمانه هو ما حملني خلال ذلك.

بريكستون في هذه الأيام تجارية أكثر من اللازم، وقبيحة أكثر من اللازم—معقمة بفعل التحسين العمراني ومطوري العقارات. لبضعة مجمعات سكنية، تظاهر بعدم ملاحظتي. ليس الأمر وكأنني أختبئ أو شيئًا من هذا القبيل—أنا فقط خلفه ببضع ياردات، ملتصقة به كالظل. وكأنه إذا تجاهلني بقوة كافية، فقد أختفي. بين الحين والآخر، يرمي بنظرة خاطفة في اتجاهي، والإحباط واضح على وجهه. إنه يكرهني. يريدني أن أرحل.

أنفض الأمر عني. أذكر نفسي أنه بعد السنوات العشر الماضية من التعامل معه في الحاضر، هذا لا شيء. كل تعليق جارح قاله ستانلي، كل مرة زرت فيها ونسي من أكون—لقد قستني تلك اللحظات. في هذه الأيام، أشعر وكأنني أستطيع المشي عبر نيران الجحيم والعودة وبالكاد أرمش.

بعد حوالي نصف ساعة، وصلنا إلى مجمع شقق. دفع ستانلي بابًا بقفل مكسور وصعد سلمًا معتمًا بمصباح وامض. الكلاب تنبح في الشارع خلفنا. والجرذان تركض عبر الأرضية.

عندما وصل إلى باب في الطابق الثاني تقريبًا، توقف واستدار.

— "توقفي عن ملاحقتي."

رسمتُ أفضل ابتسامة أستطيع تدبيرها.

— "لا. هل يمكنني الدخول؟"

صاح ضاربًا يده على إطار الباب:

— "ماذا تريدين؟ كيف تعرفين اسمي؟ كيف... في الواقع، انسي الأمر. لا أهتم. فقط اتركيني وشأني."

هززتُ كتفي.

— "لا أستطيع فعل ذلك يا ستان. أنا هنا لسبب. تبدو جائعًا—تبدو وكأنك لم تأكل منذ أيام. إذا سمحت لي بالدخول، سأطبخ لك وجبة."

تذمر قائلاً:

— "ليس لدي أي طعام. ولا مال."

— "ولا أنا." أجبت، لكنني فكرت فيما قلته أنت عن وضع إصبعك في النهر، وعن كيف سيتدفق الماضي حولي ببساطة إذا تركته، وفكرت في تجربتي مع الشطائر. نمت ابتسامة كبيرة على وجهي. "لكنني أعتقد أنني قد أكون سارقة متاجر ممتازة."

بعد ساعة، كنت قد ذهبت للجزار وبائع الخضار. سرقت وليمة—هناك دجاجة في الفرن، ومرق على الموقد، وحوالي قدر ما أستطيع حمله من الخضار الطازجة دون أن أبدو سخيفة.

المطبخ مقزز. أنا مندهشة لوجود كهرباء أصلاً. من الواضح أن ستانلي يستوطن هنا بشكل غير قانوني وأن المبنى مهجور. لا بد أنه عثر عليه مؤخرًا، ولم يتسنَ للشركة الوقت لقطع التيار بعد.

إنه يتركني أطبخ، متجاهلاً إياي. يختبئ في بقايا غرفة المعيشة، متظاهرًا بقراءة كتاب. أستطيع القول إنه يتظاهر لأنني أعرف تمامًا كيف يبدو عندما يقرأ: الطريقة التي يضع بها يده على خده، الطريقة التي يثني بها ساقيه. لا يوجد شيء من ذلك الآن.

عندما انتهيت، أكلنا كلانا في صمت. بذلت قصارى جهدي لفرك الأوساخ عن الأواني الفخارية التي وجدتها، لكن الأمر صعب بدون صابون. *هل يمكنني حتى الإصابة بالسالمونيلا في الماضي؟*

يتصرف وكأنه لا يستمتع، تجهم ملصق على وجهه وهو يلتهم الطعام في فمه، لكنني أعرف خلاف ذلك. لست سيدة مغرورة، لكن أحيانًا عليك أن تكون صادقًا مع نفسك. أنا طباخة رائعة بحق الجحيم.

عندما انتهى، مال للخلف ونظر إليّ. حدق طويلاً وبقوة. انتظرت، تاركة إياه يستوعبني تمامًا—هذه السيدة العجوز الغريبة التي ظهرت من العدم وتتبعه الآن كجرو ضائع.

قال أخيرًا:

– "أخبريني لمَ أنتِ هنا."

– "أنا هنا لمساعدتك. أنا هنا لإخراجك من هذه الفوضى. أنا هنا لإعادتك إلى المسار الصحيح."

جفل قليلاً، بشكل غير محسوس تقريبًا.

– "لا يوجد مسار."

– "هناك مستقبل أمامك يا ستانلي. عليك أن تكون مستعدًا له."

زمجر قائلاً:

– "هراء. لا يوجد شيء لي."

– "هذا ليس صحيحًا، وأعتقد أنك تعرف ذلك."

انتفض واقفًا، راميًا طبقه جانبًا.

– "ما الذي تعرفينه أنت بحق الجحيم؟"

أخذت نفسًا، وبقيت هادئة قدر استطاعتي.

— "أعرف أن هذا ليس أنت يا ستان. أنت أفضل من هذا."

صاح:

— "أفضل؟ أفضل؟! كل من أحببتهم ماتوا. كل ما بنيته انهار. كل ما ألمسه، كل ما لمسته أبدًا، دمرته. تباً لكِ."

اقتحم الغرفة الأخرى. وأنا نظفت الأطباق.

عشنا هكذا لثلاثة أيام أخرى. أطبخ له، أنظف المكان، وحتى سرقت له بعض الملابس الجديدة. يقبلني في حياته على مضض، حتى لو لم يعترف بذلك. أحاول ألا أضغط بقوة. مهما كان ما حدث له، سيستغرق الأمر وقتًا لإخراجه. أتساءل كم من الوقت لدي في هذه الذاكرة، كم من الوقت لدي للعمل، لكنك قلت إنك لست متأكدًا. قلت فقط إنك ستخبرني قبل أن أذهب بعيدًا جدًا، ولم أسمعك بعد.

في الليل، أسمعه يبكي. يحاول كتمه، لكن باستثناء نباح الكلاب وصرير الجدران، لا يوجد صوت آخر. إنه على أريكة قديمة ممزقة في غرفة المعيشة. وأنا أنام في الغرفة الأخرى على الأرض، داخل حقيبة نوم لطشتها من متجر رياضي في أول الشارع. ظهري يصرخ فيفي الصباح، وعليّ التمدد لنصف ساعة فقط لأشعر بأنني بشرية.

في اليوم الثالث، جلست قبالته ومعي كوب شاي. يظل يطلب مني سرقة بعض الكحول له، لكنني لا أفعل أبدًا. يغضبه ذلك بشدة.

سألتُ:

— "هل ستخبرني بما حدث؟"

حدق بي.

— "ماذا تعنين؟"

— "لم تكن هكذا دائمًا. كانت لديك آمال. كانت لديك أحلام ذات يوم."

هز رأسه بانزعاج.

– "الأحلام بلا طائل. الأمل أسوأ. الحياة مجرد مجموعة من الفخاخ نصبت للعبث معك. تأمل في أي شيء وسيُؤخذ منك."

ملت للأمام، ضاغطة عليه أكثر. لقد مر وقت كافٍ.

– "ما الذي أُخذ منك؟"

انكمش مبتعدًا عني.

– "لا تفعلي."

– "هل فقدتَ شخصًا ما؟"

– "توقفي."

– "ليس خطأك."

وقف، مقتحمًا الجانب الآخر من الغرفة، معطيًا ظهره لي. لكنه لم يغادر.

قال:

– "أنتِ لا تعرفين شيئًا."

– "أعرف أنك مقدر لأشياء أعظم من هذا."

انفجرت منه ضحكة بلا دعابة بدت كالسعال.

– "إذا كانت المواد الخام رديئة، فلن تصنع منها شيئًا ذا جودة أبدًا."

– "ماذا؟"

تمتم:

– "لا يهم. إذا كان هناك أي قدر لي، فهو تدمير كل من أحب."

– "أعرف أن هذا غير صحيح يا ستان. أعرفه كحقيقة، لأنني أحبك، وأنت تحبني، وها أنا ذا."

استدار بغضب، وكأنه على وشك الصراخ بشيء في وجهي، ثم توقف ميتًا. حدق بي، وعقله يدور، وفمه مفتوح.

همس:

– "أنا أعرفكِ."

– "نعم."

– "في التخرج، في المقبرة. قبل والدمان..." هز رأسه. "لم تشيخي يومًا واحدًا."

ابتسمتُ.

– "ساحر دائمًا."

– "وقبل ذلك—لقد... لقد رأيتكِ من قبل. كطفل. أنا متأكد من ذلك. تلك المرة في الحديقة، مع أبي، والـ... يا إلهي. من أنتِ؟!"

وقفت، باقية في مستواه حتى وهو يبدو كأنه على وشك الانهيار.

– "أنا من المستقبل. مستقبلك." توقفت، متسائلة إلى أي مدى يجب أن أذهب. "أنا زوجتك."

اتسعت عيناه.

– "أنتِ تستخدمين المجرفة. وجدتِ طريقة لجعلها تعمل."

– "يمكنك قول ذلك."

– "لا." بدأ يذرع المكان جيئة وذهابًا، وقلقة أنا من أنني سأفقده مرة أخرى. "لا، لا، لا. لا أستطيع. انتهى الأمر. لا أستطيع العودة هناك مرة أخرى."

– "لا بأس يا ستان."

– "لا، ليس كذلك. ليس كذلك."

يداه ترتجفان. إنه ينهار، ولا أعرف ماذا أفعل. كل ما أستطيع التفكير فيه هو: *ماذا كان سيفعل لو تبادلنا الأدوار؟* أتذكره قبل زفافنا مباشرة: شعور ذراعيه حول جسدي، لمسة جلده.

مشيتُ للأمام، عجوزًا وواهنة كما أنا، وأخذته بين ذراعي. سحبته قريبًا. قاوم للحظة، ساحبًا نفسه بعيدًا في صدمة، لكنه تكور داخلي بعدها.

– "سيكون كل شيء بخير يا ستان. أعلم ذلك، لأنني أعلم أنك تخرج من هذا. تلملم حياتك. تتزوجني، وننجب ابنة، ونعيش خمسين عامًا سعيدة ومجيدة معًا. تجعلنا نشعر بحب كبير، ولا تدمر أيًا من ذلك. أعدك."

– "أنا لا أفهم."

قلت وأنا أحمله كطفل، كرضيع:

– "لا تحتاج لأن تفهم. فقط اعلم أنني هنا لأجلك، دائمًا."

إنه ينتحب. جسده كله يرتجف، وأوجهه للجلوس على الأريكة القديمة.

صوت يتردد في مؤخرة جمجمتي. تقول:

– «عليكِ الخروج الآن.»

لا، فكرتُ. *لم أنتهِ هنا.*

– «نحن نصل إلى حافة حمايتنا.» صوتك قاسٍ. «إذا بقيتِ أطول، سيضيع كل شيء. سيكون هذا بلا طائل.»

سحبتُ ستانلي للأعلى وجعلته ينظر إليّ. قلت بسرعة:

– "ليس لدي الكثير من الوقت. استمع إليّ: أنا أؤمن بك. هناك طريقة لتصحيح الأمور، لجعل كل هذا يستحق العناء، لكن عليك إيجاد طريقة لإيقافه. من المفترض بي إخبارك بالذهاب إلى أستراليا."

رمش الدموع من عينيه، والحيرة تسيطر عليه.

– "أستراليا؟"

– "لا أعرف لماذا. هناك نوع من الطقوس، بنار وخزامى. وكان هناك وستارية أيضًا. وبعض... بعض الرموز." نهضت، باحثة بجنون عن شيء للكتابة به. قطعة ورقة. قلم. لا يوجد شيء.

سأل:

– "رموز؟"

تصر أنت:

– «ماغي.»

أمسكت بعبوة كاتشب من الجانب وعصرتها على يدي، راسمة أحد تلك الرموز الغريبة الشبيهة بالمسمارية من الزفاف على الجدار. نظر إلي وكأنني جننت.

– "شيء ما بخصوص أستراليا."

حدق بي.

– «الآن يا ماغي. لم يعد هناك وقت.»

اندفعت للأمام وأمسكت بيده، عاصرة إياها بقوة.

– "أستراليا،" قلت مرة أخرى. "خزامى. نار. أنا أثق بك. أنا أحبك. دائمًا."

ثم سحبت، وتحلل أمامي، وذابت حواسي بعيدًا.

عندما فتحت عيني، كنتَ تقف فوقي وبيدك سيجارة.

قلبي يقرع بقوة لدرجة أنني أظنه سينفجر.

قلت ناظرًا للشاشات:

– "حسنًا، أعتقد أن ذلك سار بشكل جيد للغاية."»

١٦

ستانلي
١٩٦٣

خارجًا من الطائرة ذات السطحين الصغيرة، رفع ستانلي وشاحه اتقاءً للغبار الأحمر. كانت ردة فعل، عرف الآن أنها بلا طائل. بعد قضاء الأشهر الثمانية الماضية في المناطق النائية، أدرك أنه لا توجد طريقة لمنعه من الدخول. الغبار أصبح جزءًا منه الآن—يستطيع الشعور به في دمه.

من بعثته الأخيرة في جنوب أستراليا، طار فوق صحراء فيكتوريا العظمى وصحراء جيبسون، هابطًا في هذا المهبط الصغير في غرب أستراليا، الذي بُني أساسًا لمنجم خام الحديد العملاق في نيومان. قرقعت الأرض الجافة تحت قدميه، المدرج المرتجل بالكاد يمكن تمييزه عن آلاف الأميال من الأرض الفارغة المحيطة به. على مد البصر، كانت الأرض بلا حياة: حمراء ومليئة بالفوهات مثل سطح المريخ. طعم التراب المر غطى مؤخرة حلقه.

هرعت امرأة قصيرة نحوه من سيارة جيب ملطخة بالغبار، واستعد ستانلي لوابل الأسئلة. كان هذا رابع موقع حفر أثري يزوره، وبدأ الأمر يبدو مكررًا قليلاً.

— «سيد ويب.» مدت المرأة يدها. خمن ستانلي أن سروالها القصير وقميصها ربما كانا كاكيين ذات مرة، لكنهما الآن متصلبان بالأحمر. صافحت يد ستانلي بقوة. «إيزابيلا سامرز. أو بيلا فقط، لا بأس، إذا أردت.

سعيدة جدًا بوجودك هنا يا سيدي. سعيدة جدًا لأنك أبديت اهتمامًا كبيرًا بالحفر.»

أومأ ستانلي، مبتسمًا بعدم ارتياح. لم يعتد بعد على الاحترام الذي يوفره المال. كان يفهمه: هؤلاء علماء الآثار كانوا في الغالب فقراء، يكافحون لتدبير أمورهم بمنح بحثية متضائلة. أن يظهر فاعل خير غامض فجأة ويعرض تمويل مشروعك كان كشيء من أسطورة، حكاية خرافية تُحكى حول نيران المخيمات في مواقع الحفر الأثرية. ومع ذلك، جلس وضع ستانلي عليه بعدم ارتياح، مؤرقًا إياه بشعور من عدم الأمانة، شعور بأنه يرتدي أردية مستعارة.

المال كان ماله، أكد له المحامون. ثروة راف الكبيرة، التي نمت فقط خلال سنوات المعهد، تُرِكت بالكامل لستانلي. عندما تمكنوا أخيرًا من تعقبه، أبلغته السلطات أنه أصبح أحد أغنى الناس في البلاد بين ليلة وضحاها. تواصل مع صديق قديم من "ويلتون"، هيوغو، الذي أصبح محاميًا الآن. وبناءً على نصيحته، استثمر ستانلي معظمها، واضعًا الجزء الأكبر من المال في "صنرايز القابضة"——صندوق أنشأه للحفاظ على الثروة ودفع راتب ثابت له من أرباح الاستثمار إلى الأبد. أدار هيوغو الصندوق، سعيدًا جدًا بتولي الدور السهل، وأصبح ستانلي مؤمنًا مدى الحياة. لن يضطر للعمل يومًا آخر إذا لم يرد ذلك.

كل ذلك لأن صديقه المفضل مات. كل ذلك لأن ستانلي جره إلى شيء لم يستطع السيطرة عليه.

تبع بيلا إلى الجيب. لهذا كان هنا——حتى يتمكن من فهم ما حدث، حتى يتمكن من التأكد من أنه لن يحدث لأي شخص مرة أخرى.

أكثر من أي شيء، لم يستطع التوقف عن التفكير في ماغي. طاردت كل لحظة يقظة له ومعظم أحلامه أيضًا. لم يعرف لماذا. لم يفهم الأمر:

كيف ظهرت هذه المرأة العجوز من العدم وفي غضون بضعة أيام أنقذته من الانحدار إلى النسيان التام.

لكن كان هناك شيء ما في الطريقة التي نظرت بها إليه، كأنها تعرفه بطريقة لم يفعلها أحد من قبل. كان هناك شيء ما في الطريقة التي تحدثت بها إليه. كل مرة توقف فيها للتفكير، وجد نفسه يعيد محادثتهما مرارًا وتكرارًا في رأسه.

تتزوجني، وننجب ابنة، ونعيش خمسين عامًا سعيدة ومجيدة معًا. تجعلنا نشعر بحب كبير، ولا تدمر أيًا من ذلك. أعدك.

هل يمكن أن يكون ذلك ممكنًا؟ هل يمكن أن يكون حقيقيًا؟ وإذا كان كذلك، هل استحقه؟

قالت بيلا ويداها على المقود بينما تترنح السيارة عبر الصحراء:

— «موقع الحفر حديث نسبيًا. لكننا صادفنا بعض الأشياء المثيرة حقًا التي تبدو مؤكدة لما شوهد في موقع مونغو. يبدو الأمر جنونيًا، لكننا نُدفع حقًا إلى حدود التأريخ بالكربون المشع هنا.»

— «ماذا تعنين؟»

ابتسمت بيلا.

— «إنه لأمر مدهش كيف تغير تأريخ ثقافة السكان الأصليين في أستراليا. سيخبرك بعض الناس أنه تحيز ثقافي، لكن الكثير منه مجرد نقص في البيانات. فكر في الأمر—في الأربعينيات، اعتقد الجميع أن الشعوب الأصلية كانت هنا منذ بضعة آلاف من السنين فقط. في الخمسينيات، أصبحت خمسة وعشرين ألفًا، ثم أربعين ألفًا، الآن ربما حتى ستين ألف سنة، لكن هنا نصطدم بعقبة.»

كما لو كان بتوقيت، ارتجت الجيب وهي تقفز فوق صخرة بارزة. أمسك ستانلي بمقبض الباب وجسده يهتز.

— «أي عقبة؟»

تابعت، وصوتها يأخذ الرنين المتحمس لعالم يشرح عمله:

– «الكربون المشع له عمر نصف يبلغ حوالي خمسة آلاف وسبعمائة وثلاثين عامًا. بسبب هذا، لا يمكنك حقًا تأريخ أي شيء بالكربون المشع أبعد من حوالي خمسين ألف سنة. الأمر لا ينجح—لذا الكثير مما نفعله الآن هو تخمين. بالتأكيد، كان هناك بعض التقدم بطرق تأريخ أخرى. كانت هناك بعثة جون بويل في الخمسينيات، بالطبع. ثم، حسنًا، لديك اكتشاف كيمبرلي المجنون قبل بضع سنوات فقط.»

– «اكتشاف كيمبرلي؟»

أومأت بيلا بحماس، وعيناها باقيتان على الامتداد الأحمر الطويل أمامها. كانا يقودان لبعض الوقت، لكن بالنسبة لستانلي لم يتغير المشهد قيد أنملة.

قالت بيلا بضحكة خفيفة:

– «كان الباحثون يسمونه (ستونهنج المناطق النائية). افترض وودفورد أنه قديم قدم مائة وستة وسبعين ألف سنة، مضاعفًا بذلك الوقت الذي نعتقد أن البشر احتلوا فيه هذه الأرض ثلاث مرات تقريبًا.»

رفع ستانلي حاجبيه.

– «هذا وقت طويل.»

أجابت بيلا:

– «هذا أطول من وقت طويل. يتحدث الناس عن أقدم أمثلة الثقافة البشرية على أنها ربما بعمر عشرين ألف سنة. كهوف لاسكو عمرها ماذا؟ سبعة عشر ألف سنة؟ سمعت بعض التقارير عن أشياء مثل أدوات عثر عليها في جنوب أفريقيا قبل أربعة وأربعين ألف سنة. لكن في أستراليا؟ اكتشفنا نقوشًا صخرية يمكننا تأريخها لتعود إلى خمسة وسبعين ألف سنة بناءً على التكوينات الصخرية نفسها. هذا يدفع مفهومنا للفن البشري، وللثقافة والمعرفة البشرية، للوراء بشكل كبير. الأمر مثل... حسنًا، الأمر

يكاد يكون وكأن هناك حقبة كاملة من التاريخ البشري المفقود وجدت هنا قبل كل ما نعرف عنه اليوم.»

أمال ستانلي رأسه باستفهام.

– «يكاد يكون؟»

قالت بيلا هازة كتفيها:

– «أعني...» نظرت لأسفل إلى عجلة القيادة. كان من الواضح أن هذه النظريات قد تم تحديها من قبل. «إنها فكرة مجنونة. إنها مجرد فرضية، حقًا. ما زلنا... نجمع البيانات وحسب.»

أومأ ستانلي، مستقرًا في مقعده. الكثير من هذا كان يتناسب مع ما كان يكتشفه خلال الأشهر الثمانية الماضية. لم يكن يعرف لماذا أرسلته ماغي إلى أستراليا، لكنه استطاع رؤية القطع تسقط في مكانها.

حقبة كاملة مفقودة من التاريخ البشري، وكأنها مُحيت أو نُسيت. هل كان هذا الشيء الذي أطلقوا العنان له—الوباء الذي أصاب عملهم—موجودًا منذ زمن بعيد بما يكفي ليكون مسؤولاً عن فقدان كهذا؟ كان هناك شيء مخفي في الماضي العميق هنا—في الدهاليز البعيدة للزمن—وكلما تعلم ستانلي المزيد عنه، كلما شعر أنه يقترب من نوع من الإجابة، حتى لو لم يكن يعرف حقًا ما هو السؤال.

توقفت الجيب عند مجموعة من الخيام والأكواخ في وسط الصحراء. كانت هناك بضع شاحنات وعربات نقل، كلها مغطاة بالتراب الأحمر، وعمال يدخلون ويخرجون من مواقع حفر مختلفة. كانت عملية صغيرة، لكن ستانلي كان هنا لسبب محدد للغاية.

– «إذا كنت ترغب، يمكنني أخذك في جولة؟»

هز ستانلي رأسه.

– «ربما لاحقًا، شكرًا لك. أود حقًا لقاء أحد عمال الحفر لديكم، في الواقع. رجل يدعى سايمون ياراموندي؟»

رفعت بيلا حاجبيها.

— «ياراموندي؟ إنه مجرد موظف محلي—رجل من السكان الأصليين. حفار. لا يعرف الكثير عن المشروع بخلاف الحفريات التي تعاقد للعمل فيها.»

ابتسم ستانلي.

— «لدي بعض العمل الشخصي.»

قالت بيلا، فاتحة باب الجيب لستانلي لينزل:

— «بالطبع، بالطبع. أي شيء تريده يا سيد ويب. وإذا كانت هناك أي مشاكل معه، يمكننا دائمًا...»

— «لا، لا. لا مشاكل. أريد فقط الدردشة حول شيء ما.»

كانت ابتسامة بيلا المتملقة مشوبة بالحيرة، لكنها أومأت على أي حال.

— «دعنا ندخلك لإحدى الخيام ونحضر لك كوب قهوة. سأجده وأحضره فورًا.»

***

وقف ستانلي مع قهوته—مشروب ساخن بشكل سخيف لمناخ حار كهذا، لكنه شعر أنه لا يستطيع الرفض—وحدق في المشهد الطبيعي. منذ كان صبيًا صغيرًا، شعر برهبة لا مفر منها إزاء مقدار ما لا يزال يجهله عن العالم، ومقدار ما تبقى لاكتشافه. بينما ينظر للامتداد الأحمر المترامي، شعر بالمفهوم يتجسد حرفيًا—وكأن مفهومنا الكامل للكون مجرد خدش على جلد شيء أكبر بكثير، عالم سفلي لانهائي تقريبًا من الاحتمالات تحته. كلما طال وقته على هذه الأرض، كلما أصبح ذلك يقينًا لديه.

وربما إذا استطاع العثور عليه، سيفسر التجربة الفاشلة بشكل مأساوي، وسيفسر خيار والدمان، وسيفسر موت راف. وحينها ربما، ربما فقط، إذا حصل على بعض الإجابات، قد يتمكن من المضي قدمًا.

تساءل عما يفعله جاك الآن. بعد أن افترقا في لندن، لم يره. طلب من هيوغو استخدام بعض أموال "صنرايز" لمد المجسات، وكانت هناك شائعات عنه—في القاهرة، في إسطنبول، ولاحقًا في أيسلندا. عن رجل يدعى حسن، يطابق وصف جاك، يجمع فرقًا، ويشتري عقارات. حاول ستانلي إبقاء مراقبة وثيقة عليه، لكن جاك كان زلقًا، لا يبقى في أي مكان لفترة طويلة أبدًا.

لا يزال يستيقظ في الليل وصور الأجساد المقطعة والأعضاء في المرطبانات تطارد أفكاره. أقلقه أنه لا يعرف ما الذي جاك قادر عليه. أمل ستانلي أن يتوقف جاك عن العبث ويستقر في مكان ما بهدوء، لكن حتى وهو يفكر في ذلك، عرف كم يبدو الأمر ساذجًا. لم يكن ذلك جاك. لم يكن جاك كذلك أبدًا.

دوّى صوت عميق من خلفه:

— «سألت عني؟»

استدار ليجد رجلاً طويلاً، داكن البشرة يرتدي قبعة كبيرة.

— «ماذا يمكنني أن أفعل لك؟»

— «سايمون ياراموندي؟»

أومأ الرجل، ووجهه بلا تعبير.

— «نعم.»

— «قيل لي أن آتي وأجدك. قيل لي أنك تستطيع مساعدتي في شيء ما.»

— «لا أعرف من قد يخبرك بشيء كهذا.»

خلع ستانلي حقيبة ظهره ووضعها عند قدميه، منحنيًا لفتح سحابها.

— «امرأة تدعى غريس بايونغو، في الأسفل بالقرب من يالابينا. أريتها شيئًا، وقالت: (ستحتاج لرؤية سايمون بخصوص ذلك). استغرق الأمر مني وقتًا طويلاً لتعقبك.»

رفع سايمون يده لذقنه، فاركًا إياها بتفكير.

— «غريس العجوز أخبرتك ذلك؟ وماذا أريتها؟»

سحب ستانلي دفتر ملاحظات من حقيبته، مقلبًا للصفحة الخلفية. عليها، كان قد خربش الرمز الذي رسمته ماغي بإصبعها والكاتشب على الجدار في لندن، قبل لحظات من اختفائها—كخيط دخان في الهواء. أداره وأراه لسايمون.

لم يرمش سايمون. لم يتغير تعبيره. حدق فقط في الرمز لثلاثين ثانية جيدة في صمت.

قال أخيرًا، ووجهه لا يزال صلبًا كصخرة:

— «إذن، أنت تبحث عن الأزمنة القديمة. ما قبل.»

رد ستانلي، وصوته بالكاد يعلو فوق الهمس:

— «نعم. نعم، أنا كذلك.»

انفجر سايمون ضاحكًا. انحنى، واضعًا يده على بطنه بينما الضحك يتدفق منه. حدق ستانلي فقط.

— «ما الأمر؟»

استقام سايمون، ماسحًا عينيه مع مغادرة الضحكات القليلة الأخيرة له.

— «آه، أيها الرجل الأبيض، تمامًا عندما أظن أنني رأيت كل الهراء الغبي الذي تفعلونه، تذهبون وتفعلون المزيد منه. قابلني عند حافة الحفر عند الغروب. سآخذك حيث تريد الذهاب.»

سأل ستانلي، متجاهلاً الوخزة وشاعرًا بدلاً من ذلك بحاجة ملحة للتحرك:

— «لماذا الغروب؟» كل هذه الشهور، وأخيرًا لديه شيء ملموس. «لماذا ليس الآن؟»

— «لدي عمل لأقوم به يا رئيس. لدي حفر لأعمل عليه.»

- «سأدفع لك مقابل عمل اليوم. تباً، سأدفع لك مقابل السنة.»

هز رأسه.

- «ليس الأمر متعلقًا بالمال. هذا ما لا يفهمه أمثالك أبدًا. اسمع—هذا طلب ما ترسلنا غريس به. أنت متأكد أنك مستعد لهذا؟»

استقام ستانلي، وصوته صلب.

- «قضيت العام الماضي أبحث عن أي شخص يمكنه إخباري بأي شيء عن هذا. قضيت شهورًا أحاول العثور عليك. أنا مستعد لأي شيء.»

قال هازًا كتفيه:

- «قرارك.»

وتجول مبتعدًا، هازًا رأسه لنفسه ومبتسمًا، مستعيدًا أياً كان ما وجده مضحكًا للغاية.

قضى ستانلي بقية اليوم يفكر في ماغي. مرة أخرى.

بطريقة ما، عرف أنها كانت دائمًا هناك، مضغوطة في صفحات حياته، حتى لو لم يستطع تذكر جميع الحالات التي ظهرت فيها تمامًا. في ذلك الوقت، كانت قابلة للنسيان، كل واحدة فردية كصورة باهتة. لكن للحظة وجيزة في غرفة المعيشة المهجورة تلك في لندن، تحطمت كلها معًا في عقله، مثل تقارب الكواكب والنجوم. وبينما كان ستانلي يترنح من الصدمة، أمسكته بقوة، وشعر ستانلي—بشكل مستحيل—بشعور غامر بأن كل شيء سيكون على ما يرام.

لم يشعر بذلك من قبل قط.

لكنه عرف أنه سيفعل أي شيء، أي شيء، للشعور به مرة أخرى.

كان الوقت بعد السادسة بقليل عندما قبلت الشمس الأفق. انسكب البرتقالي والأصفر منها، متراكمًا فوق الغبار الأحمر اللامتناهي؛ اندمجت السماء والأرض في قوس قزح عميق من الدفء. أخذ ستانلي نفسًا، مستوعبًا كل ذلك.

قال لسايمون، الذي ظهر بجانبه:

— «إنه جميل.»

أجاب:

— «لطالما كان كذلك. هل معك ماء؟ هل معك سترة عندما تغرب الشمس تمامًا؟ سنمشي لفترة قصيرة.»

أومأ ستانلي ووضع حقيبته. وجودها جعله يشعر بأمان أكثر قليلاً—كانت تحوي مصباحًا يدويًا، وبعض المعدات الطبية لحالات الطوارئ. سحبها بإحكام ضد ظهره.

— «إلى أين نحن ذاهبان؟»

ابتسم سايمون له فقط.

— «تعيشون دائمًا في المستقبل. هدئ أعصابك. ستكتشف عندما يحين الوقت. استمتع بالحاضر. إنه يحدث الآن.»

ومع ذلك، انطلق سايمون، ماشيًا في المدى البعيد. تبعه ستانلي، مرتبكًا. على مد البصر، امتدت الأرض إلى الأفق دون شائبة واحدة—لا شجرة أو كوخ أو حتى صخرة كبيرة—باستثناء جبل كبير في البعيد. استغرق الأمر من الجيب ساعة صلبة للوصول هنا من المطار، الذي كان في الاتجاه المعاكس. ومع ذلك ها هم، يمشون فقط للخارج فيه.

بدا الأمر وكأنهم غمسوا أنفسهم في الشاطئ عند أحد طرفي المحيط الهادئ وبدؤوا السباحة للخارج، آملين أن يجدوا شيئًا في النهاية قبل أن يغرقوا.

قال سايمون وهما يدوسان عبر الأرض القشرية:

— «لا يأتي الكثير من البيض باحثين عن (ما قبل الماضي). لا يهتم الكثير من الرجال البيض بـ (الزمن العميق).»

— «ما قبل الماضي؟ الزمن العميق؟»

— «رجال بيض مثلك يستخدمون كلمة (زمن الحلم)—لكنه مصطلح اختزالي. يغطي كل شيء من (ألتجيرا) لشعب أريندي إلى (جوكوربا) لشعب وارلبيري، وكأنها كلها الشيء نفسه. بالنسبة لي، أنا أتحدث عن الزمن قبل الزمن. والزمن بعد الزمن. التفكير على مقياس عميق.»

قطب ستانلي جبينه.

— «ماذا تعني؟»

أجاب سايمون، ولم يتوقف أو يلتفت. تحدث بالكلمات أمامه، نحو الأفق:

— «الزمن العميق هو الزمن الأطول بكثير من أي حياة بشرية واحدة، أطول بكثير من أي حضارة بشرية واحدة. من المستحيل عليك فهمه. ثقافتكم مبنية حول الزمن الضحل. هل ترى؟ كل ما تفعلونه، كل ما تسعون لتحقيقه، مبني حول عمر واحد. بضع سنوات. حتى أولئك الذين يخططون لأجيال المستقبل يفكرون فقط لخمسين، ربما مائة، سنة في المستقبل. ذلك زمن ضحل. الزمن العميق يجعل اللحظة البشرية متواضعة. ما الذي تهمه عشرات الآلاف من السنين بخططك؟»

لم يرد ستانلي. واصل فقط مواكبة الوتيرة، محاولاً استيعاب ما يُقال له، محاولاً وضعه في سياق.

— «عندما جاء المستعمرون هنا لأول مرة، تساءلوا: (لماذا ليس لدى هؤلاء الناس بلدات؟ لماذا ليس لدى هؤلاء الناس مدن؟) اعتقدوا أننا لابد بدائيون، أكثر بقليل من حيوانات. لكن هل يهتم الزمن العميق بمدنكم؟ إنها شيء ضحل، ومع الوقت ستصبح كلها غبارًا.»

— «لماذا تخبرني بهذا؟»

رفع سايمون حاجبيْه، معطيًا ستانلي نظرة مضحكة.

— «أنت سألت.»

- «أنا...» هز رأسه. «قلت إنني جئت باحثًا عن ما قبل الماضي. ما هو ذلك؟»

- «العدم الذي سبق العالم. اللامحدودية. إنه كيف جئنا جميعًا لنكون هنا.»

طفت ومضة في ذهن ستانلي.

يوناني بالفعل، قال والدمان من دهاليز ذاكرته. *أبيرون هو فكرة أنه قبلنا، قبل الناس والأشياء والآلهة والبشر، وجد شيء آخر... إنه مفهوم موجود عالميًا تقريبًا عبر الثقافات— في الطاوية الصينية*، هو (ووجي)، *أو (الكون البدائي)؛ في العبرية*، هو (عين صوف).

نظر إلى سايمون، وخطوط تتقاطع وتتصل في عقله.

- «مثل أسطورة خلق؟ شيء حدث منذ زمن طويل؟»

هز سايمون رأسه مرة أخرى.

- «لا. إنه الآن. إنه دائمًا. إنه الماضي والحاضر والمستقبل. إنه كل_ متى.»

لماذا أخبرك بهذا؟ نكز والدمان في عقل ستانلي.

أنا... تردد ستانلي الشاب. *لست متأكدًا.*

ابتسم البروفيسور، ابتسامة افتقدها كثيرًا. *جيد. فكر فيها كلغز، إذن. إذا استطعت معرفة سبب إخباري لك، فربما سأعطيك الدليل التالي.*

همس ستانلي بصوت عالٍ:

- «لا أفهم. ما زلت لا أفهم.»

قال سايمون مومئاً:

- «أعرف. لهذا السبب تحتاج لرؤيته. رؤية ما قبل الماضي بنفسك.»

***

بعد ما لا بد أنه كان بضع ساعات من المشي، توقف الوقت عن امتلاك المعنى الذي كان له من قبل. وضع ستانلي ساعته في حقيبته، في الغالب لمنعها من التكتل بالغبار، لكنه لم يكلف نفسه عناء تفقدها. أينما

كان سايمون يأخذه لم يكن معتمدًا على الوقت—لم يحدث فرقًا كم من الوقت مشوا، بل فقط كم ابتعدوا. لم يكن لديه مقياس لذلك.

بدا الأمر وكأنهم مشوا إلى الأبدية. لم يتغير المشهد إلا بالكاد، باستثناء أن الحفر الذي كانوا عنده اختفى عن الأنظار وتلاشى في الأفق خلفهم. كانوا في بحر لا نهائي من الأحمر الآن، ولا سبيل لمعرفة أين قد تكون النهاية.

خطر لستانلي كم هو يائس، وكم القليل لديه ليخسره، ليتبع هذا الرجل بشكل أعمى. بدا سايمون غير مكترث، كأنه مشى لبضع دقائق فقط. لم يتحدثا لفترة طويلة، وغربت الشمس تمامًا—تلألأت النجوم في الأعلى، غير ملموسة بالتلوث الضوئي. امتد درب التبانة فوق الرأس، كمسحة من بريق ضد السواد الأبدي.

كان الجو باردًا، وأخرج ستانلي سترته وارتداها. علق القمر ثقيلاً في السماء—كبيرًا ومشؤومًا. فوجئ ستانلي بمدى سطوعه، وكم الضوء الذي بعثه بمجرد أن تكيفت عيناه. لم يلمس المصباح اليدوي في حقيبته. بدا بلا جدوى، وسخيفًا قليلاً، إخراجه.

سأل ستانلي أخيرًا، غير قادر على تحمل الصمت المستمر:

— «كيف تعرف عن ذلك الرمز؟ الذي أريتك إياه.»

— «كل من يعرف الأرض يعرف ذلك الرمز.»

— «لكن... إذن لماذا لم أتمكن من العثور على أي معلومات؟ ذهبت لمكتبات في جميع أنحاء البلاد، لجامعات. مولت حفريات. لم يحدث حتى رأت صديقتك في الجنوب ما كنت أريه للناس أنني وصلت لأي مكان به.»

— «لأنك تسأل الناس الخطأ. الناس الذين لا يستمعون.»

– «لكن إذا كان هذا...» بحث ستانلي عن الكلمات لشرح الأفكار التي كانت تطارده. «إذا كان هذا ما أعتقد أنه هو، إذا كانت لديك معلومات عما أبحث عنه، فهذا يجب أن يكون ضخمًا. هذا مغير للعالم.»

ضحك سايمون عليه، لكنها لم تكن ضحكة لئيمة. كانت توبيخًا لطيفًا لسذاجته.

– «ما قصتكم أنتم ومحاولة تغيير العالم؟» توقف سايمون، ثم سحب ستانلي برفق من كتفه ليواجهه. كانت عيناه متغضنتين ودافئتين. «ستانلي، لم يحدث حتى وقت قريب جدًا أن أبدى المستعمرون أي نوع من الاهتمام بثقافاتنا. قبل ذلك، كانت الإدارات التي تتعامل معنا هي نفسها التي تتعامل مع الحياة البرية—النباتات والحيوانات. قبل عامين، في ٦١، أسسوا المجلس الأول للمعهد الأسترالي للدراسات الأبورجينالية. لم يكن هناك واحد من شعبنا عليه—فقط رجال بيض. لا يهم ما المعرفة التي قد يملكها شعبنا أو لا يملكها. لم نكن نخفيها. الرجل الأبيض ببساطة غير مهتم.»

– «لكن مع شيء بضخامة هذا، كل ذلك قد يتغير.»

هز سايمون كتفيه.

– «أشك في ذلك. إنها مسألة هيكلية—ينظرون للمعرفة من نافذة وضعت بعناية لاستبعاد أنواع المعرفة التي لدينا: المعرفة القديمة، المعرفة الأصلية. ما قد يكون بدأ كتجاهل لشعوبنا تحول لعادة، نسيان مستمر. أخبرني لماذا كنت في أستراليا لثمانية أشهر—أرسلت هنا، تحديدًا هنا، لمعرفة هذا الشيء—ولم تتحدث إلا في الشهر الأخير فقط لواحد من الناس الذين يأتون فعليًا من هذه الأرض. لماذا هذا؟»

– «أنا...» رمش ستانلي. «لست متأكدًا. لم يكن مقصودًا. لم أكن...»

– «إنها مسألة ما تقدره. نشأت مفكرًا أن نهجك الغربي الصارم للمشاكل هو الوحيد الموجود. ليس أنك تتجاهل المعرفة التي لدينا؛ بل

أنك تتجاهل إطار المعرفة بأكمله. أي معرفة لم يتم التوصل إليها بالمنطق الصارم والعلم التجريبي غير مهمة. إذا كان لديك سؤال عن النظام الشمسي، لا تذهب لسؤال الضفادع بجانب البحيرة، أليس كذلك؟ لا تفكر حتى في فعل ذلك. سيكون جنونًا. هكذا يرانا الرجل الأبيض؛ هكذا ترانا أنت، هاه؟ كمن ليس لديهم شيء يشاركونه.»

انكمش ستانلي من لسعة الاتهام، لكنه لم يستطع تحديها. كان ذلك صحيحًا—كان في هذا البلد لما يقرب من عام، وكانت غريس الشخص الأبورجينالي الوحيد الذي تحدث إليه، وحتى ذلك الحين، بالصدفة فقط. فكر في جميع المجتمعات الأصلية الأخرى حول العالم، والممارسات القديمة التي رفضها سابقًا كأكثر بقليل من طقوس ثقافية. ماذا كان لديهم ليعلموه؟ ماذا أكثر يمكن أن يتعلم؟

— «إذن لماذا أحضرتني إلى هنا؟ لماذا تكلف نفسك عناءي حتى؟»

قال سايمون هازًا كتفيه:

— «أنت سألت. هذا يصنع الفرق.»

مع الوقت، نمت أشكال أمامهم: ومضات ضوء نار وصور ظلية لخيام. مخيم. كيف تمكن سايمون من قيادتهم إلى هنا، بدون بوصلة، لم يكن لدى ستانلي أدنى فكرة. سأله سابقًا، لكن كل ما حصل عليه كان حديثًا عن خطوط الأغاني ومسارات الأحلام—مفاهيم كافح لفهمها.

مع اقترابهم، رأى أن هناك العديد من الناس هنا. رجال، نساء، أطفال. مجتمع كامل. لكن مخيمهم كان من الواضح أنه نُصب حديثًا ولم يُبنَ ليدوم. هؤلاء قوم رحل، مستعدون للتحرك قريبًا، عندما يحين الوقت المناسب. جعل ذلك فعل سايمون بالعثور عليهم هنا في منتصف الليل أكثر إثارة للإعجاب.

انتظرتهم امرأة عجوز عند حافة المخيم، مبتسمة. رغم أنها ارتدت فستانًا رقيقًا فقط، ألقى ضوء القمر ظلالاً داكنة عبر وجهها، جاعلاً إياها

تبدو مغطاة. أخذت يد سايمون أولاً، متبادلة محادثة قريبة بلغة لم يستطع ستانلي فهمها.

قال له سايمون:

— «هذه كيلارا.»

— «يقول سايمون إنك جئت لتتعلم عن ما قبل الماضي.» قالت، وصوتها منخفض وبلكنة، كلماتها ترقص على لسانها. «عن الزمن ما وراء الزمن.»

— «نعم، أعتقد ذلك. أعتقد أنني كنت...» فكر في ماغي والرسالة التي تركتها. «أُرسلتُ إلى هنا. كنت أبحث لفترة طويلة.»

ضحكت كيلارا، مثل سايمون، هازة رأسها.

— «نحن لم نكن نختبئ.»

التفتت، معطية سايمون صفعة مرحة على الظهر، ومشيا معًا نحو النار في مركز المخيم. توقع أن يراقبه الآخرون، غريبًا هنا، بريبة. لكنهم لم يفعلوا. ابتسم البعض ولوحوا تلويحات صغيرة. تجاهله معظمهم تمامًا.

مومئة لستانلي، جلست العجوز بجانب النار ومدت يديها لتدفئتهما. جلس ستانلي بجانبها. مادة يدها في كيس قماشي عند قدميها، التقطت بعض الأعشاب والأوراق. رمتها على اللهب، الذي طقطق بصوت عالٍ وغير لونه—من الأحمر للأرجواني، ثم أعمق، حتى بدا أسود تقريبًا.

قالت بينما يتحرك الناس حولهم، منشغلين بشؤونهم:

— «أخبرني لمَ أنت هنا.»

أخذ نفسًا عميقًا، ناظرًا في النار. لم تأتِ الكلمات بسرعة، أو بسهولة. احتفظ بالكثير من الأسرار لفترة طويلة جدًا، دفن أشياء بعمق لدرجة أنه لم يكن متأكدًا مما إذا كان يستطيع حفرها للخارج بعد الآن.

لكن هذه هي اللحظة، فكر. *قد تكون هذه هي اللحظة فعلاً*.

إذا حجب أي شيء الآن، كما أخفى تحذيرات والدمان عن راف وجاك، فسيرتكب الخطأ نفسه. للمرة الأولى على الإطلاق، شرح كل شيء. لم يصغه تمامًا في كلمات من قبل—ليس القصة الكاملة. لكنه وصل الآن لعمق نفسه وانتزعها: "ويلتون" ووالدمان، التحذيرات والتجارب والوفيات، فقدان الذاكرة والسفر عبر الزمن. ماغي. مر عبر كل لحظة بالتفصيل، وبينما يفعل، أدرك كم يبدو كل ذلك مجنونًا. كان قلقًا من أنه إذا أخبر أي شخص بكل هذا، فسيظنون أنه مجنون، أنه فقد قبضته على الواقع.

لكن هذه المرأة لم تفعل. ولا سايمون. أومآ وقبلا قصته وكأنها أكثر شيء طبيعي في العالم.

عندما انتهى ستانلي، كررت كيلارا:

— «ولمَ أنت هنا؟»

سأل:

— «ماذا حدث لنا؟ في ذلك المختبر—ما الذي أطلقتُ له العنان؟»

— «هذه ليست إجابة لسؤالي. تلك ببساطة أسئلة أخرى. لماذا أنت هنا؟ لماذا جئت كل هذا الطريق؟»

عض شفته. هل يعرف الإجابة على ذلك؟ في مكان ما، دون استئذان، تردد صوت راف في مؤخرة عقله من وراء القبر: *طوال حياتك، كنت تحاول شفاء هذا الجرح، ولا أعرف ما هو—ربما لا تعرف حتى أنت ما هو.*

قال:

— «أحاول شفاء جرح.»

لم ترد كيلارا. ليس فورًا. مدت يدها لكيسها مرة أخرى، ساحبة حزمة أخرى من الأوراق—أرجوانية وخضراء، مثل الخزامى. عندما رمت هذه، انفجر اللهب للأعلى بهفيف، كأنها سكب بنزينًا على النار. في الأعلى، رقص الدخان في ضوء القمر، والتوت الخيوط مشكلة أشكالاً.

قالت، وصوتها ينخفض، أخفض من صوت ستانلي. تردد بطنين طاقة هادئ:

— «في البداية، عند انطلاق كل الأشياء، لم يكن هناك زمن. فقط فوضى. فقط الحلم. إنه كل اللحظات في آن واحد—يشمل كل الأشياء. الناس—البشر—عاشوا هنا عبر العالم مع مخلوقات الحلم، الكائنات السابقة التي صنعت وأعادت صنع العالم كما رأت مناسبًا. كانت هذه الأرواح—للصخور، للسحالي، للخفافيش. شكلوا عالمنا. وعاش الإنسان في انسجام معهم.»

أومأ ستانلي، مفكرًا في (أبيرون) والدمان، في (ووجي)، في كل الثقافات التي شاركت هذه الفكرة نفسها وكان لها اسمها الخاص لها.

مالت للأمام، محدقة بعمق في اللهب.

— «حتى رغب بعض البشر يومًا ما في المزيد.»

التوت خيوط الدخان للأسفل، متكورة على نفسها، دافعة النار للخلف.

— «غير راضين بمجرد العيش والكون، شعروا بالحاجة للتغيير والنمو—ليصبحوا أكثر. ليتعلموا ويبنوا ويبدعوا. بطريقة ما، ومن مكان ما، صنعوا الشيء الوحيد الذي احتاجوه للتقدم—الزمن. بدون زمن، لا يوجد تغيير، وبدون تغيير، لا يوجد نمو. يوجد فقط كينونة. وهكذا ترنح الزمن للوجود، متعثرًا في البداية كطفل. لكن مع اكتسابه الزخم، تحرك للأمام، بلا هوادة، نحو المستقبل. لا شيء استطاع إيقافه. الكائنات السابقة لم تكن قادرة على العيش في الزمن، لذا حُبسوا في الصخور، والأرض، والغبار. يمكنك رؤية آثار أقدامهم على الأرض اليوم.»

فتحت كيلارا ذراعيها للأرض حولهم.

— «ما زالوا هنا. ما زالوا يعيشون. هم في كل مكان، هم في كل زمان—هم جوهر كينونتنا، اتصالنا بالأرض.»

سأل ستانلي، وعيناه مثبتتان على اللهب:

– «وماذا عن الشيء—الشيء الذي... يمحو الزمن؟»

نظرت إليه بوقار.

– «تلك قصة لا يمكن أن تُروى. تحتاج أن تُرَى.»

انتزع نفسه بعيدًا عن النار لينظر إليها.

– «ماذا تعنين؟»

– «هل تعرف لماذا أحضرك سايمون إلى هنا؟»

رمش ستانلي، ناظرًا لسايمون على الجانب الآخر منه، لكن سايمون كان قد رحل بالفعل. كانا وحدهما.

– «لأتعلم.»

أومأت.

– «ولكي تتعلم، يجب أن تمشي. بعض الأشياء لا يمكن تعليمها. يجب اختبارها ذاتيًا. لقد رأيت الكثير يا ستانلي ويب. إذا أردت فهمه، يجب أن تذهب في نزهة؛ يجب أن تجد (الآن السابقة) وتشعر به بنفسك.»

نظر حوله للسهول اللامتناهية من الغبار.

– «نزهة؟»

– «ذهب سايمون للتحضير لك. لا وقت مثل الحاضر.»

– «ما... ما الذي عليّ فعله؟»

– «تترك أشياءك هنا، حقيبتك، ملابسك. تشرب شربة كبيرة من الماء قبل أن تذهب.» التفتت وأشارت للأسود البعيد. «تختار اتجاهًا—أو، على الأرجح، يختارك اتجاه—وتمشي. تستمر في المشي حتى تنتهي.»

حدق ستانلي فيها. كان هذا جنونًا.

– «كيف سأعرف متى أنتهي؟»

ابتسمت له.

– «ستعرف.»

- «لكن—عاريًا، بلا طعام أو ماء؟ سأموت.»

- «ربما. وربما لا.» رفعت يدها لوجهه وحضنته. كان حميميًا بشكل مفاجئ، واستطاع ستانلي الشعور بوجنتيه تسخنان. «أنت محبوس في الزمن يا ستانلي. ما تسعى إليه نُسي. لا يمكن العثور عليه إلا خارج الزمن.»

نظر في عينيها—بدتا بعمق السماء فوقهما.

- «كيف سأجد طريقي للعودة؟ كيف سأنجو؟»

قالت:

- «الإيمان. يجب أن يكون لديك إيمان.»

- «بالأرواح؟»

تدحرجت منها ضحكة منخفضة.

- «لا تكن غبيًا. الإيمان ليس عنهم. إنه عنك. لا يمكننا جميعًا الإيمان بنفس الشيء. السؤال هو: بمن ستضع إيمانك يا ستانلي؟ بمن ستؤمن؟»

***

بعد عشرين دقيقة، وقف ستانلي عاريًا عند حافة هذا المخيم الذي وصل إليه لتوّه، متأكدًا أنه قد جن. لم يكن هناك تفسير آخر للأمر. الرياح كانت تتجمد ضد جلده العاري، الأرض هشة تحت باطن قدميه. قلبه يضخ بقوة في صدره.

كان هذا انتحارًا.

ومع ذلك ها هو ذا. أي خيار آخر كان لديه؟

كانت قفزة إيمان.

لكنه لم يؤمن بالله، ولم يكن متأكدًا أنه يؤمن تمامًا بالكلام الروحاني الفارغ الذي قيل له لتوّه. كان رجل علم، وتعلم، وعلمه يخبره أنه إذا مشى وحيدًا في ذلك المشهد القاحل، سينتهي به الأمر ميتًا إما من الجفاف، أو الجوع، أو الإصابة.

ومع ذلك.

تتزوجني، وننجب ابنة، ونعيش خمسين عامًا سعيدة ومجيدة معًا. تجعلنا نشعر بحب كبير، ولا تدمر أيًا من ذلك. أعدك.

إذا كانت محققة، إذا كان ذلك حقيقيًا، فلن يموت هنا.

هل يمكن أن يملك الإيمان بذلك؟ هل يمكن أن يملك الإيمان بها؟

كان شعورًا غريبًا، لا يمكن تفسيره—قضى ثلاثة أيام فقط مع المرأة، ومعظم الوقت، كان غاضبًا منها. لكن ها هو ذا، مستعد لوضع حياته تمامًا ومطلقًا بين يديها.

أوه يا ماغي، فكر لنفسه، *ماذا فعلتِ بي؟*

كان لا يزال منتصف الليل. القمر لا يزال معلقًا في الأعلى، يغسل الغبار الأحمر بضوء بارد، جاعلاً إياه يبدو كمشهد قمري، انعكاس للسماوات في الأعلى.

أخذ جرعة كبيرة من الماء، ثم أعاد زجاجته لسايمون، الذي وقف خلفه، وأخذ خطواته القليلة الأولى للخارج في السواد.

بعد حوالي عشرين قدمًا، كاد يقسم أنه سمع ضحكة سايمون المميزة.

— «الرجال البيض. كلهم مجانين.»

استمر ستانلي في المشي.

***

كان هذا سخيفًا. قدماه تؤلمان وتلسعان—الصخور الصغيرة والحجارة تحت القدم قطعت باطن قدميه، تاركة آثار أقدام دامية في أثره. كان لا يزال مظلمًا، لكنه لم يعرف إن كان يمشي لساعة واحدة أو تسع. سرعان ما توقف الوقت عن تعني أي شيء.

استمر في المشي.

دار عقله عبر أفكار مختلفة—أولاً، نهج علمي. إلى متى يمكن لرجل واقعيًا المشي هنا في اتجاه واحد قبل الاصطدام بشخص آخر؟ خرائط المناطق النائية الأسترالية، التي حفظها تمامًا لتسليته في الرحلة الجوية،

أخبرته أنه قد يكون مئات الأميال، ربما ألفًا أو أكثر. أيامًا وأيامًا من المشي. أطول مما يمكنه البقاء بلا طعام أو ماء، خاصة مع كل هذه الحركة.

لم يفكر في ذلك طويلاً.

وجد نفسه يسرد حياته—كل الخيارات التي اتخذها لتقوده إلى هنا، كل الأشياء التي ساءت. شغلها مرارًا وتكرارًا في رأسه، محاولاً معرفة ما إذا كان هناك خيط مشترك يربطها جميعًا معًا.

دار الذباب والبراغيث حوله، وهشها بعيدًا بلا طائل. ساقاه تؤلمان الآن أيضًا، ومعدته تقرقر جوعًا.

وجد صعوبة في التركيز على أي فكرة محددة، لذا بدلاً من ذلك ترك نفسه يغرق في إيقاع المشي. مشى. خطوة، ثم التالية، نحو الأفق. نحو اللامكان على الإطلاق.

قضى حاجته عند الشروق. لم يكن هناك شيء ليمسح به نفسه، فاستمر في المشي وحسب، تاركًا فضلاته ليبتلعها الغبار، مع كل شيء آخر.

ساء الأمر عندما طلعت الشمس. انهمر العرق من جسده وتبخر في ثوانٍ. مع نمو الشمس فوق الرأس، حول كل نفس من الهواء الساخن فمه لجاف كالأرض نفسها. مرتين اعتقد أنه رأى ماءً، لكنه كان مجرد لون منكسر عبر موجات الحرارة. سراب لخداعه. رؤيته كانت تصبح ضبابية. البقايا الأخيرة للطعام الذي أكله—بعض البطاطا في موقع الحفر—بدت وكأنها تمتص الرطوبة من دمه ذاته. تاقت نفسه للوصول لشاطئ نهر أو بحيرة وغمر رأسه في مياهها الباردة.

مع الوقت، تغيرت الصخور. المشهد المسطح أبديًا أفسح المجال لتلال ونتوءات صخرية. في البعيد، اعتقد ستانلي أنه رأى نهرًا، وغلت الإثارة بداخله. توسل يائس. دفع نفسه نحوه، ساقاه بالكاد قادرتان على حمله.

كانت بالتأكيد بركة ماء. أصبح متيقنًا من ذلك. وبينما اقترب، داست قدماه على تربة تزداد رطوبة، مشكلة قشرة فوق الأرض الجافة المتشققة. ركض—بسرعة، بجنون—حتى وصل إليها: بركة صغيرة متصلة بنهر جف تمامًا تقريبًا، مجرد تيار بطيء يبقيه جاريًا.

دائسًا لسطحها، رمى نفسه للأسفل وبدأ يغرف الماء لفمه. كان الطعم مالحًا وكريهًا. حرقت نار أسفل صدره، وانفجرت معدته. تدحرج وتقيأ، ثم فرغ عقله.

استيقظ يرتجف وبردانًا. كان ليلاً مرة أخرى، لكن جسده يلسع. جلده كان أحمر فاقعًا، محترقًا حتى القرمشة في شمس الصيف. كل حركة كانت عذابًا.

بشكل غريزي، دفع نفسه بعيدًا عن الماء. طعم مالح ارتفع من معدته والتصق بالقيء على لسانه. تاقت نفسه لرشفة ماء، ماء نظيف، لتنظيف فمه وحلقه. عقله كان متهالكًا، لكن إذا لم يغادر هنا، سيموت. احتاج لمواصلة المشي.

حاول الزحف، لكن يديه خذلتاه. غرق في الوحل، متمتمًا وشاتمًا. رافعًا نفسه مرة أخرى، جر نفسه قدمًا، للأمام، لشيء ما، للا شيء. توقف عن التساؤل لماذا يفعل هذا. توقف عن التفكير في أي شيء على الإطلاق. باستثناء صدى خطواته المتثاقلة، كانت الصحراء صامتة. القمر المكتمل ارتفع مرة أخرى في سماء الليل.

معه جاءت أشياء غريبة. الصخور حوله تحركت، لم تعد باقية في مكانها. ارتفعت عن الأرض، وأقسم أنه يستطيع رؤيتها تتبعه، كحيوانات تطارد في الليل. لكن لم تكن هناك حيوانات هنا، فقط هو.

تحركت الأرض نفسها الآن، وبينما تلمع الصخور تحته، عكست السماء المرصعة بالنجوم فوقه—أبدية ولانهائية. تساءل كيف كان يمشي عليها، يمشي على السماء وكأن كل شيء قُلب رأسًا على عقب.

خيوط من الدخان واللون دفعت طريقها لزوايا رؤيته. رأى ناسًا—أشكال ناس—في الغبار، يلتوون ويرقصون ويهتزون.

لم يعد يستطيع الشعور بالبرد أو العطش بعد الآن. لم يعد يستطيع الشعور بشيء. أُسقط في عالم أحلام. تساءل، للحظة، إن كان لا يزال مستيقظًا. إن كان لا يزال حيًا.

استمر في المشي، همس صوت ما في رأسه. *استمر في المشي.*

مشى، وتشكلت الرؤى، نسيجة نفسها في سرد لم يكن ليتمكن من متابعته حتى لو لم يكن عقله متهالكًا هكذا. لكن، بطريقة ما، استطاع تجميع القطع: أناس يتحولون ويقفزون بين الذكريات، أناس يندفعون عبر دخان الزمن، مسافرين من الحاضر للماضي وعائدين.

ثم رآه.

يأكل طريقه عبر الضباب، ماحيًا أولئك الذين تحولوا عبر الزمن. عرفه ليس فقط كرؤية بل كشعور، واضح جدًا لأن كل المشاعر الأخرى ذهبت. سطع—ذعر ونسيان ويقين. لكنه كان لا يزال جديدًا جدًا، طازجًا جدًا. لم يكن موجودًا لفترة طويلة.

لقد صُنع. رأى ذلك، وعرف ذلك، بوضوح كما عرف أي شيء أبدًا.

لم يكن كائنًا أو قوة خبيثة جائعة تسعى للصيد. كان ضمانًا، وضع في مكانه لإبقاء مرور الزمن يتحرك للأمام، لإيقاف محاولات أي شخص لتغييره. لم يكن هناك لإيذاء أحد، فقط للتصحيح.

الناس صنعوه، قبل أن يتذكر التاريخ حتى وجود الناس. البشر خلقوه.

إذن لا بد أن هناك طريقة لإيقافه.

تعثر، ساقطًا على ركبتيه، لاهثًا.

لم يكن ميتًا، لكنه كان يحتضر. كان متيقنًا من ذلك. كان يحتضر. جسده كان يستسلم.

لكن كانت هناك إجابات هنا، لو عرف فقط كيف يستخلصها.

لم يهم الأمر. كان في منتصف المناطق النائية الأسترالية، أميالاً عن أي بلدة، أو شخص. كان عاريًا ومتسخًا، وجسده يتداعى.

استلقى على الأرض، ظهره للغبار. ظن أنه سيستهلكه. سيغطيه، وسيصبح واحدًا معه، وهكذا ستنتهي حياته.

لكنه لم يرد لها أن تنتهي.

لأول مرة في حياته، عرف—بشراسة، بشكل لا يمكن إنكاره—أنه يريد أن يعيش. أراد الحصول على حياة حقيقية، مليئة بالحب والسعادة وكل ما وُعد به. أراد ذلك بشدة.

ماغي، فكر. لم يستطع التفكير في أي أفكار أطول من مقطعين. كانت تفوق قدرته. دماغه كان يغلق. *فقط ماغي*.

قالها مرارًا وتكرارًا، محدقًا للأعلى في القمر. *ماغي*، *ماغي*، *ماغي*.

وكمعجزة، كملاك نزل من السماء، كانت هناك.

لم يصدق عينيه. كان يهلوس.

كانت تقف فوقه، منحنية للأمام بعبوس على وجهها.

— «أوه، تباً للجحيم يا ستان،» قالت. «هذا أسوأ حتى من المرة الماضية.»

١٧

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٢ ساعة، ١٢ دقيقة، و٠ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «إنه عارٍ.»

سأل حسن:

— «عارٍ؟»

— «ليس عاريًا فحسب بل محطمًا. يا إلهي، يبدو كأنه ميت. بالكاد أستطيع التمييز بين احمرار جلده المتقرح ولون الطين الذي يغطيه. لولا أنفاسه اللاهثة والنظرة المسكونة في عينيه، لظننت أنني أنظر إلى جثة.

يهمز بصوت يعلو بالكاد فوق الأنفاس:

— "ماغي."

أنحني، راكعة بجانبه، وعظامي القديمة لا تزال تصر، رغم كل ما فعلته بي. هناك برودة في الهواء تجعلني أرتجف. واضعة ذراعي حوله، أسحبه للأعلى، حاضنة إياه في حجري. إنه ساخن——محموم. أطرافه مرتخية.

— "سيكون كل شيء بخير،" أقول، لنفسي أكثر منه. "ستكون بخير."

لأول مرة منذ تجسدت، ألقي نظرة جيدة على العالم من حولي. أول ضوء للصباح بدأ يتوهج للتو في الأفق، غامراً المشهد بلمسات ناعمة ليوم جديد. لا شيء سوى الصخور والغبار والمنحدرات، بلا نهاية.

هل أعطاني ستانلي هذا التاريخ الثاني حتى أتمكن من إنقاذ حياته؟ أم أن هناك المزيد المتوقع مني فعله هنا؟

أفترض أننا لا بد في أستراليا. لم أذهب إليها قط، لكنني رأيت الكثير من الصور لها في وثائقيات ستانلي القديمة، وأتذكر الرسالة التي أعطيتها له في لقائنا الأخير. هناك وعورة في التضاريس، وحشية تجعلني أتوقف وآخذ بضعة أنفاس، ثم يضربني الإدراك:

لا يوجد بشر هنا.

لا علامات لسيارات، أو منازل، أو مصانع. لم أرَ شيئًا كهذا منذ عقود.

جماله يغمرني.

يسعل ستانلي، متكورًا في حجري، ووجهه مدفون في معدتي. أعود بحدة لإلحاح اللحظة. زوجي يحتضر.

— "ماذا تحتاج؟" أسأل.

يرفع نظره، فاتحًا فمه، لكن صوتًا خشنًا فقط يخرج. أهز رأسي، رامشة فيه، ويحاول مرة أخرى. هذه المرة، للصوت شكل أكثر، لون أكثر.

— "ماء،" يقول. "ماء."

بالطبع. أكاد أصفع نفسي على وجهي لكوني غبية جدًا. لا أعرف كم من الوقت مضى عليه بدونه أو أي جنون جلبه إلى هنا؛ لن يدوم طويلاً بلا ماء. هذا القدر واضح.

— "لكن ليس معي أي شيء،" أقول بيأس، شاعرة فجأة بالعجز. "لست مستعدة. أوه، يا ستان، لماذا لم تخبرني؟ لماذا لم تخبرني بما ستحتاج إليه؟"

ينظر إليّ، ضائعًا. لا أعرف إن كان يستطيع سماعي. لا أعرف إن كان يدرك حتى أنني هنا.

لا بد أن هناك شيئًا يمكنني فعله. لا يمكنه الموت هنا.

ثم أتذكر كيف وصلتُ إلى هنا.

أتذكر ما يمكنني فعله.

مستولية على التكنولوجيا التي أصبحت طبيعة ثانية لي الآن، أومض خارج حاضره. أغوص عائدة لخطه الزمني، لذكرياته، دافعة نفسي لمكان ووقت يمكنني فيه العثور على ما أحتاج.

يتجسد الكون حولي مرة أخرى: الحجر الصلب تحت قدمي، الأبراج المرتفعة، الأجساد المزدحمة. طنين عالٍ من المحادثات يملأ أذني وأنا أستدير، وأدرك أنني محاطة بأناس—بأطفال. طلاب.

أنا في فناء مدرسة كبيرة، مبنى يعود لقرون ينضح بالعظمة والامتياز. *كلية ويلتون*، أدرك. حيث ذهب ستانلي.

تندفع مجموعة من الطلاب بجانبي، وأتنحى عن طريقهم، مستديرة لأراه جالسًا على مقعد صغير، يتناول غداءه. إنه صغير—حوالي الثانية عشرة أو الثالثة عشرة—وهو وحيد تمامًا.

أوه، يا ستان.

يمر العالم من حوله كتيارات محيط غير مبالية في حركتها. لا أحد يرميه بنظرة ثانية. هو غير مرئي للجميع. لكن بالنسبة لي، هو منارة. قلبي يعتصر لأجله، راغبة في احتضانه بقوة، لمنحه بعض العزاء، لكنني أعلم أنه ليس الوقت المناسب. ليس هذا سبب وجودي هنا.

لديه زجاجة ماء كبيرة بجانبه، لتر تقريبًا، وهي ممتلئة.

بالطبع لديه، أفكر. قررتُ ما أحتاج للعثور عليه، وجئت إلى هنا.

بشكل متزايد، بدأت أشعر وكأن ستانلي—ستانلي الخاص بي، في

الحاضر—يساعدني. ربما لا يعرف ذلك، لكن على مستوى لاواعي ما، هو يرشدني عبر ذكرياته إلى حيث أحتاج أن أكون.

أقول وأنا أقترب منه:

– "عذرًا أيها الشاب." يرفع نظره، متفاجئًا بأن أحدًا يتحدث إليه.

– "نـ... نعم؟"

– "سأحتاج إلى زجاجة الماء تلك."

يرمش، مذهولاً.

– "زجاجة مائي؟"

أضع خمسة عقود من الاقتناع الأمومي في صوتي.

– "نعم." أمد يدي. "الآن."

بلا تردد، يسلمها لي. أمنحه أدفأ ابتسامة أستطيعها ثم أنعطف حول زاوية قبل أن أختفي؛ لقد لاحظني الآن، ولا أعتقد أن صبيًا في الثانية عشرة بحاجة لرؤية امرأة عجوز تتلاشى في الهواء.

في ومضة ظلام، أعود للصحراء. ستانلي ضعيف جدًا لدرجة أنه بالكاد لاحظ غيابي. محتضنة إياه مرة أخرى، أضع الزجاجة على شفتيه، ويرتشف منها. برفق في البداية، ثم بنهم، مائلاً للأمام للحصول على المزيد في فمه. أضطر لإمساكه.

– "ببطء،" أقول. "ستجعل نفسك تتقيأ، وسيكون ذلك إهدارًا حقيقيًا. لا تعلم إلى أي مدى ذهبت للحصول على هذا."

يرتخي في ذراعي بعد أن يشرب، ويغفو. أضعه على الأرض—الأرض الصخرية الصلبة—ولا يزال عاريًا. جسده متقرح ومحروق وقذر. لا أستطيع تركه ينام هكذا.

لذا أغوص مرة أخرى. ومرة أخرى ومرة أخرى.

أعتنق القوة التي مُنحت لي عبر الزمان والمكان، وامضة للحظات صغيرة من حياته لتدبير ما أحتاج. أبقى في الظلال، وطالما لا ألفت الانتباه لنفسي، فأنا خارج البال. أنسل بين الشقوق.

أسرق ملابس من والد ستانلي، في الوقت الذي كان ستانلي لا يزال يعيش فيه في المنزل. آخذ حقيبة نوم وأجد بعض الصبار لحروقه. أجد مناديل ورقية ولصقات، مع مطهر لتنظيف جروحه. معظم الوقت، ستانلي لا يعرف حتى أنني هناك. عندما يلاحظني، يكون ذلك للحظة وجيزة فقط.

هناك حديقة يذهب إليها ستانلي للابتعاد عن والده، ليضيع. آخذ شطيرة منه عندما لا ينظر، ويراني، يلمحني من زاوية عينه، وتظهر لحظة حيرة على وجهه، كأنه رآني من قبل لكن لا يستطيع التأكد أين. كأنه يصارع دماغه ليبقى مركزًا.

— "ستان!" يصرخ والده، مندفعًا في الطريق في دوامة من القبضات المشدودة والوجنتين الحمراوين. ينقر ستانلي الشاب بعيدًا عني، وأختفي مرة أخرى.

رحلت.

أنا شبح. أنا طيف بين العوالم.

في المناطق النائية، أعتني به. ينجرف داخل وخارج الوعي، متمتمًا عن أحلام وماضٍ عميق وشيء له علاقة بالزمن. لا يعني لي شيئًا. هذا ما أدركه—كل هذا لا يعني لي شيئًا. كل ما يهم هو أنه بخير، وأننا معًا. الباقي ضجيج.

عندما يستيقظ بشكل صحيح، أول شيء يفعله هو مد يده إلي وأخذ يدي في يده الخشنة والمتصلبة. أقلق من أنه سيعاملني كما فعل في المرة الأخيرة التي ذهبت فيها لماضيه—أنه سيكرهني لاقتحام حياته دون دعوة.

أطعمته في لحظات وعيه القصيرة، واستعاد اللون في وجهه. جلده يشفى، ولو ببطء، الطبقات الخارجية تتقشر كالجبس. يميل رأسه للجانب، محاولاً فهمي.

يقول، نصف مذهول:

— "لقد نسيتُ لِمَ ناديتك لتعود."

لا أستطيع منع نفسي—تنفجر ابتسامة ضخمة على وجهي.

— "دعينا أقفُ ههنا حتى تتذكري،" أتلو ردًا عليه، وتتسع عيناه. تشتد أصابعه حول أصابعي.

— "سأنسى، كي تظلَّ واقفاً هناك... متذكّرةً كم أهوى رفقتك."

— "وأنا سأظلُّ باقياً،" أجيب، "لكي تظلّي ناسية... ناسياً أيَّ موطنٍ آخر سواكِ."

يهمس ناظرًا في عيني:

— "روميو وجولييت. مسرحيتي المفضلة."

— "أعرف."

وفي لحظة، أرى الرجل الذي تزوجته. ليس الأخطاء التي ارتكبها أو الشخص الذي كان عليه، بل الشخص الذي أحبه—الذي أعطاني ابنتي، الذي حملني وحارب معي وسافر معي ونما معي. هو هنا، أخيرًا، وهو لي.

يجلس وينظر حوله، متفاجئًا ليجد نفسه مرتديًا ملابس، ومغطى بحقيبة نوم.

— "كيف أمكن هذا؟"

أبتسم.

— "تحلَّ ببعض الإيمان بزوجتك يا عزيزي. يمكنني أن أكون واسعة الحيلة عندما أحتاج لذلك."

شيء ما في ذلك يجعله يضحك. يجفل وهو يفعل، وتذهب يده لصدره. أناوله زجاجة ماء أخرى.

– "لم تخرج من مرحلة الخطر بعد،" أقول. "أو من الصحراء، بالأحرى. ماذا حدث هنا يا ستان؟ لمَ أنت هنا أصلاً؟"

– "جئت..." يصارع لإيجاد الكلمات. "احتجت للعثور على إجابة. طريقة لتصحيح كل شيء."

– "أنت تبحث عن طريقة لإيقاف أوميغا،" أقول.

يقطب جبينه، جالسًا ومسندًا نفسه لصخرة. تنفسه مجهد.

– "أوميغا؟ أنا... لا أعرف. لم أسمع ذلك الاسم من قبل."

– "هذا ما يُسمى به، في حاضري. هناك رجل يساعدني بالمجرفة في عام ٢٠٢١. هذا ما يسميه—الشيء الذي يأكل الماضي."

يميل ستانلي للأمام، جافلاً.

– "نعم. أعتقد. أو... أحاول معرفة ما هو. من أين جاء. لماذا يوجد." يهز رأسه. "أحتاج للفهم قبل أن أتمكن من فعل أي شيء آخر."

أنظر حولي للغبار اللامتناهي.

– "والإجابات هنا؟"

تظهر ابتسامة ضعيفة على وجهه.

– "جزئيًا، لكن أعتقد أنني بحاجة للبحث في مكان آخر أيضًا. إذا كنت محقًا، ستكون هناك أدلة عبر العالم كله."

أوبخه:

– "أحمق. كدت تموت هنا. كنت ستموت."

– "أبدًا." يأخذ يدي في يده. إنها صلبة وخشنة من التراب. "عرفت أنكِ ستأتين لأجلي. تظنين أنني لا أتذكر، لكنني أفعل. أنتِ دائمًا هناك، أليس كذلك؟ مدسوسة بين صفحات حياتي."

– "لا تزال لدي أسئلة كثيرة،" أقول. هناك الكثير عن حياته لا أعرفه.

يأخذ نفسًا عميقًا.

– "جربيني."

– "كيف نوقف أوميغا؟ كيف نحافظ على الماضي؟"

يهز رأسه.

– "لا أعرف. ليس بعد. أنا... لا أعتقد أن الأمر بهذه البساطة."

– "حسنًا، دعني أخبرك بهذا. عندما تجد الإجابة، الحل الذي تبحث عنه الآن، تخفيه عن العالم—لماذا؟"

يعقد حاجبيه.

– "أنا... لا أعرف."

ثم آخذ نفسًا عميقًا، مجهزة السؤال الذي كان جاثمًا عليّ منذ بدأ كل هذا، شاعرة بوزنه يضغط على صدري.

– "لماذا لم تخبرني؟ كل سنواتنا معًا—زواجنا، حياتنا. لماذا لم تخبرني أبدًا عن أي من هذا؟ أخبرتني أنك باحث، أنك عملت في برامج حكومية، في مؤسسات بحثية. كل هذا، أدرك الآن، كان على الأرجح كذبة. أين كنت تذهب خلال أيامك؟ أين كنت تعمل؟"

– "أنا آسف،" يقول. أستطيع أن أرى أنه كذلك حقًا. تلمع عيناه بألم الاضطرار لإخباري. "لا أعرف حقًا. أخشى أنكِ جئتِ مبكرًا جدًا على كل ذلك."

أتجهم.

– "يبدو الأمر كذلك بالتأكيد."

– "لستُ مفيدًا جدًا حقًا، أليس كذلك؟"

– "لا."

يستقر صمت بيننا. يستريح للحظة، لأكثر بكثير من لحظة. يتخذ إقامة هادئة.

يقول ستانلي بهدوء:

– "أكره التفكير في أنني أعرضك لكل هذا. لا أعرف لماذا أخفيته عنك،

لكن بسبب أخطائي وأنانيتي، تضطرين للمرور بمحنة رهيبة كهذه. يمكنني... يمكنني تغيير المسار."

أقطب جبيني فيه.

– "ماذا تعني؟"

– "إذا... إذا أخبرتِني أين التقينا لأول مرة وتخطيت لقاءنا الأول. إذا لم أقابلك أبدًا، يمكنكِ عيش حياة بدوني. لن تضطري أبدًا للمرور بهذا الألم."

يفوت قلبي دقة، كأن شخصًا وضع قبضته حوله وعصره. أركع بجانبه وآخذ نفسًا عميقًا. ثم أنظر في عينيه وأنطق بوضوح قدر استطاعتي:

– "إياك. أن. تجرؤ."

– "لكنني..."

– "لا." أمسك بيده وأعصرها في يدي. "عائلتنا هي أفضل شيء حدث في حياتي أبدًا. لا يحق لك أخذ ذلك مني، مهما كانت العواقب."

ينظر إليّ، وأعتقد أنني أرى لمحة خوف في عينيه.

يقول ببطء وحذر:

– "في لندن، قلتِ إن لدينا ابنة."

تنقبض معدتي، وتلتوي بداخلي.

– "نعم. نحن... أنجبناها متأخرًا—متأخرًا حقًا. مررت ببضعة إجهاضات، وكدت أتخلى عن فكرة الأطفال. قبلت أنه سيكون أنا وأنت فقط. لكن حينها، عندما كنت في الخامسة والأربعين، كانت هناك. معجزتنا الصغيرة."

– "كيف تبدو؟"

وأريد أن أقول: *إنها رائعة. إنها طيبة ومحبة وذكية، وأنت تحبها كثيرًا.* أريد أن أغني ذلك بكل فخر وفرح واحتفال الأمومة، لكنني لا أستطيع. لأن كل ما أستطيع التفكير فيه هو كيف أنها لا تتحدث معي بعد الآن، كيف لا بد أنني خذلتها تمامًا، ولا أعرف لماذا. لا أستطيع حتى إخباره بالسبب.

يلاحظ ترددي. يميل للأمام، قليلاً فقط.

— "ما الأمر؟"

— "إنها..." أرمش، محاولة إبعاد الدموع عن عيني. "إنها عنيدة جدًا."

تتسع عينا ستانلي، ثم يطلق ضحكة صغيرة. تغسلني، تريحني. تجعل كل شيء يبدو وكأنه قد يكون بخير.

— "عندما ذهبت للجامعة لأول مرة،" أقول، والكلمات تتدفق مني فجأة، "كانت تتصل بنا كل أسبوع فقط لتخبرنا بكل الأشياء المثيرة التي تفعلها. نوادٍ جديدة. هوايات جديدة. انضمت لصحيفة الطلاب. ذات أسبوع، أخبرتنا أنها تفكر في تفويت أسبوعين من الجامعة للذهاب لفرنسا، لممارسة الفرنسية ومقابلة أناس جدد واكتشاف ثقافة مختلفة. حاولنا كلانا—بطرقنا الخاصة—إقناعها بالعدول عن ذلك. (لا يمكنك الذهاب وحسب)، قلنا. (لديك التزامات الآن. الحياة لا تعمل بهذه الطريقة). و"—أبتسم، مفكرة في الذكرى—"المرة التالية التي اتصلت فيها، اتصلت من نزل في باريس، وانفجرت أنت ضاحكًا، تمامًا كما فعلت الآن. هذه هي من تكون. مصممة. عنيدة. لا تقبل الهراء من أحد يا ستانلي، وأنت تحب ذلك فيها."

تعلو وجهه ابتسامة عريضة. ينظر حوله، للسهول الحمراء اللامتناهية، ثم إليّ، واقفة في وسطها.

— "أتساءل ممن ورثت ذلك."

— "أوه، توقف." أقول. لا أخبره شيئًا عن الشرخ غير المفسر بيني وبين ابنتنا. لا أريد إفساد اللحظة.

يجلس باستقامة أكبر، أكثر يقظة وتجددًا.

— "أعرف أنني كنت عديم الفائدة تمامًا، لكن هل هناك أي شيء تعتقدين أنني قد أكون قادرًا على الإجابة عليه؟"

– "عند هذه النقطة، من يدري؟ هل يمكنك إخباري ما هما ثاموس وثيوت؟"

يرمشُ فيّ.

– "ثاموس وثيوت؟ من محاورة فيدروس لأفلاطون؟"

– "أخمن ذلك."

يحاول الوقوف لكنه يترنح. أخطو للأمام للإمساك به، قابضة على ذراعه. يميل علي، وأشعر كأنني سأسقط أنا الأخرى، مرسلة كلينا للتراب.

يقول مستقيمًا:

– "إنها إعادة سرد لأسطورة لسقراط. عن اختراع الكتابة وتدهور الذاكرة. إنها.. كانت إحدى نصوصي المفضلة، ذات مرة."

– "ذات مرة؟"

ينظر للأرض، وعيناه تتحاشاني.

– "إنها مرتبطة ببعض الذكريات السيئة جدًا." يتمتم.

– "أنت أخبرتني بالذهاب إليها. قلت: (عندما يحين الوقت، اذهبي لثاموس وثيوت)."

متنهدًا، يركل صخرة. تقفز عبر الأرض.

– "لا أعرف ما يعنيه ذلك أيضًا. أعتقد، ربما، أنك بحاجة للعثور عليّ في وقت أفضل."

– "لا أستطيع تركك هنا."

– "بلى،" يقول، وصوته واثق. "تستطيعين. شكرًا لمجيئك هنا. لإنقاذي—بأكثر من طريقة. لكنك قمتِ بجزئك، أعتقد. ويبدو أن هناك المزيد من الأماكن التي تحتاجين للذهاب إليها، لكنني لا أستطيع المجيء معك. هناك المزيد لأفعله هنا، المزيد لأكتشفه. لقد خدشت السطح فقط. أعتقد أنني قد أضطر لقضاء سنوات عديدة أخرى هنا." ينظر إلي، وتلين

عيناه. "أنا متأكد أنك سترينني قبل أن أراك. يبدو أنك تأخذين طرقًا أقصر."

آخذ بضع خطوات نحوه وأتوقف. نحن على بعد بوصات من بعضنا. أريده أن يحتضنني، كما فعل في الزفاف، عندما كنت في أمس الحاجة إليه. أو أريد أن أحتضنه، كما فعلت في تلك الشقة المهجورة. لا يبدو أي منهما مناسبًا الآن. أنا عجوز جدًا، من عالم بعيد. ليس هذا مكاني—ليس بعد.

يتكهرب الهواء بترقب ثابت.

سألتُ:

– "كيف أعرف أنك ستكون بخير؟"

يبتسم ويفتح ذراعيه. تنطوي في ذراعي، ونُسحب قريبًا—متكافلين، جزئين لجسد واحد.

– "لو لم أكن،" يهمس في أذني، "أعتقد أنكِ كنتِ ستعرفين عن ذلك الآن."

لكن مع ذلك، أشعر أنني لا أستطيع المغادرة ببساطة. أريد إطالة اللحظة؛ أريدها أن تبقى.

– "هل هناك أي شيء آخر تحتاجه قبل أن أذهب؟"

يهز كتفيه، متراجعًا.

– "صعب القول. كانت هناك بوصلة في حقيبتي، لكنني تركتها في المخيم قبل بضعة أيام. خسارة—كانت لتكون مفيدة."

– "منذ كم يوم؟" أسأل.

وفور أن يخبرني، أومض بعيدًا. أعود قبل أن يتمكن من الرمش؛ أستطيع معرفة ذلك من النظرة على وجهه. بين نفس وآخر، انزلقت لماضيه، ذهبت للخيمة حيث وضع الرجل الطويل حقيبته، وأحضرت له البوصلة. أنا أصبح بارعة جدًا في هذا.

– "شكرًا لك،" يقول، آخذًا إياها مني.

– "كن آمنًا،" أجيب. "عد إليّ."

ثم أذهب.

سأل حسن:

— «انسحبتِ من الغوص؟»

— «ليس تمامًا. ليس بعد.»

— «لم لا؟»

— «لأن القفز عبر الزمن أظهر لي شيئًا: لدي الكثير من القوة. يمكنني فعل الكثير، وأنا أعرف القليل جدًا. عن حياة ستانلي، وعن مكاني فيها. عما أعنيه له.

هناك كون بيننا. مسافة لا تقاس من المكان والزمان.

أكثر فأكثر، شعرت أنني لست سوى ذرة—بيدق صغير يُحرك هنا وهناك بقرارات اتخذت قبل وقت طويل من وعيي بها، بأيدٍ أثيرية تحرك قطعًا خارج سيطرتي. ولأنني كنت وحيدة لفترة طويلة، خائفة جدًا، مشلولة جدًا، سمحت لنفسي بأن أُحرك. سمحت لهذه المسافة بيننا أن تمتد إلى ما لا نهاية.

لكن بينما أبتعد عنه هذه المرة، أقرر أنني اكتفيت.

انتهيت من المساحة بيننا.

لن يكون هناك المزيد من الجبن في حياتي، ولن أكون بيدق أحد. ليس بعد الآن.

أريد البقاء في حياة ستانلي، لرؤية المزيد منها. أريد تجربة كل الأشياء التي فاتتنا لسنوات عديدة. وهناك جزء منه يساعدني. أستطيع الشعور به—تكافل ما بين ذكريات ستانلي ونواياي يعطيني سيطرة أكبر مع كل حركة. لأول مرة منذ سنوات عديدة، أشعر بالحرية.»

— «ألستِ قلقة بشأن أوميغا؟»

— «أكدت لي أنك ستحذرني عندما ينفد الوقت، تمامًا كما فعلت في المرة الأخيرة. عليّ أن أصدق ذلك؛ وإلا، كل هذا بلا طائل. جزء مني يدرك

أنني أريد تصديق ذلك، لأنه يمنحني المزيد من الوقت في الماضي.

أوه، لا تعطني تلك النظرة. لست حمقاء. استطعت الشعور بقدومه في المرة الأخيرة أيضًا، قبل أن أنسحب مباشرة. استطعت الشعور به يزحف عند حواف وعيي. إذا حدث ذلك مرة أخرى، أخبر نفسي، سأغادر.»

— «من فضلك تابعي. الوقت ينفد منا. إلى أين تذهبين؟»

— «أذهب للأمام، إلى حياتنا معًا. أريد أن أتذكر الأوقات الجميلة، تلك التي وجدت فقط في رأسي لفترة طويلة.

عندما أتجسد، أول شيء أسمعه هو صرخاتي الخاصة. تخترق جناح المستشفى، تتنقل بين صرخات ألم وخوار منخفض، مثل بقرة. أنا على أطرافي الأربعة—هي كذلك. الممرضات يوقفن الدم الزائد بضمادة جراحية تلو الأخرى، وستانلي يحوم فوقها، يده تفرك ظهرها.

لا يعرف ماذا يفعل. أستطيع رؤية ذلك في وجهه. قرأ كل كتاب موجود عن المخاض—عن التنفس والولادات المائية والتنويم المغناطيسي وتخفيف الألم—لكن عندما يكون في اللحظة، هو عديم الفائدة. أبتسم، شاعرة بالسوء لأجله بطريقة لم أفعلها حينها.

كل ما يريد فعله هو التأكد من أنني بخير، لتخفيف الألم، لكنه لا يستطيع.

أنا أقف عند الباب، بجانب الحدث، وأنا غير مرئية. لا أنوي لفت انتباه أحد، لذا لن يفعلوا. أنا هنا للمشاهدة فقط.

تخور هي من الألم مرة أخرى، وتخبرها القابلة أن تستمر في الدفع—الرأس خرج تقريبًا. بينما أشاهد، يرتعش ظهري استجابة، ذاكرة عضلية عميقة تطفو للسطح. ستانلي يكاد يقفز صعودًا وهبوطًا من الإثارة والقلق. بعد الكثير من الإجهاضات، هو خائف جدًا من حدوث شيء مرة أخرى. يحاول عرض بعض الماء عليها من زجاجة أحضرها، لكنها تصفعها بعيدًا. يعتذر بلا طائل، لكن صوته يغرق في المزيد من الخوار.

ثم تظهر. بمجرد خروج رأسها، تنزلق للخارج، كأنها في نهاية زلاقة مائية دموية، مباشرة بين ذراعي القابلة. تطلق ليا نشيجًا—صغيرًا فقط لتعلمنا أنها حية—وتُوضع مباشرة على صدر أمها. على صدري.

أتذكر الشعور وكأنه كان بالأمس. ترفس ساقاها، وأتذكر تفكيري: *تلك هي نفس الركلات التي شعرت بها بداخلي. تلك هي نفس الساقين. هذا حقيقي. هذا كله حقيقي. طفلتنا، معجزتنا الصغيرة.*

تضع ليا رأسها لأسفل ضد صدر أمها، محتضنة إياه، متنسّمة الدفء كبطانية ضد هذا العالم الصاخب والبارد. يقطع ستانلي الحبل. رغم أن أحدًا لم يفعل ذلك حينها، أصر هو. يداه ترتجفان. لا يستطيع النظر بعيدًا عني، عنها، عن المشهد كله. عيناه ممتلئتان بالحب.

وأنا أبكي. أنا، هنا، الآن. إنها دموع فرح خالص، غير مشوب. لأنه رغم كل ما يحدث في الحاضر، هذه هي اللحظات التي تُصنع منها الحياة. هذه هي اللحظات التي تعرفنا. أستطيع تحمل أي شيء، أفكر لنفسي، أي شيء على الإطلاق، طالما أن حياتي تحوي هذه اللحظات فيها.

كل الباقي—الألم، الحزن، الوحدة—يستحق ذلك. كان كله يستحق ذلك. لأنني تمكنت من تجربة هذا.

وأكاد أرغب في الخروج من الذاكرة واحتضانك لإيجادي، لتعريفي بمجرفة الذكريات ، لتريني كيفية تجربة هذا مرة أخرى.

أنتظر في زاوية تلك الغرفة لثلاث ساعات أخرى، فقط أشاهد الحب يمر بين ثلاثتهم: النظرات في أعينهم، خفة لمساتهم. إنه أمر سماوي.

عندما ينتهي الأمر ويضطر ستانلي لمغادرة الجناح، أكاد أرغب في العودة ورؤية كل ذلك مرة أخرى. لكنني لا أفعل.

لم تكن هذه اللحظة الجميلة الوحيدة في حياتي.

لدي خمسون عامًا من الجمال لأختار منها.

وأفعل: أغوص للأمام مرة أخرى—لخطواتها الأولى وكلماتها الأولى؛ لليلة التي مارسنا فيها أنا وستانلي الحب تحت النجوم في بولونيا بعد أن وُضعت ليا في السرير؛ لرحلة التخييم التي قمنا بها إلى سكاي عندما كانت في الثامنة.

أشاهد ليا تكبر مرة أخرى—كل إنجازاتها واحتفالاتها، كل إخفاقاتها، كل الأوقات التي احتاجتني فيها لإعطائها عناقًا.

أتلكأ في لحظة طويلة حيث زحفت لسريرنا، موقظة برعب ليلي، وتكورت غريزيًا ورأسها ضد صدري، إيقاع ضربات قلبي الثابتة هو الوحيد القادر على تهدئة قلبها المسعور. أشاهد وهي تستلقي متكورة هناك حتى لم يعد هناك صوت آخر سوى تنفسنا بانسجام، والعالم كله ساكن حولنا.

بين الحين والآخر، أتوقف عند لحظة صغيرة غير مميزة مع ستانلي، وآخذ بعض الوقت للمشاهدة عن كثب. هناك أشياء أحتاج لمعرفتها.

عليك أن تفهم: ستانلي عبقري. لطالما عرفت هذا. إنه أذكى مني بمليون طريقة مختلفة، وكانت هناك أوقات عبر السنوات تغلبت فيها وساوسي عليّ، أخبرتني أنه لا يمكن أن يكون راضيًا بي فقط، أنه لا بد يشعر وكأنه استقر للأقل. بالتأكيد، يومًا ما، سيمل من حياتنا الصغيرة معًا.

الاكتشافات الأخيرة ضاعفت هذا الشعور فقط. يا لها من حياة أخفاها عني. مختبرات سرية وألغاز متشابكة ومغامرات كبرى. كيف لحياة هادئة معي أن تقارن؟

أراقب ستانلي وليا في مطبخنا معًا، يطبخان العشاء. لا بد أن نفسي الأصغر في الغرفة الأخرى، تشاهد التلفزيون. إنها أمسية هادئة، بلا ذكرى خاصة مرتبطة بها. هي في الرابعة، وهو يعلمها لتكون مساعد الشيف الصغير الخاص به: كيف تمسك السكين بشكل صحيح، أي أعشاب تُستخدم مع أي خضروات. تلتقط الأمر بسرعة—إنه معلم جيد جدًا.

يصنعان نوعًا من طبق الكسكسي المغربي، وأستطيع شم القرفة والبابريكا والمشمش. كل مرة يدير ستانلي ظهره، تدس ليا زبيبة في فمها. تظن أنه لا يلاحظ، لكنه يفعل. يبتسم، والأمر لا لبس فيه.

إنه يحبها، ويحبني، ويحب حياته. لم يستقر لأي شيء لعين. إنه سعيد جدًا.

وأنا كذلك.

مهما حدث تاليًا، يمكنني العيش معه، لأنني رأيت هذا.

وأريد رؤية المزيد. أوه، أريد رؤية أكثر من ذلك بكثير.

لكن هناك شعور زاحف في مؤخرة عقلي—إنه مثل ماء بارد كالثلج يتقاطر ببطء، مستنزفًا الدفء شيئًا فشيئًا. لم تحذرني، لسبب ما، لكنني أعلم أنني أطلت البقاء.

لقد استشعرني، رغم حماياتك، وهو قادم لأجلي.

أمد يدي للخيط الذي أعرفه جيدًا، الذي يسحبني عائدة للحاضر، وأجذب.

لا شيء يحدث.

أجذب مرة أخرى، أقوى هذه المرة.

لكنني لا أتحرك. ما زلت في المطبخ، والماء الزاحف يرتفع.

تتضاعف سرعة ضربات قلبي. تتثلاث.

إنه لا يعمل، أقول في رأسي. حسن، *إذا كنت تسمعني، إنه لا يعمل. تحتاج لسحبي.*

— «لا،» تجيب، وصوتك يرن بوضوح. «هناك المزيد لفعله.»

— «فعلت كل ما احتجت لفعله. أنقذت ستانلي. كنت فقط...»

— «لستِ هناك لإنقاذ ستانلي. أنتِ هناك لإيجاد الحل لإيقاف أوميغا.»

— «لكنني لا أعرف!»

– «لم تكوني تبحثين. كنت أتتبعك، تنتقلين عبر الزمن. تتسكعين. تستخدمين آلاتي لعبثك وحماقتك. لقد تعبت من تجاهلك لما أرسلتكِ هنا لأجله يا ماغي. لن أخرجك حتى أحصل على الحل.»

يضغط الظلام حولي.

– «لا، أتوسل إليك. أرجوك. لا يمكنك. لا يوجد وقت.»

– «ما زال بإمكانكِ التحرك عبر الذكريات. الانتقال لذكرى أخرى سيعطيكِ المزيد من الوقت. لقد تم إبطاؤه. إذا واصلتِ التحرك، يمكنكِ البقاء أمامه.»

– «ليس طويلاً،» أقول. «إنه يعرف أين أنا الآن.»

– «انتظرت طويلاً بما يكفي،» تقول. «سيكون عليكِ البحث بسرعة.»

ثم أراه—الفراغ المتثائب. يبدأ عند أسفل طاولة المطبخ، أبطأ الآن من ذي قبل، لكنه يعمل طريقه للأعلى، ماحيًا، آكلاً، مبيدًا اللحظة. هذه اللحظة الجميلة من السعادة.

– "لا!" أصرخ. ينتفض ستانلي عند الصوت وينظر إليّ. يذعر وجهه. أركض.

أنتقل لذكرى أخرى، يائسة للهروب، لأكون في أي مكان غير هنا، أي مكان غير حياتنا معًا، حتى لا تؤخذ.

لا أعرف أين أنا عندما أعود للتجسد. إنها غرفة حجرية قديمة، وهناك صفوف من خزائن الكتب والأرفف المتناثرة بروائح وزيوت غريبة. إنه الليل؛ تتوهج الغرفة بوميض خافت لضوء الشموع ولا شيء آخر.

هناك أريكة في الزاوية وعليها صبي نائم. آخذ خطوة أقرب وأرى أنه ستانلي. يبدو بالغًا تقريبًا، حوالي السابعة عشرة أو الثامنة عشرة.

يطالب صوت:

– "ماذا تفعلين هنا؟"

أستدير بسرعة لأجد رجلاً عجوزًا يحدق بي من الجانب الآخر للغرفة.

– "تستطيع رؤيتي؟" أسأل، لأنني لم أفعل شيئًا للفت الانتباه لنفسي بعد. "تعرف أنني هنا؟"

– "باه!" يصيح ملوحًا بيده. "أراكِ؟ أشمكِ بالأحرى. بالطبع أعرف أنكِ هنا. كمن يسأل سمكة إن كانت تعرف أنها تستطيع السباحة!"

ينهض، ممسكًا بعصا ليتحرك، وأدرك أنه أعمى. "السؤال هو،" يتابع، ملوحًا بعصاه في اتجاهي، "كيف وصلتِ إلى هنا؟"

يخفت ضوء الشموع أكثر، ويسري برد عميق خلال جسدي كله. أتعثر للخلف، ناظرة حول الغرفة لأتأكد إن كانت كلها هناك.

– "لا يوجد وقت،" أقول بجنون. "إنه قادم لأجلي."

يقطب جبينه.

– "ما القادم لأجلكِ؟"

– "يا إلهي،" أقول، لأنه هنا بالفعل. لقد تبعني طوال الطريق للوراء في الزمن. "إنه هنا. أبطأ من قبل، لكنه هنا."

وأستطيع أن أرى أنه يعرف ذلك، رغم أنني لا أستطيع رؤية الفراغ بعد. لديه حواس أفضل من حواسي. يشم الهواء، شاعرًا بحوافه تزحف للداخل. يشحب وجهه في ذعر. "إنه حقيقي؟ رونوك؟ المدن المفقودة؟ كله حقيقي؟"

– "أنا آسفة جدًا،" أقول بين أنفاس مذعورة. "علي الذهاب. إنه قادم. إنه يجوع، وهو ورائي. إنه وراءنا جميعًا." ألقي نظرة أخيرة على الشاب على الأريكة. "عليك تحذيره. أياً كان ما يعمل عليه، أياً كان ما يحاول كشفه، عليك إيقافه، وإلا ستكون نهايتنا جميعًا."

انخفض صوته لهمهمة منخفضة، ترتجف بحدة.

– "ما هو؟ ما الذي يطلق له العنان؟"

– "لا أستطيع الشرح،" أقول، وعقلي مشوش بإلحاح اللحظة. الظلام عند قدمي تقريبًا الآن. "إنه شرس جدًا، مروع جدًا. لا يمكن محاربته، لا دفاع ضده. كل ما يمكننا فعله هو الركض."

وأختفي.

أنا هاربة مرة أخرى.

مُطاردة.

إنه الخريف، والأوراق تتحول لتوها للأحمر. الهواء منعش. أنا في حديقة، وعلى بعد حوالي عشرين ياردة، ندفع أنا وستانلي ليا على إحدى الأراجيح. لكنني أستطيع بالفعل الشعور بالبرد المتصاعد—يا إلهي، إنه هنا بالفعل.

أخرجني، أتوسل، والدموع تنهمر على وجهي. *فقط أخرجني. أعدك أنني سأبلي بلاءً أفضل في المرة القادمة.*

– «ليس حتى تجدي الإجابة.»

– «لا أعرف ماذا أفعل! لا أعرف أين أبحث!»

– «اذهبي أبعد للأمام في الخط الزمني،» تقول، صوتك لا يقهر. «جدي ستانلي يعرف.»

– "لا يوجد وقت!" أصرخ بصوت عالٍ. يلتفت الناس للنظر إلي—سيدة عجوز مجنونة تصرخ في حديقة. ينظر ستانلي إلي، وليا أيضًا، رغم أنها لا تعرف ما تنظر إليه. لكن لسبب ما، لا أنظر للأعلى. لا ألاحظ. "سيأخذ كل شيء، أيها المختل. ماذا تريد مني؟"

– «أريدكِ أن تتوقفي عن العبث معي يا ماغي. انتظرت طويلاً جدًا لهذا. لا تظني أنني لا أتتبعك عبر الزمن. مللت من مشاهدتك تمثلين علاقتك مرة أخرى كمراهقة عاشقة. أنتِ هنا لسبب. اهتمي به.»

– "حسنًا،" أقول، آخذة أنفاسًا عميقة لتثبيت نفسي. "حسنًا."

أسحب نفسي للأمام، متجسدة بعد عقود في المستقبل. تظهر الجدران حولي——بيج وصفراء، بصور زهور——وأنا محبوسة داخل مبنى.

صنرايز: مركز الرعاية حيث يوجد ستانلي.

أنا في غرفته، وهو عجوز مرة أخرى، ينظر خارج النافذة ويحدق بفتور في السماء. لم يلاحظني هنا.

— "ستان،" أقول، لكنه لا يتفاعل. أمشي إليه وأهز ذراعه. "ستان."

لكن لا يوجد شيء. يستمر في التحديق، تائهًا في إحدى تلك المراحل البعيدة حيث بالكاد يميز أي شيء حوله. هذا لن يكون مفيدًا.

ينفتح بابه، ويدخل رجل——أحد مقدمي الرعاية. يراني بجانب السرير ويقطب جبينه، محتارًا، كأنه يحاول معرفة ما إذا كنت هناك حقًا. خلفه، خلف الباب، أرى سوادًا زاحفًا يبدأ في الظهور، وكل ما أستطيع التفكير فيه هو أنه قادم لأجلي.

إذا بقينا في هذه الغرفة، سيأخذنا جميعًا، بما في ذلك ستانلي. أحتاج للخروج من هنا.

— "ارجع للخلف!" أصرخ.

— "مـ ماذا؟" يميل رأسه نحوي، والسواد يلعق قدميه.

أندفع للأمام، دافعة إياه خارج الباب وإلى الممر.

— "عليك الابتعاد!"

يتعثر للخلف، مذعورًا بدفعتي، ويتدحرج على الأرض. أكاد أنحني لالتقاطه، لكن شيئًا يوقفني. شيء بخصوص وجهه.

ما هو؟

إنه فارغ تمامًا. يبدو كأنه نائم وعيناه مفتوحتان——لا عاطفة، لا أي شيء. كأنه في غيبوبة.

— "ما الذي يحدث بحق الجحيم؟" أهمس.

– «إنه يتحول. يحاول تكتيكات مختلفة،» تجيب من خلف عيني. «أوميغا، إنه يحارب قيوده. عليكِ الإسراع يا ماغي. هذه ليست اللحظة المناسبة أيضًا. أنتِ متأخرة جدًا.»

بينما أتراجع، تلاحظنا موظفة أخرى وتهرع، منحنية لتفقد مقدم الرعاية الأول. بمجرد لمسها له، يصبح وجهها فارغًا أيضًا. إنه ينتشر. يا إلهي، إنه كعدوى، يتحرك عبر هذا الحاضر، آخذًا كل شيء في طريقه.

أندفع لغرفة ستانلي وأجد مفتاحه. خارجة مرة أخرى، أصفق الباب مغلقًا وأقفله من الخارج.

لا أستطيع تركه يدخل هناك، أو المخاطرة باحتمال خروجه. ليس حتى ينتهي هذا. لا أستطيع تركه يصل إليه.

– "سيمحوهم جميعًا،" أقول، مبتعدة عن مسرح الجريمة بأسرع ما أستطيع. "أنت—أنت فعلت هذا."

– «سيحصل على بعضهم، نعم، لكن ليس الكل. صنرايز ليست غافلة عن هذا التهديد ولديها بعض الإجراءات البدائية لاحتوائه.»

غير مرتاحة ولو قليلاً، لدي رغبة مفاجئة في الاندفاع أسفل الدرج ورؤية كم شخص هنا، كم شخص حكمنا عليه بالمحو. عندما أصل للردهة، أسمع صرخة من الطابق العلوي. لقد أخذ المزيد من الناس. إنه ينتشر.

يلاحظ الموظفون ومقدمو الرعاية ويهرعون لرؤية مصدر الذعر، متجهين لحتفهم. أفتح فمي لتحذيرهم، لإخبارهم بالبقاء في الخلف، لكن قلبي كله يقفز لحلقي.

لا أستطيع الكلام.

خارج الأبواب الأمامية، على وشك الدخول لهذا المبنى—هذا المكان المصاب بمرض قديم وجائع—هي ابنتي.

أركض بأسرع ما تحملني ساقاي العجوزتان، دافعة الأبواب المزدوجة لتفتح ومواجهة لها على الشرفة.

– "أمي؟" تقطب جبينها في حيرة. "ظننت أنكِ في المنزل. تركتكِ لتوّي."

– "عليكِ الخروج من هنا يا ليا. عليكِ المغادرة الآن."

تهز رأسها.

– "لا تكوني سخيفة. سأمر فقط لرؤية أبي قبل أن أنطلق. لن أتأخر."

– "هناك حريق!" أكذب. "في الداخل. لا يمكنكِ الدخول."

تتوقف، تنظر إلي، ثم تنظر للمبنى.

– "إذا كان هناك حريق، لماذا لا يوجد إنذار؟ ولماذا أنتِ هنا في الخارج وأبي في الداخل؟ ما الذي يحدث؟"

– "إنه..." أبحث عن كلمات. كيف يمكنني شرح كل شيء بطريقة منطقية؟ "عليكِ فقط أن تثقي بي. أرجوكِ. لا يمكنكِ الدخول هناك."

تصمص بشفتيها لي، كما اعتادت أن تفعل عندما أكون عجوزًا ومجنونة.

– "أنتِ تتصرفين بسخافة يا أمي. هيا، لندخل." خاطية للأمام، تتحرك لتأخذ ذراعي وتقودني للداخل.

– "لا يمكنكِ!"

لكنها تتجاهلني، منزعجة الآن من تصرفي. تفلتني وتدفع بجانبي. إنها عنيدة جدًا، رأسها يابس جدًا.

ستدخل هناك، وسيصيبها، وستُمحى. ابنتي ستُمحى من كل الزمان والتاريخ، وسأنسى أنها وجدت أصلاً.

لا يمكن أن يحدث ذلك. بأي ثمن.

– "أبوكِ لا يريدكِ هناك!" أصرخ.

تتوقف، مستديرة نحوي، ووجهها صورة للصدمة.

– "ماذا؟"

— "كنت أتحدث معه لتوّي. لا يريد رؤيتكِ." آخذ نفسًا عميقًا، كارهة كل كلمة تخرج من فمي. "لا يطيق رؤيتكِ."

تحدق بي، مذهولة، مأخوذة، مجروحة. بصوت جديد—أنعم، أكثر طفولية—تهمس:

— "قال ذلك؟ هل... هل كان يعرف ما يقول؟"

ثم أدرك أنني يجب أن أكون شريكة في هذا أيضًا، وإلا فلن تصدقه أبدًا. ليس تمامًا. ربما لو كنت أصغر، أسرع، أذكى، لفكرت في شيء آخر. أي شيء غير هذا. لكن في هذه اللحظة، وقلبي يتسابق والصرخات من الطابق العلوي تتردد في رأسي، هذا كل ما استطعت التوصل إليه.

يجب أن تغادر. يجب أن تفر. لا وقت لأي شيء آخر.

أخنق الدموع التي تتصاعد في حلقي، لأنني أدرك أن هذا هو. هذا قبل عامين. هذه هي اللحظة التي تتوقف فيها عن الحديث معي.

هكذا أفقد ابنتي.

— "نعم،" أنفعل. "بصراحة، كنا نتحدث عن الأمر منذ فترة. إنه خائب الأمل فيكِ. ماذا فعلتِ في العشرين سنة الماضية منذ تركتِ المنزل؟ لم تفعلي شيئًا سوى العبث. حتى أننا دفعنا لتعودي للجامعة لإعادة التدريب قبل ثلاث سنوات، وماذا لديكِ لتظهري مقابل ذلك؟ وظائف مسدودة في حانات ونزل. لا مهنة، لا عائلة، لا شيء؟ أنتِ إحراج لكلينا."

مع كل كلمة، أشعر بقلبي ينشق لنصفين، لأنها تنكمش أمامي. تصغر وتصغر بالثانية، متراجعة لداخل نفسها أمام هجومي. أعلم أنها لن تغفر لي هذا أبدًا، لكن ليس لدي خيار. إذا دخلت هناك، فقد ضاعت. إذا اضطررت للتضحية بحب ابنتي لإبقائها حية، فليكن.

— "تزوريننا مرة كل شهرين، إذا حالفنا الحظ،" أتابع، مهاجمة إياها، شاعرة بأنني سأتقيأ. "كوني صادقة يا ليا. تركتنا كلانا لنتعفن. أبي قال ذلك بنفسه. عودي لسيارتكِ وعودي لأي هدر تجعلينه من حياتكِ، لأن أياً

منا لا يريد أن يكون له أي علاقة بكِ. بصدق، سأكون سعيدة لو لم نركِ مرة أخرى أبدًا."

تحدق بي، مصدومة، متراجعة بينما تنهمر الدموع على خديها. كل ما أريد فعله هو مد ذراعي واحتضانها، سحبها قريبًا لصدري كما كنت أفعل عندما تراودها كوابيس، أتنفس معها حتى تصبح بخير. لكنني أعلم أنني لا أستطيع. أعلم أنني لن أحتضنها مرة أخرى أبدًا.

لا تنظر إلي حتى وهي تندفع بجانبي لسيارتها. أحدق، بلا أمل، وهي تركب وتنطلق مسرعة.

ماذا فعلت يا حسن؟ ما الذي جعلتني أفعله؟

— «إذا كنتِ لا تريدين الاضطرار لفعل شيء كهذا مرة أخرى، أقترح أن تتحركي.»

— "تباً لك،" أبصق في المقابل—في الهواء، في المبنى، في نفسي.

أسحب نفسي للأمام، متجسدة بعد عقود جيدة في الماضي. أول ما يضربني هو الحرارة—الرطوبة الخانقة تصفعني في وجهي، والهواء كثيف في حلقي. الشمس في الأعلى تضربني بغضب غير مخفف.

مستديرة حولي، أرى كراسي استلقاء وبار تيكي.

إنها عطلتنا في كمبوديا عام ١٩٩٣، رحلتنا الأولى بدون ليا. نحن في "بنوم بنه"، في فندق بوتيك صغير بمسبحين رائعين.

كانت هذه الرحلة هدية من ستانلي لعيد ميلادي. لم أعرف تمامًا كيف تحمل تكلفتها، لكنني لم أضغط في الموضوع حقًا. كان ستان دائمًا جيدًا في المال، لذا تركت الأمور المالية له.

أستدير وأرى نفسي. أنا عين بعين مع وجهي الخاص.

— "ماغي،" أهمس. "أرجوكِ. أين ستان؟"

لا بد أنه قريب. هذه ذاكرته.

تبدو محتارة، مضيقة عينيها كأن شيئًا خرج عن التركيز. كأنها لا تستطيع رؤيتي.

— "أين ستان؟" أكرر بقوة قدر استطاعتي.

— "إـ إنه..." تتمتم. "إنه هناك تمامًا." تشير يدها بشكل غامض خلفها للبار حيث يجلس. كنت سأراه فورًا لولا نفسي.

أتنحى جانبًا، وتتجول هي مبتعدة للحمام، مرتبكة. أفكر لدقيقة قصيرة في مدى غرابة أنني لا أتذكر هذا اللقاء. أتذكر كمبوديا، وأتذكر الفندق، لكنني بالتأكيد لا أتذكر الاصطدام بنفسي.

لا وقت للتفكير في الأمر.

الظلام يطبق عليّ مرة أخرى. أستطيع الشعور به. إنه جائع جدًا.

يجب أن أحصل على الإجابة وأخرج، وإلا سيضيع كل شيء.

دافعة بجانب زوجين شابين، أهرع للبار. يجلس ستانلي على طاولة، ينهي قهوة إفطاره، وأجلس مقابله مباشرة.

ينظر إليّ، ويغسل الإدراك وجهه.

— "ماذا تفعلين هنا؟" يطالب. هناك صدمة في صوته لكن غضب أيضًا.

— "أحتاج لمعرفة كيف أوقف أوميغا. أنت تعرف. اكتشفت ذلك قبل أن تقابلني. عليك إخباري. لا يوجد وقت."

يميل للخلف ويضع يده على رأسه.

— "ليس من المفترض أن تكوني هنا. ليس من المفترض أن تأتي إلى هنا. أوه، يا ماغي، ماذا فعلتِ؟"

— "اضطررت،" أصر. "إنه يتبعني، ولا مكان أذهب إليه سوى ذكرياتك. حسن لن يسحبني للخارج حتى أعطيه طريقة إيقافه. أرجوك—— الأشياء التي اضطررت لفعلها. التي فعلتها. ليس لدينا أي وقت."

يبدو غاضبًا. للحظة، أظن أنه سيحطم كوبه على الأرض أو يقلب الطاولة.

– "عملت بجد لحماية هذه اللحظات. هذه الحياة الخاصة بنا. ليس من المفترض أن تكوني هنا. كان الزفاف مفترضًا أن يكون آخر مرة أتفاعل فيها مع..." تقبض يداه. "هل تعرفين كم كان صعبًا عزل الزفاف؟ هل تعرفين كم استغرق ذلك؟"

أفتح فمي، لكن لا كلمات تخرج. أستطيع رؤية حقيقة الأمر على وجهه. كل ما فعلته——كل الأشياء التي قلتها——كانت بلا طائل. لقد دمرت كل شيء.

– "أرجوك،" أتوسل، يائسة. "لا بد أن تكون هناك طريقة. لا يزال بإمكاننا إيقاف هذا. أنت... أنت اكتشفت كيف."

يهز رأسه.

– "أنا... لا أستطيع إعطاءك الحل! لا أعرفه! لقد ذهب. تخلصت منه. محوته من عقلي."

– "لكن... لماذا؟"

– "بالتحديد تحسبًا لحدوث شيء كهذا! الرجل في حاضرك——حسن——أعرف ما يسعى إليه، وأعرف أنه لن يتوقف عند شيء، لا شيء، حتى يحصل عليه. لا أستطيع السماح بحدوث ذلك. لا يمكنه الحصول عليه أبدًا. أبدًا."

أحدق فيه.

– "لكننا سنخسر كل شيء. حياتك بأكملها. حياتنا. ستؤكل. ستكون كأنها لم توجد أبدًا."

يتصلب وجهه.

– "فليكن. هذا أكبر منا يا ماغي. توصلت لهذا القرار منذ زمن طويل. هناك أشياء أكثر أهمية على المحك."

– "أنا..." أنظر حولي. "كيف يمكن أن يكون هناك أي شيء أكثر أهمية من هذا؟"

– "أنا آسف،" يقول، عاضًا شفته.

عند حواف المطعم، أرى أن الجدران لم تعد هناك. لا يوجد شيء هناك بعد الآن.

إنه هنا. إنه يضيق الخناق.

لم يعد هناك وقت.»

١٨

ستانلي
١٩٦٧

كان من الغريب العودة إلى إنجلترا. بعد عامين في المناطق النائية الأسترالية، وعام ونصف في صحاري مصر، وتسعة أشهر أخرى في شبكات الكهوف في جنوب اليونان، اعتاد ستانلي على الحرارة. اندفعت رياح يناير الباردة حوله، ووجد نفسه يفتح سترته ليدعها تدخل. تاقت نفسه للهواء وهو يلامس جلده كعناق شبحي، جاعلاً الشعر على ذراعيه وصدره يرتجف. رغم أنه لم يكن سعيدًا أبدًا هنا، إلا أنه لا يزال يشعر وكأنه يُرحّب به في منزله.

غيرته السنوات في الخارج، علمته عن العالم أكثر مما توقع معرفته أبدًا. بينما كان يتتبع الظاهرة ويؤسس أنماطًا، انتقل من التعلم من ثقافات أستراليا إلى العثور على الرموز الغريبة مخربشة على جدران الكهوف عبر أوروبا وعلى الحجارة القديمة في شمال إفريقيا. مع الوقت، تعلم البقاء على قيد الحياة بمفرده، متحركًا وحيدًا عبر البراري المقفرة لبلدان مختلفة.

ومع تلك العزلة جاءت المعرفة: بماضٍ عميق ضاع للبشرية، بتاريخ نُسي طويلاً خارج البقايا القديمة للأساطير والأديان القديمة. بـ "أوميغا"، كما أسمته ماغي. تعلم من أين جاء، وكيف وجد، والعمليات اللازمة لإيقافه. في النهاية، كل ما كان عليه فعله هو الابتعاد عن الأطر التقليدية

للمعرفة التي اعتمد عليها سابقًا وقبول وجود عالم أوسع يتجاوز حدود ما عرف أنه حقيقي.

أخذ نفسًا عميقًا، ناظرًا عبر الطريق للمبنى أمامه. أعيد استخدام مبنى لازاروس في الغالب—بعد الحريق، بعد موت راف. الشركة استمرت في العيش، بالطبع. في مرحلة معينة، تنمو الشركات لتكون أكبر من أناسها؛ تصبح كيانات مكتفية ذاتيًا، متخذة حياة خاصة بها. لكن المبنى كان للعرض في الغالب الآن، وقد انتقل المقر التشغيلي الحقيقي لمكان آخر.

الحانة المقابلة، "الأسد الأحمر"، لم تتغير على الإطلاق. دفع ستانلي الأبواب الأمامية ومشى لطاولة بعيدة، شاعرًا وكأنه عاد بالزمن للوراء. كانت هناك القرقعة المألوفة للكؤوس، ودفء المقاعد. عندما تخيل ثلاثتهم—هو، وراف، وجاك—جالسين هنا، يناقشون الذاكرة والتطور، بدا الأمر وكأنه قبل حيوات عديدة. تشكلت غصة في حلقه، واضطر للبلع لإزالتها.

جاك، بالطبع، كان سبب وجوده هنا.

ليس أنه اتصل به مباشرة. عندما وصل ستانلي لمطار هيثرو الليلة الماضية واقترب من مكتب الهجرة، أعطاه الضابط ابتسامة روتينية وهو يأخذ جواز سفر ستانلي ويتفحصه.

لكن شيئًا ما—تحذير ما ظهر في ملف ستانلي—جعل الضابط يستدعي رئيسه. لم يستطع ستانلي رؤية ما هو، لكن نظرة الحيرة المخفية بشكل سيء على وجه الضابط جعلت الأمر واضحًا بما لا يدع مجالاً للشك. كان هناك شذوذ من نوع ما.

لم يتطرق الضابط للأمر. بدلاً من ذلك، بعد محادثة قصيرة مع رئيسه، وضع ملاحظة صغيرة داخل جواز سفر ستانلي وأعاده له، متمنيًا له يومًا سعيدًا.

قالت الرسالة فقط: *الأسد الأحمر، غدًا، الساعة الثالثة.*

اضطر ستانلي لمنع نفسه من الضحك على العبثية. حتى لو لم يكشف الموقع الأمر، لم يكن هناك أي شك مطلقًا في من أرسل له هذه الرسالة. كانت حركة شطرنج—وقفة محسوبة لتخبر ستانلي شيئًا واحدًا بالضبط: *انظر لما أنا قادر عليه. انظر لما أستطيع فعله.*

كانت دراما، استعراضًا تامًا، وكانت تشبه جاك تمامًا وبشكل مطلق. لو أراد اللقاء، لكان اتصل وحسب.

لكن مع ذلك، كان ستانلي هنا، لأنه احتاج للمعرفة. عندما تواصل مع هيوغو للحصول على تحديثات حول مواقع "صنرايز" في هونغ كونغ ودبي، كانت الأخبار التي تلقاها مقلقة. جاك—أو حسن، كما يسمي نفسه الآن—كان له أصابع في علاقات أكثر من أن تُعد، شرعية وإجرامية. مبالغ ضخمة من المال، قادمة من احتياطيات النفط عبر الشرق الأوسط والتعاملات في تجارة الهيروين الأفغانية، كانت تتدفق نحو ما بدا أنه مواقع سوداء للبحث والتطوير أقيمت عبر أوروبا وشمال إفريقيا. حكومات كان يتم رشوتها بمال مصنوع من بيع تكنولوجيات متطورة للغاية لمشترين أقل من محترمين. كان جاك يبني إمبراطورية.

لكن جزءًا ما من ستانلي عرف أن ذلك لم يكن الهدف. كان وسيلة لغاية، وبعد كل ما حدث، احتاج لمعرفة ما هي الغاية. أكثر من أي وقت مضى، شعر أن جاك مسؤوليته. لقد سمح للرجل بالرحيل. لقد غطى عليه. إذا حدث أي شيء رهيب، فسيقع اللوم عليه.

اقترب عقرب الدقائق في ساعة ستانلي من رأس الساعة. كان على وشك النهوض والحصول على مشروب عندما اقترب منه أحد الموظفين.

— «سيد ويب؟»

نظر ستانلي إليه.

— «نعم؟»

— «إذا تفضلت، هل يمكنك اتباعي من فضلك؟ السيد الهيثم يعتقد أن بيئة أكثر خصوصية ستكون مفضلة.»

أومأ ستانلي، مخفيًا ابتسامة صغيرة.

— «بالتأكيد، كما تقول.»

نهض وتبع الرجل متجاوزًا البار وإلى غرفة خلفية. مروا عبر بابين وصعدوا سلمًا معدنيًا بدا وكأنه ينتمي لمبنى آخر. بعد فتح الباب الأخير له، وقف الرجل جانبًا، سامحًا لستانلي بالدخول.

كان مكتبًا كبيرًا—المكتب الخشبي الطويل عند الجدار الخلفي واجه نوافذ زجاجية بطول كامل تطل على شوارع لندن بالأسفل. كانت هناك أريكة وكرسيان بذراعين في المركز، بالإضافة لبار في الزاوية.

أغلق الرجل الباب خلفه وتركه في الغرفة الفارغة. في غياب أي معلومات أخرى، ذهب ستانلي للبار ليصب لنفسه مشروبًا.

شم السائل البني في القارورة الزجاجية—ويسكي، ومن النوع الفاخر حسب رائحته. مالئًا كوبًا صغيرًا، مشى عائدًا للأريكة واستقر. أخذ رشفة: كان فاخرًا.

انفتح الباب بنقرة.

قال جاك وهو يدخل:

— «ستان. من الجيد جدًا رؤيتك يا صديقي القديم.»

إلا أنه لم يكن جاك، ليس تمامًا. ظاهريًا، بدا مثل جاك—الملامح كانت نفسها، الشكل العام لجسده ووجهه—لكن بالنسبة لستانلي، الذي عرف الرجل منذ كان صبيًا، كان التأثير عابرًا.

كان هناك شيء غير صحيح تمامًا بشأنه: الجلد كان أملسًا أكثر من اللازم، الحركات سلسة أكثر من اللازم. لم يمتلك أيًا من العيوب أو الشوائب التي تجعل الشخص يبدو بشريًا.

جلس ستانلي مستقيمًا.

– «ماذا فعلت بنفسك؟»

– «أوه، هذا؟» رد ناظرًا لجسده. «بدأ كبعض التعديلات هنا وهناك، بعض الاستبدالات الصغيرة، بعض الجراحة التجريبية.»

– «الأنسجة المستنسخة التي كنت تعبث بها في المعهد.» قال ستانلي. «التي استخدمناها لإخفائك.»

– «الأمر معقد قليلاً.» قال جاك، جالسًا في الكرسي المقابل لستانلي. وضع قدميه على الطاولة، لكن الحركة لم تكن مسترخية تمامًا، لم تكن طبيعية تمامًا، مثل تلك التي عرفها ستانلي. «لكن لنقل فقط إن الجسد البشري مثل أي قطعة تكنولوجيا أخرى. يمكن التجريب عليه. يمكن تحسينه.»

حدق ستانلي في صديقه القديم، وسرت قشعريرة خلاله.

– «ماذا فعلت يا جاك؟»

أمال جاك رأسه كأفعى تقيم فأرًا.

– «مع الوقت، سيتدافع الناس للحصول على ما حققته. والاسم هو حسن الآن—تغيرت الأمور منذ رأينا بعضنا آخر مرة.»

– «أخبرني عن ذلك.» رد ستانلي. أخذ رشفة من ويسكيه. كان يحاول جاهدًا البقاء هادئًا، لكن كان هناك توتر في الهواء. لم يعد يشعر بالأمان التام هنا. شيء ما كان خطأ، رغم أنه لم يستطع تحديده بعد. «لماذا (حسن)؟»

لوح جاك—لا، حسن—بيده في الهواء.

– «تيمناً بعالمي المفضل، الحسن ابن الهيثم، أحد أعظم الموسوعيين الذين مشوا على الأرض أبدًا. لاهوتي، فيلسوف، فيزيائي فلكي، وأبو البصريات الحديثة.»

عبقري، فكر ستانلي. *بالطبع سميت نفسك تيمناً بعبقري.*

مال حسن للأمام.

— «هل تعلم ما الذي جعله مميزًا جدًا؟ قدرته على رؤية الأشياء من منظور مختلف تمامًا. كان أول من أظهر أننا عندما ننظر لغرض، لا نرى الغرض——ليس حقًا. نرى الضوء المنعكس عن الغرض. فهم أن مفهوم الرؤية بأكمله لا وجود له حقًا، باستثناء التفاعلات الكهربائية التي تحدث في الدماغ بينما نجمع هذا الضوء معًا. فهم أنه لكي نفهم العالم، أحيانًا نحتاج لرمي كل ما نظن أننا نعرفه. أحيانًا نحتاج لتغيير النموذج.»

زحف ستانلي للخلف أكثر على الأريكة، حماس حسن يجعله متوترًا.

— «هل هذا ما تفعله إذن؟ تغيير النموذج؟»

لعق حسن شفتيه. زحف أقرب لستانلي، وانخفض صوته لهمس تقريبًا.

— «لا أستطيع حتى البدء بإخبارك بما حققته في السنوات الثماني الماضية——ما هو ممكن بالموارد الصحيحة، بالمنظور الصحيح. هناك قفزات تكنولوجية سترفض حتى أنت تصديقها.» دارت عيناه وهو يتحدث، جائعة، تلتهم الضوء بينهما. «لكن هناك شيء واحد لم أتمكن أبدًا من تجاوزه. إنه حوتي الأبيض يا ستان. إنه لعنتي.»

شعر ستانلي بغصة تعلق في حلقه.

— «مجرفة الذكريات.»

— «نعم. السفر عبر الذاكرة، لتغيير الماضي. هل يمكنك تخيل الإمكانية؟ لكن في كل مرة، النتائج هي نفسها كالسابقة.»

رمش ستانلي.

— «أنت... جربت بها مرة أخرى؟»

— «بالطبع فعلت. ألم تفعل؟»

شعر ستانلي بضيق تنفس في صدره، ووجوه فارغة ودماء تومض عبر عقله.

– «ماذا عن الخاضعين للتجربة؟»

– «نفس الشيء، للأسف. يُمحون من الماضي. يُحذفون، وينسى كل من عرفهم وجودهم. أسميناها (أوميغا)—نهاية كل شيء. لكنني أعتقد أنها لا يجب أن تكون نهاية.»

وقف ستانلي، واضعًا يديه على رأسه.

– «هل أنت مجنون؟»

قطب حسن جبينه، محتارًا.

– «على الإطلاق. غرف الاختبار معزولة دائمًا، كما فعلنا من قبل. لا نسمح له بالانتشار. لقد تعلمت من أخطائي.»

– «هذا... ليس هذا ما أتحدث عنه!» حاول دفع صور الأجساد المقطعة والحرق من رأسه. كل هذه السنوات التي قضاها محاولًا فهمه حتى يتمكن من التأكد من عدم حدوثه مرة أخرى، وحسن لم يتوقف أبدًا. استمر مباشرة وكأن شيئًا لم يحدث. «ألا تتذكر ما فعلناه؟ ألا تتذكر ما فعلناه براف؟»

لوح حسن بيده بلامبالاة.

– «لم أنسَ، لكن راف مات. لن يعود. إلى متى ستدع ذلك يعيقك؟»

– «لمدة أطول منك، بوضوح.» بصق ستانلي. اقتحم الغرفة، غير قادر على النظر لحسن. هل بقي أي شيء من جاك هناك؟ أم لم يكن هناك جاك أبدًا كما عرفه؟

استدار ستانلي مطالبًا:

– «كم عدد الأشخاص الآخرين الذين عرضتهم لهذا الرعب؟ كم شخصًا محوت؟»

وقف حسن، هازًا رأسه.

– «أنت تركز على كل الأشياء الخاطئة. الناس يعرفون ما يقدمون عليه. تم تعويض عائلاتهم بشكل مناسب.»

– «عائلاتهم لا تعرف حتى أنهم وجدوا.»

– «اسمع.» تنهد. «النقطة هي أنني أحرزت تقدمًا بدراسة الخاضعين للتجربة: أدمغتهم، خطوطهم الزمنية. يمكننا فعل الكثير. هل تعلم أن لدينا تكنولوجيا يمكنها تكرار نفس نوع الفقدان الآن، يمكنها إزالة ذكريات الناس بلمسة؟»

– «أوه، وهذا من المفترض أن يطمئنني؟»

– «أنت تفوت النقطة يا ستان.» توتر صوته، مشوبًا بتيار خفي من الإحباط. «إذا ساعدتني، يمكننا التغلب على هذا. أعرف أين كنت. أعرف أنك كنت تراقبني، لكنني كنت أراقبك أيضًا. وجدته، أليس كذلك؟ كيفية إيقاف هذا الشيء.»

تنفس ستانلي بصعوبة، مديرًا ظهره لحسن، وعقله يدور. كان هذا أسوأ مما خشي. حسن كان مجنونًا. كان أبعد من الجنون. احتاج ستانلي للخروج من هنا، لكن بينما ينظر للباب، تساءل إن كانت المغادرة خيارًا أصلاً. إن كان حسن سيسمح له.

شعر ستانلي بيد باردة على كتفه وانتفض، قافزًا للخلف. لم يسمع حتى خطوات حسن تقترب.

قال حسن، مخيماً بظله عليه:

– «أنا أحاول مساعدتك. أنا أحاول مساعدة الجميع. بدأت بالفعل في التغلب على قيود الفناء، التغلب على التحلل، التسامي لشيء أعظم. لكن عملي بدأ لتوّه. إذا استطعنا تغيير الماضي، نسيطر على الحاضر، ومن يسيطر على الحاضر يحدد المستقبل. انظر للاتجاه الذي يتجه إليه العالم: اكتظاظ سكاني، مجاعة، حرب. أنت تعرف هذا بقدر أي شخص. أحتاجك

يا ستان. هذا إرث والدمان. بوجودك بجانبي، تساعدني، يمكننا نقل العالم لنموذج جديد. يمكننا أن نكون من يرشد البشرية للمسار الصحيح.»

بالطبع—إذا كان حسن حرًا في الغوص لماضي أي شخص، لتغيير نسيج الزمن نفسه، سيكون العالم له ليسيطر عليه بالكامل. من يستطيع الوقوف في وجه قوة كهذه؟ من يستطيع حتى المحاولة؟ لا. رغم كل ادعاءات حسن بدوافع نبيلة، لم يرد ستانلي تخيل كيف سيبدو مستقبل يحدده هذا الرجل. *إرث والدمان*. وخزت الدموع عيني ستانلي. لم يكن ليتخيل شيئًا أراده الرجل العجوز أقل من ذلك.

نظر لحسن مباشرة في عينيه—عينين تلمعان بلمعان غير بشري.

— «لن أساعدك.» قال. «أوميغا خُلقت خصيصًا لأشخاص مثلك.»

لم يتحرك حسن قيد أنملة. لم يرمش.

— «ماذا تعني؟»

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا، مقويًا نفسه.

— «لست أول شخص يعتقد أنه يستطيع السيطرة على الكون. لست أول مهووس بالعظمة. حدث هذا من قبل—لهذا خُلقت أوميغا. ظن والدمان أنها نوع من الكيانات الخبيثة تسعى لاصطيادنا جميعًا، وكان خائفًا من إطلاق سراحها، لكنه كان مخطئًا. إنها ليست مفترسًا أو شيئًا شريرًا؛ إنها ضمان. توجد لإبقاء الزمن يتدفق بنظام في مساره، تمامًا كما تطورنا مبتعدين عن الذاكرة المثالية كرد فعل. لأنه لا يجب أن يكون الناس قادرين على السيطرة على الزمن. لا أنا. ولا أنت. ولا أي شخص.»

قال حسن ببطء، بتعمد:

— «إذا كانت قد صُنعت، فلا بد أن هناك طريقة لإلغاء صنعها.»

— «لا.» قال ستانلي. «لا يمكن فعل ذلك. إنها مدمجة في الكون. قوة طبيعة لا يمكن السيطرة عليها.»

رفع حسن حاجبيه، مستمتعًا.

— «كل شيء يمكن السيطرة عليه. أنت تكذب يا ستان. أستطيع المعرفة عندما تخادع. لطالما كنت قادرًا على المعرفة. ستخبرني، بطريقة أو بأخرى.»

— «لا.» قال ستانلي. «لن أخبرك أبدًا.» لن يدع نفسه يتعرض للتنمر. ليس بعد الآن. وقف صامدًا، غير متزعزع. «لن تعرف أبدًا. أعدك بذلك.»

حدق حسن فيه لبضع ثوانٍ، ثم استدار ومشى للمكتب. منحنيًا في حركة عفوية بشكل مفاجئ، فتح درجًا وسحب جهازًا صغيرًا—بحجم مسجل شرائط تقريبًا.

— «هل أنت متأكد يا ستان؟ لن تخبرني أبدًا؟ تبدو واثقًا بنفسك بشكل فظيع.»

— «ما هذا؟»

— «هذا اختراع حديث لي، أحد المشاريع الجانبية من عملنا على الخطوط الزمنية. المهندسون الذين عملوا عليه أسموه (محرك الانحلال).» قلب الجهاز بين يديه. «شيء عن تقسيم الخطوط الزمنية، كما فُهمت، لكنني أعتقد أن للاسم سحرًا معينًا. عمر النصف لا يزال قصيرًا جدًا، بحد أقصى حوالي خمس وثلاثين دقيقة حاليًا، لكن قيل لي إنهم يحسنونه.»

شعر ستانلي بقلق مفاجئ—ضغط الجدران للداخل. تفككت ثقته. لم يرد أن يكون في هذا المكتب بعد الآن. لم يعرف ما كان ذلك الشيء، لكنه لم يرد أن يكون قريبًا منه في أي مكان.

— «هل تعلم ما كانت مشكلتك دائمًا يا ستان؟ تلعب بأمان أكثر من اللازم. لعبتك الوسطى تفتقر للدراما. أوه، بالتأكيد، سيكسبك ذلك المباراة تسع مرات من أصل عشر. لكن العب مرات كافية...» خفت صوته، عابثًا بقرص على الجهاز.

ابتلع ستانلي ريقه.

– «لا تفعل هذا يا جاك.»

للمرة الأولى، ظهرت ابتسامة—ابتسامة حقيقية—على وجه حسن.

– «اسمي أوزيماندياس، ملك الملوك.» قال، رافعًا الجهاز. «انظروا لأعمالي، أيها الأقوياء، واقنطوا!»

كانت هناك نقرة.

ثم تشويش.

ثم لا شيء.

شم ستانلي السائل البني في القارورة الزجاجية—ويسكي، ومن النوع الفاخر حسب رائحته. مالئًا كوبًا صغيرًا، مشى عائدًا للأريكة واستقر. أخذ رشفة: كان فاخرًا. رغم أنه كان لديه أغرب شعور بالـ "ديجا فو"، وكأنه شربه من قبل في وقت ما، ربما في حياة أخرى.

انفتح الباب على مصراعيه.

قال جاك:

– «أوه يا إلهي يا ستانلي. أنا سعيد جدًا لوجودك هنا. لا يمكنك تخيل كم كنت آمل رؤيتك.»

استدار ستانلي. قبل أن يدرك، كان جاك قد اقتحم الغرفة وكان يجلس بجانبه، ووجهه جاد وقلق. كان هناك شيء غير صحيح تمامًا بوجهه: الجلد كان مثاليًا أكثر من اللازم، العينان—

تمتم جاك:

– «أردت رؤيتك لحظة هبوطك في المملكة المتحدة. حقًا، أردت، لكنني كنت أتعامل مع كارثة ذات أبعاد هائلة، وتمكنت للتو من الإفلات. الأمر سيء حقًا يا ستان. سيء حقًا.»

رمش ستانلي، مأخوذًا بإلحاح جاك. وضع مشروبه على الطاولة ومال نحوه.

– «ماذا حدث؟»

– «هل...؟» هز جاك رأسه، ناظرًا للأرض. «هل تتذكر التجربة التي أجريناها بمجرفة الذكريات ؟ تلك التي ساءت؟»

ارتفع رعب قديم في صدر ستانلي.

– «ماذا فعلت؟»

– «لا شيء!» رفع يديه. «أعدك. لن أقترب من ذلك مرة أخرى أبدًا. أعني، بجدية—بعد ما حدث لـ... راف؟ بعد ما فعلته؟ كيف يمكنك حتى اقتراح ذلك؟»

نظر ستانلي بعيدًا، شاعرًا ببعض الخجل.

تابع جاك فاركًا يديه:

– «لم أكن أعلم حتى وقت قريب. موظف قديم لدي—رجل ذكي جدًا—أخذ كل ما لدي من تحت أنفي مباشرة، وكان يحاول إعادة خلق التجربة، غوص الذاكرة.»

انقبضت معدة ستانلي.

– «وهل فعل؟»

هز جاك رأسه، ناظرًا خارج النافذة للشوارع بالأسفل.

– «ساء كل شيء يا ستان. كل شيء يسوء مرة أخرى. هو... واجه الشيء نفسه الذي واجهناه. المرض. إلا أنه لم يعزله. إنه ينتشر من شخص لشخص. التقارير التي أتلقاها مروعة—ثمانون، تسعون، مائة شخص يُمحون جميعًا من الماضي، كأنهم لم يكونوا هناك أبدًا. قريبًا سيكونون بالمئات، ربما الآلاف. نحن... يا إلهي يا ستان، الوقت ينفد منا، ولا توجد طريقة لإيقافه. ولا أعرف ماذا أفعل.»

أمسك جاك بذراع ستانلي. ملمس جلده كان غريبًا، كالحرير، وشعر ستانلي أن هناك شيئًا يفوته هنا، أن هناك شيئًا خاطئًا في هذا اللقاء بأكمله.

أوميغا لم تعمل بهذه الطريقة. كانت تنظف كل من حاول العبث بالزمن—كل من كان متورطًا—ثم تتوقف. لم تكن أنظف الأدوات، وأحيانًا علق أناس في مرمى النيران، لكن بمجرد كي الجرح، كانت تستقر مرة أخرى. لكن ربما جاك لم يعرف ذلك؛ ربما لا يزال يظن أن—

قال، وعيناه ترتجفان ذعرًا:

— «أنا في حيرة هنا يا ستان. أحتاج مساعدتك. لطالما كنت الأذكى بيننا نحن الاثنين.»

رمش ستانلي.

ماذا؟

وقف، نافضًا يد جاك عنه.

— «جاك—ما الذي يحدث بحق الجحيم؟»

قال جاك ناظرًا إليه بحيرة:

— «ماذا تعني؟ أخبرتك لتوّي أن...»

— «لا توجد حادثة، أليس كذلك؟ أنت تكذب علي. لماذا؟»

تنهد جاك، وفجأة، تغير جسده. اختفى الخوف من عينيه. ذهب الذعر، وكأنه لم يوجد أبدًا. وقف طويلاً وهادئًا تمامًا.

— «كانت مسألة (الأذكى)، أليس كذلك؟ بالغت فيها.» هز رأسه. «دائمًا هناك شيء.»

حدق ستانلي فيه، غير متأكد مما يحدث. مشى جاك للمكتب ورفع جهازًا صغيرًا من أحد الأدراج؛ كان بحجم مسجل شرائط تقريبًا.

— «ظننت أن سيناريو أزمة الكابوس كان سينجح مع قلبك الرقيق، لكنني نسيت كم تجلد ذاتك أحيانًا.»

— «أنت... ماذا؟»

- «لا يهم. سنصل هناك في النهاية يا صديقي القديم.» أدار قرصًا على الجهاز. «أنت وأنا، لدينا كل الوقت في العالم.»

نقرة.

تشويش.

شم ستانلي السائل البني في القارورة الزجاجية—ويسكي، ومن النوع الفاخر حسب رائحته. مالئًا كوبًا صغيرًا، مشى عائدًا للأريكة واستقر. أخذ رشفة: كان فاخرًا. رغم أنه كان لديه أغرب شعور بالـ "ديجا فو"، وكأنه شربه من قبل في وقت ما، ربما في حياة أخرى.

انفتح الباب.

قال جاك بابتسامة:

- «ستان. من الجيد رؤيتك مرة أخرى.»

- «مرت فترة.» رد ستانلي، وعيناه تمران على هيئة جاك الغريبة. كان هناك شيء غير صحيح تمامًا بجسده. شيء شاذ.

قال جاك، مستقرًا على المقعد بجانبه:

- «ومع ذلك، يبدو الأمر وكأنه قبل لحظات فقط. مضحك كيف يفعل الزمن ذلك.»

أومأ ستانلي. رغم كل السنوات منذ الحادثة، بدا الأمر وكأنه البارحة فقط. الصور المروعة—للطلقات، الجثث، راف يغرغر في بركة من الدم—لا تزال تطارده. حددت كل لحظة من حياته منذ ذلك الحين.

قال ستانلي بحذر:

- «دعوتني إلى هنا. تركت لي رسالة.» الآن أكثر من أي وقت مضى، شعر بالحاجة للحذر حول جاك. كان هناك شيء في مظهر عينيه، والطريقة التي لمع بها جلده بشكل غير طبيعي في الضوء، جعل ستانلي يشعر بعدم أمان غريب.

لوح جاك بيده بلامبالاة.

– «لا شيء مهم جدًا. أردت فقط الاطمئنان. كنت خارج البلاد لفترة طويلة. كنت مشغولاً؟»

ارتشف ستانلي مشروبه.

– «يمكنك قول ذلك. وأنت؟»

التوت شفتا جاك في ابتسامة مفترسة.

– «لا تكن خجولًا هكذا يا ستان. أعرف أنك كنت تتحقق مني. أعرف ما كنت تفعله بمال راف. لست ماكرًا كما تظن. كم تعرف؟»

– «أعرف أنك كنت تبني إمبراطورية تكنولوجية، رغم أن ما كنت تفعله بها سري.» مال ستانلي للأمام. «على ماذا تعمل؟»

تنهد جاك.

– «أشياء كثيرة يا ستان. أشياء كثيرة. الكثير سيكون فوق استيعابك الآن، أخشى. ما اكتشفناه في ذلك المختبر كان مجرد نقطة البداية لأكثر من ذلك بكثير.»

ارتفع رعب قديم داخل صدر ستانلي.

– «نقطة البداية؟ تعني أنك لا تزال تجرب بمجرفة الذكريات؟»

ضحك جاك، ناهضًا لقدميه. مشى للبار وصب لنفسه مشروبًا.

– «أوه نعم. كيف يمكنني التوقف؟ لكننا تجاوزنا ذلك. هناك اكتشافات أكثر جرأة لتُصنع. الزمن ليس كما يبدو.» نظر لأسفل لنفسه، وبدا جسده وكأنه يلمع تقريبًا. «ولا الفناء، في الواقع.»

رمش ستانلي، محاولاً استيعاب تبعات ما يقوله جاك، لكن لم يستطع تجاوز حقيقة أن جاك لا يزال يستخدم المجرفة.

سأل:

– «ماذا عن الخاضعين للتجربة؟ ماذا يحدث لهم؟»

- «أوه، ارتكبنا بعض الأخطاء هنا وهناك، لكنك تعرف ما يقال عن العجة والبيض. كان هناك تفشٍّ أخير في إحدى منشآتنا تمكنا لتوّنا من احتوائه، لكن سيتم التعامل مع ذلك قريبًا بما يكفي.»

وقف ستانلي، ويداه ترتجفان قليلاً.

- «انتظر—ماذا تعني بـ (احتواء)؟ ماذا تعني بـ (التعامل معه)؟»

- «الشيء—أوميغا—أُطلق له العنان خلال تجريب إضافي. لم تكن إجراءات الحجر الصحي موضوعة بشكل صحيح، وانتشر بين الموظفين. لدينا كل المصابين محبوسين الآن، رغم ذلك، في غرف فردية. لا أحد منهم يعرف من هو، ولا نعرف من كانوا.» ضحك. «الأمر مضحك تمامًا، حقًا.»

نمت فقاعة مريضة ومقززة في معدة ستانلي—شعور بمأساة تتكشف، بتاريخ يعيد نفسه.

- «ماذا ستفعل بهم؟»

هز جاك كتفيه، مرتشفا الويسكي.

- «ماذا عسانا نفعل غير ذلك؟ علينا قتلهم جميعًا. ليس وكأن أحدًا سيلاحظ. لا أحد آخر يتذكر أنهم وجدوا أصلاً.»

سكن ستانلي تمامًا، آخذًا نفسًا قبل طرح السؤال الذي لم يكن متأكدًا أنه يريد إجابته.

- «كم عددهم؟»

- «همم؟» رفع جاك حاجبيه، مفكرًا في السؤال وكأنه لم يفكر فيه حقًا من قبل. «أوه، كانت إحدى منشآتنا الكبيرة، وكان الانتشار سيئًا جدًا قبل أن نتمكن من إغلاقه. خمسة، ربما ستة، مائة موظف؟»

شعر ستانلي بوجهه يبيض، الدم يُسحب منه.

ستمائة.

وجاك كان سيقتلهم جميعًا وحسب.

مثل ذلك الرجل في المختبر قبل كل تلك السنوات.

مثل راف.

— «لا يمكنك فعل ذلك،» قال.

ضحك جاك.

— «حسنًا، قولك ذلك جيد ورائع، لكن ليس وكأن لدينا أي طريقة أخرى لإيقاف الانتشار. أنت تعرف ذلك. أعني، هيا. لو كان هناك أي حل آخر، بالتأكيد.» هز رأسه. «لأكون صادقًا، لم أعد أبالي كثيرًا. هناك اختراقات أخرى حققناها واعدة أكثر بكثير. نقل الوعي، عزل الخطوط الزمنية، التشابك الكمي. بعد أن نتعامل مع هذا الوضع، سأقوم على الأرجح بأرشفة مجرفة الذكريات والمضي قدمًا.»

— «ماذا لو...؟» قال، ثم توقف.

لم يرد إخبار جاك بما تعلمه. لم يثق به. لكنه لم يستطع عدم فعل شيء. إذا ترك جاك يفعل هذا، فلن يكون رجلاً أفضل مما كان عندما ترك جاك يقتل عينة الاختبار تلك قبل كل تلك السنوات. مما كان عندما ترك جاك يقتل راف.

لم يستطع ترك ذلك يحدث مرة أخرى.

كان جاك يراقبه بلامبالاة، ونظرة استمتاع على وجهه.

— «ماذا لو ماذا يا ستان؟»

— «ماذا لو كنت أعرف طريقة لإيقافه؟»

لوح جاك بيده بلامبالاة.

— «راجعت هذا مائة مرة. لا توجد طريقة.»

أخذ ستانلي خطوة أقرب إليه.

— «توجد. استغرق الأمر مني وقتًا طويلاً جدًا لإيجادها، لكنها توجد. طريقة لإيقافه. كنا ننظر إليه بشكل خاطئ تمامًا. إنه ليس عدوى—ليس حقًا. فكر فيه أكثر كآلية أمان، وهناك طريقة لتعطيلها. لإطفائها.»

واضعًا مشروبه، استدار جاك ليواجه ستانلي. خيم بظله عليه، ووجهه بلا تعبير.

— «حسنًا، إذا كنت تعرف طريقة، فأفترض أننا لن نضطر لقتلهم جميعًا. لست متأكدًا أي نوع من الحياة سيملكون الآن، منسيين من العالم، لكن ذلك سيوفر بالتأكيد بعض الوقت والمال. سأقدر المساعدة.»

رمش ستانلي، ناظرًا عائدًا في عيني جاك اللامعتين.

— «إذا أخذتني إلى حيث يحدث الأمر، يمكنني...»

هز جاك رأسه.

— «لا، لا. لا وقت لذلك. المختبر في اليابان، خارج طوكيو مباشرة. بعيد جدًا يا ستان. يجب التعامل مع الانتشار اليوم ليكون الأمر مؤكدًا. العملية مقررة الحدوث»—نظر لساعته—«في أقل من ساعتين بقليل.»

— «لكن...»

قال بتجاهل:

— «اسمع، إذا كان بإمكانك إعطائي شيئًا أمرره، ربما. إذا استطعت إجراء مكالمة دولية، يمكنك شرح ما يجب فعله. قد ينجح ذلك. لكنها الطريقة الوحيدة.»

أومأ ستانلي. لم يعجبه الأمر، لكن لم يكن لديه خيار. لم يستطع ترك أولئك الناس يموتون. لم يستطع ترك أي شخص يموت وحسب. ليس مرة أخرى.

— «حسنًا،» قال ستانلي. «اجلس. سأخبرك بما أعرفه.»

وفعل. لم يحتج جاك لدفتر ملاحظات أو كمبيوتر لتدوين أي من الكلمات. عرف ستانلي هذا. دربهم والدمان جميعًا جيدًا بما يكفي بحيث لن ينسى دماغه تفصيلاً واحدًا.

أخبر جاك بما اكتشفه في أستراليا، من جولاته وتجاربه مع الناس هناك، وما رآه في الرحلات التي قام بها لاحقًا عبر العالم. أخبر جاك عن

الخليط الصحيح من النباتات التي يجب استخدامها——مجموعة طقسية من الخزامى والوستارية، والياسمين والميرمية. أخبره عن الرموز القديمة، المصممة للعمل ضده والمنسوخة من لغات لم تعد موجودة. وأخبره عن أهمية النار واللهب. لم يعرف ستانلي تمامًا كيف تعمل هذه الأشياء، لكن ذلك لم يعد مهمًا. الطقس الذي كان يصفه——كان مثل سطر أوامر موصول بالمحطة الرئيسية للكون. سيوقف العملية مؤقتًا، طويلاً بما يكفي لإيقاف الانتشار. إبقاء آلية الأمان هادئة وفي ركود.

لكن هذه الأشياء لن توقفه للأبد. لن تسمح باستخدام المجرفة بحرية في المستقبل.

لم يذكر ستانلي طقوس الدم. لم يتحدث عن الطقس النهائي للسكين، سطر الأوامر الذي سيعطل آلية الأمان للأبد، فاتحًا الزمان والمكان للتلاعب مرة أخرى. احتفظ بهذه لنفسه، لأنه لم يثق بجاك. المعلومات التي قدمها ستكون كافية لإيقاف هذا الانتشار وتحرير الضحايا المساكين. ثم، إذا لم تكن هناك المزيد من التجارب، سيتمكن ستانلي من تقييم الوضع بنفسه، لمراقبة هؤلاء الناس وإلى أين ذهبوا. سيتصل بهيوغو في "صنرايز"، وسيضعان إجراءات للقيام بذلك معًا.

لم يخبر جاك بذلك، بالطبع. تظاهر بأن ما أعطاه كان كل ما هناك، الحل الكامل. كانت حركة شطرنج محسوبة——التضحية بالوزير حتى لا يرى خصمك ما تخفيه خلفه.

عندما أنهى ستانلي حديثه، نظر جاك إليه.

— «شكرًا لك،» قال. «سيكون ذلك مفيدًا للغاية.»

مشى جاك للمكتب، فتح درجًا، وأخرج جهازًا صغيرًا——مثل مسجل شرائط. ضغط مفتاحًا على الجهاز، وضعه في جيبه، واتجه للباب.

— «عليّ إجراء بعض المكالمات لترتيب كل هذا،» قال مبتسمًا. «لكنني سأتواصل معك قريبًا. أنا سعيد لرؤية أنك تبلي جيدًا. بصدق. كنت قلقًا عليك.»

أعطى ستانلي ابتسامة ضعيفة، لكن جاك بالكاد لاحظها. قرقع الباب مغلقًا خلفه.

***

في وقت لاحق من ذلك المساء، جلس ستانلي بمفرده في "ميرشيستون آرمز". كان الوقت بعد الثامنة مساءً بقليل، وكان قد قضى معظم فترة بعد الظهر يفكر في اللقاء الغريب مع جاك. كلما فكر فيه، بدا الأمر أغرب.

مباشرة بعد الاجتماع، لم يكن هناك شك في ذهن ستانلي أن جاك لم يخبره بالحقيقة الكاملة. بعد ساعة أو ساعتين، كان يذرع الشوارع بالخارج، منتظرًا سماع خبر من جاك—لمعرفة ما إذا كان قد تمكن من إيقاف القتل الجماعي في اليابان—لكن لم تكن هناك رسالة. لا شيء. ثم اتصل بهيوغو لمعرفة ما إذا كانت جهات اتصال "صنرايز" قد سمعت أي شيء، لكن لم يعرف أحد عما يتحدث.

بدأ يشك في أن أي شيء قد حدث على الإطلاق.

كانت خدعة، أدرك ستانلي، لإثارة ذعره، لجعله يكشف كيفية إيقاف أوميغا.

لم يفاجئ هذا ستانلي تمامًا، لكن كان هناك شيء آخر. شيء في الكلمات التي استخدمها جاك أزعجه، لكنه لم يستطع تحديد ما هو تمامًا.

أحضر ستانلي كتابًا معه للحانة حتى لا يزعجه أحد. كان بحاجة لمساحة للتفكير لكنه وجد أنه إذا جلس وحده فقط، سيتحدث الناس إليه في النهاية. لذا وضع الكتاب أمامه، متظاهرًا بمسح الصفحات بينما عقله يدور. ارتشف من بيرته، التي كانت تسخن ببطء على الطاولة أمامه.

شيء قاله جاك كان ينخر في مؤخرة عقله. كلمة أو عبارة. أدار المحادثة مرارًا وتكرارًا، لكنه لم يستطع تحديد ما هو بالضبط ولو توقفت حياته على ذلك.

تمامًا بينما كان على وشك النهوض والمغادرة، قفز قلبه لحلقه.

دخلت ماغي من الباب.

إلا أنها لم تكن ماغي التي عرفها، تلك السيدة العجوز الشرسة بشكل مذهل التي أنقذت حياته مرارًا وتكرارًا. لا—كانت هذه شابة. بدت بالكاد في الثلاثين، وعندما دخلت الغرفة، كانت بلا كل تلك الثقة واليقين التي أظهرتها نظيرتها الأكبر سنًا. بدت خجولة، متوترة.

لكن لم يكن هناك شك مطلقًا أنها المرأة نفسها.

كانت جميلة.

حاول ستانلي عدم التحديق فيها. حاول التركيز على كتابه، غير عارف ما إذا كان هذا هو الوقت المفترض أن يلتقيا فيه أم أنها مجرد صدفة. لم يثق بنفسه لعدم قول الشيء الخطأ.

لكن كان هناك مقعد واحد شاغر في الحانة، وكان مقابله مباشرة.

جلست فيه، ومشروب في يدها، وشعر ستانلي بقلبه وكأنه سينفجر.

حدق فيها. حدق وحسب.

لم تكن لديه فكرة عما يقول. ها هي ذي، زوجته المستقبلية، التي قابلها فقط بعد خمسين عامًا من زواج لم يختبره بعد. التي وقع في حبها، رغمًا عن نفسه، قبل سنوات.

حدقت في المقابل، ولم يستطع تخيل ما يدور في ذهنها. في غياب الكلمات، ابتسم؛ ابتسم وكأن حياته تعتمد على ذلك. هل تعرف؟ هل تفهم تعقيد هذه اللحظة؟

— «هل أعرفكِ؟» سأل، وعبثية ذلك السؤال تغلف كل كلمة.

هزت رأسها لكنها لم تنظر بعيدًا. المسافة بينهما ضاقت. كانت هذه المرة الأولى لها لمقابلته، أدرك. كان عليه قول الشيء الصحيح. كان عليه إعطاء اللحظة معنى.

— «أنا... أشعر وكأنني أعرفكِ طوال حياتي،» قال.

احمرت خجلاً. مدت يدها لشعرها—شعرها الرائع—ومسحته خلف أذنها. مالت نحوه، وكأنها منجذبة بالجاذبية، وأخبرته باسمها.

— «أنا ماغي،» قالت.

أعرف، فكر. *يا إلهي، كم أعرف.*

قبل أن يدرك أو يفهم ما يحدث، كانا يتحدثان. عن أشياء صغيرة في البداية: الحانة، التاريخ، المعارض الفنية، الموسيقى. نُسيت مشروباتهما، تُرِكت جانبًا. بالكاد تحدثا عن نفسيهما. بطريقة ما، عرفا كل ما يحتاجان لمعرفته.

مع اقتراب الأمسية من نهايتها، أعطته عنوانًا وجعلته يعد بمقابلتها مرة أخرى قريبًا. ابتسم ستانلي، متسائلاً كيف سيبدو ذلك الوقت القادم.

بينما تنهض، أراد ستانلي النهوض معها—لاحتضانها وتقبيلها وإخبارها أنه سيكون دائمًا لها، للأبد وإلى الأبد. لكنه عرف أنه لا يستطيع فعل ذلك، لذا بقي في مقعده، مكتفيًا بتحية عسكرية صغيرة غريبة.

في اللحظة التي فعلها، احمر خجلاً. تحية عسكرية؟ تمنى لو تبتلعه الأرض.

لكنها أعطته ابتسامة عريضة، وغادرت.

فكر في كم هو محظوظ لمقابلتها، هي في الحاضر وهي في المستقبل. كم كان محظوظًا لترشده يدها، مرساة وسط تيارات حياته المجنونة بشكل متزايد، المليئة بالموت والأسرار والقوى القديمة—

ضربه الإدراك دفعة واحدة.

أوميغا.

الشيء—أوميغا—أُطلق له العنان خلال تجريب إضافي، قال جاك.

إلا أن ستانلي لم يستخدم كلمة أوميغا أبدًا. لم يسمع أحدًا يسمي آلية الأمان أوميغا سوى ماغي، من المستقبل البعيد. كيف تعلمها جاك؟ كيف عرف؟

تشكلت بذرة فكرة في رأس ستانلي. لسبب ما، لم يستطع إبعاد عقله عن الويسكي—لقد شربه من قبل، كان متأكدًا، لكن متى؟ وصورة أخرى استمرت في تكرار نفسها: جاك يلتقط جهازًا صغيرًا من مكتبه وهو يغادر ويطفئه.

كان هناك شيء في الطريقة التي فعل بها ذلك. الطريقة التي تصرف بها حول ستانلي.

وكأنه كان هناك من قبل.

بالطبع.

وكأنه يجلس مقابل والدمان في الشطرنج، سقط كل شيء فجأة في مكانه. كل نقلة فاتته، كل بيدق يتحرك. اتضح كل شيء في لحظة. من أين سمعت ماغي عن أوميغا؟ من الرجل الذي كانت معه في المستقبل، الذي يساعدها بالآلة.

بالطبع، فكر مرة أخرى. *من غيره؟*

عندما أدرك جاك أن خدعته لم تنجح، وأنه لا يستطيع الحصول على الحل الكامل من ستانلي، قرر الذهاب عبر ماغي. كانت هي نقطة ضعف ستانلي، وسيسعى لاستغلال ذلك. طالما كان لدى ستانلي الحل في رأسه، سيلاحقها جاك.

لن يتوقف أبدًا عن البحث عنه. أبدًا. لن يحصلا أبدًا على الحياة السعيدة التي وعدته بها ماغي. لن يتحررا أبدًا من مخططات جاك.

لكن جاك لا يمكنه الحصول على الحل الكامل أبدًا، لأنه إذا حصل عليه، سيكون العالم له. رغم كل حديث جاك عن الخلاص، عرف ستانلي أن الأمر يتعلق بالقوة. لا يمكنه السماح بذلك.

قطع فوق قطع تحركت في عقله—تعددات من التباديل، من النقلات الممكنة، من الاستراتيجيات الملمح إليها. تحركت الرقعة. انفتح المسار وأغلق وانفتح مرة أخرى حتى رآه.

كانت هناك نقلة واحدة فقط، كش واحد، طريقة واحدة لإيقافه.

الطريقة الوحيدة لضمان عدم وضع جاك يديه على الحل أبدًا هي إذا لم يعد ستانلي يملكه. لم يستطع الثقة بنفسه لإبقائه سرًا، ليس مع وجود ماغي في اللعبة. سيتعين عليه إخراج الحل من الرقعة تمامًا. سيتعين عليه كشف كل القطع دفعة واحدة.

دافعًا ثمن مشروباته وخارجًا للبرد، ترك الخطة تبنى داخل رأسه.

مشى مباشرة لأحد مختبرات "صنرايز" الأصغر، المخبأة في فوكسهول. بناءً على طلبه، استمر هيوغو في دفع إيجار هذه الأماكن أثناء غيابه، مبقيًا إياها مجهزة بأشياء قد يحتاجها. جعله ذلك دائمًا يشعر بالراحة قليلاً لمعرفة وجودها بالقرب.

مخرجًا قطعة ورق، خربش رسالة لهيوغو.

صديقي القديم. الأحداث تتحرك أسرع من المتوقع. الحل ليس آمنًا. لدي سبب للاعتقاد بأن جاك سيستخدم مجرفة الذكريات للوصول لذكرياتي، ويجب ألا يحدث ذلك.

جهز غرفة العمليات في برلين لمسح ذاكرة. ستمسح اكتشاف الحل من عقلي. أريده ممحيًا، كأنني لم أصادفه قط. يجب أن أنسى كل شيء عنه، وإلا سيجد طريقة للحصول عليه. أنا لا أثق بنفسي.

توقف، مفكرًا في خياراته.

لا. كان هذا حاسمًا جدًا. نهائيًا جدًا. كان هناك الكثير لا يزال في اللعب لاتخاذ قرار كهذا. لن يوقف ذلك جاك عن التجريب، وستكون هناك دائمًا فرصة خارجية بأن حدث طوكيو حقيقيًا—أو شيئًا أسوأ— سيخرج عن السيطرة، وأن شخصًا ما سيحتاج فعليًا لاستخدام الحل يومًا ما.

لا، كانت هناك نقلة أخرى هنا. كش آخر، مخفي تحت الأول.

كان عليه معرفة النقلات التي سيقوم بها جاك حتى قبل أن يفعلها. يمكنه قضاء حياته مستخدمًا "صنرايز" لمراقبة جاك، عاملاً خلف الكواليس، لكن حتى ذلك، لن يكون كافيًا. عرف ستانلي ذلك.

قبل أن يمحو هيوغو معرفة الحل من عقله، احتاج لإخفائه في مكان يمكن استعادته منه. مكان لن يستطيع حتى هو الوصول إليه. مكان لن يستطيع سوى شخص يثق به تمامًا العثور عليه أبدًا.

وكان هناك مكان مناسب واحد فقط: عميقًا في الماضي، في الدهاليز البعيدة لذكرياته الخاصة.

مكان لن يفكر أحد في البحث فيه، ما لم يكن لديه الأدلة الصحيحة.

حتى مع ذلك، قد يجد جاك طريقة.

تنهد، هازًا رأسه، متخيلاً القطع ممددة أمامه. سيتعين عليه البقاء خطوة للأمام، دائمًا.

يجب أن يكون هذا محصنًا ضد الفشل. نهاية اللعبة الأخيرة. نقلات خلف نقلات خلف نقلات.

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا. لم يرد إضافة السطور القليلة التالية، لكن كان لا بد من ذلك.

أترك حماية عائلتي ومستقبلي بين يديك القديرتين، مع تحذير واحد.

عليك مراقبتي عن كثب وباستمرار. إذا بدا في أي لحظة في المستقبل أن شخصًا ما يحاول الوصول لذكرياتي، للاقتحام، فعليك محوها جميعًا. كل شيء. أحضرني لأحد مراكزكم وأزل كل شيء.

لا يمكنه الحصول عليه. يجب ألا يحصل عليه.

ختم الرسالة، ثم ذهب للعمل.

لم يستغرق الإعداد وقتًا طويلاً—أشعل النار ونشر النباتات لحماية غوصه من أن تراه أوميغا. سيحتاج للقيام بعدة رحلات للقيام بهذا بشكل صحيح، لترك أدلة في الأماكن الصحيحة تمامًا، قبل أن يمسح معرفة هذا الحدث من عقله.

لكن كان هناك المزيد: اللحظة التي يوجد فيها الحل، حيث سيخفيه، تحتاج لأن تُقطع. تحتاج لأن توجد بشكل مستقل عن الذكريات الأخرى، محمية بشكل دائم من أوميغا حتى لا يمكن أكلها أبدًا. احتاج لاستخدام الحل لحماية الحل.

رفع السكين وشعر بوزنه—وزن طقس عمره مئات الآلاف من السنين. لم تكن هناك طريقة أخرى.

ربط نفسه في مجرفة الذكريات، مفكرًا في كم هو غريب الشعور بالعودة إليها بعد كل هذا الوقت. وبينما يستقر ليغوص في ذكرياته لآخر مرة، رآها.

كانت تراقبه: ماغي.

ماغي العجوز، من المستقبل.

كانت أمامه مباشرة. لم يسجل دماغه وجودها حتى كانت على بعد بوصات من وجهه.

كانت أصغر مما رآها سابقًا. ليس جسديًا، لكنه استطاع رؤية ذلك في عينيها، نضارة. براءة. عرف أنها بدأت للتو السفر للخلف.

فكر فيما كان على وشك فعله—تقطيع عقله لحمايتهما كليهما.

تساءل عما إذا كانت ستفهم أبدًا.

كانت هناك حيرة على وجهها——خيانة، حتى.

— «أنا أعرف،» قال، ناظرًا بعمق في عينيها. لقد فهم. «سامحيني.»

أخذ السكين لأعلى صدره وشق قطريًا، والألم يكوي خلاله تمامًا بينما ترُسله المجرفة مندفعًا نحو الماضي.

١٩

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٠ ساعة، ٥٩ دقيقة، و٢٠ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «يزحف الظلام للداخل. إنه بطيء—بطيء جدًا، كأنه يستيقظ لتوّه— لكنه يبدو حتميًا. ستانلي أمامي، والتصميم على وجهه يحارب الألم تحته. يرى ذعري وخوفي، وأستطيع أن أرى، مع انحسار غضبه، أنه يلوم نفسه على هذا.

أعرف هذا عنه.

قد يكون قد عاش حياة كاملة كانت مخفية عني، وقد يكون لديه صندوق كامل من الأسرار لم أكن أعلم بها، لكن هذا لا يغير حقيقة أنني أعرفه.

لا يستطيع تحمل رؤية الآخرين يتألمون، ويتضاعف ذلك مئات المرات معي. لا يهم كم هو متيقن، ما الخطط التي وضعها، كم إرادته حديدية—عند رؤية ذعري أو دموعي، ينهار عزمه. لطالما كان كذلك. ولطالما سيكون.

يهمس:

— "ماغي، أنا آسف."

– "لا تزال هناك طريقة للخروج من هذا. لا بد أن تكون هناك. لا يمكن أن تكون قد مسحت الحل تمامًا."

يمرر يديه على وجهه. يتمتم:

– "أنا—أنا... أنتِ لا..."

– "لن أخبره،" أقول. "حسن لن يعرف."

– "لا يمكنكِ أن تعديني بذلك!" يصرخ، وهو على وشك البكاء.

العالم حولنا أسود—لا أستطيع الرؤية أبعد من الطاولة التالية أو اثنتين في الفندق. لا يوجد شيء هناك. نحن دائرة من الضوء في وسط فراغ أسود، وقريبًا لن نكون موجودين. "إنه يراقب دائمًا،" يقول ستانلي. "إنه دائمًا هناك."

أميل للأمام وآخذ بيده.

– "ثق بي. أرجوك. لن يدعني أخرج دون شيء. أحتاج لشيء."

يهمس:

– "إنه ليس الوقت المناسب. هذه ليست النقلات التي خططت لها."

أعصر يده، ناظرة في عينيه.

– "أخبرتني ذات مرة أنني لست بيدقًا. أنا لست شيئًا ليُحرّك بل لاعبة. ثق بي، إذن، كشريكتك. دعني أقوم ببعض النقلات. لا يجب عليك فعل هذا وحدك."

– "أنا لا... لا أعرف كل شيء،" يقول. "لم أسمح لنفسي أبدًا برؤية كل القطع، لهذا السبب بالتحديد. الأدلة مبعثرة، لكن..." يتنهد. يلقي نظرة على السواد ثم يعود إليّ. "التاسع من يوليو، ١٩٥٥. اذهبي هناك. لا أعرف حتى لماذا. أعرف التاريخ فقط. قد لا يكون هناك شيء لتجدينه، لكنه كل ما لدي. هذا كل ما سمحت لنفسي به."»

سأل حسن:

– «وهذا كل ما قاله؟»

— «نعم.»

— «أحتاج منكِ أن تكوني متأكدة تمامًا. لا يوجد شيء آخر؟»

— «لا—مجرد تاريخ. مكان للذهاب إليه.»

— «حسنًا جدًا. تابعي.»

— «الفراغ يكاد يصل لقدمينا الآن.

أقول، مصلية أنك تستمع: "لدي الحل. لدي الحل. اسحبني للخارج. اسحبني للخارج الآن."

وتفعل. هناك الجذبة المألوفة، ويختفي العالم مرة أخرى. عندما أستيقظ، أجدني في المغطس أمامك، ألهث.

أطالب وأنا أسحب الخوذة عن رأسي:

— "ماذا كان ذلك بحق الجحيم؟"

تحدق بي من الأعلى، الضوء ينعكس عن تلك الكرات الرخامية التي تسميها عيونًا.

— "عفوًا؟"

أجلس، مائلة نحوك.

— "هل لديك أدنى فكرة عما عرضتني له للتو؟ ليس لديك الحق في..."

تنحني، واضعًا يدًا على صدري. إنها صلبة كالحجر. تدفعني للخلف بسهولة ملحوظة—ليس فجأة بل ببطء، بشكل قاطع، مذكرة إياي بأنه مهما كنت، فأنت أقوى بأضعاف مما كنت عليه أبدًا.

يضرب ظهري مؤخرة المغطس، لكنك تستمر في الضغط، كملزمة تشد تدريجيًا. لا يتغير تعبيرك وأنت تضغط فيّ—فقط نظرة ثاقبة، بلا قلب.

لا أستطيع التحرك. أنا مثبتة للأسفل، لكنك تستمر في الضغط. يكوي الألم صدري. أفتح فمي لأصيح، لأصرخ، لكن الهواء يُدفع خارج رئتي. أشعر بعظامي تصر، على وشك الانكسار.

— "تذكري أين أنتِ،" تقول. صوتك قد يجمد حرائق الغابات. "أنتِ في مملكتي. تلعبين بقواعدي."

أحاول التنفس، آخذة شهقات صغيرة لملء الانخفاض في رئتي. الألم لا يطاق—ألتوي تحت يدك، لكنها تضغط باستمرار. لا أستطيع التحرك.

لقد سقطت في فخ الاعتقاد بأنك بشري، بأنك مثلي، لكنك لست كذلك. هذا واضح لي تمامًا الآن. أنت وحش في ملابس بشرية. أنت شيطان.

تقول ووجهك على بعد بوصات من وجهي:

— "كنت مهذبًا معكِ. كنت ودودًا. لكن لا ترتكبي خطأ التفكير في أن لديكِ سلطة هنا. لا تشككين في قراراتي. تلتزمين بها. هل هذا واضح؟"

أتمكن من إيماءة صغيرة ومؤلمة.

تبتسم، لكنك تمسك بي لثانية أطول—طويلاً بما يكفي ليكون الألم آخر ما يعلق بي—ثم تطلق سراحي.

لاهثة للهواء، أضع يدي على صدري، محاولة تحسس ما إذا كنت كسرت أي شيء.

أتمكن من الهمس من خلال أسنان مطبقة:

— "أنت مجنون."

تزداد ابتسامتك المستفزة اتساعًا فقط.

— "عندما تقهرين الفناء، يميل فهمك للجنون للتغير قليلاً يا ماغي. لا تكوني منغلقة العقل هكذا."

تمشي إلى ستانلي، الذي يراقبنا بفضول من كرسيه، وسماعة الرأس من الآلة لا تزال متصلة به. إنه واعٍ، لكن لا يبدو أنه يملك حقًا فهمًا لما يجري أو من نكون. لا يزعجه هذا—إنه يراقب، كأنه يشاهد فيلمًا.

ساحبًا مقعدًا ببطء، تجلس خلف ستانلي.

– "أعتقد أنه حان الوقت لنسقط التظاهر. أعتقد أنكِ تعرفين الآن أن ستانلي يخفي هذا الحل عني، تحديدًا. ربما بدأتِ التفكير في أنه لا يجب عليكِ مساعدتي بدافع من شعور بالولاء في غير محله. لكن لنكن واضحين تمامًا بشأن هذا: لقد انتظرت طويلاً جدًا لتحديد موقع هذا الحل. لعقود، ظننت أنه ضاع مني. ظننت أن ستانلي، في غطرسته، محاه للأبد. مؤخرًا فقط أدركت أن هذا ليس هو الحال. لن أسمح له بالانزلاق من قبضتي مرة أخرى."

ماداً يدك، تسحب عربة طبية متحركة نحوك.

من صينية الأدوات في الأعلى، ترفع مشرطًا وتتفحصه، مقربًا إياه بشكل خطير من رقبة ستانلي. ينظر إليك بغرابة، كأنه يحاول معرفة كيف وصلت إلى هناك.

– "سأطرح عليكِ الأسئلة،" تقول. "وستجيبين عليها. لن تجادلي، أو تراوغي، أو تكذبي علي. طلبتِ مني سحبكِ لأن لديكِ الحل. أخبريني بالضبط: ماذا قال لكِ ستانلي؟"

من خلال أنفاس متقطعة، أخبرك عن التاريخ الذي أعطاني إياه، لكنني أعطيك التاريخ الخاطئ. وأترك أجزاء أخرى خارجًا. عن كون الأدلة مبعثرة. عن كون النقلات غير مخطط لها.

تزم شفتيك. إنه تعبير مروع، مثل ذوبان الشمع.

تميل للخلف مبتعداً عن ستانلي وتضع المشرط. ماداً يدك للأسفل، تفتح درجًا وتخرج حقنة.

– "هل تعرفين ما هذا يا ماغي؟"

أهز رأسي، غير قادرة على الكلام. لم أكن مرعوبة هكذا في حياتي قط.

– "إنه نظير لـ (٤ ـ هيدروكسي كومارين)، توليف معدل لدواء يعرف أحيانًا باسم (بروديفاكوم). إنه مضاد فيتامين ك معزز ومضاد للتخثر. هذه جرعة كبيرة للغاية، قاتلة بالتأكيد للإنسان بدون علاج، لكنها لن تقتل

فورًا. بدلاً من ذلك، ستثبط بشكل جذري إعادة تكوين فيتامين ك في مجرى الدم؛ فيتامين ك ضروري للتخثر. هل تتابعين معي؟"

لا أرد. لا أستطيع إبعاد عيني عن الإبرة اللامعة.

— "في لحظة، سأحقن ستانلي بهذا العامل، وسيفقد جسده بسرعة القدرة على تجلط الدم. سينزف—ببطء في البداية، ثم بسرعة كبيرة جدًا—من أنفه، وأذنيه، وعينيه. من جلده ذاته. سأجعلك تشاهدين هذا، وستكونين غير قادرة على فعل أي شيء حياله."

— "لماذا؟"

— "من المهم أن تفهمي عواقب الكذب علي."

— "لم أكذب عليك!"

تميل رأسك، مقربًا الحقنة من ستانلي بينما يشعر قلبي وكأنه سيقفز من حلقي.

— "لم تخبريني بكل شيء. ليس تمامًا. كانت هناك حذوفات. لا أصدق أنكما تبادلتما لا شيء سوى تاريخ."

— "هذا كل ما قاله!" تهز رأسك بخيبة أمل مصطنعة، والحقنة تقترب من رقبة ستانلي المنتظرة. "حسنًا!" أصرخ. "حسنًا، طيب. فقط توقف."

هذا أكثر من اللازم. لا أستطيع رؤيتك تؤذيه بعد كل ما فعلته. لا أستطيع السماح بحدوث ذلك.

تتوقف يدك تمامًا في الهواء، دون رعشة. أحاول تهدئة قلبي المتسابق وأنا أخبرك بكل شيء. كل شيء. اللحظة، المحادثة، التاريخ الصحيح. فقط عندما أنتهي تمامًا تبدو راضيًا.

وأنا خجلة تمامًا من نفسي.

لن أخبره، قلتُ. حسن *لن يعرف*.

إنها خيانة لكل شيء وعدته به. أريد أن تبتلعني الأرض.

ستانلي ينظر إلي بغرابة، كأنه يحاول معرفة كيف يعرفني، ولا أستطيع ملاقاة عينيه.

— "حسنًا جدًا،" تقول. تدفع العربة ذات العجلات بعيدًا عنك، وتتدحرج نحوي، متوقفة بجانبي. أنظر للأدوات الجراحية الأخرى المتناثرة عليها وأشعر بالغثيان. أريد أن أتقيأ. "ستعودين لداخل عقله، للتاريخ الذي أخبركِ به، وستبحثين عن أي أدلة تستطيعينها. ستراجعين معي أثناء تقدمكِ، وعندما تعودين، ستخبرينني بكل شيء. آمل ألا أحتاج لتذكيركِ بالعواقب غير السارة إذا انحرفتِ."

أومئ بهدوء. هذا كل ما أستطيع فعله. صدري لا يزال يحترق. أشعر وكأنني شيء صغير——أصغر من فأر أو ذرة غبار.

تجهز بصمت مجرفة الذكريات مرة أخرى، رابطًا إياي بعقل ستانلي، وتشغلها. قبل أن يتسنى لي الوقت لجمع أفكاري، تدفع الخوذة فوق رأسي، وأغرق عائدة في الماضي.

عندما يعود العالم، أنا خارج كنيسة صغيرة. السماء رمادية باهتة، مثل تشويش ضبابي، والضوء قاسٍ. لا بد أنه وقت الظهيرة تقريبًا، لكنني لا أستطيع رؤية الشمس.

ناظرة حولي، أرى جدرانًا حجرية وقناطر تؤدي لساحات بعيدة—— أعرف العمارة، رغم أنني لم أكن في هذا الجزء من الحرم الجامعي من قبل. إنها "ويلتون"، حيث ذهب ستانلي للمدرسة. لكي أرى هذا، مشاركة في ذاكرته، لا بد أنه قريب.

ألتفت عائدة للكنيسة وألاحظ أن الناس بدأوا في المغادرة في مجموعات صغيرة ومتقطعة. كلهم لديهم تعبيرات وقورة وملابس سوداء. إنها جنازة بلا شك، رغم أنني لا أعرف جنازة من.

ليس هناك الكثير من الناس، رغم ذلك——مجرد حفنة. لا يتحدثون لبعضهم البعض أو يبقون أطول من اللازم. بينما يخرجون، يبذلون قصارى

جهدهم ليبدوا كئيبين وحزينين قبل النظر لساعاتهم والمضي في يومهم. أياً كان هذا الشخص، لم يكن لديه الكثير في طريق الأصدقاء. مجرد معارف. زملاء، ربما.

الصوت الوحيد هو محادثة ترتفع تدريجيًا في الحجم، من حول الزاوية مباشرة. آخذ بضع خطوات في ذلك الاتجاه، وصوت ستانلي واضح فورًا.

يقول:

– "أنا أقول إنك لست مضطرًا لتكون وقحًا بشأن الأمر." ألمحه الآن—إنه يقف حول جانب الكنيسة وقبضتاه مشدودتان، يتحدث لشخص ما. يحاول إبقاء صوته ثابتًا، لكنه لا ينجح.

آخذ بضع خطوات أخرى للتأكد من أن الصورة الكاملة في العرض، وأكاد أصرخ في مفاجأة.

سأل حسن:

– «لماذا؟»

– «إنه أنت. أعني—ليس أنت كما أنت الآن. لكن نسخة أصغر منك. صبي. ولأكون صادقة، الصدمة أقل حول إيجادك هنا وأكثر حول معالجة عقلي لحقيقة أنك كنت صبيًا يومًا ما. أنك لم تكن دائمًا، حسنًا، أياً كان ما تكونه.»

تقول له:

– "ليس وقاحة أن تقول الحقيقة يا ستان. ربما لو قضيت وقتاً أقل في الاختباء منها، لأدركت ذلك."

يصيح ستانلي راميًا يديه في الهواء:

– "حسنًا. طيب. ما وجهة نظرك؟ ما هي وجهة نظرك الفعلية؟"

تأخذ خطوة غاضبة نحوه.

– "أنه ربما كان يجب أن ترى هذا قادمًا؟ أنه إذا كنت ستقضي كل ذلك

الوقت تتودد للعجوز، فربما كان يجب أن تلاحظ أن العجوز كان يصاب بالجنون؟"

– "أتقول إن هذا خطئي؟"

– "إرم... داه!" تصفع جبهتك. "تقضي كل ذلك الوقت حوله وتفوت شيئًا كهذا؟ كيف يمكن ألا يكون خطأك؟"

– "أنت لم تره أيضًا."

– "لأنه أغلق الباب في وجوهنا!" تصرخ في المقابل. "بسببك! قبل أن تظهر، كان... أنا..." تتوقف، ووجهك يلتوي في غضب. "هذان العامان الأخيران، كل ما أراد فعله أبدًا هو العمل معك!"

– "هل تساءلت يومًا لماذا لم يخترك؟ هل تساءلت يومًا لماذا نبذك قرب النهاية؟"

تتوقف. يسكن جسدك تمامًا.

– "كل يوم."

– "لأنه لم يعتقد أبدًا أنك جيد بما يكفي."

تطلق زمجرة منخفضة—صوت عدواني، بدائي لم أسمعه منك من قبل.

– "ماذا، وأنت كنت كذلك؟ أنت؟ قزم المجموعة اللعين؟ هذا هراء. واجه الأمر يا ستان: أنا أوسم منك. أنا أكثر شعبية منك. أنا أذكى منك. تباً، أنا أفضل منك. كان يجب أن يكون أنا. كان يجب أن يختارني."

يضحك ستانلي عليك.

– "أنت تعتقد ذلك حقًا، أليس كذلك؟ البروفيسور رآك دائمًا لما أنت عليه بالضبط: كلّك جعجعة، محكوم عليك بالفشل في كل ما تضع يدك فيه. جاك، توقف عن قضاء الوقت معك لأنه لم يكترث. لأنه عرف أنه مهما فعل، ستكون دائمًا خيبة أمل. فاشلاً."

– "أوه، وانظر كم سار ذلك بشكل جيد!" تصرخ، ملوحًا بيديك للكنيسة خلفك. "اختيارك لتكون كلبه المدلل الشخصي كان بوضوح تجربة مؤلمة لدرجة أنه قرر أن المخرج الوحيد هو قتل نفسه! أعني، هيا——أياً كان ما كنتما تفعلانه، فمن الواضح أنه اعتقد أن شنق نفسه كان أفضل من قضاء ثانية أخرى فيه معك."

يسكن ستانلي، مترنحًا كأنه ضُرب. للحظة، أظن أنه سيتعثر للخلف. يأخذ نفسًا عميقًا وينظر لك مباشرة في العين.

أعتقد أنه سيستدير. سيمشي مبتعدًا. أريده أن يفعل.

لكنه لا يفعل. إنه ساكن تمامًا، كتمثال، لعشر ثوانٍ.

ثم يقفز عليك.

تهبط اللكمة الأولى مباشرة على أنفك، وينفجر الدم منه. تنهاران كليكما على الأرض، تتدحرجان وتضربان وتصرخان.

أريد القفز للداخل، لفك اشتباككما، لكنني أعلم أنني لا أستطيع. أنا مجمدة في هذه اللحظة.

ينتهي الأمر قبل مضي وقت طويل.

يقف ستانلي، نافضًا الغبار عن نفسه. عليه دمك على قميصه.

يقول: "أنت مثير للشفقة"، ثم يستدير ويمشي مبتعدًا في الأفق.

تزحف لقدميك، على وشك الصراخ خلفه، لكنك لا تفعل. أشاهدك تستدخل الغضب، تدفعه لأسفل بداخلك ليغلي ويفور.

لا يلتفت ستانلي. لا ينظر إليك حتى.

تفتح فمك مرة أخرى، لكن لا شيء يخرج.

هذا ما يدور حوله الأمر كله، أليس كذلك؟

– «هذا ليس مهمًا.»

– «إلا أنه كذلك. الأمر واضح بشكل مؤلم الآن. كل هذا الحديث عن السيطرة على الزمن، عن قهر الفناء، عن إنقاذ العالم بينما في أعماقك أنت

مجرد صبي صغير غيور وتافه يحاول السيطرة على الكون لأنك لا تزال غير قادر على تجاوز حقيقة أن ستانلي أفضل منك. أنه كان دائمًا أفضل منك.»

— «الوقت ينفد منا.»

— «وبعد ستين عامًا، لا يزال يهزمك في لعبتك الخاصة. يا إلهي— يجب أن يكون ذلك مثيرًا للغضب. هل هو كذلك؟ هل من المؤلم الاضطرار للمشاهدة؟

أوه، الآن لن تتحدث معي؟ الآن ستكون صامتًا؟»

— «سأكون حذرًا جدًا في كيفية متابعتكِ يا ماغي. تذكرتِ بالفعل ما أنا قادر عليه. لا تجبريني على أن أُريك مرة أخرى.»

— «حسنًا. لكن اعلم فقط أنني أراك الآن. أريدك أن تعرف ذلك.

أتبع ستانلي لأنني يجب أن أفعل. رغم ما رأيته، لا أزال أفكر فيك مع تلك الحقنة، وفي ملمس يدك على صدري. هناك سبب لوجودي هنا، حتى لو لم أكن أعرف ما هو بعد.

يدخل المبنى الرئيسي ويصعد درجًا طويلاً، واحدًا يؤدي طوال الطريق لقمة أحد الأبراج. فاتحًا بابًا غير مقفل، يخطو للداخل. أتبعه.

أعرف المكان فورًا من غوصي الأخير—المكتب الذي به الرجل العجوز، المكان حيث كان ستانلي ينام على الأريكة. هناك شريط على الأرض في وسط الغرفة وحوله طوق علي شكل نصف قلب، سقط أرضًا.

فجأة، يضربني كل شيء دفعة واحدة: المحادثة، الكنيسة، المكتب حيث كان ستانلي ينام. أدرك ما حدث وما لا بد أنه عنى له، وأريد فقط مد يدي وإمساكه، احتضانه بقوة.

لكنني لا أستطيع.

لا أستطيع ارتكاب المزيد من الأخطاء.

يعبث في أرجاء الغرفة، كأنه يبحث عن دليل لشيء ما. يبدأ الأمر بهدوء. يلتقط أغراضًا ويتفحصها، معيدًا إياها لمكانها، غير راغب في

إزعاج المشهد. لكن مع مرور الوقت، يزداد جنونًا. يسقط أشياء على الأرض. يرميها. قبل مضي وقت طويل، لم يعد يبحث عن شيء حقًا.

يلتقط كرسيًا ويرميه على الأرض؛ يتردد صدى التحطم عبر المساحة الصغيرة كطلقة مسدس. هناك دموع تنهمر على وجهه. يمسك كتبًا ويقذفها عبر الغرفة في غضب خالص، بلا معنى.

أنا أشاهد فقط. أقف وأشاهد ولا أستطيع فعل شيء.

يجب أن تبحثي عن الحل، تقول في رأسي. *لا تتشتتي.*

لا أرد.

أنتظر غضب ستانلي وحزنه وكراهيته لتصل لنهاية. عندما تفعل، يبدو أكثر فراغًا، كأن شيئًا غُرِف منه. يمشي متجاوزًا إياي مباشرة، خارج الباب، تاركًا حطام المكتب خلفه.

أكاد أتبعه، لكنني لا أفعل. لأنني بينما أحدق عبر الغرفة، تنجذب عيني لرف كتب. الكتب التي سحبها انهارت على نفسها، بعضها سقط على الأرض، وأخرى على واجهاتها، لكن هناك واحد لا يزال يقف وكعبه مستقيم.

فيدروس لأفلاطون.

ثاموس وثيوت؟ قال ستانلي في البرية الأسترالية. *من فيدروس لأفلاطون؟*

آخذ بضع خطوات نحوه.

عندما يحين الوقت، قال خارج زفافنا، *اذهبي لثاموس وثيوت.*

هناك نقرة مسموعة تقريبًا وأنا أشعر بعقود من القطع تسقط في مكانها بشكل مثالي تقريبًا، عمر كامل من نقلات الشطرنج تتضح. هذا حيث من المفترض أن أكون. لقد قُدت إلى هنا، ببطء، قطعة غامضة تلو قطعة غامضة.

قلبي ينبض بسرعة وأنا أنحني لالتقاط الكتاب. إنه أخف مما أتوقع.

أمرر إصبعي أسفل كعبه، متحسسة الحروف المختومة بالرقائق.

السبب لكل الغموض، كل الأدلة المبعثرة عبر الزمان والمكان، كان لإيصالي إلى هنا، ولكن لإبقائه بعيدًا عنك. عمل ستانلي طويلاً وبجد لإبقاء ما بداخل هذا مخفيًا جيدًا حتى لا تجده أبدًا. مسح عقله حتى لا تكون قادرًا على البحث عنه في ذكرياته. ضحى بحياته لإبقاء هذا الدليل الواحد بعيدًا عن يديك، لكن ها أنا ذا، أقودك إليه مباشرة.

تومض صورة ستانلي ينزف حتى الموت في كرسيه عبر عقلي.

لا يوجد شيء يمكنني فعله.

أنت تملك سيطرة كاملة عليّ. أنا سجينتك.

يجب أن يكون لدي إيمان بأنه فكر في هذا أيضًا، أنه خطط له.

يجب أن أؤمن به.

أفتح الكتاب.»

— «ماذا وجدتِ؟» تسألني.

— «ماذا في الكتاب؟»

— «الكتاب مفرغ، الصفحات بين الغلافين أزيلت إلا لملاحظة واحدة.» صوتك يضغط في دماغي.

— «ماذا تقول الملاحظة؟ أخبريني. أخبريني.»

— «تقول: "هناك رحلة واحدة متبقية للقيام بها، يا عزيزتي، وأنتِ فقط تعرفين أين تذهبين. أنا آسف أنني لم آخذكِ أبدًا. ربما الآن تعرفين لماذا. لقد نسيتُ لِمَ ناديتك لتعود."»

— «ماذا يعني ذلك؟»

— «إنها إشارة لروميو وجولييت، وهناك شيء واحد فقط يمكن أن تعنيه.»

— «ماذا؟»

– «عندما كان ستانلي أصغر، قبل أن نلتقي، ذهب لمشاهدة عرض في (أولد فيك) على الضفة الجنوبية. لم يرَ أي عرض مسرحي لشكسبير من قبل، ليس بشكل صحيح، وقال إنه كان متعاليًا. كان يعدني دائمًا بأننا في المرة القادمة التي تُعرض فيها المسرحية في (أولد فيك)، سنذهب. لكننا لم نفعل أبدًا. كان هناك دائمًا شيء: ليا كانت صغيرة جدًا؛ لم يكن يشعر بالرغبة؛ كان لدينا أصدقاء زائرون. لم نجد الوقت أبدًا، لكن ربما كان يؤجله عمدًا.»

– «لماذا؟»

– «لأتذكره. "رحلة واحدة متبقية للقيام بها"، تقول الملاحظة. يريدني أن أذهب للوقت الذي رأى فيه روميو وجولييت في (أولد فيك). إنه ينتظرني هناك——أنا متأكدة من ذلك.»

– «ماذا تفعلين؟»

– «أذهب. أدع عقل ستانلي يرشدني، وأنتقل، ربما للمرة الأخيرة، إلى ماضيه. أركز على فكرة المسرحية، مسرحيتنا المفضلة، في (أولد فيك). على ستانلي يراها حية للمرة الأولى. يتحول الواقع حولي ليصنع ممرًا، نفقًا يؤدي مباشرة لهناك.

ثم ماذا؟

لا يوجد شيء هنا.»

سألتَ:

– «ماذا تعنين بلا يوجد شيء هنا؟»

– «هناك... لا شيء. إنه أسود. فارغ. لا يوجد شيء لي حتى لأضع قدمي عليه. لقد ذهب وحسب. مُحي، أو أُكل. لا أعرف أيهما. لكنه ذهب.»

– «أنتِ متأكدة؟ لا أدلة؟ لا تلميحات؟ لا شيء؟»

– «لا شيء. كدت أنفجر ضاحكة. كل هذا—كل المطاردة، كل الأدلة—قادتني إلى هنا، وقد أُخذت بالفعل. إنه بلا جدوى. إما ستانلي أو أوميغا أزالها. لا يهم. الحل مُحي منذ زمن طويل.»

– «أنا لا أصدق ذلك.»

– «لن أصدق ذلك،» تقول. لكن صدق ذلك يجب عليك، لأن هذا كل ما هناك. وأنت تعرف ذلك—بطريقة ما، أستطيع الشعور بأنك تعرف ذلك.

تصر: "ستجدين ما هو موجود". لكنني لا أستطيع. لا يوجد شيء.

بينما أنتظر قبولك لذلك، أدع نفسي أطفو في الظلام الصامت. إنه شاسع وفارغ. لا توجد رؤية أو رائحة أو طعم، لكن هناك عمق. يستمر للأبد. أتخيل أنني أطفو في الفراغ اللامتناهي للفضاء العميق، حتى بدون النجوم لتؤنسني. لا أعرف كم من الوقت أطفو هناك في ذلك الفراغ التام، لكنني أعرف أنك تتوصل في النهاية لقبول أن ما أقوله صحيح، لأنك تسحبني للخارج.

أفيق في المغطس، وأنت تميل فوقي. أكافح لتفسير التعبير على وجهك—أحب أن أتخيل أنه خيبة أمل، أو غضب، أو حتى لمحة من كراهية الذات لأنك فشلت مرة أخرى—لكن مهما كان، ملامحك غريبة جدًا لدرجة لا تسمح بظهوره بوضوح.

أمد يدي لليسار، حيث استقرت العربة الطبية بعد أن دفعتها بعيدًا. وبحركة واحدة سريعة، قاطعة، كنت أتخيلها لفترة أطول بكثير مما كان يمكنك معرفته، أمسك بالمشرط وأشقه مباشرة عبر حلقك.

تتسع عيناك، وتندفع يدك للجرح. دم—داكن، وكأنه خُلِط بالزيت—ينزّ من الشق. تفتح فمك، ويهرب صوت غرغرة.

– «لماذا؟ ماذا تفعلين؟»

ترفع يدك الأخرى لتضربني، لكنني واقفة. لقد أمسكت بالفعل بالحقنة التي أعددتها—السم الذي هددت به ستانلي.

أغرس الإبرة بأقصى ما أستطيع مباشرة في عينك.

تصرخ.

إنه صوت فضائي: صرخة متحشرجة، مغرغرة تبدو وكأنها تعتصر من حلقك المشقوق بقدر ما تخرج من فمك. أميل للأمام، ضاغطة على المكبس وحاقنة عينك، وجهك، مليئًا بهذا السم الذي حاولت استخدامه ضدي.

– «تعرفين أن هذا لن يفيدكِ بشيء. أنا لا أُقتل بهذه السهولة. ماذا تأملين تحقيقه؟»

تتعثر للخلف، ساقطًا على الأرض. الحقنة تبرز من وجهك، تهتز وأنت تتخبط لسحبها. ينتشر الدم عبر جلدك المثالي ويقطر على الأرض. تشد ملابسك، وألمح الجلد تحتها، متطبقا برموز محفورة فيه كندوب طقسية، رموز مثل تلك التي وضعها ستانلي قبل زفافنا.

ساحبة نفسي من المغطس، أمسك بمعطف مختبر من الجدار وأرميه حولي. أعطي ستانلي قبلة قوية على الجبهة وأتركه خلفي، مهرولة لمصعد ألفا. لا أستطيع أخذه معي—لا يوجد وقت.

– «لا وقت لماذا؟»

بينما تنغلق أبواب المصعد، أراك لا تزال على الأرض، تتلوى بتشنجات غير بشرية. تبدو كعنكبوت أو خنفساء قُلبت على ظهرها، زوائد كيتينية تنتفض.

أغلق عيني في المصعد، أتنفس، مجهزة نفسي لما يأتي تاليًا.

سأل حسن:

– «ماذا يأتي تاليًا؟ ماذا تفعلين؟ ما الذي دفعكِ لفعل هذا؟ كنت أقابلكِ لساعات، ولم تتحدثي عن أي من هذه الخطط.»

– «عندما يفتح المصعد، أكون في المختبر الرئيسي للمعهد. يهرع الموظفون جيئة وذهابًا، وآمل ألا يرميني أحد بنظرة ثانية، لكن حتى تحت معطف المختبر، بلوزتي المبللة مغطاة بالقيح الأسود الذي انفجر من حلقك. أنا حافية القدمين، وشعري شعث من السائل. يختلس الناس النظر، ثم يبدؤون في التحديق. بهدوء وعقلانية قدر استطاعتي، أنعطف يسارًا وأمشي مباشرة لنهاية القاعة.»

– «لماذا تتجاهلين أسئلتي؟»

– «أمشي متجاوزة مصعد ألفا، ثم بيتا، غاما، دلتا، طوال الطريق للأخير.

مصعد أوميغا.

أضغط الزر، ويصل، الأبواب تنزلق مفتوحة. هناك همهمات حيرة وناس يشيرون الآن، لكنني أعلم أنهم رأوك معي. يعرفون أنني ضيفتك. آمل أن يكون خوفهم منك كافيًا لإبقائهم بعيدًا في الوقت الحالي.

اللافتة أمامي تقول فقط: *أنت في مصعد أوميغا. إذا لم تفهم تمامًا تداعيات هذا البيان، غادر فورًا.*

بينما أدخل، يصرخ رجل، ويخطو آخر نحوي، لكن الأوان فات.»

– «فات الأوان على ماذا؟»

– «انغلقت أبواب المصعد. لا عودة للوراء.»

٢٠

ستانلي
١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

تذكر ستانلي أن المساء كان أشد حرارة من هذا. كان قد قضى نهاره يغدو ويروح تحت وهج شمس الصيف الإيطالية اللافح، وتذكر تمنيه لبعض البرودة المسائية، ليجد نفسه لا يزال يتصبب عرقًا.

ولكن بعد سنواته في أستراليا والشرق الأوسط، تعلم تقدير اللمسة المهدئة لنسيم المساء والراحة العذبة التي يجلبها الغروب بعد يوم من الحر القمعي. وبينما يراقب نفسه، أصغر بتسع سنوات، يمسح العرق عن جبينه بمعصمه، كان ذلك تذكيرًا هادئًا بمدى نضجه. كم هو مختلف الآن.

بالكاد استطاع تذكر شعور أن يكون ستانلي ذلك الزمان—دوامة مربكة من الذنب والشك والأمل والطموح. أخفى ذلك جيدًا عن الآخرين، أو هكذا ظن على الأقل، لكن كل قرار اتخذه حينها كان مشوبًا بالتشكيك في الذات وكراهية النفس.

ليس كثيرًا الآن.

ليس منذ عرفها.

لم يكن واثقًا من قدرته على شرح الأمر لنفسه القديمة، حتى لو حاول. لن تفهم نفسه القديمة. تباً، لم يكن واثقًا من أنه يفهم الأمر تمامًا الآن. ربما كانت الطريقة التي تنظر بها إليه—وكأنه قادر على أي شيء،

وكأنه لم يُخلق من "أصل رخيص"، محكوم عليه بالفشل في كل ما يحاوله. ربما كان الإيمان الهادئ الراسخ الذي تكنه له، إيمان لم يختبره من قبل.

في كلتا الحالتين، غيّرت ماغي كل شيء.

لقد التقت به للتو للمرة الأولى، قبل لحظات فقط في خطه الزمني، في "ميرشيستون آرمز"، لكنه عرف بالفعل المستقبل الذي يجمعهما.

أراد إحضارها إلى هنا، إلى فيرونا، إلى هذه الشرفة، رغم علمه أنه لن يستطيع أبدًا. سيتعين عليها إيجاد طريقها الخاص، إذا لزم الأمر. أن تسلك طريقًا أطول.

كان لزيف المكان جمال خاص. المبنى أبيض باهت، يوحي بقرون من العمر لا يملكها حقًا. لم تكن الشرفة "الحقيقية" من المسرحية. جولييت شكسبير لم تستند إلى شخص حقيقي، والمنزل لم يتحول بشكل صحيح لهذا الحال إلا في الثلاثينيات. في الواقع، كل شيء تقريبًا عن المنزل نفسه كان خياليًا. لكن المشاعر المطبوعة عليه كانت حقيقية.

الجدار تحت الشرفة كان مغطى برسائل الحب: رسائل يائسة من أناس يعلنون الحب أو يطلبون التوجيه فيه. كانت هناك ملاحظات تروي قصص حب الزوار الماضية وآمالهم للمستقبل.

عندما جاء إلى هنا لأول مرة كشاب، وقف يحدق في ذلك الجدار لساعات. ببساطة لم يملك الوقت للحب أثناء نشأته. كان عقله دائمًا مشغولاً بأشياء أخرى، لكن هوسه بهذا الجدار، وبالفعل بهذه المسرحية، ربما كان دائمًا علامة هادئة من لاوعيه بأنه رومانسي أكثر بكثير مما اعتقد.

وقف ستانلي بعيدًا عن الأنظار، يراقب نفسه الأصغر—هذا الستانلي المشوش والمعذب ابن الواحد وعشرين عامًا—من مسافة. كان يحدق في ذلك الجدار، تائهًا في التفكير.

عرف الآن أن أمامه احتمالات—فرصًا للأمل، للحب، للخلاص. أراد أن يكون قادرًا على إخبار نفسه الأصغر بذلك، لطمأنته، لكنه عرف أنه لا يستطيع. كان بحاجة لحماية ذلك الخط الزمني، وهذا يعني تقديم تضحيات.

قالت ماغي، ظاهرة بجانبه من العدم:

— «لم أظن أنني سأراها حقًا.» بدت عجوزًا. ومتعبة.

ومع ذلك، ابتسم لرؤيتها.

— «أملتُ أن أراها معكِ في النهاية. لقد وجدتِني.»

— «كان الأمر واضحًا بمجرد رؤية ملاحظتك. لم يكن هناك مكان آخر يمكن أن تنتظر فيه. تحدثتَ عن هذه الشرفة لسنوات.»

— «هذا جيد لمعرفته. لم أترك الملاحظة فعليًا بعد. جزء مني أمل ألا تحتاجيها، لكن ربما كنت ساذجًا.» قال ستانلي. «ماذا أخبرتِ حسن؟»

هزت كتفيها.

— «أخبرته أن الدليل كان حول إنتاج مسرحي في (أولد فيك)، عرض لم تأخذني إليه أبدًا.»

قطب حاجبيه.

— «لم آخذكِ أبدًا إلى أولد فيك؟»

ابتسمت.

— «أوه، أرجوك، ذهبنا أطناناً من المرات. لكنه لا يعرف ذلك. هذه هي اللحظة، أليس كذلك؟ اللحظة التي أخفيتها. اللحظة التي كان يبحث عنها.»

— «نعم.»

أومأت.

— «جيد. عندما أخرج، سأخبره أنه لا يوجد شيء هنا. أنها مُحيت. بعد كل هذا البحث، سيثير ذلك غضبه حقًا.»

ضحك ستانلي، ثم جفل، واضعًا يده على صدره. كان قد ضمد الجرح وهو يسافر، لكن القطع احتاج لأن يكون عميقًا. لن يشفى لفترة طويلة.

خطت ماغي نحوه، قلقة.

— «ماذا فعلت؟»

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا واستدار نحوها. بدت أكبر سنًا الآن مما بدت عليه من قبل، وقد نالت منها الصراعات والضغوط. أخذ يدها.

— «أنا آسف. كان الأمر... معقدًا جدًا. هذا اللقاء—كان يجب إخفاؤه تحت طبقات فوق طبقات. ليس عني فقط بل *عنها*.»

رفعت حاجبيها.

— «هل كان كل هذا ضروريًا؟»

— «أعتقد أنكِ بدأتِ تأخذين فكرة عما يبدو عليه حسن،» قال. «لن تكوني محاولته الوحيدة لاقتحام عقلي، لماضيّ—أنا متأكد من ذلك. عليّ أن أكون حذرًا للغاية. لم يكن الأمر متعلقًا بكِ—حتى أنا لا يمكنني معرفة كل شيء. هناك نسخة واحدة فقط مني تعرف الخطة الكاملة، وترى كل النقلات. وأنا هنا، الآن، معكِ. بمجرد عودتي لخط زمنيّ الخاص، سأمحو ذكرى هذه اللحظة. ستختفي.»

قالت:

— «أسميته جاك. في الماضي.»

أومأ ستانلي.

— «كان ذلك اسمه، ذات مرة. كان صديقًا، أعتقد. أو ربما لا. من الصعب القول.»

— «وهو يريدك أن توقف أوميغا لأجله.»

— «نعم—حتى يتمكن من السيطرة على الزمن. إذا تمكن من ذلك، رجل مثله...» هز ستانلي رأسه. «سيعاني العالم. الجميع سيعاني. لا يجب أن يمتلك أحد تلك القدرة. لا يمكن أن يحدث ذلك.»

ردت ماغي:

– «إنه يسيطر عليها بطريقة ما، في حاضري. لم يوقفها، لكنه يبقيها بعيدة. كيف؟»

قال ستانلي هازًا رأسه:

– «لا أعرف.» سيكون هذا دائمًا تخمينًا سيتوجب عليه الرهان عليه. «زودته بطريقة لإبطائها، لكن كان ينبغي أن تكون مؤقتة فقط. إذا كان لا يزال يستخدم المجرفة بعد خمسين عامًا في المستقبل، فهو يبقيها بعيدة لعقود. لا ينبغي أن يكون ذلك ممكنًا. ليس لدي أدنى فكرة كيف يفعل ذلك.»

ارتجفت ماغي.

– «لست متأكدة أنني أريد أن أعرف.»

قال ستانلي:

– «أعتقد أنكِ ستحتاجين لاكتشاف ذلك.»

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٠ ساعة، ١٧ دقيقة، و٤٢ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

– «بالكاد يصدر المصعد صوتًا وهو يندفع للأسفل. لا توجد أضواء وامضة على الجانب هذه المرة، فقط شعور بالسقوط، أسرع فأسرع. للحظة، أظن أن المصعد قد تعطل—أنني أسقط حقًا—لكنه يتباطأ بعدها، منزلقًا بهدوء إلى توقف لطيف.»

سأل حسن:

– «أحتاج منكِ أن تخبريني عما تنظرين إليه.»

– «تنفتح الأبواب لتكشف عن غرفة واحدة كبيرة. إنها تختلف عن أي شيء رأيته في المعهد حتى الآن. هناك أوجه تشابه: الأرضية والجدران هي نفس المزيج الأملس من الأبيض المعقم والرمادي المعدني. توجد صفوف من أجهزة الكمبيوتر على طول الجدار الخلفي، بالإضافة إلى شاشات طويلة—بارتفاع خمسة أقدام على الأقل—تضخ خطوطًا من البيانات والرموز التي لا أستطيع تفسيرها.

لكن في وسط الغرفة، توجد كتلة سوداء.

فراغ.

إنها تمتص الضوء القريب، مثل ثقب أسود. حولها، هناك صفوف تلو صفوف من النباتات، ومن موزعات الروائح والألواح الزجاجية. رموز—مثل تلك التي وضعها ستانلي في زفافنا—نُحتت في الزجاج بأشكال وأحجام مختلفة.

بجانبها مباشرة، توجد وحدة تحكم وشاشة أخرى، هذه تعرض رسمًا بيانيًا موقوتًا، مثل شريط تخطيط القلب، يصفر باستمرار.

جميع الموظفين هنا في الأسفل يرتدون بدلات مواد خطرة كاملة. عندما يلاحظني أحدهم، يهرع إليّ في ذعر.

— "ماذا تفعلين هنا في الأسفل؟" يطالب، ملوحًا بلوح كتابة في وجهي. "لا يمكنكِ أن تكوني هنا."

لا يمد يده ليمسك ذراعي أو ليعيدني للمصعد. يبدو مترددًا في لمس أي شخص على الإطلاق.

— "أنا هنا لفحص الحمايات،" أقول بنبرة عملية قدر استطاعتي. أنا مدركة أنني حافية القدمين، وأنه تحت معطف المختبر، أنا بملابس داخلية غارقة في السائل والقيح الأسود. ينظر إلينا آخرون الآن، يحدقون. "أرسلني السيد الهيثم شخصيًا."

يتردد، رامشًا، مستوعبًا الكلمات. أستطيع رؤية ومضة الخوف على وجهه.

— "أنا..."

— "هل تظن حقًا أنني سأكون هنا في الأسفل لو لم يرسلني السيد الهيثم شخصيًا؟ هل تظن حقًا أنه كان بإمكاني التجول هنا بالصدفة؟ لا تتجرأ على التشكيك في غرضي هنا. ما اسمك؟"

— "حقًا،" يقول، "لا داعي لذلك. إنه فقط..."

— "ما هو،" أقول، وصوتي يزداد قسوة، "اسمك؟"

— "دانيال،" يجيب بهدوء.

— "دانيال من؟"

— "دانيال ناسون."

الجميع يراقبنا الآن. توقفوا جميعًا تقريبًا عما يفعلونه. أبتسم، لأنك ارتكبت خطأً.

– «عما تتحدثين؟»

– «ارتكبت خطأ التفكير في أن الحكم من خلال القوة والخوف هو الطريق الصحيح. لكن عندما تحين ساعة الحقيقة، تكون بيادقك خائفة جدًا من فعل أي شيء.

قلتُ مشددة على اسمه:

– "شكرًا لك يا دانيال. سأحرص على أن يعرف السيد الهيثم كم كنت مفيدًا. هلا أريتني المكان من فضلك؟"

من خلف واقي وجهه البلاستيكي، يعطي ابتسامة ضعيفة ومذعورة.

– "لا أعتقد أنني في أفضل وضع لـ..."

– "أوه لا،" أقول، وأنا أخطو للأمام. يتراجع هو مبتعدًا عني. "أعتقد أنك الشخص المناسب تمامًا. اشرح لي عملية الاحتواء بالتفصيل الكامل." ألتفت لأنظر لكل الوجوه الأخرى. "أليس هناك عمل يجب عليكم القيام به؟"

كجسد واحد تقريبًا، يحنون رؤوسهم ويستديرون. كم جعلتهم مطيعين. كم جعلت الأمر سهلاً عليّ.»

– «لماذا تخبرينني بهذا؟ من الواضح أنكِ كنتِ تكذبين عليّ، تخفين أشياء عني. لماذا تخبرينني بكل هذا الآن؟»

– «أوه، ظننت أن ذلك واضح. أعرف أنك تعاني مع المشاعر البشرية، لكن هذا ما نسميه "الشماتة" يا حسن. أنا متفاجئة أنك لست معتادًا عليها أكثر.

يقول دانيال وصوته يرتجف:

– "احتواء أوميغا يعمل بكامل طاقته منذ ذلك الارتفاع المفاجئ بالأمس. حمايات الإخضاع لا تزال في مكانها، لكننا احتجنا لزيادة عدد (المغذيات)."

أرفع حاجبيّ.

– "المغذيات؟"

– "آسف. إنه مصطلح فظ نستخدمه هنا في الأسفل. أتحدث عن إجراء الاحتواء الأساسي. المتطوعون."

أرمش، ناظرة عبر الجانب الآخر للسواد الملتوي. بينما أمشي مع دانيال، يظهر الجانب المقابل المحجوب في الرؤية.

توجد زنازين—زنازين سجن مربعة بألواح زجاجية تواجه بقية الغرفة. بداخلها، يوجد أناس. إنهم مكدسون معًا، مضغوطون بإحكام ضد بعضهم البعض، القلق والخوف والخضوع يكسو وجوههم جميعًا. لا بد أن هناك المئات منهم.

آخذ نفسًا عميقًا، محاولة ألا أصرخ، محاولة ألا أكشف رعبي.

– "بالفعل. تقول إنكم زدتم الكمية؟"

ينطلق صفير خلفي بينما يقفز الرسم البياني على إحدى الشاشات إلى الأحمر. أتجمد، متسائلة إن كانت رسالة منك. رغم ما فعلته، لست واهمة بأنك لست حياً. بأنك لست قادماً لأجلي. وقتي هنا في الأسفل محدود بصرامة.

– "انظري." يشير دانيال للشاشة. "واحد آخر بالفعل. الإجراء الأخير لا يمكن أن يكون قد مر عليه أكثر من نصف ساعة. الأمر يخرج عن السيطرة."

تضغط امرأة طويلة في بدلة مواد خطرة زرًا على إحدى الزنازين الأصغر. ينسحب الناس بداخلها جميعًا للخلف فورًا، يضغطون للاختباء خلف بعضهم البعض، للدفع لمؤخرة المساحة الصغيرة. تمد يدها، ممسكة بأقرب ذراع، وتسحب شابًا للخارج.

– "لا،" يقول. "أرجوكِ، لا. أنا أتوسل إليكِ. خذي شخصًا آخر. خـ— خذيه هو." يشير الرجل لآخر داخل الزنزانة، الذي ينكمش بسرعة ويحاول

الاختباء خلف شخص آخر. الاحتجاجات بلا جدوى. تتجاهله المرأة تمامًا وتجره للمقدمة.

أنا متجمدة في مكاني. أريد الغوص للداخل، فك اشتباكهم، مساعدة هذا الرجل، لكنني لا أستطيع. عليّ المشاهدة وحسب.

ينظر دانيال بلامبالاة. الآخرون كلهم عند لوحات المفاتيح أو يأخذون قياسات وقراءات، يمارسون عملهم فقط.

يُدفع الرجل داخل زجاج الاحتواء حول أوميغا، ويغلق باب خلفه.

يلتفت للخلف، وجهه يرتعد، جسده يرتجف ذعرًا.

— "أرجوكِ،" يقول. يضع يده على الزجاج. "أريد فقط أن..."

يصمت.

تسقط يداه لجانبيه. يتدلى وجهه.

إنه فارغ، مثل دمية عرض.

روحه غُرِفت مباشرة من جلده.

الخط الأحمر على الشاشة في الأعلى يهبط عائدًا ويتحول للأخضر مرة أخرى، مصفرًا بسعادة.

يا إلهي يا حسن. هل هذه هي الطريقة التي تبقيها بها بعيدة؟ هل هذا ما فعلته لحمايتي منها عندما غصت؟ إنها جائعة، لذا تطعمها؟

تسحب المرأة الرجل للخارج وتضعه في كرسي متحرك. يسمح لنفسه بأن يُسحب، كدمية. لا توجد إرادة هناك بعد الآن. تنظر المرأة إليّ، وبدا أنها غير مرتاحة لأنني لست مرتدية بدلة مثل البقية، لكنها في النهاية تدفع الرجل بعيدًا وحسب.

— "إلى أين يذهب الآن؟" أدرك فقط أنني أهمس عندما تخرج الكلمات من فمي.

— "للمعالجة أولاً،" يقول دانيال، "ثم التخلص منه."

التخلص منه؟ أفكر، آملة بيأس ألا يعني ذلك ما لا بد أنه يعنيه. أريد التوضيح، لكن لا يمكنني كشف جهلي.

– "كم سيستغرق وقت معالجته؟"

يقطب دانيال جبينه.

– "أوه، يستغرق الأمر دقائق. أعني، ليس وكأن أحدًا سيتذكره."

– "أريد رؤية الآلة التي تراقبه،" أقول بسرعة، محاولة تغطية ضيقي. محاولة تشتيت عقلي عن الأماكن التي يذهب إليها. "أرني كيف تعمل. الآن."

– "حسنًا،" يقول، ماشيًا نحوها. تحت الشاشة الكبيرة ذات الرسم البياني توجد وحدة تحكم واسعة مغطاة بأزرار وضوابط، كشيء من قمرة قيادة طائرة. بجانبها، هناك بضع وحدات تحكم كمبيوتر أعرفها. شاشات بنوافذ، خوادم بريد إلكتروني، صفحات ويب. ينظر دانيال للوحه، متحدثًا عن شيء له علاقة بـ "ضوابط التهدئة الزلزالية" و"علاقة التشابك"، وأدرك أنه لن تكون لدي أدنى فكرة عما يتحدث عنه. لكن هناك شيء واحد أستطيع فهمه.»

– «ما هو؟»

– «في أعلى يسار وحدة التحكم، موضوع بعيدًا بما يكفي بحيث لا يمكن لأحد الاقتراب منه بالخطأ، يوجد مفتاح أحمر كبير. الملصق فوقه يقول *إيقاف التشغيل*. لا يهم في أي عقد أنت أو من أين أتيت——المفتاح الأحمر الكبير هو دائمًا مفتاح أحمر كبير. إنه خلف قفص معدني، مقفل، لكن المفتاح معلق بجانبه مباشرة على خطاف. يبدو أنه مهما كان مكان العمل، وعلى مدى فترة طويلة بما يكفي، يصيب الناس التراخي.

سألتُ:

– "هل هذا أمان كافٍ حقًا لمفتاح كهذا؟"

ضحك دانيال بتوتر.

– "إمم... ليس وكأن شخصًا ما سيقوم بإدارته عمدًا. نحن لا نوظف أشخاصًا مجانين."

أفكر فيك، وأحاول عدم التعليق على مفارقة تلك العبارة.

يقول هازًا كتفيه:

– "أعني، كل نظام يجب إيقاف تشغيله أحيانًا للصيانة. هذه هندسة أساسية. لكن علينا وضع التدابير المؤقتة في مكانها لإجراء كهذا. إذا أُغلق هذا دون حمايات ثانوية، فهذه البدلات لن تفعل شيئًا لعينًا. ذلك الشيء محبوس منذ متى؟ ما يقرب من خمسين عامًا الآن؟ لا أعتقد أنه سيشكرنا فقط إذا تركناه يخرج."

أرفع حاجبيّ.

يحني رأسه.

– "آسف، أعرف. أتحدث عن الظاهرة وكأنها شخص. أعمل هنا في الأسفل لفترة طويلة جدًا. اللغة، إنها تنتقل بالعدوى. اعتذاري يا سيدتي."

– "أعتقد أنك فعلت ما يكفي هنا،" أقول، مبقية صوتي باردًا. "اذهب وابحث عن شخص آخر لمساعدتي."

مزيج من القلق والارتياح يومض عبر وجهه، لكنه يتراجع ويمشي نحو أجهزة الكمبيوتر الرئيسية.

بأسرع ما أستطيع، أقوم بالفعل الأخير الذي يؤخرني. فاتحة أحد خوادم البريد الإلكتروني، أكتب عنوان ليا. قد لا تراني مرة أخرى أبدًا، لكنها تحتاج أن تعرف.

حبيبتي، أكتب، *لا أستطيع شرح السبب، لكن اعلمي أن كل ما أخبرتك به في ذلك اليوم الفظيع كان كذبة. كنتِ أعظم شيء حدث لأي منا على الإطلاق. لقد أحببناك منذ اللحظة التي ولدت فيها وفخورون جدًا بكل ما*

أصبحت عليه. أحبك، أحبك، أحبك. إذا شككت في ذلك يومًا، اقرئي هذا مرة أخرى. أحبك، وكذلك والدك. أكثر مما يمكنك أن تتخيلي. أمي.

أستدير.

دانيال يتحدث لشخص ما، مشيرًا نحوي، محتارًا لسبب وجودي عند الكمبيوتر.

ألقي نظرة طويلة وقاسية على أوميغا، يلتوي ويهتز في قفصه. أدع مشهده يسري خلالي، مغربلة خوفي منه. هذا هو الوحش الذي أخذ زفافي مني، الذي فصلني عن ابنتي، الذي هدد بأخذ حياتي، وحياة ستانلي، وأكثر من ذلك بكثير.

ثم أنظر للناس في الزنازين. البعض يبكي—بهدوء حتى لا يُلاحظوا. الأغلبية تحدق ببساطة في الفضاء.

وأدرك أنني كنت أروي القصة بشكل خاطئ.

أوميغا ليس وحش هذه القصة.

أنت هو الوحش.

أمد يدي للمفتاح وأسحبه عن الخطاف، ثم أضغطه في قفل القفص المعدني.

تومض أربع من الشاشات في الجدار الخلفي، وتختفي بياناتها وجداولها. يتبعها البقية. تُستبدل ببث كاميرا محمولة مهتزة لك. جلدك هش ومسود. عينك منتفخة، وتبدو كأنها على وشك الخروج من محجرها. وجهك غضب عارم خالص، كعاصفة في البحر. يتكرر مرارًا وتكرارًا عبر كل شاشة واحدة في الغرفة بأكملها.

— "ليتوقف الجميع عما يفعلونه،" تقول، وصوتك يقرقع كمجموعة مفاتيح. "جدوا تلك العاهرة العجوز التي أحضرتها هنا وأحضروها لي. الآن!"

تلتفت الغرفة بأكملها لتنظر إليّ وأنا أسحب باب القفص ليفتح.

يسقط دانيال لوح كتابته، ويقرقع على الأرض.

وهل تعلم ما أفعله تاليًا؟»

– «بالطبع أعلم يا ماغي. لهذا نحن هنا.»

– «أمد يدي للمفتاح وأنزله للأسفل بنقرة عالية ومرضية.»

ستانلي
١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

شرح لها ستانلي، شاعرًا بالحاجة لتبرير كل خياراته:

— «عرفتُ أنه لن يتوقف أبدًا. عرفتُ أنه سيلاحقكِ. أدركتُ ذلك في اللحظة التي قابلتكِ فيها. لم أستطع ترك ذلك الحمل عليكِ، لذا أنشأت (صنرايز) لتحميني.»

كررت:

— «تحميك؟ كانوا يمسحون عقلك. كانوا يحذفون ذكرياتك.»

قال:

— «لأنني طلبت منهم ذلك. إذا كانوا يفعلون ذلك، فهذا يعني أن حسن كان يحاول الدخول مجددًا، وليس من خلالكِ فقط. سيحاول اقتحام رأسي. لديه كل أنواع الناس تحت سيطرته. أنا... لا أستطيع المخاطرة باكتشافه للأمر.»

— «إذن لماذا احتفظت بالحل أصلاً؟ لماذا لم تحذفه من عقلك نهائيًا وحسب؟»

بدأ قائلاً: «كنت آمل...» ثم توقف، هازًا رأسه. «كنت خائفًا أن يصيبكِ مكروه. أو يصيبنا. تمسكت به تحسبًا لاحتياجي إليه، لكن...» تنهد، ناظرًا بعيدًا عنها. «لقد تسببتُ في كل هذا. أضيفيه فقط لقائمة إخفاقاتي، على ما أظن.»

قالت:

— «مهلاً.» وضعت يدها على وجهه وأدارته برفق. «لم تكن فاشلاً في نظري أبدًا. أبدًا. أتمنى فقط لو كان بإمكاني فعل المزيد لمساعدتك. أتمنى لو عرفت المزيد عن هذه الحياة. لماذا لم تخبرني أبدًا؟»

رمش ستانلي.

– «كل هذا—التجارب، أوميغا، حسن—سبب لي ألمًا كبيرًا وحسرة بالغة. لا أريد ذلك في حياتنا معًا. أريد بداية نظيفة. قطيعة تامة.»

أومأت ماغي، وكأنها تفهم. أمل بائسًا أن تكون قد فهمت. كان من المهم جدًا أن تفهم.

قالت:

– «هناك شيء واحد لا أزال لا أفهمه. تفاعلت مع نفسي في الماضي، أكثر من مرة. لماذا لا أتذكر أبدًا رؤية نفسي العجوز؟»

أدار ستانلي وجهه، ووجنتاه تشتعلان.

– «هذا سهل، أفترض. لا يمكنكِ تغيير الماضي إلا إذا كانت الذكريات موضوعية تمامًا.»

– «لكنني ظننت أن هذا عمل مجرفة الذكريات—ضمان ذكريات مثالية.»

قال بهدوء:

– «تلك هي الفكرة. لكنكِ كنتِ في ذكرياتي. ولا يهم ما يفترض بأي تكنولوجيا أن تفعله أو لا تفعله. لم أتمكن أبدًا من التفكير فيكِ بموضوعية.»

رمشت، وعيناها مبللتان بالدموع.

– «أوه، يا ستان. يا لك من رومانسي ميؤوس منه.»

– «آسف.»

أخذت نفسًا، مسيطرة على عواطفها، ومركزة على اللحظة.

– «حسنًا—إذن بمجرد أن أحدد كيف يبقي أوميغا بعيدة، ماذا بعد؟»

– «عليكِ إطلاق سراحها.»

– «ماذا؟» حدقت فيه من الأسفل. «لماذا؟»

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٠ ساعة، ١٢ دقيقة، و٣ ثوانٍ حتى الزوال

سردت مارغريت:

– «هناك تحول عملاق في الأرضية، كتحرك الصفائح التكتونية. الجدران الزجاجية حول أوميغا تنزلق عبر بعضها البعض ثم تتراجع، مختفية في الأرض.

يحدق الجميع لثانية، ثم ثانيتين، ثم يذعرون.

يركض البعض للمصعد، يصرخون ويدفعون بعضهم البعض بعنف بعيداً عن الطريق. يتراجع آخرون فقط نحو الجدار. أبدأ بضغط الأزرار على وحدة التحكم، ضاربة إياها عشوائيًا على أمل أن يفعل أحدها ما أريده أن يفعله.

وينجح الأمر. تنزلق أبواب الزنازين مفتوحة. يخرج الناس متدافعين—متعثرين، متسابقين، صارخين. رائحة أجسادهم المتعرقة تتغلغل في الغرفة. يمسك أحدهم بعالم في بدلة مواد خطرة ويسحبه للأرض، ضاربًا وراكلاً إياه حتى تتحول الأرضية حوله للون الأحمر القاني. ينضم آخرون للفوضى، التي تغسل الغرفة في موجة مسعورة.

وفي مركز كل ذلك، ينبض أوميغا وينمو. يضغط ضد النباتات، مجففًا إياها وهو يمر، مختبرًا جدران ما كان ذات مرة زنزانته. بينما ينمو، يصبح أقل سوادًا. الكتلة الدوامة تتحول للرمادي، ثم شفافة تقريبًا، وقبل مضي وقت طويل، هي فقط... تختفي.»

سأل حسن:

– «تختفي؟»

– «كأنها مددت نفسها أكثر من اللازم وتلاشت وحسب، ذابت في الهواء. لا أثر لها بعد الآن. يتباطأ الجميع، محتارين. حتى السجناء الذين يهاجمون العلماء يتوقفون في منتصف الضربة. يغلف الصمت الغرفة بأكملها.

الهدوء الذي يسبق العاصفة.

ثم يبدأ الأمر.»

– «ما الذي يبدأ؟»

– «يبدأ بامرأة شقراء في منتصف العمر في منتصف الطريق بيني وبين الجدار الخلفي. إنها نصف جاثمة، على وشك الركض، عندما يضربها. يرتخي جسدها ويتدلى، ماضيها يومض خارج الوجود. لقد مُحيت.

ثم يتبعها اثنان آخران، ثم أربعة. ينتشر عبر الغرفة بلا تمييز. عبر حشد من الصراخ والغضب والذعر، تجتاح موجة مد من العدم. إنها تأخذهم جميعًا. ستأخذني أنا أيضًا.

أضغط نفسي للخلف ضد الجدار بينما يندفع الموظفون بجانبي، محاولين الخروج من الغرفة، الابتعاد، لكن السجناء يسحبونهم للأرض، وقد تحولوا لمجانين في غضبهم. الناس يحطمون وحدات التحكم بالكراسي، بالطاولات، بقطع من المعدن—الشرر يتطاير ويمسك، الرائحة اللاذعة للبلاستيك المحترق تقطع عبر نتانة اللحم البشري غير المغسول.

ينهار رجل عند قدمي، شظية زجاج في ظهره. تمامًا بينما ينظر إليّ، ماداً يده، متوسلاً، يصبح وجهه فارغًا. تسقط ذراعاه لجانبيه.

يا إلهي.

أنا فعلت هذا، أفكر. *أنا جعلت هذا يحدث.*

تتموج معدتي، وأسعل، شاعرة بالصفراء تتصاعد في حلقي.

ثلاثة رجال—ثلاثة من الموظفين ذوي المعاطف—يندفعون لصندوق معدني كبير على بعد عشرين ياردة إلى يميني. فاتحين إياه

بجنون، يسحبون مسدسات. أتساءل، للحظة، ما الذي يخططون لفعله بحق الجحيم، كيف بحق الأرض يتوقعون محاربة هذا بأسلحة.

ليست الأسلحة لذلك.

أرى أحدهم—يا إلهي، إنه دانيال—يلتقط مسدسًا ويضعه على صدغه. ينثر دماغه في كل مكان على الجدار. الأمر منطقي: الموت أفضل من أن تُمحى من الزمن، من أن ينسى أحباؤك أنك وجدت أصلاً. يتبع ذلك فرقعة طلقة أخرى، ويهرع آخرون نحوهم، متسلقين فوق الجثث لالتقاط أسلحتهم الساقطة.

تضع امرأة مسدسًا في فمها، لكنها بطيئة جدًا. قبل أن تتمكن من سحب الزناد، يصبح وجهها فارغًا. تسقط ذراعها وتتدلى بجانبها.

الغرفة كلها صرخات الآن، كلها نار وجنون. أنا جعلت هذا يحدث. ماتوا بسببي.

يطير باب مفتوحًا خلفي بقرقعة معدن.

أقفز، مستديرة بجنون.

تعرج أنت لداخل الغرفة. جسدك معوج—ذراعك اليسرى تلتوي للخلف على نفسها، تنثني عند الكوع في الاتجاه الخاطئ. رأسك غير مثبت بشكل صحيح على جسدك، يبرز بزاوية غريبة، وكأن كل ما فعلته لتمديد عمر جسدك الطبيعي يتفكك تحتك. ملابسك ممزقة ومفتوحة، مهترئة، وجسدك كله مغطى برموز محفورة ودم.

— "أنتِ!" تنطق، بادئًا نحوي، حتى بينما يتحول كل من حولنا لدمى. أتراجع، لكنك تندفع للأمام. لا تزال سريعًا بشكل مستحيل، تهرول كعنكبوت ملتوٍ.

لا أعرف لماذا لم أُؤخذ بعد.

ربما يعرف أنني أطلقت سراحه، أفكر. *ربما يشكرني*.

لكن ليس لدي وقت لأخذ الفكرة أبعد، لأن يدك محكمة حول عنقي. الرموز المحفورة في جلدك لا بد أنها توفر لك بعض الحماية الوجيزة.

— "لن تفلتي بهذه السهولة،" تقول، وتجرني للأمام، يدك كمقود. أتعثر خلفك، مختنقة.

أصارع للتنفس. أشعر برؤيتي تبدأ في التحول للسواد وأنت تقذف بي للأمام، وقدماي تتخبطان للمواكبة.

تسحبني عبر الباب وإلى مصعد آخر، واحد لم أكن أعلم بوجوده. أنا على وشك فقدان الوعي. العالم يسبح.

قبل إغلاق الباب مباشرة، ألمح لمحة للدمار خلفي. لا أحد يتحرك بعد الآن. أكثر من مائة شخص. إما أنهم موتى أو مجرد واقفين أو جالسين هناك، ذهبوا.

فارغون.

لن يُفكر فيهم مرة أخرى أبدًا.»

ستانلي
١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

جلس ستانلي على أحد المقاعد في الشارع بالخارج المواجه للمنزل. وضعت ماغي نفسها بحذر بجانبه. جفلت قليلاً وهي تجلس، وتساءل ستانلي عن مدى صعوبة التجربة التي تحملتها.

كان ستانلي الأصغر لا يزال ينظر للجدار أسفل الشرفة، يقرأ مئات الأسماء المحفورة والملصقة هناك، معلنة حبهم لبعضهم البعض.

قال ستانلي:

— «أعرف ما سيفعله تاليًا.»

— «ماذا تعني؟»

— «جاك — حسن — كانت لديه دائمًا المشكلة نفسها. يكشف نفسه مبكرًا جدًا. يظن أنه فاز في اللعبة الوسطى، فيصبح استعراضيًا ويشير لنهاية لعبته. يظن أنني لم ألاحظ ما كان يفعله بي في ذلك اليوم، لكنني فعلت. استغرق الأمر مني بعض الوقت لاكتشافه، لكن لا توجد طريقة أخرى.»

قطبت ماغي جبينها.

— «عما تتحدث؟»

— «لقد طور طريقة لتكرار اللحظات. لإعادة لعبها مرة أخرى إذا لم تسر بالطريقة التي يريدها. الجميع في اللحظة ينسون — يعودون لبداية الخط الزمني — لكنه يتذكر.»

— «هذا يبدو مرعبًا.»

قال ستانلي، مومئاً:

— «إنه كذلك. إنه رجل مرعب. ومع ذلك لا بد أن هناك حدودًا. كنت أفكر فيما فعله بي. لا بد أن هناك حدًا زمنيًا من نوع ما على مدى طول عزل

اللحظة، وأتخيل أنه ليس طويلاً بشكل خاص. لا بد أن هناك حدًا جغرافيًا أيضًا. مستحيل أنه يضع الكون كله على التكرار.» توقف، مقلبًا الأمر في ذهنه. «وأعتقد أنه يحتاج لبدء الآلة عند بداية اللحظة—لا يمكنه العودة للخلف وحسب.»

قالت ماغي:

– «مثل تسجيل برنامج تلفزيوني. تحتاج لضغط تسجيل أولاً.»

– «بالضبط.»

صمت ستانلي، ناظرًا لقدميه. لم يقل أي منهما شيئًا لبضع ثوانٍ.

سألت ماغي:

– «ما الأمر؟»

– «لا أريد أن أضطر لطلب هذا منكِ.»

أخذت ماغي يده، عاصرة إياها بقوة.

– «أعتقد أننا قطعنا شوطًا بعيدًا جدًا لذلك.»

– «بإطلاق سراح أوميغا، ستجبرين يده. سيكون لديه حمايات أخرى في مكانها—أنا أعرفه—لكنها لن تدوم طويلاً. سيصبح يائسًا. هذا أكثر من مجرد سيطرة بالنسبة له. إذا محته أوميغا، سيُنسى لكل الزمن. سيُمحى من التاريخ. لن يتذكر أحد وجوده أبدًا. هذا تقريبًا أسوأ شيء يمكنه تخيله. إذا شك أن لديكِ الحل، سيستخدم الآلة لحبسكِ في حلقة حتى يكتشف ما يحتاج إليه. حتى تعطيه الحل.»

– «لكنني لا أعرف الحل.»

قال:

– «ليس بعد. لا. لكنكِ ستعرفين. لأنني سأخبركِ به.»

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب

طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١

٠ ساعة، ٦ دقائق، و١٥ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

– «آخر شيء أتذكره هو فقدان الوعي وقبضتك محكمة حول عنقي. عندما أفيق، أجدني في هذا المسبح، أمامك.»

سأل حسن:

– «نعم.»

– «ما هذا المكان؟»

– «إنه ليس مسبحًا حقًا. إنه حوض منحوت تحت المعهد. إنه حمايتنا الأخيرة. بعد أن أطلقتِ أوميغا، اضطررت للانسحاب هنا. خارج هذه الغرفة، توجد خطوط من النار، والرموز، والنباتات. قضيت سنوات عديدة أدرس الحمايات القليلة التي شاركها ستانلي معي. شكل الحوض يعمل كقناة للطاقة المخلوقة. لكنه ليس مثاليًا. ليس مثاليًا أبدًا. أوميغا تجد طريقًا دائمًا.»

– «يا إلهي، كل أولئك الناس هناك في الأسفل. مُحوا تمامًا. لم يعودوا موجودين. لم يوجدوا أبدًا.»

– «أنتِ فعلتِ ذلك يا ماغي. كان ذلك خياركِ.»

– «أوه، تباً لك. كم شخصًا أطعمت لذلك الشيء عبر السنين؟ آلاف؟ عشرات الآلاف؟ لن يُشعرني قاتل جماعي بالذنب يا حسن.»

– «ستأخذكِ أنتِ أيضًا. وستانلي.»

– «أين ستانلي؟»

– «إنه قريب. إنه آمن، في الوقت الحالي، لكنه لن يكون كذلك لفترة طويلة. ليس إلا إذا أخبرتني كيف يمكن إيقاف أوميغا للأبد.»

– «وما الذي يجعلك تظن أنني أعرف؟»

– «لا تتصنعي الخجل معي يا ماغي. أنتِ تعرفين. أعرف أنكِ تعرفين. كنتِ تكذبين عليّ. مرارًا وتكرارًا.»

– «كم مرة فعلنا هذا؟»

– «أكثر مما يمكنكِ تخيله. نحن هنا منذ وقت طويل جدًا، أنتِ وأنا، وسنستمر في البقاء حتى تعطيني الحل. طالما أواصل تكرار الحلقة، لدينا كل الوقت في العالم. فقط عندما تتوقف ستدخل أوميغا، وبحلول ذلك الوقت، ستكونين قد أخبرتني كيف أوقفها.»

– «أنت مجنون.»

– «لا—أنا مصمم. دعيني أقطع لكِ وعدًا يا ماغي، الآن. إذا ساعدتني، إذا أعطيتني الحل، سأفعل كل ما في وسعي لإنقاذ ستانلي. لإعادة ذكرياته ولإعادتكما لبعضكما. سأضمن أنه مهما حدث تاليًا، ستعيشان أنتما الاثنان حياة طويلة وسعيدة بقدر ما أنا قادر على صنعها لكما. وأنا قادر على العديد من العجائب.»

– «وإذا لم أفعل؟»

– «سأجد الحل يا ماغي. ليست مسألة (إذا)—إنها مسألة (متى). وإذا رأيت أنكِ كنتِ عائقًا أكثر من كونكِ عونًا، سأدحرج ستانلي هنا وأشق عنقه أمامكِ. سأجعلكِ تشاهدينه يموت، ثم سأقتلكِ بنفسي. هذا هو وعدي.»

ستانلي

١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

ببطء، وعلى مراحل، أخبرها بكل شيء. توقف عند نقاط، متفحصًا ليرى إن كان لديها أي أسئلة. أحيانًا كان لديها؛ وأحيانًا أومأت ببساطة له ليتابع. مر عبر الطقوس المختلفة وطقوس الدم التي تعلمها، الاستخدام الصحيح للنباتات والتفاعل بين النار والحياة. شرح الإجراء الدقيق، بتفاصيل مثالية، لإيقاف أوميغا مرة واحدة وإلى الأبد. شرح كيفية إيقاف تشغيل آلية الأمان. كيفية فتح الماضي للتلاعب، للتدخل، للسيطرة.

وعندما انتهى، استلقى للخلف. كانت المرة الأولى التي يقول فيها كل ذلك بصوت عالٍ أبدًا—كل ما تعلمه من سنواته في المناطق النائية، من رحلاته الدراسية عبر أجزاء أخرى من العالم، من الكهوف البعيدة والمواقع الأثرية القديمة. أطلق زفيرًا عميقًا.

تم الأمر. الحل الذي عرفه هو فقط: تم تمريره.

جلسا في صمت لبعض الوقت، واستطاع رؤية أن ماغي كانت تعالج ما أخبرها به للتو.

تحدثت أخيرًا:

— «إذا أعطيته إياه، سيتركنا وشأننا؟»

أجاب ستانلي:

— «ربما. من السهل عليه قطع وعود لا ينوي الوفاء بها.»

مالت للأمام.

— «لكن قد أتمكن من استعادتك. الخيار الآخر هو أنني أفقدك.»

قال:

— «أعرف. ونعم، ربما يدعك تبقين حية، وربما أنا أيضًا. قد يفعل ذلك لأجلك. لكن بفعلنا ذلك، نعطيه قوة كاملة على الزمن نفسه. هذا ما يريده:

إزالة قيود السبب والنتيجة، امتلاك القوة على كل الأشياء. لن يمكن إيقافه. سيعيد تشكيل العالم كما يراه مناسبًا، وسيكون كل من فيه خاضعًا له. الجنس البشري ليس مقدرًا له العيش هكذا. هذا ليس صحيحًا.»

— «إذن ماذا أفعل؟»

— «تخبرينه بالشيء الخاطئ.»

رمشت.

— «ماذا؟»

— «لا تخبريه بالحل الكامل. غيري بضعة أشياء—يمكنني إخبارك بما تغيرين حتى لا يعمل.»

قالت رافعة يدها:

— «تمهل. ألم تجرب ذلك بالفعل؟»

أومأ ستانلي.

— «لم ينجح لأنه كان الوقت الخطأ. لم يكن هناك إلحاح. كان لديه الوقت للنظر فيه بحذر، لاختباره. إنه دقيق للغاية في نهجه إن لم يكن شيئًا آخر. لكن إذا استطعت التنبؤ بنقلته الأخيرة، يمكننا محاصرته فيها. بمجرد أن تطلقي أوميغا ويحبسك في حلقة، سيكون لدينا شيئان يعملان لصالحنا. واحد، سيكون يائسًا. أي حمايات يمتلكها ستكون مؤقتة في أحسن الأحوال. بالتأكيد، ربما هو آمن في الحلقة معكِ؛ ربما لا تستطيع الوصول إليه في تلك الفقاعة. لكن في اللحظة التي يوقف فيها الحلقة، إذا لم يكن لديه الحل، ستنال منه أوميغا. هو يعرف أنها ستفعل. إنها تنتظره. اثنان، لا يزال يظن أنه المسيطر. يظن أنه لأنه يستطيع الاستمرار في تكرار حلقتك، سيتمكن من السيطرة عليكِ. بهذه الطريقة، عندما تعطينه الحل الزائف في النهاية، سيصدقه. سيجربه. لن يعمل. ستفشل حماياته، وستقوم أوميغا بعملها.»

— «عملها؟»

– «كي الجرح. التنظيف. محو كل شخص وكل شيء كان متورطًا من الوجود. حسن، المعهد، أنتِ، أنا. عندما يتم ذلك، يمكنها التوقف مرة أخرى، لكن عندها فقط. بقية العالم سيستمر وكأن أحدًا منا لم يوجد أبدًا.»

حدقت ماغي فيه في المقابل.

– «وليا؟ ماذا سيحدث لها؟ أوه، يا ستان—أنت لم تقابلها أبدًا، لكن ليا...» صمتت، غير قادرة على جلب الكلمات لشفتيها.

تنهد ستانلي. كان السؤال الواحد الذي لم يرد الإجابة عليه.

– «ستنسانا. سنتوقف عن الوجود—في الماضي، والحاضر، والمستقبل. ذكرياتها ستعوض النقص، تخترع قصة، لكنها لن تتذكر شيئًا عنا أبدًا.»

– «هذا...» نظرت ماغي إليه، يائسة. «لا أعرف إن كان بإمكاني فعل ذلك يا ستان.»

– «إنه طلب كبير.»

انهمرت الدموع على خديها.

– «لا أريد لابنتنا أن تنساني. إنها أفضل شيء فعلته أبدًا.»

– «أعرف.»

همست:

– «لكن انتظر. لا أفهم. لماذا تخبرني بالحل أصلاً؟ إذا كانت الخطة دائمًا إيصاله إلى هنا، وإعطاءه حلاً زائفًا، لماذا تخبرني بالحقيقي؟»

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب

طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١

٠ ساعة، ٤ دقائق، و١ ثانية حتى الزوال

سردت مارغريت:

— «لماذا كل هذا؟ لماذا المقابلة؟ لماذا التمشيط عبر ذكرياتي؟ إما أنني سأخبرك أو لن أفعل.»

قال حسن:

— «الناس ليسوا بهذا الأبيض والأسود يا ماغي. مهما كانت نواياهم، هناك دائمًا طريقة لجعلهم يتحدثون. تحتاج فقط للمحاولة مرات كافية.»

— «إذن، ماذا؟ تأمل أنك يومًا ما ستسحرني بما يكفي لأستسلم؟ أتذكر كل الأشياء التي فعلتها يا حسن. لست حمقاء.»

— «لا—لكنكِ كاذبة. لقد كذبتِ عليّ. أنتِ تعرفين الحل. ستانلي شاركه معكِ. أنا متأكد من ذلك. لطالما كان أحمق عاطفيًا. لقد كذبتِ عليّ. ولا تزالين تكذبين في كل مرة. أعرف أن قصتكِ عن زيارة المسرح كانت كذبة. عدتِ لتلك القصة بضع مرات، لكنها تتغير غالبًا. المرة الماضية كانت معرضًا في باريس. المرة قبل تلك كانت كنيسة في صقلية.»

— «فهمت. هذه ليست المرة الأولى التي نفعل فيها هذا.»

— «بعيد، بعيد عن ذلك.»

— «حسنًا، إذن لديك دليل على أنني أكذب عليك. وماذا في ذلك؟»

— «أعرف أيضًا ما تكذبين بشأنه. كلما فعلنا هذا مرات أكثر، كلما اقتربت من عزل الأكاذيب. أدرس هذه المحاضر في كل مرة، قبل أن نعيد الضبط مرة أخرى. أحدد التناقضات. أنتِ لستِ مثالية يا ماغي. سترتكبين أخطاء. ببطء، وعن طريق الاستبعاد، سأصل للحقيقة. كل ما سيتطلبه الأمر هو الوقت.»

ستانلي

١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

وقف ستانلي. أخذ بضع خطوات نحو الشرفة، حيث كان نفسه الأصغر يحزم أمتعته ويستعد للمغادرة. من هذه المسافة، استطاع رؤية الألم والوحدة في كل حركة، في كل خطوة.

— «أخبرني صديق جيد لي ذات مرة أنني مهووس، في الماضي قبل أن أقابلكِ، وكان محقًا. قال إن مصدر هوسي جاء من (محاولة شفاء الجرح الذي لا يشفى أبدًا). لم أفهم ذلك حقًا أبدًا. ليس حتى قابلتكِ.» التفت لماغي، آخذًا يديها ورافعًا إياها عن المقعد. «أنتِ شفيته،» قال. «أرى ذلك الآن. جعلتِني مكتملاً.»

قالت:

— «لا أفهم.» كانا قريبين جدًا لدرجة أنه استطاع الشعور بأنفاسها ضد جلده.

أجاب:

— «الخيار يعود إليكِ. يمكنكِ إما إعطاؤه الحل الحقيقي ومحاولة إنقاذنا كلينا أو إعطاؤه الحل الزائف والتضحية بحياتنا لإنقاذ الجميع. يجب أن يكون خياركِ.»

— «لماذا؟»

— «لأن لا شيء كان منطقيًا حتى دخلتِ حياتي. لأنني أثق بكِ أكثر مما أثق بنفسي. لأنه رغم كل ما أعتقد أنني أعرفه عن الشيء الصحيح لفعله هنا، كنت مخطئًا من قبل. كنت مخطئًا كثيرًا. الشيء الوحيد الذي لم أكن مخطئًا بشأنه أبدًا هو أنتِ.»

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب
طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١
٠ ساعة، ١ دقيقة، و٤٣ ثانية حتى الزوال

سألت مارغريت:

– «ماذا تأمل تحقيقه بفعل هذا؟ كن صادقًا معي على الأقل إذا أردت مني اتخاذ قرار. ما هي نهايتك؟»

أجاب حسن:

– «منذ كنت طفلاً، رأيت المسار الذي كانت البشرية تسلكه. حاولت إخبار ستانلي—شرحه له—لكنه لم يصدقني أبدًا. لكنني كنت محقًا يا ماغي. انظري لما أصبح عليه العالم: أزمة المناخ، كوكب يحتضر، انقراض قادم. يعيش الناس في فقاعات الآن، مدللين بالإنترنت، يثورون بشكل أعمى على أي نظرية مؤامرة يُغذون بها، بينما يدمر العالم نفسه. فكري فقط يا ماغي، في الأخطاء التي يمكنني تصحيحها بالسيطرة على الماضي. سأمتلك القوة لفعل أي شيء.»

– «وماذا ستفعل؟»

– «آخذ العالم بزمامه. أريه المسار الصحيح. أصلحه. أجعله مثاليًا.»

– «بجعله مثاليًا، تعني السيطرة عليه، أليس كذلك؟ هناك قول مأثور عن السلطة والفساد أعتقد أنك على الأرجح مطلع عليه.»

– «سيكون الأمر مختلفًا معي. أنا مختلف.»

– «هل آلمك الأمر لتلك الدرجة؟»

– «عما تتحدثين؟»

– «حقيقة أن أستاذك القديم اختار ستانلي عليك. حقيقة أنه رفضك. هذا ما يدور حوله كل هذا، أليس كذلك؟ كل هذا الموت، هذا الدمار—إنه

مجرد رغبة يائسة للسيطرة على كل ما تستطيع حتى تثبت أنك لست الفاشل الذي ظنه. لكنه مات يا حسن. أنت لا تثبت شيئًا لأحد

— «هذا هراء.»

— «لا أعتقد ذلك.»

— «لا يهم. أنت عمياء وغبية مثلما كان زوجك. ستستسلمين في النهاية.»

— «وماذا لو توقفت عن الحديث وحسب؟ ماذا لو لم أخبرك بأي شيء؟»

— «إذن سنعيد الكرة. ومرة أخرى. ومرة أخرى.»

— «نفس الحلقة؟ تجعلني أعيش نفس الذكريات؟»

— «نعم. دائمًا. حتى تستسلمي. هذا ينتهي فقط عندما أريد له ذلك. أنتِ لا تحاربين الزمن هنا يا ماغي. أنتِ تحاربين قوة إرادتي، وتلك، أؤكد لكِ، لا تُقهر.»

ستانلي

١٩٥٨ عبر ١٩٦٧

كانت عيناها مبتلتين. أمسك بنظراتها، مقربًا إياها.

همست:

– «ماذا يحدث إذا لم أستطع الاختيار؟»

– «إذن سيجعلك حسن تكررين نفس الحلقة مرارًا وتكرارًا، مجبرًا إياكِ على عيش تلك الذكريات للأبد. إذا أطلقتِ أوميغا، فقد حشرتِه في الزاوية. إنه دفاعه الأخير. ليس لديه خيار—إذا لم يستطع إيقافها، فهو يعلم أن إنهاء الحلقة سيسمح لها بالدخول.»

رمشت. تخلت عنه، وتراجعت بضع خطوات للخلف. عبر تعبير غريب وجهها، ضوء يشتعل. قطب ستانلي جبينه وهو يشاهد ابتسامة غير محتملة تظهر على شفتي ماغي.

كررت:

– «نفس الحلقة؟»

أومأ.

– «نفس الذكريات.»

– «وأتمكن من رؤيتك مرة أخرى،» قالت، وصوتها يرتجف تقريبًا. «أحظى بأن تحملني في زفافنا مرة أخرى. ورغم كل الأهوال والأخطاء، أحظى برؤية ولادة ليا مرة أخرى، وأشاهدها وهي تكبر. أحظى برؤية أول مرة نلتقي فيها مرة أخرى. أحظى بتجربة حياتنا بأكملها مرارًا وتكرارًا.»

هز ستانلي رأسه، محاولاً استيعاب ما كانت تقوله. لم يكن هذا منطقيًا.

– «في أجزاء، نعم، أفترض. في ومضات. لكن ليس أكثر من ذلك.»

— «أوه، يا ستان،» قالت، آخذة خطوة أقرب إليه مرة أخرى. «إنه أكثر من ذلك بكثير. إنه أكثر بكثير مما أملت به أبدًا.»

— «أنا لا...» أخذ يديها في يديه، ناظرًا إليهما. «لا يمكنكِ عيش حياتكِ في حلقة وحسب يا ماغي.»

ضحكت.

— «ألا أستطيع؟ ماذا تظن أنني كنت أفعله طوال السنوات العشر الماضية يا ستان؟ في ذلك المنزل وحدي، بدون ليا، أزورك في (صنرايز)——على الأقل في هذه الحلقة ستعرفني فعليًا! تخبرني أنه إذا فعلت هذا، سنُمحى، نختفي في العدم، لكنني فعلت ذلك بالفعل. كنت عدمًا لسنوات. حسن يهدد بقتلي، لكنني مت بالفعل.»

— «لكنكِ ستكونين محبوسة هناك معه. مرارًا وتكرارًا ومرارًا.»

— «لكن ليا لن تنسانا. ستستمر في العيش، وستتذكر. إذا كان هناك شيء واحد تعلمته خلال كل هذا، فهو أن أهم شيء نملكه هو ذكرياتنا. لن أجعلها تتخلى عن تلك.»

هز ستانلي رأسه.

— «لن تعرف ما حدث لكِ. لأي منا.»

— «سأجد طريقة لإخبارها. وحتى لو لم أفعل، ستكون بخير. ستحظى بحياة. أختار ذلك على عيش حياتي الخاصة. لقد اخترت ذلك بالفعل. أنا سعيدة بالذكريات التي أملكها يا ستان. دعها تتمسك بذكرياتها. دعها تصنع ذكريات جديدة. على الأقل في ذكرياتي، ما زلت أملكك.»

سأل ستانلي:

— «إذن فقط... تكررين؟ في حلقة معه؟ للأبد؟»

ازداد اتساع الابتسامة على وجهها.

— «للأبد.»

ثم انفجرت ضاحكة.

قطب جبينه.

— «ما المضحك؟»

— «كل مرة أعيد فيها تشغيل الحلقة، أنسى، نعم؟» لهثت بين الأنفاس، واضعة يدها على صدرها. «أنسى كل المرات السابقة؟»

— «أنا... أعتقد ذلك.»

— «لكنه لا ينسى. يتذكرها كلها. كل واحدة منها.»

أمال ستانلي رأسه.

— «أعتقد أن هذه هي الطريقة التي يعمل بها الأمر. حتى يتمكن من تجربة تكتيكات مختلفة. حتى يتمكن من...»

أصرت:

— «لكنه لا يملك شيئًا. خطته العبقرية هي حبسي في حلقة من حياتي الخاصة، مرارًا وتكرارًا، حتى يحصل على ما يريد. لكنني لست عالقة هناك معه يا ستان. هو العالق هناك معي. على الأقل في تلك الحلقة، لدي أنت. لدي ليا. لدي ذكريات أكثر حيوية عن حياتي بأكملها مما يمكن أن آمل في عيشها، وأعيشها من جديد كل مرة. كل ما لديه هو غروره وامرأة عجوز خرفة بأسئلة لا تنتهي عليه استرضاؤها لكل الأبدية. يا للمسيح، إذا كان هناك تعريف للجحيم، فلا بد أن يكون هذا هو. يا له من أحمق!»

حدق ستانلي فيها—هذه المرأة المجنونة، الرائعة، المذهلة—ولم يستطع التفكير إلا في سؤال واحد آخر ليسأله.

— «هل يستحق الأمر؟»

— «أوه، يا ستان، لم يكن هناك شيء يستحق أكثر في العالم بأسره.»

مائلة للأمام، قبلته. وكل العمر بينهما، كل الوقت، كل المسافة—ذابت في لا شيء. لراحة وجيزة وسط جنون حياته، كل ما استطاع التفكير فيه، كل ما استطاع تذكره، كان هذه اللحظة.

تراجعت خطوة للخلف حتى تتمكن من النظر إليه مباشرة في عينه.

نبض قلبه.

قالت:

– «وأنا سأظلُّ باقياً، لكي تظلّي ناسية... ناسياً أيَّ موطنٍ آخر سواكِ.»

وفي ومضة ضوء، اختفت.

محضر رقم ٢٧٣: مارغريت ويب

طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١

٠ ساعة، ٠ دقيقة، و١٨ ثانية حتى الزوال

سأل حسن:

- «ما هو يا ماغي؟ ما هو الحل؟ دعينا ننهي هذا الجنون——فقط أخبريني.»

- «أتعرف ماذا؟»

- «ماذا؟»

- «لو توقفت حياتي على ذلك، لا أستطيع التذكر.»

اكتمل نصف العمر. بدء الانحلال.

[نهاية المحضر]

محضر رقم ٢٧٤: مارغريت ويب

طابع التاريخ: ١١ أغسطس ٢٠٢١

١١ ساعة، ٠ دقيقة، و٠ ثانية حتى الزوال

قال حسن:

— «مرحبًا يا ماغي. أمامنا إحدى عشرة ساعة حتى إعادة الضبط.»

سألت ماغي:

— «أين أنا؟»

أجاب:

— «هذا ليس مهمًا يا ماغي. الشيء الوحيد المهم هو أن تركّزي معي.»

مجرفة الذكريات

نيكولاس بينج

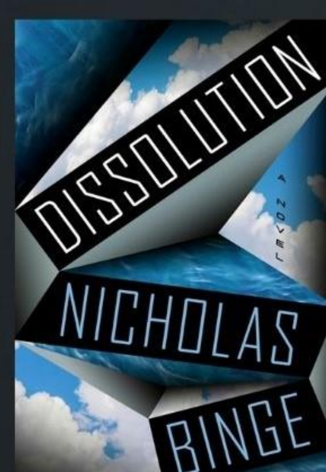
"الخيار لكِ، يمكنكِ أن تعطيه الحلّ الحقيقي وتحاولي إنقاذنا معًا أو تعطيه الحلّ الزائف وتضحي بحياتنا لإنقاذ العالم".

يُقيم ستانلي العجوز في دار لرعاية المسنين، بعد أن عجزت زوجته عن العناية به، جراء مرض الألزهايمر الذي يعاني منه. ولكن منذ أن دخل الزوج دار الرعاية عانت الزوجة من الوحدة والملل، خصوصاً وأن ابنتها قطعت علاقتها بها، وتوقّفت عن زيارتها من دون سبب.

فجأة ينقلب الملل والوحدة مغامرة قلّ نظيرها، وذلك بعد أن طرق رجل باب بيتها، وأخبرها أن زوجها ليس مريضاً، بل هو حبيس في دار الرعاية، ويتعرّض لعمليات مسح ذاكرة، وعرض عليها مساعدتها على تحرير زوجها من سجن لم تعرف أنها أدخلته إليه بنفسها.

من هو هذا الرجل؟ ولماذا تُمحى ذاكرة زوجها؟ ولماذا نبذتها ابنتها؟ وما هو العار الذي طبع حياة زوجها؟ وما هي قصة الضحكة التي كانت بمنزلة مبضع جَرَح قلبه جرحًا لم يلتئم؟ ومن هو الأستاذ الذي عرّفه على الفرق بين حفظ الكلمات وجعل معناها يتغلغل في أعماق الروح، وقاده إلى الدرب الذي يلتقي فيه العلم مع الأساطير، وعلّمه عن فرادة العقل البشري، ليطلقا معًا العنان لقوّة كانت في سبات منذ آلاف السنوات. فتعرّف على وعود لا يمكن الإفصاح عنها وحدود لا يمكن تجاوزها وكلمات يفضّل أن لا تُقال وأسئلة يجب أن لا تُطرح. وعرّفه أيضًا على مفهوم الوقت وكيف دخل حيّز الوجود.

في مجرفة الذّكريات سيُكشف اللثام عن القوّة التي يتحكّم من يسيطر عليها في نسيج الزمان، ويسيطر على العالم.



ترجمات مكتبة الوادي
t.me/wadistreambooks

ترجمة / قناة wadistreambooks

@t.me/wadistreambooks